زيبيله كريمر

اللُّغةُ والفِعلُ الكلاميُّ والإتِّصالُ

مَوَاقِفُ خَاصَّةٌ بِالنَّظَرِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ فِي القَرنِ العِشرِينَ

ترجمه إلى العربية

أ.د/ سعيد حسن بحيرى

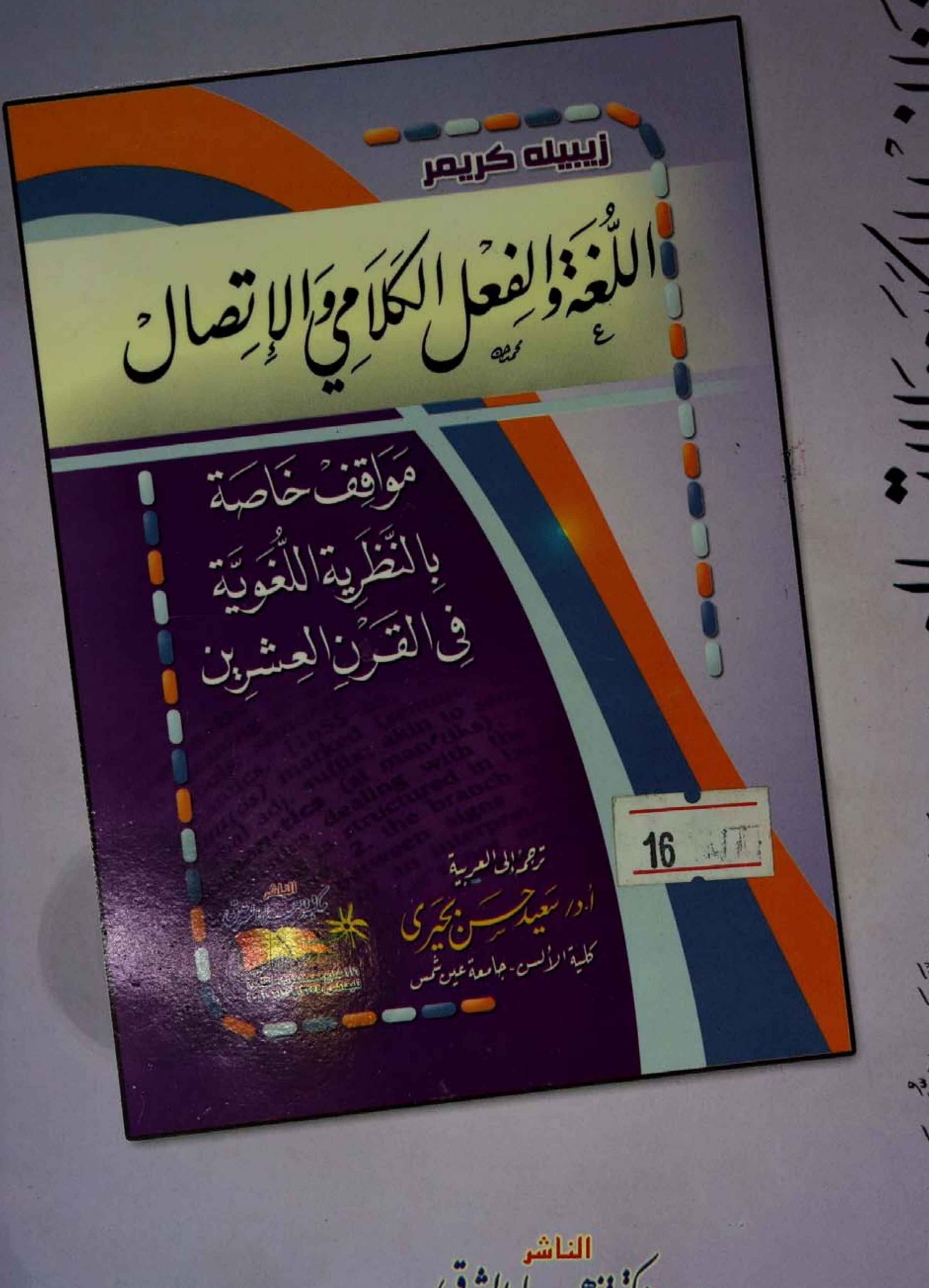
كلية الألسن - جامعة عين شمس

الناشر



١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة

تليفاكس: ٢٣٩١٣٣٥٤ (٢٠٢) ٠٠



اللُّغة والفعل الكلامي والاتصال

مواقف خاصة بالنظرية اللغوية في القرن العشرين

الناشر
مكتبة زهراء الشرق
١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة
تليفاكس : ٢٣٩١٢٣٥٤ (٢٠٢) ٠٠

زيبيله كريمر

اللُّغةُ والفعلُ الكلاميُّ والاتِّصالُ

مَواقِفُ خاصَّةٌ بالنَّظرِيَّةِ اللُّغويَّةِ في القرنِ العشرين

ترجمه إلى العربية
أ.د/ سعيد حسن بحيري
كلية الألسن - جامعة عين شمس

مكتبة زهراء الشرق
١١٦ شارع محمد فريد-القاهرة
تليفاكس ، ٢٣٩١٣٣٥٤ (٠٠٢٠٢)

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة للكتب المصرية
إدارة الشئون الفنية

كريمر ، زيبيلة.
اللغة والفعل الكلامي والاتصال :مواقف خاصة بالنظرية اللغوية في القرن العشرين
زيبيلة كريمر، ترجمةالي العربية سعيد حسن بحيري .-
ط١ .- القاهرة : زهراء الشرق
٢٠١١
مج ٢ ٢٤ سم
٣٩٨ص
تدمك :٧ ٣٨٥ ٣١٤ ٩٧٧ ٩٧٨
٢- اللغة -فلسفة
أ – بحيري ، سعيد حسن (مترجم)
ب – العنوان
٤٠٠,١

اسم الكتاب	:	اللغة والفعل الكلامي والاتصال : مواقف خاصة بالنظرية اللغوية في القرن العشرين
تأليف	:	زيبيلة كريمر
ترجمة	:	الاستاذ الدكتور/ سعيد حسن بحيري
رقم الطابعة	:	الاولي
السنة	:	٢٠١١
رقم الايداع	:	٢٠١٠/٢٤٦٦١
تاريخ الايداع	:	٢٠١٠/١٢/٢٦
الترقيم الدولي	:	(I.S.B.N) ٩٧٨-٩٧٧-٣١٤—٣٨٥-٧
اسم الناشر	:	مكتبة زهراء الشرق
العنوان	:	١١٦ شارع محمد فريد – وسط البلد
البلد	:	جمهورية مصر العربية
المحافظة	:	القاهرة
التليفون	:	٠٠٢٠٢٢٣٩١٣٨٥٩
فاكس	:	٠٠٢٠٢٢٣٩١٣٣٥٤
المحمول	:	٠٠٢٠١٢٣١٧٧٥١٠
البريد الاليكتروني	:	info@zahraaelsharq.com
الموقع الالكتروني	:	www.zahraaelsharq.com

هذا الكتاب ترجمة عن الأصل الألماني:

Sybille Krämer

Sprache, Sprechakt, Kommunikation

Sprachtheoretische Positionen

des Jahrhunderts

Suhrkamp Verlag

Frankfurt am Main
2001

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى كل من علمني هذه اللغة التي أعشقها عشقاً لا يفوقه إلا عشقي

للغتي الأم....

إلى كل من وقف إلى جـــواري ومـــا يزال برحـــابة

صدرِ وســـعة أفقِ لمعـــرفة إبداع هذه اللغـــة، وفتحِ

مغـــاليقـــها، وكـــشفِ أسرارها ، ونقلِ روائعـــها..

إلى معشوقتي الأولى.... اللغة العربية

إلى معشوقتي الثانية.... اللغة الألمانية



فهرس المحتوى

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

بادي ذي بدء أستسمح القارئ الكريم في ذكر معلومة موجزة حول الدافع إلى ترجمة هذا الكتاب الذي يختلف في تناوله لبعض المسائل اللغوية من منظور نقدي فلسفي عن الدراسات اللغوية المألوفة التي تعني في المقام الأول بالجانب اللغوي المحض في الأساس، وإن أشار بعضها إلى مرتكزات متباينة للأصول الفلسفية التي تقوم عليها نظريات لغوية مؤثرة ومهمة في الفكر اللغوي الحديث. وفي الواقع بينما كنت أراجع بعض الأعمال المتميزة التي صدرت حديثًا وبخاصة حول اللغة ونظرية الاتصال والعلاقة المتبادلة بينهما عثرت على إشارة مقتضبة حول هذا الكتاب، تُبرِز بشكل مجمل مضمونه وقيمته، فسعيت للحصول على نسخة منه، وطال الانتظار ، وعرفت أنه للأسف قد نفدت طبعته، فزاد ذلك من فضولي المعرفي، وحفزني إلى ضرورة الحصول على صورة له بأية طريقة، وتمكنت بعد لأيٍ ومدة ليست قليلة من الحصول على نسخة مصورة، فشرعت في قراءتها بنهم وكتابة ملحوظاتي وتعليقاتي عليها، ثم سنحت لي الفرصة لكي أنقله إلى العربية في أثناء إعارتي القصيرة إلى المملكة. فهو كتاب يستحق أن يطلع عليه القارئ العربي الكريم غير القادر على ذلك في لغته الأصلية. وآمل أن يشاركني الرأي في قيمته بعد أن يقرأه قراءة واعية متفحصة.

ويلاحظ بداية من العنوان أن الكتاب يعرض العلاقة المتفاعلة بين أطراف المثلث اللغة والفعل الكلامي والاتصال، من خلال مناقشة نقدية فلسفية دقيقة لأصول الأفكار التي شكلت مواقف خاصة بالنظرية اللغوية في القرن العشرين

وتقسم هذه التأملات الفلسفية اللغوية شخصيات لغوية وفلسفية مؤثرة إلى مجموعتين ، الأولى وتضم دي سوسير وتشومسكي وهابرماس... وتمثل مساراً فكريًا محدداً في تشكيل النظرية اللغوية يختلف عن المجموعة الثانية اختلافًا واضحًا، التي تضم فيتجنشتاين وأوستن ولوهمان وديفيدسُن ولاكان ودريدا وبتلر.

ونلحظ من هذه الأسماء أن المؤلفة، وهي أستاذ الفلسفة النظرية في جامعة برلين الحرة، التي تُعنَي بتلك العلاقة بين اللغة والفلسفة وبخاصة في نظريات اللغويين والفلاسفة بدءاً من القرن السابع عشر حتى القرن العشرين، تُعني في المقام الأول بنظريات الفلاسفة في اللغة، إذ يبرز عرضها الجدلي المتميز نظراتهم الخاصة إلى اللغة، ويكشف بجلاء ميلها إلى موقف المجموعة الثانية من اللغة من خلال معالجة أهم المسائل اللغوية في نظرياتهم، وإيضاح إلى أي مدى استطاعوا أن يطوروها.

ويعكس الفرق بينهما نموذج العالمين، وبشكل أوضح التفريق بين النظام (النسق) والتحقيق من جهة والنموذج والاستعمال (اللغة السائرة) من جهة أخرى، وبتعبير دقيق الخلاف الجذري حول تقديم اللغة على الكلام أو تقديم الكلام على اللغة. وتقدم المؤلفة كذلك أهم التصورات والأفكار التي طرحت في نظريتي الفعل الكلامي والاتصال، وما أهم النقاط التي تميز كل طرح لدى كل فيلسوف لغوي على حدة ، والتي أسهمت في تحقيق تقديم كبير في فهم وظيفة اللغة، والعناصر التي تتشكل منها وصلتها بالعقل أو الفعل، والمكونات الرئيسية في نظرية الاتصال، ودورها في الارتقاء بالفهم والإفهام. ويمثل مجموع هذه التصورات في نظرية اللغة مواقف خاصة مميزة لأهم فلاسفة اللغة في القرن العشرين.

ويتضح في هذا التناول المتميز التفريق بين اللغة بوصفها نظامًا، واللغة بوصفها فعلاً في موقف اتصالي محدد، ومحاولة تأصيل الأفكار بعزلها ودرسها درسًا دقيقًا، وردها إلى أصحابها، وإبراز قيمتها الحقيقية ودورها في صياغة نظرية لغوية فعلية. وبناءً على ذلك يسود التناول لغة الفلاسفة وتصوراتهم ومصطلحاتهم، وهو ما يشكل عقبة كبيرة أمام ترجمة النص، ولم أجد مفراً من إثبات بعض المفاهيم الفلسفية وشرحها في الهوامش حتى يُفهَم المقصود من تلك المصطلحات سواء تكررت أو ذُكِرَت مرة واحدة, ولم أثبت المصطلح إلا قليلاً في مواضع متفرقة حسبما تقتضي الضرورة.

وبغض النظر عن هذه الصعوبات المتوقعة في هذا التناول اتسمت الصياغة اللغوية للمؤلفة بالوضوح والإيجاز ونبرة نقدية حادة. وقد رأت أن تقسم الكتاب إلى خمسة أقسام، وجعلت القسم الأول للمقدمة، والثاني في التمييز العقلي للغة والاتصال ويضم المجموعة الأولى من اللغويين، وتبدأ بفردينان دي سوسير، ثم ناعوم تشومسكي، ثم جون سيرل، ثم يورجن هابرماس وتخصص القسم الثالث للمرحلة الوسطى، ولذا نضع لها عنوان (ما بين حدين) ، وتعني بذلك فيما يبدو الفصل بين المرحلة الأولى التي ركزت على الدرس العقلي للغة بوصفها نظامًا أساسًا، والمرحلة الثانية التي عدلت عن ذلك إلى النظر إلى اللغة بوصفها استعمالاً، ولذا يضم القسم الرابع (اللغة والاتصال خارج أوجه التمييز العقلي المجموعة الثانية الأكبر، وهي مجموعة الفلاسفة الذين شغلوا بدراسة اللغة، وأسهموا في وضع نظريات لغوية مهمة، دفعت إلى فهم جوانب مختلفة للغة، وقد بدأت فيها بلودڤيج ڤيتجنشتاين، ثم جون سيرل ثم نيكلاس لوهمان ثم دونالد ديفيدسن، ثم جاك لاكان ثم جاك دريدا، وأخيرًا جوديث بتلر، وخُصِّص القسم الخامس للخاتمة التي تشتمل على خلاصة هذه المعالجة الفلسفية الناقدة، وأعقبها قائمة المراجع ثم فهرس الأعلام.

وأحاول فيما يأتي أن أوضح في إيجاز أهم المحاور في كل قسم. ففي المقدمة طرحت المؤلفة أهم الأسباب التي دفعتها لتأليف هذا الكتاب، واقتصرت في معالجة الفكر اللغوي عند دي سوسير على فكرته الجوهرية التي أحدثت ثورة في الدرس اللغوي في القرن العشرين وهي اللغة نظام علامات، وحاولت أن تبين في البداية الفرق بين المؤلف والشخص، أي بين التحقيق الفعلي للأفكار التي أثبتها جامعا المحاضرات، والفكر الشخصي لدي سوسير لإيضاح فروق دقيقة بينهما في النظر اللغة، ثم تؤكد في مبحث اللغة نظام عقلي مجرد أو محض، الاتجاهَ الرئيسي لهذه المجموعة التي يتصدرها حيث تتقدم اللغة على الكلام، ويعني بالتصور المجرد على التمثيل، ويتضمن مجموعة محددة من المحاور هي التزامن، والتلفظ، والجزافية، والتخالف، وتختم بسؤال تحدد في الإجابة عنه الملامح الأساسية للغة في النظرية اللغوية لدي سوسير.

وتقتصر في تناول الفكر اللغوي عند تشومسكي على فكرته المحورية، وهي اللغة كفاءة، وتبدأ بثلاثة أسئلة، يوضح الأول الأسباب التي شكلت عنصر جذب في نهج تشومسكي في النظر إلي اللغة، وتكشف في الإجابة عن السؤال الثاني عن أصل فكرتي الفطرية والتوليدية، وعلى أي نحو طورهما تشومسكي في نظريته اللغوية، وتحاول أن تفسر المثيرات القاصرة، وتبين كيفية التعادل بين التصورات الثلاثة المشكلة للغة والنحو والكفاءة، وتختم بإيضاح مغزى التفريق بين الكفاءة اللغوية والأداء اللغوي.

وفي معالجة النظرية اللغوي التي عدل فيها جون سيرل أفكار أستاذه جون أوستن تجيب عن السؤال الأساسي الذي جعلته أساسًا لها، وهو كيف تكون القواعد أفعالاً كلامية، وتبدأ بسؤال هل حدث تبديل للموضوع الذي سبق أن عولج من قبل، وأعيد طرحه في إطار جديد كليةً. ويعقب هذا السؤال الفارق

تمهيد لنظرية أفعال الكلام في صورتها المعدلة لدى سيرل ، ثم تحديد مفهوم الفعل الكلامي لديه، ثم تفصيل أوجه التشابه أو التفارق بين سيرل وسوسير من جهة وسيرل وتشومسكي من جهة أخرى، ثم تبين القصد من أفعال الكلام غير المباشرة، وتحاول أن تقدم إجابة دقيقة عن سؤالها الذي طرحته في الختام حول مسألة هل نتبع قواعد في أثناء كلامنا.

وفي تناولها للأسس البراجماتية الشاملة للاتصال لدى الفيلسوف هابرماس توضح في البداية العلاقة بين الاتصال والعقل، وتحدد معالم منهج إعادة البناء العقلي، ثم تبين أسس البراجماتية الشاملة من خلال جمل النواة الأربعة التي تحدد قواعد بناء المنطوقات وإنشاء الاتصال، وتختم هذا الغرض النقدي الذي يعكس بجلاء التحول الذي حدث في عناصر تكوين النظرية اللغوية بتلخيص للاستراتيجية البراجماتية الشاملة وتضميناتها، ومقارنتها ببراجماتية التعالي لأوتو أبل.

وفي القسم الثالث تتوقف عند بيان ملامح المرحلة البينية، وتبرز أوجه التشابه أو التفارق، ثم نتنقل إلى التحديث من استقلالية اللغة والاتصال، وتوضح سمات الصورة اللغوية العقلية وتختم بسؤال ملغز حول مرجع الاستنتاج الخاطئ العقلي.

وفي إطار الاتجاه الثاني الذي يقدم الكلام أو بتعبير أدق الاستعمال على اللغة تبدأ بمناقشة أفكار لودفيج ڤيتجنشتاين حول اللغة ومذهبه بأنه توجد ألعاب لغوية وليس أفعالاً كلامية، وتعرض أسس اتجاهه من خلال مناقشة نقدية جدلية لمجموعة من المحاور وهي مفهومه للغة ونهجه المورفولوجي ومقصده من الألعاب اللغوية، وتصوره للمعنى والقواعد والنحو بوجه عام.

وتقدم من خلال عرضها لنظرية أفعال الكلام لجون أوستن مجموعة من التساؤلات التي تشكل الإجابة عنها موقفها من نظرية أوستن وقيمتها العلمية، وتبدأ بتقويض التفريق بين المنطوقات الأدائية والإخبارية، وتوضح المقصود من الفعل الأدائي، والمنطوق الأدائي والمنطوق الإنجازي، وأقسامه وطرق التفريق بينهما، وتبرز ميله إلى عنصر الإنجاز في الفعل، ودفعه لما هو أدائي وتختم بسؤال مهم حول علة تحفيز أوستن على تقويض التفريق المفهومي، وهي عودة إلى نقطة البداية التي انطلق منها.

وتقدم من خلال عرضها النظرية الوسائط للوهمان إسهامه في تشكيل الاتصال على أسس غير عقلية، وذلك بتوضيح ما المراد من أن نظرية الوسائط نظرية جديدة للشكل، ودور وسائط الاتصال، والاختلاف في اللغة، وتحميل الوسائط لمعلومات أكبر من أن تكون مقبولة عامة، والترميز في وسائط الاتصال وتناقش سؤالاً جوهريًا حول موقف لوهمان من اللغة لماذا لا يعدها نظامًا؟ وتختم عرضها بتصوير غير هرمينوطيقي للمعنى.

وفي مناقشة أفكار ديفيدسُن عن الاتصال ، تبين المبدأ الأساسي حول عدم ضرورة وجود لغة مشتركة لإنشاء الاتصال، ويعقبه تفسير للمقدمين اللتين طرحهما: التفسير بدلاً من الكلام والصدق دون المعنى، وتبرز خلاف نهج ديفيدسُن عن نهج تارسكي، والمقصود من التفسير الراديكالي والنظرة البينية، وتختم بالإجابة عن سؤال حول أسباب تحول نظر ديفيدسُن كليًا عن تصور لغوي عقلي، ورفض لوجود إحالة أو كيانات للمعنى، وكذلك لقيام الفهم اللغوي على تمكن من قواعد اللغة، ويدعم هذا كله توجه ديفيدسُن إلى تقديم الاتصال على اللغة.

وفي إطار منظور نفسي يقدم لاكان موقفه من اللغة والكلام. وتبدأ مناقشتها بالإجابة عن سؤال طُرِح في الصدارة، حيث توضح أسباب إدراج

لاكـان في هذا العرض. وتـبرز الصلة بين الـتحليل الـنفسي والثنائيـة اللغـوية، وتعلل عدم تقـديم لاكان صياغة تحلـيلية نفسيـة لنظرية الفعل الكلامي. وتحلل عناصر التحليل النفسي مثل الـوعي، والصورة والمكانية والخداع في نظام ما هو تخيـلي، واللاشعوري ، والـزمانية، والكلام، والـصدق في نظام مـا هو رمزي. وتختم مناقـشتهـا باقتراحاته حـول صياغـة تحليلية نفسـية للأداء أو الاستعـمال الفعلي وليس اللغة.

وينفرد جاك دريدا بمخالفـة قوية لتوجه دي سوسير حـيث يتجاوز اللغة، ويتساؤل ابتداءً هل الكتابة تعد شرطًا لإمكان اللغة أو عدم إمكانها؟ وتوضح ما المقصود بالتـفكيك في نظرية دريدا، ويُعنَي التذييل الأول والثاني ببـيان الخلاف الكتـابة، وتحـديد خواص الكتـاب. ويُعنَي التطـعيم الأول والثـاني بالأسـاليب النحوية وتشكليها والتخالف. وتُفصِّل الكلام حول إشكالية جدلية مهمة، وهي مـا يميـز توجـه دريداً، وأعني بهـا أن اللانتـظام شـرط للنظام، وتخـتم العـرض بالإجابـة عن السؤال الذي يشكل صلب هذا التناول ويـتمثل في مـوقف دريدا من الكلام أيضًا، هل الكتابة تعد شرطًا لإمكان اللغة أو عدم إمكانتها.

وفي إطار منظور سـردي تقـدم موقف جـوديث بتلر من الـكلام بوصفـه سـرداً، وتوضح في البداية أسـباب إدراج بتـلر أيضًا في هذا العـرض.وتوضح عمليـة التكوين الخطابي للذوات ، وأسبـاب عد الكلام فـعلاً جسـديًا، وكيفـية تغيـير تفسـير ما هو أدائي من خـلال مناقشة مـحاور أربعة هي إمكـانية التكرير وإمكانيـة الاعادة وإعادة الدلالة ونموذج الفـعل حيث تطرح سـؤالاً أساسـيًا في إطار نموذج الفعل ، وهو هل يوجد فاعل الفعل أو لا؟ وتختم بتحديد مفهومها للغـة والكلام من خلال هذه الرؤية الخـاصة، وتوضح أسـباب مـيلها إلى تـقدم الأخير على الأول. وتعالج في القـسم الخامس والأخير مسألة عدم تبعـية علاقة

اللغة بالكلام عملية التفريق بين النموذج والتحقيق . وقد ذيلت الكتاب بقائمة للمراجع وفهرس للأعلام. ويبدو أنها رأت أنه لا حاجة إلى عمل قائمة بالمصطلحات وعلى أية حال فقد شرحت في الهامش أهم المصطلحات التي استخدمتها، وارتكزت عليها في مواضع عدة في هذه الدراسة المتميزة.

وأرى بعد هذا العرض الموجز لمحتوى أقسام الكتاب، كما هو معتاد، أن أشير إلى أني قد حرصت على إثبات الصفحات المقابلة للترجمة في النص الأصلي بوضع أرقامها في الهوامش جهة اليسار، حتى يمكن أن يراجع القارئ الكريم أي مصطلح أو عبارة يريد أن يتأكد منها متى شاء في الكتاب الأصلي.

وآمل أن أكون قد وفقت في محاولة نقل أفكار المؤلفة ولغتها في صياغة عربية دقيقة وسليمة، برغم اختلاف التخصص الذي شكل صعوبات جمة، حاولت قدر المستطاع التغلب عليها، ولكني على يقين بأن محاولة الترجمة تظل عند حد محاولة تحقيق التوازن بين اللغة الأصل واللغة الهدف، فإن كنت قد أصبت فيها فذلك بتوفيق من الله وحده.

ويسعدني أن أتلقى أية توجيهات أو ملحوظات أو تعليقات تفيد في استدراك ما فاتني في طبعات قادمة إن شاء الله.

والله هو الموفق والهادي إلى سواء السبيل....

سعيد بحيري

أولاً: المقدمة

١- ما الداعي إلى هذا الكتاب؟

/ يقدم هذا الكتاب ثلاث قـراءات (١): فهو ابتداءً مختـصر، يُعرِّف ٩ بمواقف مهمة ومتصلة للتأمل اللغوي في القرن العشرين، إنه يقدم ما أسماه ڤيتجنشتاين، عرضًا واضحًا، وهكذا هو عرض، يُفهِم شيئًا من خلال مبدأ ترتيبه عـبر ما ينظم في ذلك. (٢) وهو يقـدم بالإضافة إلى ذلك تشخـيصًا لحال نظـريات لغوية حـديثة. وينص التـشخـيص على أن أغلب النظريات اللغـوية يمكن أن يفـرق بينهـا تبـعًـا لمسـألة هل هي مـؤيـدة أو مـعـارضـة لنمـــوذج عـالَمين. ويعني نموذج العالمين شـرطًا ضمنيًـا في البحـث الخاص بالنظرية اللغـوية، يستعـمل للتفـريق بين لغة >صافـية< أو اتصال ، تُـفهَم ويُفهَم على أنه نظـام قاعدي نحوي أو براجـماتي ، وتحقـيقه أو تفـعيله في كل كـلام أو تواصل . (٣) أخيـرًا يقدم خـريطة لنظريات لغوية مـؤثرة في الوقت الحاضـر، يتميز فيـها الاتجاه الذي يجب أن يتخـذه البحث اللاحق. في هذا المنظور من المهم في واقع الأمر أن الاتجاه المنتـهج لا يصير بارزًا من خلال نقد مواقف محددة صراحةً.

ويلفت النظر في هـذا النص التخـلي عن التلويح بالنقـد، وهذا دون شك في حـاجة إلى تعلـيل، يوجد لذلك سـبب عـادي، وسبب أكـثر دقـة أيضًا، ويرتـبط السبب العـادي بأنه يشجع في الوقت الحـاضر ما أسـهم به مفكرون ذوو منابع منهجية واصطلاحية بالغة التباين في فهم خاصية اللغة.

وقد أوضح لنا ديفيدسن أن الإبداعية المرتبطة باللغة تكمن في الكلام بشكل أقل مما تكمن في إمكان التفسير والفهم. وقد قدم بمبدأ >الرفق< الخاص به في الوقت نفسه المبدأ الخاص بأي نهج تُقدَّم الإبداعية المفسرة على خير وجه. ونريد أن نعبر عن ذلك بشكل جد واقعي دون استناد إلى ذلك: لا يهمنا من المؤلفين فيما يخطئون، وفيما لا نستطيع أن نتابعهم، بل ما يمكن أن يتبعوا فيه. وقد أشار لوهمان إلى أن العلم قد أنتج مجموعة من الأدوات التي / تجيز الحكم بإمكان المتابعة: وهذا هو الشفرة > صحيح< و>خطأ<. وبهذا المعنى يكمن السبب الأول في إحجامنا في وظيفة النقد ببساطة شديدة في أننا نبحث مع المؤلفين المستشهد بهم هنا بوجه خاص عن> بعض الحقيقة< .وهذا تعبير إشكالي ـ ولكنه يتعلق بالسبب العادي أيضًا. ١٠

أما بالنسبة للسبب الأكثر دقة الآن فهو: يجعل تشخيصنا السؤال هل يعد منظر ما التفريق بين نموذج لغوي شامل واستعماله المحدد بموقف مكانيًا وزمانيًا في الكلام، مفيدًا منهجيًا، سؤالاً مهمًا (جوهريًا) لنظريات لغية حديثة. وقد جعل التنظيم الذي يعد أساس هذا العرض من هذا السؤال معيارًا: إذ تتقاسم المجموعة الأولى من المؤلفين: دي سوسير، وتشومسكي ، وسيرل ، وهابرماس الموقف المسبق لنموذج ـ العالمين، ولذلك أيضًا ربط بالعنوان >الصورة اللغوية العقلية< .ولا تتقاسم المجموعة الثانية من المؤلفين: ڤيتجنشتاين، وأوستن، ولوهمان، وديفيدسن، ولا كان، ودريدا، وبتلر، هذا الموقف المسبق. ولذلك يعد

أعضاؤها مؤيدي صورة لغوية غير عـقلية. وكون الميول الفلسفة لمؤلفة هذا الكتاب سوف تبدو إلى طرف المجموعـة الثانية وليس إلى المجموعة الأولى هو ظن يُعـزَى إلى التنـظيم ذاته (الفـائدة ترد دائمًـا في الخـتـام) ، هي إذن متضمنة.

بيد أنـه هل يمكن أن يكون هذا سبـبًا، لئـلا يجعل هذا الميل مـفهـومًا أيضًـا من خـلال نقد ممثلـي الصورة اللغـوية العـقليـة؟ دون شك >بلى< . السبب هو سـبب آخر أيضًـا: إنه له علاقـة بأن نموذج العالمين ليس بـبساطة إخفاقًا تصوريًا، بل إنـه يمثل مكاسب. ويمكن أن يبرز أيضًا أن هذا الكتاب يجعل مـهمته مـايكون مهمًـا ولافتًا للنظر في هذا النمـوذج، لنحاول على الأقل بشكل مبدئي أن نوضح ما المقصود بذلك.

وتورد مجـموعـة المؤلفين الأولى تفريـقًا، وتؤسس علاقـة تدرج بين طرفي هذا التفريق، وعلى نحو الحفر على الخشب: يفرق بين قواعد نحوية أو براجمـاتية شاملة واسـتعمـالها في الكلام بحيـث إن شرح الكلام يعني وصف هذه القواعد النحوية أو البراجماتية (والأنظمة المعرفية أو الكفاءات المطابقة لها)./ وبهذا المعنى توجد- لهذه المجموعة من المؤلفين- لغة شاملة ١١ أو اتصال >خلف< الكلام. ويصير إعـادة بنائها مهمـة نظرية اللغة. وبذلك يتـجلى مـغـزى نموذج العالمين: وهـو يكمن في النظرة القـائلة إن اللغـة أو الاتصال ينظر إليهـا على أنهما مثاليان أو من وجـهة نظر الأبدية أيضًا، ولا يتطابقان مع كلامنا وتـواصلنا اليومي . فما يقال دائمًـا عن اللغة والاتصال > المحضين< من طبـيعـته أنـه لا يتبين على الإطلاق في اسـتـعمـال محـدد

بمواقف مكانيًا وزمانيًا، أي ليس معلومة تجريبية. وبذلك يقدم نموذج- العالمين شرحًا لحال جديرة بالملاحظة، شخصها اللغوي جون إ. جوزيف بأنها سمة بارزة لنظرية لغوية معاصرة: إن >اللغة< بمفهوم النظرية اللغوية ليست ما نفهمه بشكل حدسي تحت >لغة< في حركاتنا الحية اليومية[١]. وكمُنت موهبة دي سوسير في أن ينجز استقلال اللغة على صفحة هذا الفصل المقولي عن الكلام الحقيقي.

إن تَجسُّد لغة ما خلف الكلام إذن ليس ببساطة نهجًا خاطئًا ، بل بلا شك طريقة رشيقة تبرز أيضًا اختلافًا أساسيًا بين لغة شاملة وكل كلام.

وفي هذا الموضع يمكن أن يكون دريدًا معينًا لنا: حين تؤسس علاقة تبعية بين مفهومين- وهذه هي الحال دون شك مع نموذج- العالمين _ بحيث إن المفهوم الأول يكون أساسيًا، والثاني يكون ثانويًا، فإن هذا التفريق المفهومي لا يخدم استخدام المفهوم الأساسي فحسب، بل إنه _ على كل حال- في الوقت نفسه نتاج مفهوم ثانوي، وذلك في اختلافه عن المفهوم الأساسي، الذي يصير موضوعًا مع هذه الثنائية المفهومية، ويُقَر به.

وربما يمكن أن يصير واضحًا الآن السبب الدقيق لإحجامنا عن النقد (بغض النظر عن أن هذا النقد قد أنجز بشكل كاف وبارع أيضًا): ويوجد نموذج- العالمين، الذي تجعله مجموعة المؤلفين الأولى شرطًا، بتفريقه بين النسق (المثال) والتحقيق حالةً/ لم تضعها ببساطة على الرف مجموعة المؤلفين الثانية، بل تُعدّ لها.

١٢

(١) أشار جون إ. جوزيف ١٩٩٧ ص٣٢ في مقالة إلى حالة جديرة بالملاحظة: >اللغات في كل يوم، استعمال مشترك للفظ، غير موجودًا أو على الأقل ليست بذات صلة بفهم جاد للغة بوصفها وظيفة أو خاصية إنسانية<.

ولكن ما هذا، الذي يمكن أن تستـخدمه مجموعـة المؤلفين الثانية هذه مـادةً، ومن ثم يمكن أن يُعـدَّل أيضًا؟ لا نريـد هنا أن نستـبق الأمـر ، ولكن نشيـر على الأقل إلى الاتجاه الذي عـلينا أن نبحث فـيه. وفي إطار التـفريق المنهجي بين النموذج والاسـتعمال يكون الاستعـهمال مهمًا دائمـًا فقط، ما دام يمثل أو يقدم نمـوذجًا. ويمكن أن نفرق من جـهة الاسـتـعمـال بين ما هو مـهم فيـه وما يُتَـجاهل. وبالنظر إلى الـعلاقـة باللغة والكلام: فـفي الكلام يكون مـهمًا بدقـة فيمَ يمثل الكلام الـيومي الشروط الـشاملة للغـة (وهو ما يشـترط أن اللغـة ذاتهـا ليـست موجـودة في ذلك). وهكذا فـثمـة نتـيجـة لنموذج- الـعالمين تكمن في سـحب البساط مـن تحت التصورات اللـغوية التمثـيلية المتجذرة في وقت مبكر من العـصر الحديث (سنرجع إلى ذلك)، باعتـبار أن اللغة لم تعد تفـهم بشكل أولي على أنها تمثـيل للفكر والعقل. ومع ذلك فالتكـلفة إن يعاد بناء عـلاقة تمثيل، هذه المرة بـين اللغة والكلام، تكرر فـضلاً عن ذلك على نحـو لطيف العـلاقة التـقليدية بين اللوجـوس (العقل) واللغة في العلاقة بين لغة >محضة< وكل كلام.

ولا يريد مؤيدو الصورة اللغوية، غير العقلية أن ينتهجوا هذا القياس المزعوم خـفيـة، وهو أن شأن اللغـة بالنسبـة للكلام- في العصـر الحديث- شأن العقل بـالنسبة للغة. وتتعـلق حجة ترك هذا الإتباع بدقة بـالعلاقة بين المخطط والتطبيق. لأنه بالنسبة لهؤلاء المؤلفين يُنجز في جهة، >التطبيق< أو >التفـعيل< أو >التحـقيق< ذلك، الذي يُطبق في ذلك ، ويفـعل ، ويحقق، وهو شيء يتـجاوز، ويتـخطى باسـتمـرار أيضًا. وقـد مهـد أوستن الطريق

لذلك، باعتبار أنه لم يجعل في نظرية الفعل الخاصة به القصدَ، بل بسط الكلام المستوى ذا العلاقة وحده من جهة نظرية الفعل، لأنه في هذا البسط وحده يمكن أن يُخفق في شيء، إمكان _ الإخفاق، ولكن يُحدد بدقة ماذا يعني >فعل< إنساني أساسًا.

وهكذا لم يكشف أوستن فقط أن الكلام فعل، بل يخفق أيضًا في إطار ظروف كثيرة ما ينبغي أن يفعل في الكلام. وها هي جوديث بتلر التي تفسر/ حالة أن الكلمات لا تكون دائمًا أفعالاً في الوقت نفسه أيضًا، بمفهوم إمكانية أن ما ترسب تاريخيًا في الاستعمال اللغوي لا يتكرر ولا يستعمل فحسب، بل يُحوَّل على نحو حاسم.

١٣

ولو وُجِد شعار للفروض المسبقة تشترك فيه مجموعة المؤلفين الثانية بعضها مع بعض لكان هذا هو نموذج _ الأراء. ويُفهَم نموذج _ الأداء بأنه افتراض ، وهو أنه- بالنظر إلى علاقة المخطط بالاستعمال _ يوجد جانب الاستعمال، الذي تُرى من خلاله دينامية، لها القدرة على تغيير مخطط في التنفيذ (٢).

وفي آخر الأمر في هذا الموضع من مقدمتنا يصير بعض قرائنا وقارئاتنا (هذه المرة الأولى والوحيدة التي نصوغ فيها في هيئة مفرقة للجنس، بالنسبة لبقية الكتاب نقتصد في هذا النهج) منزعجين. هل لا يُتعامل هنا بشكل بالغ الحرية ومضاد للحدس بأوجه وصف أو بالأحرى:

---

(٢) يقع البحث في هذا الكتاب في علاقة بالمجال البحثي الخاص في برلين (ثقافات ما هو أدائي).

أوجـه عنونة لنظريات لغـوية؟ هل لا تُفـهَم نظرية الفعـل الكلامي لسيـرل بوصفهـا تحديداً لتأملات أوستن حول الأداء اللغـوي والمنطوقات الأدائية؟ هل لم يَصُغ هابرمـاس مع أبل تعبـير البنيـة المزدوجة، الأدائـية _ القضـوية للكلام؟ هل لـم يبـحث سيـرل، وهابـرمـاس وأبل عن بديل لتـهـمـيش تشومسكي >للأداء< بوصفـه حالاً (فـعلاً) منفك الصلة عن نظريـة اللغة، وبخـاصة: في نظرية الـفعل الكلامي ونظرية الاتـصال الخـاصة بهم وُجِـد أيضًـا؟ وحين يجوز للحـدوس أن تحتـل موقـعًا : كـيف يمكن أن يصح أن يتجـاهل، وعلى الأصح أن يُتخطَّى الجدل الحاسـم بالنسبة للقرن العـشرين بين نظريات النظام (البنية) ونظريات الفعل هـنا بحيث إن الحد، الذي يُقام بدلاً من ذلك، يجـري في المنتـصف من خـلال طرائق قائـمة على أسـاس الفعل وطرائق براجماتية؟ هل لم يمهد ڤيتجنشتاين وأوستن ، في مرحلة متأخرة باكتـشافهما أبعاد الفعل للغـة، وعدم استنادهما بشكل منطقي إلى لغة مـركبـة مثاليـة، بل إلى اللغة السـائرة (العادية)، الطريقَ لنظريـة الفعل الكلامي ونظرية الاتصـال لسيرل وهابـرماس؟ وأ لن يحتـذى منظر النظام لوهمـان على نحوِ مـا حـذوَ دي سوسـير، / الذي صـارت نظامـية اللغـة بالنسبة له عقيدة (مبدأ) لغوية؟ وحين يزعم ديفيدسُن ، الاستناد إلى تصور (الصدق) اللغوي الشكلي لتارسكي : ألن تتبين قرابة بتشومسكي الذي آثر على كل حال في أفكاره النحوية التحويلية نموذجًا لغويًا مصوغًا شكليًا؟ ١٤

هذه الأسئلة تشجع على الانتباه إلى حال أخرى:

يثـيـر عنوان هذا الكتـاب >اللغـة، والفـعـل الكلامي ، والاتـصـال<

مواقفَ خاصة بـنظرية اللغة في القرن العشرين «توقعًـا»، يمكن أن نعبر عنه على النحـو الآتي: من اللغـة إلى الاتصال ، بحـيث إنه (ينبـغي) أن تُعطي الكلمـة لمؤلفين يتسـاءلون: مـا اللغة؟ في البـداية، ولكننا نلقى في النهـاية مؤلفين ، أعاوروا الانتباه إلى السؤال: >لم تستخدم اللغة؟<. وربما كان لهذا التسلسل ميـزة أن ترتيبه الداخلي ومنطقيـته استأنسا من ناحـية نظرية اللغة وارتباطها أيضًا بفروق مقبولة. سواء أكان هذا هو الفرق بين اللغة بوصفها نظامًـا وبوصفهـا فعـلاً أو بين تحليل لجمل - بلا- سـياق بوصـفها ألـفاظًا صحيحـة نحويًا، ومنطوقات _ في _ سياق بوصـفها أفعالاً موفقـة اتصاليًا، وربما يصلح أن يكون الاتجاه البراجماتي سهم الاتجاه الأشبه بهدف النظرية اللغويـة في القرن العشـرين، بمعنى الفـهم الذي مفاده أن اللـغة لا يمكن أن توضح إلا بوصفهـا استعمالاً للغة من قبـل أشخاص مواقف _ لماذا إذن لا يسلك عرضنا هـذا النهج المنطقي ، وفضلاً عن ذلك أيـضًا المطروق بشكل جيد؟

ولا يعني إمكان العـثور على إجـابة لكل هذه الأسـئلة فقط أن نقـرأ النص المقدم وأن نعثر هناك أيضًا على الإجابات.

وفضلاً عن ذلك لـم تكن الإجـابات واضحة وحاضـرة للمؤلفة على الإطلاق حين شرعت هي نفسها في الكتابة: فمع الكتابة بدأت تتمخض.

بيد أنه ينبغي أن يصير واضحًا بشـكل كبير من هذه المقدمة : أن نكتة هذه الدراسة تكمن في أنها تسلك نهج عرض من جـهة أوجه جدل لغوي وفلسفي موثوق بهـا. ونتج عن هذا تعديل تشكيل ، >الجغـرافيا المنطقـية<

للنقاش اللغـوي في القرن العشرين . نحن لا نجد جـغرافيات ، بل نُنشـئها بوسـيط الخط والصورة. وهكـذا يمكن أن نعبـر عن الفكرة العـامة/ لهـذه ١٥ الدراسة أيضًا: لقد شكلنا محـوراً ذا قطبين نرسم بمساعدته خريطة للنقاش اللغوي. هذا المحور يُـوصَف من خلال سؤال : >هل توجد لغة خلف كل كـلام؟ والقطبـان همـا الإجـابات الممكنة. ويشـكل القطبَ الأول نموذجُ- العالمين بمفهـوم تميز الشكل اللغوي في مقابل تنفـيذه في الكلام (في القرن العـشـريـن يقـال بالنسبـة للشكل على نحــو أثيـر >النظام< ، >العـمل القاعدي<، >الكفاءة<). وهكذا توجد حقًا اللغة أو الاتصال خلف أو إلى جانب الكلام- فهـو مؤسسة اجتمـاعية أو قالب فكري أو تبعـية مؤثرة في سياق الكلام. ويشكل القطبَ الثاني نموذجُ _ الأداء بمفهوم تميز الإنجاز في مقابل الشكل (الـذي لا يمكن أن ينجز إلا في التنفيذ ولا يُغـير أيضًا إلا من خـلال التنفيـذ). وهكذا لا فـائدة من الانطلاق من وجـود لغة قـبل الكلام ومستقلة عنه.

إذن لا تكون خريطـة ما جيـدة أو سيئـة إلا بقدر ما يمكن أن تـعيننا- على كل حـال حين نسـتعـملهـا مع بوصلة- على اكـتشـاف أين نقف ثم توجهنا كـيف يجب أن نتابع السـير. أين نقف في الوقت الحـاضر يمكن أن يُستقى من الخريطة: على عتبة فلـسفة لغوية قائمة على أساس أدائي، يجب أن تقدم إجـابة عن السـؤال، كيف يمكن أن تؤسـس القـدرة المكونة للشكل والمحـولة للأشكال، قـدرةَ الطرائق اللغـوية. ولذلك يجب أن يخـتبـر هل نستطيع أن نكـتشف بمساعـدة هذه الخطرية التي عملناها أيضًـا كيف نوفق

إلى المكان الذي يُوجد أو يُطور فيه هذا النوع من الفلسفة اللغوية: هذا يجب أن يستأثر به نص آخر، كان له عنوان عمل هو: >اللغة المجسدة. حول الصوت والكتابة<. ويأتي أولاً الآن العمل التحضيري : تدريب ، يكمن فيه فهم مواقف خاصة بالنظرية اللغوية ، حتى وإن لم يشارك المرء إياها على الإطلاق شروطَها المنهجية والاصطلاحية!

ثانياً: في التمييز العقلي للغة والاتصال

١ - فردينان دي سوسير

اللغة نظام علامات

فردينان دي سوسير

اللغة نظام علامات(*)

«لقطعة الشطرنج التحقيق الاصطناعي ذاته لما تمثله اللغة في شكلها الطبيعي»(١)

١- حول الفرق بين المؤلف والشخص

/ يشغلنا هنا فردينان دي سوسير بوصفه أحد مؤسسي نموذج ١٩ العالمين لظاهرة اللغة. وفي الواقع يجعل هذا المنظور من التقييد أمراً ضروريًا: «سوسير» اسم لمؤلف نص، لم يكتبه سوسير نفسه. فمحاضراته في علم اللغة العام التي ظهرت بعد وفاته بثلاث سنوات هي إعادة بناء بمساعدة إملاءات طلابية لمحاضرات سوسير في جنيف، التي لم يسمعها ناشراها أنفسهما على الإطلاق، ومن الأفضل: مؤلفا إعادة البناء هذه هما شارلي باللي، والبرت سيشهاي. وبين فترة وأخرى تتزايد الأصوات التي تلفت الأنظار _ بأسباب وجيهة- إلى أن الصورة اللغوية المعروضة في «المحاضرات» تنحرف دون شك عن آراء سوسير حقيقةً(٢) وربما ينحرف إلى حد بعيد عن أن مسألة أن سوسير هذا الكتاب لم يكتبه مطلقًا، ليست

(*) هذا هو الفصل الثاني ،وهو بعنوان "Sprache als Zeichensystem" لفردينان دي سوسير من كتاب زيبيله كريمر: (Sprache, Sprechakt, Kommunikation) «اللغة والفعل الكلامي والاتصال» الذي نشرته دار النشر سور كامب سنة ٢٠٠١م.

(١) سوسير ١٩٦٧، ص١٠٥ (بالفرنسية : ١٩٧٦، ص١٢٥).

(٢) ياجره ١٩٧٥، ومؤخراً: فير ١٩٩٧، ص, ٢٤

أمرًا عـارضًا، بل ترتبط بتلك الـشكوك التي ينطق بها كـثير من ملـحوظاته ورسائله والـتي تتعلق بدقـة بذلك التصور الـلغوي المسوغ بشكـل بنيوي، الذي يُعزَى إنجازه إلى مؤلف «المحاضرات مباشرة» (٣).

/ إننا نتجاهل الاختلاف بين المؤلف سوسير والشخص سوسير: إننا ٢٠ إذن لا ننصف سوسير التاريخي . ويوجد سبب لذلك: فمرد أهمية نص ما إلى قـصد مـؤلفه أقل من تأثيـره داخل خطاب مـا. وهكذا ينشا من خـلال الكيـفـيـة التي يلـحق بهـا بهـذا النص. وعلى هذا النحـو الـتلقي اللغـوي «للمحاضرات» _ فهذا المؤلف باسـتمرار هو الكتاب اللغـوي المقتبس منه غالبًا في هذا القرن (٤) _ الذي برز لأهميته المستمـرة بوصفه وثيقة تأسيس علم اللغـة الحـديث أسـاسًـا. ويهـمنا الآن بدقـة مـا الذي صـار به المؤلف سوسير معترفًا به من ناحية النظرية اللغوية.

٢- اللغة : نظام علامات بلا تمثيل

يقع في قلب هذا الاعـتراف تفريقـه بين «اللغة المعـينة» ، و«الكلام»، ومن خلال ذلك عالج سوسـير اللغة بوصفها موضـوعًا أصليًا لعلـم اللغة.

(٣) إلى هذا الحد يجب أن يتمسك المرء بنوع من العلم، على نحو ضد إرادته، وعلى نحو ربما يكون هذا هو الكيـفيـة المثلى لإيضاح الشـك ذاتـه. «ويجعل فـير ١٩٩٧ ، ص١٠ هذه المقولة لسـوسير شعاراً لدراسـته. انظر أيضًا : لكنني أنفر إلى حـد ما من كل هذا، ومن الصعوبة العامة، مما يختص بحقـائق لغوية، من أن أكتب أيضًا عشرة أسطر فقط، تكون مفهومة .... أخيراً لهذا الجـانب الخلاب للغة، الذي تختلف فيه عن كل الأشياء الأخرى، لأنها تـبع شعبًا معيـنًا ذا أصول معينة، هذا الجانب الاثنوجـرافي تقريبًا أبقى على اهتـمام بالـنسبـة لي ». سـوسيـر ١٩٦٤ ، ص٩٥ من خطاب إلى إنطوان مـيـيـه. اقتباس عن فير ١٩٩٧ ، ص١٧ .

(٤) مانكتسك ١٩٦٩، ص١٩٧٦ .

وتعـد «محـاضرات في علـم اللغة العـام» مدافـعًـا قويًا عن أن علم اللغـة يحـصل في «اللغة المـعينة» على مـوضـوع أصيل، تابع له وحـدَه، وأن هذا الموضع لا يتـوافق فـي الواقع مع الظواهر اللغـوية المـدركـة بشكل واقـعي ن.ريد إذن أن نتقصي السؤال ، كيف يعلل سوسير استقلال «اللغة المعينة».

ويجـيب عن ذلك بإجـابة لا لبس فيـهـا: «تشكـل اللغـة نظـامًـا للعلامات»[٥]. هذه مقـولة سيـئة وضعـيفـة الإثارة. فكيف يمكن أن تطلق فكرة أن اللغة تعد نظام علامات بواعثَ إبداعيـة، وصل معها سوسير بعلم اللغة إلى ما هو ليس أقل من أساس جديد ؟ هل لم يصر تصور «اللغة من طبيعة علامة ما »قديم تقريبًـا مثل التأمل اللغوي الغربي ، وفي وقت متأخر مع أرسطو الملكيـة المشتـركة النظرية ، وإن لم يصـر العبـارة المشتركـة على الإطلاق؟ إن الأمر في الحقيقة هو هذا ، ولذلك يجب ألا نبحث عن الجدة في التصور اللغوي لسوسير في الربط المحض بين اللغة/ والعلامة ، بل في تصوره للعلامة عينه. فلا تكمن عبقرية سوسير ببساطة في تحديد اللغة بأنها نظام علامـات ، بل في عمل هذا على نحو لم يسـتعمل معـه المصطلحات المألوفة الخاصـة بنظرية العلامات للتـمثيل[٦]. من ناحية تقلـيدية يُدخِل ما العلامـة تبعًـا لمبدأ «لفظ يحـيل إلى شيء». بيـد أنه بالنسبـة لسوسيـر نظام العـلامـات اللغوي ليـس نظامًا للـتمـثيل، بل آليـة للنطق وتكمن الطاقـة الإبداعية لسوسير في تصوره للعلامات غير التمثيلي. لأن هذا هو الأساس

٢١

---

(٥) سوسير ١٩٦٧ ، ص ١٨ (بالفرنسية ١٩٧٦ : ص٣٢).

(٦) نبَّه ڤيبر ١٩٧٨ ، ص٢٠-٣٧ بشدة إلى هذه الطبيعة غير التـمثيلية لنظرية العلامات لسوسير.

المنهجي لأن يفرق بين اللغة والكلام بوصفهما موضوعين، وفي الوقت نفسه تُؤكِّد الأفضلية النظامية للغة في مقابل الكلام، بحيث يمكن أن يجد علم اللغة «في اللغة المعينة» موضوعًا ثابتًا ومستقلاً.

ونريد أن نعيد بناء هذا النهج غير التمثيلي لسوسير في أربع خطوات بحيث يتضح بذلك كيف يكون التخلي عن مبدأ التمثيل، الذي من خلاله يُحَقّق «استقلال اللغة ». ويمكن أن تُحددَّ هذه الخطوات الأربع بأربعة مصطلحات هي (١) التزامن، و(٢)التلفظ، و(٣)الجزافية، و(٤)التخالف).

٢-١ التزامن

يُدخِل سوسير التفريق بين اللغة والكلام مرتبطًا بالمثلث: «اللغة الإنسانية» Langage «واللغة المعينة» Langue «والكلام» Parole .وتشكل اللغة الإنسانية الأفق ـ الغائم في الواقع ـ الذي تحصل أمامه اللغة المعينة، والكلام ابتداءً على مقطعهما الحاد. ويترابط الكلام الإنساني بوصفه كلاً مع ما يكون متعدد الأشكال ومتفاوت، وبلا وحدة، ولا حد. باختصار: مزيج مما هو فيزيائي وما هو نفسي ، ومما هو اجتماعي ، وما هو فردى [(٧)] .وفي وصف سلبي: تستخدم «اللغة الإنسانية»، لتعيين ما هو غير متيسر لبناء مفهوم خاص بعلم مفرد. فهي تشتمل على الظاهرة اللغوية الإنسانية في مجموع ظواهرها، التي هي مع ذلك ـ بوصفها ظواهر- «علاقات ٢٢ مختلطة» دائمًا. ولذلك لا تخضع للمصفوفة المتداخلة الاختصاصات لعلم مفرد (معين).

(٧) سوسير ١٩٦٧ ، ص١١ .

كيف تُحـدَّد إذن العلاقة بين «اللغة المعـينة» و«الكلام»؟ ابتداءً : هذا التفـريق ليس جديداً. فـفي كل اللغات المفـردة تقريبًا يوجـد اختـلاف مثل ذلك الذي بين lingua (لســان) sermo (كـلام) أو language «لغـة بوجـه عام»، وspeech «كلام»، وSprache «لغة معينة» أو Sprechen (كلام).

ما يَهُم هـو كيف حَدَّ سـوسيـر كلا منهـما عن الآخر . إننـا نؤكد أن الاختلاف بين اللغـة والكلام ليس مجرد تفريق بين كلمـتين بل بين شيئين (Choses) [٨] فاللغة والكلام ليـسا وجهتي نظر مختلفـتين للحال ذاتها، بل هما موضوعان مختلفان، يمكن أن يُبـحثا من خلال هذه الخصوصية بشكل منفـصل أيضًا. إن الـلغة المعـينة La Langue فضـلاً عن ذلك ليسـت نتاج تجريد، بل يفـسرها سـوسير بأنهـا موضـوع «ذو طبيعـة محـددة» ويضيف أيضًا، «الواقعية» [٩] .لماذا هذا التمسك بـطبيعة الموضوع الذي حـيَّر نقاداً، وحُكِم عليه بأنه «تكلف وتزيد» [١٠] هل يتعلق الأمـر في ذلك حقيقـةً كما يخمن هيلدنبرنت ـ بضربية وضعية على علم اللغة الإمبريقي؟ لنستمر في محـاولة الكشف عن وضع طبـيعـة (خاصـية) الموضـوع. يصف سوسـير، «اللغـة المعـينـة» بأنهـا ملمـوسـة (tangible). وتوجـد حـجـة : لمَ الأمـر كذلك.[١١] لقد أورد الكتابة تعليلاً، تلك التي تكمن خـصوصيتها ، ليس في تحديد الكلام ، بل اللغة ذاتها في صور، في إمكان تصويرها تقريبًا. وهكذا لا يكون الصوت الاكوستيكي بل «الصورة الصوتية» (image acoustique)[١٢]

---

(٨) سوسير ١٩٦٧ ، ص١٧ .

(٩) سوسير ١٩٦٧ ، ص١٨ (بالفرنسـية ١٩٧٦ ، ص٣٢).

(١٠) هيلد نبرنت ١٩٧٢ ، ص٢٢ .

(١١) سوسير ١٩٦٧ ، ص١٨ (بالفرنسية ١٩٧٦ ، ص٣٢).

(١٢) سوسير ١٩٦٧ ، ص٢٨ (بالفرنسية ١٩٧٦ ، ص٤٥) .

التي تجعل الكتابة مرئية. أين يكمن الفرق بين «صوت» و«صورة صوتية»؟ إن الصوت حدث نفسي أو فسيولوجي، ويكون مختلفًا في كل نطق صوتي ، إنه ليس متكرراً، بل هو حدث. وعلى العكس من ذلك توصف الصورة الصوتية بأنها نظامية، وهي تتركب من عدد محدود من الفونيمات. هي إذن النظام، ويمكننا أن نقول أيضًا: شكل / اللغة ، وليست حدث الكلام ، الذي يجعل الكتابة منظورةً من خلال تحويلٍ إلى شيء مرئي . يظل سوسير هنا ملتصقًا إلى حد كبير بما يطلق عليه دريدا «المركزية الصوتية»، وتبعًا لذلك تعد الكتابة مجرد صورة للغة، ولذا يظل جديراً بالملاحظة أن اللغة بالنسبة لسوسير ليست مرتبطة بالأصوات مباشرةً [١٣]، وأنها القدرة على تحولٍ إلى شيء مرئي للكتابة، التي تقدم سببًا وجيهًا للحديث عن (محسوسية) العلامة اللغوية بوجه عام : فى وسيط الكتابة تظهر نظامية اللغة بشكل مباشر . وهذا جدير بالتنويه ، لأن التحول الكتابى إلى شئ مرئى، الخاص بجانب النظام للغة لا يتعلق بدقة بما- تبعاً لطبيعته الخاصة- يمكن أن يُرى مطلقًا .فحيث يعمل نظام- يجب هنا أن نسبق نقطة، لا تُناقش إلا فيما بعد في سياق مبدأ التخالف- يُحيِّد حدث محدد موقفيًا مكانيًا وزمانيًا إلى عنصر النظام، باعتبار أن القيمة الموقعية للحدث تقوم في استنادها إلى ما هو غائب، على عناصر أخرى تُستبَعد بظهوره، ومن ثم على ما لا يكون حاضراً حسيًا. نريد هنا أن نسجل فقط أن الإصرار على خاصية الموضوع، «للغة» يُعلَّل بالوظيفة التي تُعزَى إلى نظامية اللغة. لننظر في هذا بشكل أكثر دقة.

٢٣

(١٣) سوسير ١٩٦٧ ، ص١٧ .

«اللغة نظام، لا يسوغ إلا تنظيمه الخاص» [١٤] فأين يكمن هذا التنظيم الخاص؟ يبرز سوسير إلى جانب طبيعة النظام سمة أساسية ثانية للموضوع ، «اللغة» : أنها بنية اجتماعية. فالطبيعة الاجتماعية والطبيعة النظامية ، هذان هما التحديدات الملتزمان في «المحاضرات» اللذان يعينان اللغة، ويصيران بالنسبة لسوسير معياراً يحد، «اللغة» و«الكلام» بعضهما عن بعض.

ماذا نعني إذن «خاصية الاجتماعية... ؟ «اللغة اجتماعية أو أنها لا توجد»[١٦] و:«.... تتبع طبيعتها الاجتماعية جوهرها الداخلي». [١٧] وهكذا لا توجد اللغة في الفرد، بل/ في جماهير المتكلمين فقط. [١٨] ٢٤ وبذلك يكون المشترك هو أن اللغة هي «نتاج استعمال الكلام داخل الأشخاص الذين ينتمون إلى الجماعة اللغوية ذاتها» [١٩] . بيد أن الفرد لا يمتلك مطلقًا كل اللغة، التي تتملص من ضبطه ، إرادته. ولكن حين لا يمتلك الأفراد اللغة: فبأي معنى يمكن أن تكون اللغة ملكًا للجمهور؟

---

(١٤) سوسير ١٩٦٧ ، ص١٨ (بالفرنسية ١٩٧٦ ، ص٤٣).

(١٥) شيرر ١٩٨٠ ، ص٧٨ .

(١٦) سوسير ١٩٨٩ ، ص٢٨ ، اقتباس عن ڤير ١٩٩٧ ، ص٣٨٥ .

(١٧) سوسير ١٩٦٧ ، ص٩١ (بالفرنسية ص١١٢).

(١٨) «إنه كنز أودعه استعمال الكلام داخل الأشخاص الذين ينتمون إلى الجماعة اللغوية ذاتها، هو نظام نحوي، يوجد بشكل مفترض في كل دماغ أو بالأحرى في أدمغة مجموعة الأفراد، لأن اللغة لا تكون تامة في كل واحد بمفرده، إنها لا توجد كاملة إلا في المجموع» سوسير ١٩٦٧ ، ص١٦ (بالفرنسية ١٩٧٦ ، ص٣٠).

(١٩) سوسير ١٩٦٧ ، ص١٦ (بالفرنسية ١٩٧٦ / ص٣٠).

في إرث سوسير يوجد عدد كبير من الملحوظات المثبتة التي تنبه إلى أن اللغة لا توجد دائمًا إلا كحركة في الزمن. وفي «المحاضرات» ذاتها يصور سوسير هذه الحال بتجربة ذهنية: حين تنطق لغة معينة في جزيرة، ثم تنطق هذه اللغة عبر النزوح في جزيرة أخرى، فإنه تختلف اللغتان- بعد فترة زمنية محددة- بعضهما عن بعض. ولا يقتصر التعبير على لغة _ جزيرة النازحين، بل يتضمن التغيير لغة- جزيرة الموطن الأصلي.[٢٠] فلا تظل أية لغة على حالها مع مرور الزمن. ولم لا ؟ هنا تؤدي الطبيعة العلاماتية للغة دورًا: فالرموز بالنسبة لسوسير لا توجد إلا- هذا ما يوضحه في ملحوظة بشكل لا لبس فيه [٢١]، بل في نموذجه الذي نُقِل بشكل مثالي في «المحاضرات» [٢٢] باعتبار أنها تدور، أي تُنقل من فرد إلى فرد، وما يسري على الرموز بوجه عام يسري على العلامات اللغوية أيضًا بوجه خاص. اللغة بنية اجتماعية، لا تكون واقعية إلا كملك داخل الجمهور، باعتبار أنها لا توجد أساسًا إلا في الإيصال من متكلم إلى المتكلم الآخر. أجل إن الأمر كذلك- وهو ما أوضحه فير بشكل رائع- فلا يتفكر في اللغة دائمًا إلا بوصفها توازنًا هشًا متذبذبًا، يكون عُرْضَة لتغيرات مستمرة [٢٣].

/ وبلغة سوسير الخاصة: «لا توجد مطلقًا خواص مستمرة، بل ٢٥

---

(٢٠) سوسير ١٩٦٧ ، ص٢٣٥ وما بعدها.

(٢١) «.. يوجد كل رمز فقط ، لأنه ألقى في الدورة.» اقتباس عن فير ١٩٩٧، ص١٠٧ .

(٢٢) سوسير ١٩٦٧ ، ص١٤ .

(٢٣) فير ١٩٩٧ ، ص١١٠ .

متغيرة فقط ، ومحـددة زمنيًا أيضًا، لا توجد إلا أحوال لغوية، لا تكف عن الانتـقال، بين حـال في المساء وحـال في صبـاح الغد. و: حـتى في الفتـرة الساكنة لا يمكن للمـرء أن يلحظ أبدًا أن تدفق اللغة، حين ينظر إليـه خارج أو داخل «مدة زمنية» محددة، هو نفسه (٢٤).

وحين تتبع خـاصية الاجتـماعية، جـوهر اللغة، وتضم هذه الخاصـية الاجتـماعيـة الدوران الدائم للعلامـات اللغوية، بحـيث إنه من خلال هذه الحركة في الزمن تتغير اللغة بشكل حـتمي وبلا توقف، فإنها تميز أية وظيفة تؤديها نظامـية اللغة، وتتـمحور مبـاشرة بوصفـها خاصـية موضوعـها، بل يجب أن تؤديها : إنهـا وظيفة جـانب النظام أن تُحيِّد خـاصية الزمـانية في تأثيراتهـا المتغـيرة للغة. يُـلاحَظ بدقة: أن تُحيِّـد . ويعني هذا : أن الزمن لا يُستـبعَد ببسـاطة، بل يتفكر في أنه يمكن أن يضع التـجانس ـ بقدر أكـبر- موضعَ تسـاؤل. بيد أن هذا يكون ممكنًا حين تتصـور خاصية الزمـانية على أنها لم تـعد تواليًا وتتـابعًان بل تزامنًا واتفـاقًا في الزمن. ولما كـان سوسـير يصف اللغة بأنهـا «نظام لا يسوغ إلا تنظيمـه الخاص» (٢٥) فإننا لدينا الآن السمة الحاسمة لهذا التنظيم : إنه تزامنه.؟

ومن خلال منظور هذا التزامن يسـقط ضوء مميز على مسألة الامـتياز المؤكد في «المحاضرات» للسينكرونيـة (الوصفية) التي تعمل بشكل نظامي في مقـابل الدياكرونية القـائمة على أساس تاريخي. إن الأمـر لا يتعلق في

---

(٢٤) سوسير ١٩٨٩ ، ص٣١٨، اقتباس عن ڤير ١٩٩٧ ، ص, ٨٩

(٢٥) سوسير ١٩٦٧ ، ص٢٧ (بالفرنسية : ١٩٧٦ ، ص٤٣).

ذلك بانقسام بين لغة خارج الزمن، ولغة داخل الزمن[٢٦]، بل بمنظورين متكاملين، يمكن أن يؤكد من خلالهما ما هو زمني، إن السينكرونية تتعلق بالتزامن في الوجود المشترك لتلك العناصر، التي تعين كيف هو في المقطع العرضي «وضع الاتزان التركيبي»[٢٧] للغة ما؛ وما هو دياكروني (تعاقبي) يتعلق باللاتزامن في تتابع / هذه المقاطع العرضية، التي تُعلِّم التغيرات في اللغة، أي تاريخها. إنه التزامن الذي يستطيع سوسير من خلال زاوية رؤيته أن يفسر ما معنى أن «اللغة نظام علامات» على نحو، لا يتغذي من تصور التمثيل، بل يشرك ما يطلق عليه سوسير «النطق».

٢٦

٢-٢ التلفظ

كيف يفضي بالتحديد التزامن إلى تبادل في المنظور، من اللغة بوصفها تمثيلاً، إلى اللغة بوصفها نطقًا؟ هناك، حيث يكون الحديث للمرة الأولى في «المحاضرات» عن اللغة بوصفها نظام علامات، يشير سوسير أيضًا إلى ما يُفهَم تحت علامة لغوية. تشكل اللغة نظامًا لعلامات يكون فيه وحدَه الربط بين تصور ذهني (معنى)[*] وصورة صوتية، جوهريًا.[٢٨]

(٢٦) يؤكد فرانك أيضًا أن الأمر بالنسبة لسوسير لا يتعلق باستبعاد الزمن، ١٩٨٤، ص٥٦١.

(٢٧) ڤارتبورج ١٩٣٩، ص٥، اقتباس عن شيرر ١٩٨٠، ص٩٢.

(*) استخدمت المؤلفة مصطلح Sinn مقابلاً لـ Concept ولكن أرى الالتزام بالأصل، ومن ثم ترجمته إلى تصور ذهني أو متصور ذهني أو فكرة، وليس معنى.

(٢٨) يوجد هنا خطأ بين في الترجمة: فقد صارت «الصورة الأكوسيتكية» في المحاضرات (سوسير ١٩٧٦ : ص٣٢) في الترجمة الألمانية Lautzeichen (علامة صوتية) «حيث يكون فيه وحده الربط بين معنى وعلامة صوتية جوهريًا» (سوسير =

مثل هذا التحـديد ذو وقع مألوف. أين تكمن إذن طاقة تغير جـذري؟ لتتبع هذه الطاقة من المجـدي أن نتخيل على الأقل في خطوط عامـة ماذا يعني أن تُحدَّد علامة في مصطلحات عملية التمثيل.

حين يكون شيء ما عـلامة بمقتـضى التمثـيل فإن هذا يعني أن: شيـئًا يصـير بدقة عـلامة من خـلال إشارته إلى شـيء آخر. فالـعلامة توجـد في علاقـة - مميزة دائمًا أيضًا- بما لم يعـد يكون له نفسه طبـيعة علامـة ما ، إذ تتشكـل علامة مـا من خلال اسـتنادها إلى ما هو ليس بعـلامة. لنسـتوضح تضمـينين للنظرة اللغوية التمـثيلية، يمكن بناء على صفـحتهمـا أن يكتسب فهم سوسير المختلف مَعْلَمَيْنِ.

١- يكمن ما هو مميز للغـة في إشارتها إلى معطيات غـير لغوية، هي مـوضوعـات أو مفـاهيم محـددة. وبوائم تنظيم اللغـة / تنظيمًـا سابقًـا له للأشياء أو المفاهيم، ويعني هذا: أن بنية اللغة ليست مستقلة عن بنية ما يمثل في اللغة. ومن ثم ليست اللغة مـوضوعًا مستقلاً. إنه عدم الاسـتقلال نفسه لما هو لغوي ، الذي يجعل النموذج التـمثيلي بالنسبة لسوسير غـير مقبول. ولذلك رفض سوسـير فكرة «اللغـة تسميـة» ، تطابق فيهـا أشياء أو مـفاهيم ألفاظًا لـغوية (٢٩). ولذا لا يشكل الفـرض أي مـعنى، أي أن المفهـوم ذاته يمكن أن يُعبَّر عنه في لغـات مخـتلفة بألفـاظ مخـتلفة، بأن يظـهر المفـهوم

٢٧

= ١٩٦٧ ، ص١٨) (بالفرنسية : ١٩٧٦ : ص٣٢). إن اللغة ليـست علامة صوتية تُربَط بمعنى، بل العلامة تكوين من صورة صوتيـة ومعنى (تصور ذهني). ويبدو هذا التفريق سفسطة، ولكن يوجد هنا مفصل الصياغة غير التمثيلية للغة.

(٢٩) سوسير ١٩٦٧ ، ص٧٦ .

الشامل«"Hund" (كلب) لغويًا "Canis" أو "Chien" أو "dog" » . فبالنسبة لسوسير لا يوجد كم مستقل لغويًا من التصورات ، بل تنطق كل لغة على طريقتها ما يعد، «تقسيمًا» للعالم.

٢- يكمن تضمين ثانٍ للنموذج التمثيلي في افتراض أن اللغة تمتلك مظهرًا ماديًا، مدركًا بشكل حسي في شكل أفوات اللفظ أو فور مكتوبة. على كل حال هذه نظرة النحاة الجدد، التي قصرت اللغة على مجموع الجمل المعبر عنها حقيقةً في جماعة لغوية معينة، أي يمكن تسجيلها إمبريقيًا. وينتقد سوسير النحاة الجدد، إذ يعد خطأ فكرة أن لدى علم اللغة في الحدث الصوتي ، في المنطوق الكلامي المفرد موضوعًا، متاحًا للملاحظة المباشرة، وذلك ليس لأن النحاة الجدد يبحثون عن، «حقائق لغوية» فهذا ما يريده سوسير أيضًا- بل لأنهم يظنون أن هذه الحقائق اللغوية قُدِّمت بشكل مادي، أي يمكن أن تُحلَّل بشكل طبيعي.

فبالنسبة لسوسير ليست العلامات شيئًا ماديًا، بل ليست شيئًا فكريًا أيضًا . إنها بالأحرى تؤسس ربطًا بين ما هو مادي وما هو فكري، وفي حالة اللغة: ربطًا بين أفوات وتصورات، ويطلق سوسير على إنتاج هذا الربط «النطق».

ويجب علينا لفهم فكرة النطق أن نلقى نظرة أدق على كيفية هذا الربط. وحين نربط الحبلين بعقدة واحدة، فإنه يُنجز حينئذ ربط، وليس ما يُربَط./ ويجب أن نقدم الأحبال بوفقها موضوعات ذات شكل معين ٢٨ مناسب للربط. ولكن في النطق اللغوي لا يؤلف شيء، وُجِد من قبل بوفقه شكلاً محددًا، إذن بوفقه كيانًا مستقلاً . بل على العكس من ذلك:

إنه النطق الذي ينتج في الوقت نفسه أيضًا بأن يوحد (يؤلف) ما يوجد (يؤلف)». هذا التفكير، في حد ذاته، مثل غيمة ضبابية ، لا يُحَد فيها شيء ضرورةً. فلا توجد تصورات مقررة سلفًا، ولا شيء محدد، قبل أن تظهر اللغة... والكم الصوتي شيء محدد بشكل محكم كما هو معين بوضوح، فهو ليس قالبًا، يُطوَّع فيه التفكير، بل مادة مجسمة تُجزَّأ من جهتها إلى أجزاء خاصة... إن الأمر يتعلق بحقيقة غامضة إلى حد ما؛ أن الصوت ـ الفكرة تقسيمان يستدعي كل منهما الآخر، واللغة تبرز وحداتها بأن تتكون بين كمين غير محددي الشكل»[٣٠].

ربما نفهم الآن بشكل أفضل، إلى أي مدى يكون النطق شيئًا له علاقة بمنظور التزامن الذي يعد أساسًا لسوسير: يفضي التدفق غير المحدد الشكل للأصوات وحدث الوعي غير المتبلور من خلال اللغة في تواز إلى التزامن، حين يريد المرء ذلك: يوضعان في إيقاع مشترك، ويصور سوسير لهذه الحالة على النحو الآتي: يتصور مثلاً: أن الهواء في تلامس مع سطح الماء، وحين يتبدل الضغط الهوائي فإن سطح الماء يتفكك إلى عدد من أجزاء ، الأمواج، ويمكن أن يقدم بناء الأمواج مفهومًا لربط الفكر بمادة الأصوات، للعلاقة المتبادلة بينهما.

ولذلك لا يمكن أن تعد اللغة مادة لغوية يمكن ملاحظتها ـ كما هي لدى النحاة الجدد- ولا يمكن أيضًا أن تعد طبقة تحتية فكرية يمكن فهمها- كما هي في نظرية التسمية. لأنها ليست صوتًا ولا فكرة، وليست مادة ولا

(٣٠) سوسير ١٩٧٦ ، ص١٣٤ (بالفرنسية : ١٩٧٦ ، ص١٥٦).

صورة، بل مستقرة بينهما، باعتبار أن ما يؤكد وجودهما هو ما يؤثر في وجودهما المشترك. ويتفرد النطق: فمن تيار ما هو مسموع تبرز أصوات، ومن تيار أحوالنا العقلية تبرز أفكار. وربما تتعلق بهذا الإنتاج من خلال التقسيم جملة سوسير المقتبسه غالبًا: «..... هذا الربط يُحدِث شكلاً، لا ٢٩ مادة»[٣١]. فما كان من قبل منفصلاً، غير محدد الشكل ، بلا تقسيم، فوضى، يصير منظمًا، مقسمًا، مقطعًا إلى وحدات يمكن تحديدها. ونعرف إذن أنه من خلال النطق تنشأ وحدات متلازمة ولكن ما وحدات المادة الصوتية التي تُربَط بدقة بوحدات الطبقة التحتية الفكرية؟ وما الذي يجعل بوجه عام وحدةً ما في إطار ماديتها المعينة تُقسَّم بدقة على هذا النحو، وليس على نحو آخر؟ ما الذي يُحدِّد حدها، أين تكمن هويتها؟ ويقدم لنا سوسير إجابة عن السؤال الأول بمبدأة «الجزافية» وعن السؤال الثاني بفكرته «التخالف».

٢-٣ الجزافية

لا توجد علاقة طبيعية بين تصور وصورة صوتية [٣٢] وقد أدخل سوسير هذه «الجزافية للعلامة» باستمرار مبدأ أوليًا في سيميولوجيته. وبالنسبة لتفسير سوسير الذي يسعي إلى إبراز الجديد في فكرته اللغوية يشكل هذا بالأحرى حيرة: لأنه منذ أرسطو يتبع مبدأ الجزافية المكونَ الأساسي بلا منازع تقريبًا لعلم اللغة [٣٣]. لماذا يُبرِز هذا المبدأ الذي أُفرِد

(٣١) سوسير ١٩٧٦ ، ص١٣٤ (بالفرنسية : ١٩٧٦ ، ص١٥٧).

(٣٢) سوسير ١٩٦٧ ، ص ٧٩ وما بعدها.

(٣٣) حول ذلك : كوزريو ١٩٦٨ .

بشكل جيد بالذات على هذا النحو؟ يقدم لنا سوسير إشارة:«...من الأيسر غالبًا أن تكتشف الحقيقةَ، عن أن توجهها إلى المكان الذي تتبعه».[٣٤] فهل هذا المكان الذي تتبعه، يسقط منه على مبدأ الجزافية ضوء جديد؟

من الواضح مما سبق أن موضعًا لذلك ليس محل شك: يمكن أن نصفه «بالعرفية». ولا يعني سوسير بالجزافية «العرفية» لسببين: (١) الأول نعرفه من نقده- للتسمية: فلا يمكن أن تكمن جزافية العلامات اللغوية في أن شيئًا أو مفهومًا ما يعبر عنه بألفاظ ذات أصوات مختلفة، لأن كل لغة تكون بنيتها الخاصة من التصنيفات القولية . (٢) هل تفهم، «الجزافية» بمعنى خاصية متفقة لمعان لغوية، أي هل يقوم ما تعني الكلمات على اتفاق؟ إن سوسير يستبعد هذا أيضًا[٣٥]. فلا توجد حقيقةً اللحظة التي يتفق فيها المرء حول العلامات، إنه مجرد تصور[٣٦]. إن اللغة غير خاضعة لإرادتنا، ومن ثم لتقنيننا أيضًا. لماذا؟ ربما لا يوجد في اللغة «عقد أصلي» د: إن مسألة أصل اللغات ... غير موجودة على الإطلاق [٣٧]، لأن طبيعة اللغة تكمن في أن تُنقَل من يوم إلى يوم، ومن جيل إلى جيل، لا توجد

٣٠

---

(٣٤) سوسير ١٩٧٦ ، ص١٣٤ (بالفرنسية : ١٩٧٦ ، ص١٠٠).

(٣٥) ملحوظات لريدلنجر حول المحاضرة، اقتبسها فير ١٩٩٧ ، ص١٤٨: «هكذا ينظر إلى اللغة على أنها تقنين، على طريقة فلاسفة القرن الثامن عشر، كأنها تابعة لإرادتنا ، ولكن اللغة أكثر من التقنين، يجب أن تكون قد عانت كثيراً قبل أن توجد... وحين يوجد مجال يظهر فيه هذا التقنين قانونًا يجب أن يقبله المرء وليس أن يوجده فإن ذلك للغة».

(٣٦) سوسير ١٩٨٩ ، ص١٦٠ ، اقتباس عن فير ١٩٩٧، ص١٤٨ .

(٣٧) سوسير ١٩٨٩ ، ص١٦٠ ، اقتباس عن فير ١٩٩٧، ص١٤٩ .

بداية: حتى حين يُسلَّم بلـغة صناعية: فـإذا مُلِّكت للحياة السـيميولوجـية، للانتقـال من فرد إلى آخر لمرة أخـرى، فإنهـا تتغيـر حتمًـا، بحيث لا تكون لقوانين حالة لغوية معينة ، «أية علاقة بقوانين وجودها (إبداعها)» (٣٨).

فإنه لم تكن في أوجه الاتفاق فأين تجد الجزافية المكان الذي تتبعه؟ ما دمنا نقول عن شيء إنه جزافي بمعنى «عشوائي» فـإنه يقصد بذلك غالبًا أنه لا يوجد معيار عقلي ، ضرورة مدركة بالعقل، يكون شيء ما تبعًا لها على هذا النحو، وليس على نحـو آخر. وفي الواقع يؤكد سوسيـر في إيضاحاته لمبدأ الجزافية «لا عقلانيته»: «فـي الحقيقة يقوم النظام الكلي للغة على المبدأ اللاعقلاني لجزافية العلامة » (الإبراز من زيبيله كريمر) (٣٩).

وفي مقالته حول ذكرى ويتنى يكتب : «...إن مؤسسية علامة ما عن cow (بقرة) و vacca (اسم شخص) لوصف تصور بقـرة أو إنسان ، معللةٌ في اللاعقلانيـة فقط، ويعني هذا أنه لا يوجد عقل/ سبب مُعلل فـي طبيعة الأشياء واتفاقها، ربما يدخل في لحظة ما» (٤٠). ولذلك تصير الجزافية المبدأ الأول لعلم العلامـات لأنها شرط أنه لا يحدد العلامـةَ أي شيء غريب عن العلامة أو خارجـها.. ويوجز هذا منطوقًا آخر: الأهمُّ ما يـوجد في العلامة ليبحـث، ولكنها تلك الجوانب التي لا تخضع فـيها لإرداتنا. هناك مـجالها الحقيقي، لأننا لا نسـتطيع أن نختزلها (٤١) ويتجذر في الجزافـية عدم إمكان

٣١

(٣٨) سوسير ١٩٨٩ ، ص١٧٠ ، اقتباس عن ڤير ١٩٩٧، ص١٤٩ .

(٣٩) سوسير ١٩٦٧ ، ص١٥٨ (بالفرنسية : ١٩٧٦ ، ص١٨٢).

(٤٠) سوسير ١٩٨٩ ، ص٩٠ ، اقتباس عن ڤير ١٩٩٧، ص١٤٧ .

(٤١) سوسير ١٩٨٩ ، ص١٥٩ ، اقتباس عن ڤير ١٩٩٧، ص١٤٨ .

رجوع العـلامة إلى شيء آخر. وفـيها يوجد اسـتقلالهـا- فهي مسـتقلة في مقابل إرادة الإنسان، وكذلك في مقابل العقل.

وهكذا تلقى جزافية العلامات اللغوية _ في النظرية اللغوية أمر أشبه بالبديهي _ لدى سوسير قيـمة موقعية جديدة: يعني تأكيـد الجزافية الجذرية للعلامـة لديه سحب البـساط عن كل التـصورات التي تريد أن تعلـل اللغة بشيء آخر غير اللغة ذاتها.

للمرة الأولى شيء سـلبي ينبهنا إلى الجزافـية : نعـرف الآن أن طاقة النطق التي تؤلف، «جزءًا» من الغـيمة الضبابيـة للفكر مع جزء من سلسلة متـصلة صوتيـة لا تتبع في ذلك آية مـبادئ تنظيم غـير لغـوية، بل مبـادئها الخاصة فـقط. ولكن يبقى السؤال: مـا المبادئ الخاصة باللغـة التي «تعمل» وفقًا لها؟ هذا موضع يظهر فيه التخالف.

٢-٤ التخالف:

حين توجه اللغة بشـكل متواز التصورات والأصـوات فإننا لا نعرف بعد علـى أي نحو يُميِّـز التدفق الفكري في تـصورات، يمكن الفصل بـينها والسلسلة - المتصلة- الصـوتية إلى أصوات مـفردة، بحيث تنشأ عـلامات لغوية يمكن تحديدها. ما الذي يُوجِد بدقة تلك التـقسيمات إلى أصوات في لغة معينة، ثم يمكن أن تطابقها بدقة هذه التـقسيمات إلى تصورات؟ كل ما يظهر في اللغـة بوصفه شيـئًا محدداً ومـعينًا يرجع الفضل فيـه إلى الطاقة، «الشديدة»، للتخالف.

كيف يُفهمَ هذا؟

٣٢ نتجه مرة أخرى إلى النهج اللغوي التمثيلي. / وطبقا لمبدأ «لفظ يحيل إلى شيء» تكون طبيعة العلاقة الحاسمة للغة هي تلك التي بين علامة لغوية وشيء غير لغوي. ولهذا أيضًا نتيجة بالنسبة لهوية العلامات اللغوية: إن هويتها ترجع إلى هوية الأشياء المشار إليها السابقة لها. وحيث إن سوسير يتصور اللغة آلية للنطق، فإن العلاقة المشكلة للغة لم تعد تلك العلاقة بين علامة وأشياء ، بل بين علامة وعلامة. لم يعد الفرق بين علامة وشيء، بل بين العلامات ذاتها، كيفية العلاقة التي تُعيِّن الخاصية اللغوية. وبذلك صار الاختلاف بين العلامات شرطًا لهوية (تحديد) علامة ما .

وعلى هذا النحو لم تعد علامة لغوية ما نوعًا من كيان، بل صارت «قيمة»: «.... اللغة نظام تستلزم عناصرة كلاً منها الآخر، وتنشأ من خلال سريان وقيمة الأولى عن الوجود المتزامن للأخرى فقط» (٤٢). يتحدث سوسير عن تحديد متبادل لقيم لغوية من خلال وجودها المشترك. فكل القيم يتعلق بعضها ببعض (٤٣).

لننظر بدقة في هذا الوجود المشترك. يفرق سوسير بين طريقتين للتقابل، تُحدَّد من خلالهما القيم: يطلق عليها علاقات أفقية (نحوية) وعلاقات ترابطية .وتقوم العلاقات الأفقية على ائتلاف عناصر لغوية من خلال توالٍ خطي. فكل عنصر يضم «قيمة فقط لأنه يقابل العنصر السابق أو اللاحق أو كليهما» (٤٤). ومن خلال هذه الخطية - هذا ما أكده

(٤٢) سوسير ١٩٧٦ ، ص١٣٦ (بالفرنسية : ١٩٦٧ ، ص١٥٩).

(٤٣) سوسير ١٩٨٩ ، اقتباس عن فير ١٩٩٧ ، ص١٥٤ .

(٤٤) سوسير ١٩٦٧ ، ص١٤٧ (بالفرنسية : ١٩٦٧ ، ص١٧١).

ســوسير (٤٥). يكون من غير الممكن أن يظهر عنصران في الوقت ذاته، فلا يمكن أن ينطقا إلا بشكل متتال. إلا أن سوسير يصف «علاقة التسلسل» هذه بأنها علاقة توجد «في حال حضوره» (in praesentia) (٤٦) إنه في الواقع حضور، لا يتجلى إلا في الامتداد المكاني للصورة المكتوبة، ولكن ليس في التتابع الزمني للمنطوق.

وعلى العكس من ذلك تربط العلاقة الترابطية «عناصر في حال غياب» in absentia (٤٧) فحين نقول abreissen (يقطع) فإننا لا نتحدث عن durchereissen (يمزق) zereissen (يقطع) ، enтreissen (ينزع) أو لا نقول abschneiden (يقطع)، abbrechen «يكسر» "abnehmen" (ينزل) إلخ. ولا تتبين قيمة، «يقطع» إلا على صفحة البدائل المستبعدة باستعمالها، التي يهيئها نظام لغوي. ولكن هل هو ربط في حال حضور أو في حال غياب: لا يُحدَّد مضمون علامة لغوية ما دائمًا تحديدًا صحيحًا إلا من خلال إسهام ما هو موجود بخلافه(٤٨). هذا التحديد من خلال شيء خلافه هو ذاته، هو لب القيمة بوصفها مقولة خاصة بنظرية العلامات أعاد سوسير إدخالها. «إنه لدليل مطلق ومسبق كذلك أنه لا يوجد على الإطلاق جزء لغوي مفرد/ وحيد، يمكن أن يؤسس على شيء آخر.... غير ما لا يوافقه أو على درجة عدم موافقته مع الباقي» (٤٩). أو كل هذا باختصار: «القانون

٣٣

---

(٤٥) سوسير ١٩٦٧ : ص١٤٧ (بالفرنسية : ١٩٦٧ ، ص١٧٠).

(٤٦) سوسير ١٩٦٧ : ص١٤٧ (بالفرنسية : ١٩٧٦ ، ص١٧١).

(٤٧) سوسير ١٩٦٧ : ص١٤٨ (بالفرنسية : ١٩٦٧ ، ص١٧١).

(٤٨) سوسير ١٩٦٧ : ص١٣٨ (بالفرنسية : ١٩٦٧ ، ص١٦٠).

(٤٩) سوسير ١٩٦٧ : ص٢٦٤ ، اقتباس عن ڤير ١٩٩٧ ، ص١٥٦ .

الأخير بشكل كلي للغة هو أنه لا يُوجد شيء يمكن أن يتمركز باستمرار في لفظ» (٥٠). وتُحدد العلامة اللغوية الحاضرة من خلال العلامات اللغوية الغائبة : هذا هو جوهر نهجه اللغوي السيمولوجي. وبذلك تصير اللغة حالة خاصة بنظرية الاختلاف. فلا تنتج العلامة اللغوية بوصفها وجوداً مشتركًا لتصور وصورة صوتية مطلقًا إلا من خلال الاختلاف عن علامات لغوية أخرى(٥١).

وهكذا حين أكد سوسير- أشرنا إلى ذلك في البداية- أن اللغة المعينة شيء محسوس. (٥٢) فإنه من الواضح إذن أن محسوسية (مادية) هذا الشيء لا تميز وفق نموذج لشيء، بل لقيمة. ويقوم وجود علامات لغوية على أنها تقوم بوظيفة قيم، لا يتحدد مضمونها إلا من خلال تقابلات بين العلامات. لا توجد في اللغة إلا أوجه اختلاف، بل أكثر من ذلك: يشترط الاختلاف بوجه عام عناصر مفردة إيجابية، ينشأ بينها بل توجد في اللغة أوجه اختلاف / دون عناصر مفردة إيجابية. (٥٣) ويعني فهم العلامة اللغوية بأنها قيمة أن تفهم على أنها لفظ اختلاف. ٣٤

٣- ما اللغة إذن

تتبين في سياق هذا الوضع للقيمة الذي أنتجه التخالف كيف تبرز فكرة سوسير التي لم تحدث انقلابًا بأنه حال للوهلة الأولى، وهي تحديد

(٥٠) سوسير ١٩٨٩ : ص٢٦٥ ، اقتباس عن ڤير ١٩٩٧ ، ص١٥٦ .

(٥١) حول ذلك، فيبر ١٩٧٨ ، ص٢٦ وما بعدها.

(٥٢) «...موضوع ذو طبيعة حسية.... سوسير ١٩٧٦ ، ص١٨ .

(٥٣) سوسير ١٩٧٦ ، ص١٤٣ (بالفرنسية ١٩٧٦ ، ص١٦٦).

اللغة بأنها نظام، الملامحُ الجديدة تمامًا لخاصية اللغوية. وقد ذكرت هنا ثلاثةً من هذه الملامح . (أ) اللغة قـدرة. يفهم التزام اللـغة بشكل أقل وفق نموذج كيان محـدود، بمعنى أن تُدرَك اللغة بوصفها نظامًا تامًـا، بل طبقا لقدرة أو طاقة خلاقـة. إن الأمر يتعلق بطاقة التخـالف التي لا تنتج بوجه عام إلا من خلال النطق كأنها كيانات لغوية. ويحدث هذا بأن تؤسس اللغة توازيًا بين اختـلافات صوتـية وفكرية [٥٤]. (ب) ليس للعـلامات اللغوية مـعنى. لما كانت اللغـة يجب أن تتكون من علامـتين على الأقل، وبذلك تُحدَّد قيـمة عنصر مـا من خلال علاقـته بعناصر أخـرى، فإنه لا يمكن أن توجد عـلامة لغوية مـفردة. ولهذا تضمين خـاص بنظرية المعنى: لا جدوى لأن ينظر إلى علامات لغوية على أنها حامـلات للمعنى. فالمعنى ينشأ بين العلامات، ولا يمكن أن يتمركز في العلامة . (جـ) اللغـة ظاهرة. بالنسبة لسوسير لا ترجع الأصـوات إلـى «اللغـة المعـينة» [٥٥]، لأن النظام الـلغـوي لا يـتكون من أصوات، بل من «أوجـه اختلاف صـوتية» [٥٦]. ولكن هذا يعني أن: اللغة لـيست مادية، فـهي ليست مـجسَّدة، وهي مادة لا تدرك حـسيًا- إلا أنـها حقيقية.

٣٥ / ويقود هذا الربط المميز بالنسبة لسـوسير بين عدم جواز (العمل بـ) ظاهراتية اللغة، وتأكيد وضع واقعيتها افتراضيةً للغة [٥٧]. والافتراضية هي

(٥٤) سوسير ١٩٧٦ ، ص١٤٤ .

(٥٥) «من غير الممكن فضلاً عن ذلك أن الصوت في ذاته، الذي هو عنصر مادي فقط، لا يمكن أن يتبع اللغة» . سوسير ١٩٦٧ : ص١٤١ (بالفرنسية ١٩٧٦، ص١٦٤).

(٥٦) سوسير ١٩٦٧ ، ص١٤٣ (بالفرنسية ١٩٧٦، ص٣٢).

(٥٧) يتـحدث سـوسير نـفسه عـن، «افتـراضي»، حيث يصـف اللغـة بأنها نظام نـحوي، «يوجد بشكل افتـراضي في كل دماغ» . سوسير ١٩٦٧ ، ص١٦ (بالفـرنـسية ١٩٧٦، ص٣٠).

الثمن الذي يدفعه علم اللغة للحصول على موضوع «لغوي محض». فما يفهم تحت «الافتراضية»؟

تعيدنا الإجابة عن هذا السؤال إلى العلاقة بين اللغة المعينة والكلام. فلم يستخدم سوسير هذا التفريق بمفهوم تبديل للمنظور، بل لتعليم موضوعين مختلفين، يُعزَى إلى كل منهما واقع خاص. فهو لا يؤكد منهجيًا بشكل محض، بل يُؤكِّد انطولوجيا (وجوديًا): للغة والكلام طريقة وجود متباينة، ويشغلان مكانًا مباينًا. ويفهم سوسير العلاقة بينهما مثل العلاقة بين سيمفونية [٥٨] وأدائها، بين معيار وأوجه تحقيقه. وعلى الرغم من أن سوسير يُقر أن الكلام من منظور تاريخي هو الحقيقة المقدمة أولاً[٥٩]، باعتبار أن اللغة إخضاع لواقع الكلام[٦٠] _ فإنه لا يوجد- وذلك انطلاقًا من وجهة نظر الواقع اللغوي ذاته- أي شك حول أي جانب تمس الأولية: فاللغة جوهرية، ولكن الكلام عارض[٦١].

إن افتراضية اللغة نتيجة لتحديد اللغة المعينة والكلام من جانب بأنهما موضوعان واقعيان، ولكنهما مختلفان، ولافتراض أسبقية نظامية للغة في الوقت نفسه. وبالنظر إلى الموقفية المكانية- الزمانية والمادية الصوتية، وإمكانية الإدراك الحسي للكلام المتكرر يمكن للغة لذلك فقط أن تستلزم الكلام، لأنها ذاتها لا تشغل موضعًا في سلسلة متصلة- مكانيًا-

---

(٥٨) سوسير ١٩٦٧ ، ص٢١ .

(٥٩) سوسير ١٩٦٧ ، ص٢٢ .

(٦٠) سوسير ١٩٦٧ ، ص١٦ (بالفرنسية ١٩٧٦، ص٣٠).

(٦١) سوسير ١٩٦٧ ، ص١٦ .

وزمانـيًا، وليســت مادية وليـست محسـوسة أيضًـا. ويعني هذا أن: عـلاقة الاستلزام بين اللغة والكلام ليست شيئًا سببيًا، بل سيميولوجيًا.

ربما نفـــهم الآن بشكـل أفـضل لمـاذا صـار المنـظور الخـاص بـنظرية العلامات جوهريًا بالنسبة لسوسـير : لأن علاقة النمط بالمنطوق التي تفترق عن علاقـة السببيـة/ تقدم نموذجًا تفسـيريًا: فكما يمكن أن يعـد ورود مفرد ٣٦ مميز مكـانيًا- وزمانيًـا بأنه تحقـيق لنمط علامـاتي شامل (كلي)، غـير ممكن تمركزه مكانيًـا- وزمانيًـا، فإنه يفسـر «الكلام» «بأنه تحقيق»، لـلغة «وتكمن النكتة في التصور اللغوي السيميولوجي لسوسير في أن التفريق بين نموذج كلي (شامل)، وتحـقيق خـاص، الذي يساوي _ منذ بيرس- مـحور تصور للعلامـات، مكَّن من مجـموعة أدوات تقـسم الخاصيـة اللغوية إلى مـجال مرئي ومـجال غير مـرئي. وتنتج في الكلام علامـات في تتابع زمني. وهذا ملموس. وبذلك يجب أن يُوصِل مـبدأ التخالف بوصفـه تحديدًا لشيء من خلال أن ما هو غـير موجود يمكن أن يصير مـؤثرًا ، هذا التوالي الزمني إلى تجاور زمني، إلى التـزامن. غير أن التـزامن لا يمكن أن يكون إلا افتراضـيًا، لأنه يخص العلاقة بين علامة مستعـملة في كلٍّ وعلامات مستبعدة مع هذا الاستـعمـال . إن اللغـة هي المكان الذي يؤسس هذه الشبكة الخـلافيـة بين عناصر موجـودة وعناصر غائبة، ومن ثم يظهر أسـاسًا شرطُ إمكان أن تنتج الهـوية اللغوية من خـلال السلبـية، وبذلك يمكن أن يُقـال بوجه عـام شيء محدد، ولذلك يجب بالنسبة لسوسير أن تُوجَد هذه اللغة حقيقةً، ولا يمكن بالنسبة له أن تُعَد بنيةً منهجية ولا نتاجَ تجريد لعلم اللغة.

٣- ناعوم تشومسكي

اللغة كفاءة

ناعوم تشومسكي

اللغة كفاءة

«الأنظمة الموصوفة في الاستعمال اللغوي اليومي حقيقةً بأنها» «لغات هي بلاشك ليست لغات بمفهوم مبادئنا المثالية» (١).

١- ما الذي جعل نهج تشومسكي جذابًا على هذا النحو؟

/ إن لغة طبيعية ما بالنسبة لتشومسكي ليست موضوع علم اللغة. ٣٧ وكذلك نادرًا ما لتصورات تشومسكي حول اللغة في خصوصيتها تصور لغوي حديث آخر لتعليم مجال بحث لغوي، بعيدًا عن خاصية اللغة بوصفها ظاهرة يمكن أن تدرك على أنها عالم حياة. بل إن نهجه قد أحدث ثورة يمكن العثور على صداها في تلك النظريات التي تحاول أن تتغلب على أوجه توجيه الضيق لتصوره اللغوي النحوي والقائم على الجملة، وإدخال اللغة- كما هي الحال في نظريات الفعل الكلامي ، ونظريات الاتصال- في السياق الفعلي لعالم الحياة. وتتحقق طاقة التشكيل لتصور تشومسكيْ اللغوي هذه المتخطية كل نظرية نحوية بمفهوم ضيق في توجيهه الخاص بنظرية الكفاءة: فلا يشكل موضوع البحث الأصلي لعلم اللغة

(*) هذا هو الفصل الثالث ،وهو بعنوان "Sprache als Kompetenz" لناعوم تشومسكي من كتاب زيبيله كريمر: (Sprache, Sprechakt, Kommunikation) «اللغة والفعل الكلامي والاتصال» الذي نشرته دار النشر سور كامب سنة ٢٠٠١م.

صور الإنجاز اللغوية الفعلية، بل القدرة اللغوية والنظام المعرفي المرتبط بها لمتكلم مثالي. هذا الانتقال من بحث اللغة بوصفها نظام علامات خارجي أو سلوكًا للعلامات يمكن ملاحظته إلى بحث اللغة بوصفها نظامًا معرفيًا داخليًا هو التحول المرتبط باسم تشومسكي.

وتنطلق تأملات تشومسكي اللغوية في نطاق موقفين، من النادر عادة أن يردا معًا . وها هي من جهة الصرامة لدعواه النظرية: ينبغي أن تُوضَّح القدرة اللغوية بنهج يمكن حسابه، أي يمكن أن/ يصاغ بشكل تام، بحيث ٣٨ يمكن أن يستخدم هذا الوصف شرحًا في الوقت ذاته أيضًا. يرتفع تشومسكي هنا إلى مصاف جماعة من المفكرين، الذين يعدون آلة مجردة نموذجًا مثمراً للعقل، ويفهمون اللغات الطبيعية قياسًا على لغات شكلية. وها هي من جهة أخرى دعوى تشومسكي الإنسانية تحديداً، أن يُفسَّر باللغة شيء يُعزَى إلى الإنسان، وإلى الإنسان فقط، ولذلك أيضًا يمكن أن يُدعم ويُقوَّي بأوجه حدس مستخدمي اللغة أنفسهم. هنا يضبط تشومسكي فكرته عن الإنسان بوصفه كائنًا يتميز بطاقته الإبداعية عن كل الكائنات الأخرى. ولذلك تصلح الإبداعية اللغوية- وليس الاتصال الوارد مع الحيوانات أيضًا- لأن تكون بالنسبة له الظاهرة الجديرة بالتفسير فعلاً.

إنه هذا الائتلاف المتفرد بين نموذج إمكان الحساب، والإنسانية الذي يمكن أن يفسر قوة الجذب، التي انطلقت وما تزال تنطلق من فكر تشومسكي اللغوي.

٢- لغز اللغة أو: ماذا يشير إلى الفطرية والتوليدية

لماذا توجد لغات رومانسية مختلفة، ولكن توجد لغة صينية فقط، برغم أن Kantonesischو Hakka و Mandarin (أنواع من اليوسفي)

تختلف فيما بينها، مثل الإيطالية، والفرنسية، والإسبانية؟ [٢] هذا السؤال لا يجاب عنه بالنسبة لتشومسكي بوسائل لغوية. ويُعزَى إليه قول تهمكي [٣]: تنبثق اللغات الطبيعية من ربط بين لهجة وجيش أو أسطول، وما يعد لغة بمفهوم اللغات القومية أو المعينة تتعلق جذوره بشروط جغرافية، وتاريخية وسياسية، أي بالسياسة الاجتماعية للقوة، وليس بما يمكن أن يحافظ فيه على تفسيرات لغوية[٤].

ولكن ما الأسئلة التي يمكن أن يطرحها علم اللغة على نحو مشروع؟

إن الاستغراب من لغز يمكن هنا أن يهدي إلى الطريق./ فما سبب ٣٩ هذا الاستغراب لتشومسكي هو ظاهرة قصور الأساس المعرفي في اكتساب اللغة[٥]. فالأطفال يتعلمون لغتهم في بيئة، يواجهون فيها غالبًا مواقف كلامية ناقصة وقاصرة. ويتم اكتسابهم اللغوي بمساعدة مواد بالغة الضعف- مقارنةً بإمكان القدرة اللغوية المكتسبة. نحن لانتفاهم في الحياة اليومية عادةً بجمل صحيحة نحويًا. ومع ذلك يكتسب كل متكلم القدرة على أن يفرق في اللغة الأم بين جمل صحيحة نحويًا وجمل غير صحيحة نحويًا. ويمكن لمتكلم الإنجليزية فضلاً عن ذلك أن يعرف غموض جملة، مثل: (the shooting of hunters war terrible.) اصطياد الصيادين كان رهيبًا).

(١) تشومسكي ١٩٨١ ، ٣٥ (تشومسكي ١٩٨٠ ، ص٢٨).

(٢) تشومسكي ١٩٨٦ ، ص١٥ وما بعدها.

(٣) جريفندورف / هَم/ ستيرنفلد ١٩٨٧ ص ٢٤ .

(٤) يجلب هذا الفهم البدهي للغة بعدًا اجتماعيًا- سياسيًا حاسمًا. تشومسكي ١٩٨٦، ص١٥ .

(٥) تشومسكي ١٩٨٦ ص ٢٥ .

وأن يفسروا جـملة غير مفـيدة، مثل: "colourless green ideas sleep furiously" أفكاراً خضـراء عديمة اللون تنام بغضب، وإن كـانت قد بُنِيَت بشكل صـحـيح نحـويًا، ويضـاف إلى ذلك أيضًـا: علـى الرغـم من أننا لا نسـمع في تشكيلنا (تأهلينـا) الاجتـماعـي اللغوي إلا كـمًـا محـدوداً من الجمـل، فإننا نكتـسب القدرة على إمكان إنتـاج جمل كـثيـرة بشكل غـير محدود[٦]. نحن نبني ونفهم جـملاً- وذلك لأول وهلة- لـم نسمعـها من قبل على الإطلاق[٧].

إن قصـور المعرفـة اللغوية بالنظر إلى تمام الـنحو المكتسـب، وكذلك العـدد المحدود لمنطوقـات مـسمـوعة بالنظر إلـى القدرة على إمكان إنتـاج منطوقات كثيـرة بشكل لا نهائي هما لغز عدم كـفاية المثير[٨]. تنفتح فجوة بين واقع لغوي مجرب وقدرة لغوية مكتسبة، يصير من الصعوبة أن تعبرها مـواقف قائمـة على أسـاس إمـبريقي، يمكن أن تـبرز قـدرتنا اللغـوية على أساس معارفنا (خـبراتنا) عند اكتساب اللغة. وتعـد فكرة أن اللغة تُكتسَب بالمحاكاة، وكذلك فكرة أن هذا يمكن أن يحدث بالتعميم أو الاستقراء غير معـقولتين بالنظر إلى قصور المثـيرات[٩] / إن اكتـساب اللغة الأم بالنسـبة ٤٠ لتشومسكي لا يفسر وفق نموذج التعليم.

---

(٦) تشومسكي ١٩٩٧٣ ، ص٩ .

(٧) جعل كل من كـمبرتل / سـتكلر- وايتهرفـر ١٩٨٨ هذا اللغز أيضًا منطلقًـا لنقدهم لموضوعية القاعدة.

(٨) جريفندورف / هَم/ سترينفلد ١٩٨٧ ، ص١٩ .

(٩) هنا يتحتم سـؤال وهو: هل يمكن أن يعمل نهج ثالث إلى جانب المحاكاة والتـعميم- =

ولا يكون تفسير قدرتنا اللغوية الذي يسبب في الوقت نفسه لغز المثير القاصر، بالنسبة لتشومسكي ممكنًا إلا حين يوضع شرطان يمكن أن نطلق عليهما الفطرية والتوليدية.

ويُقصَد بالفطرية أنه في مقابل تفسيرات الاكتساب اللغوي المؤسسة لمعرفتنا بأنها إمكانية يُقدَّم فرض أننا مزودون بآلية فطرية للقدرة اللغوية. هذه الآلية جزء مستقل للعقل الإنساني، عضو إدراكي بيولوجي. وينبعث هذا الجهاز اللغوي من معرفتنا للمواقف الكلامية، ويقيد ويوسع، بحيث تكتسب آخر الأمر القدرة على التحدث بلغة معينة.

ويُقصَد بالتوليدية أن التفسير الأفضل لمسألة كيف نكتسب من معارف لغوية ناقصة القدرة على استعمال لغوي غير محدود تقريبًا ، يكمن في أن الجهاز اللغوي الفطري والمعدل من خلال مواد لغوية ليس مثل مخزن لجمل مسموعة، بل مثل نظام قاعدي لإنتاج (لتوليد) جمل. إذن : يعمل مثل آلة حاسبة أو برنامج.

ويهمنا هنا هذا اللزوم الحسابي: فكما نكتسب في درس الرياضيات القدرة الحسابية، حيث نتعلم من خلال واجبات حسابية محددة قواعد الحساب، ثم نستطيع بعد ذلك- أساسًا- أن نحل كل واجبات الحساب

القياس الذي يمكن أن يحل به اللغز بشكل مُرْضٍ؟ كريستيان ستتر ١٩٩٧- ٨٨ وما بعد وكذلك ص ٢٢٩ وما بعدها . جعل دور بناء القياس في الاستعمال اللغوي قويًا، ، وفهم هذا أيضًا على أنه شرح نقدي لتشومسكي . تشومسكي ١٩٨٨ ، ص٢٢ وما بعدها . هو نفسه رفض بناء القياس تفسيراً.

الأساسي، فإنه علـى هذا النحو تبنى نواة الكفاءة اللغوية آلة قـاعدية، يمكن باستعمالها أن نولد جملاً كثيرة غير محدودة ، جملاً لم نسمعها من قبل.

إن الفطرية والتوليدية هما القضيبـان اللذان اتخذ عليهما قطار تفسير تشومسكي اللغوي اتجاهه ورحلته. ولـهذا الطريق الذي مهده تشومسكي ـ وهو في الواقع يتمسك به- وضع «حجة التـفسير الأفضل»[١٠]. فرغم أنه يأمل إمكان أن تُكتـشَف يومًـا أسس فسيـولوجيـا المخ الخـاصة بالكفـاءة اللغوية التي جعلهـا نموذجًا، فإن هذه الكفاءة شيء/ غير مـتاح للملاحظة ٤١ المباشرة، ويحصل على تسويغ وجـوده للمرة الأولى فقط كمصطلح داخل نظرية تشومسكي.

ويوجد عدد كبير من العروض الممتازة، ويوجد أيضًا مناقشات نقدية لهذه النظرية اللغوية[١١]. وسوف نعيد فيما يأتي بناء نهج تشومسكي فقط، بقدر مـا يكون ضروريًا لفـهم أن تشومسكـي بمفهومـه للكفاءة يسـقط لغة خلف الكلام، الذي يضع استـقلالها عن الكلام ذلك الاستـقلال للغة لدى سوسير في الظل. لنحاول أن نحدد بشكل أدق معالم هذه اللغة.

٣- ما الصورة اللغوية التي يتضمنها لغز المثيرات القاصرة؟

لقد قـمنا بتشـخيص نقص في الـتفسير ، يكمن في كـيف يمكن مع

---

(١٠) من ثم لم يضع جريفندورف / هَم/ سترينفلد في السياق إلا الفطرية، ،وكمبرتل / ستكلر- وايتهوفر إلا موضوعية القاعدة.

(١١) يقدم بوتا ١٩٨٩ إحدى صـور إعادة بناء نظرية تشومسكـي الأكثر قيمـة ، والأكثر فطنة، والأكثر طرافة في الوقت نفسه، ويدلي فيـها أيضًا بشكل تام تقريبًا النقاد الانجلو ساكسـون لتشومسكي بدلوهم.

مثيرات لغوية قاصرة أن يوفق المتكلمون إلى كفاءة خاصة بلغتهم الأم، دون تعليق ، ولكن هل الزعم بأن ثمة شيئًا ينقص في كلامنا اليومي ليس جديراً بالملاحظة؟ كيف يكون من الواضح على أية حال أن من يكتسب لغته الأم، يواجه عندئذ بمدخل لغوي ناقص؟ هل يكون شيء عارض كهذا مؤثرًا وناجعًا أيضًا مثل تفاهمنا اللغوي الطبيعي في مواقف يومية؟ كيف يمكن أن يحكم- بمنظور اكتساب اللغة- بأنه ناقص أيضًا ما يعمل وينجح في الحقيقة دون أمت ولا عوج؟ هل لا يسجل في التشخيص ووصف اللغز حكم مسبق، بالنظر إلى ما يعد لغة بوجه عام؟

في الواقع لا يضع تشومسكي موضعَ تساؤل أن الوظيفة الاتصالية تؤدي، بل إن الشكل النحوي للكلام اليومي كافٍ أيضًا: فالمنطوقات يمكن أن تفتقد غالبًا خاصية أن تكون جملة بمفهوم بنية تامة نحويًا. نحن لا نتحدث عادةً في جمل تكون في الوقت نفسه كجمل أمثلة مناسبة لقواعد نحوية. وتكمن المعجزة في اكتساب اللغة في أنه يبدو أننا نستخلص نظامًا قاعديًا من منطوقات، / يمكن أن تُتعَلَّم، ولا تتجسد بشكل كافٍ على ٤٢ الإطلاق.

ولا يصطدام بنتيجة واقع لغوي قاصر إلا ما يمكن بوصفه أداة تشخيص أن يوافق بين النحو واللغة، أي يجعل المعيار تصور أن الخاصية المحددة للغة أن تتكون من جمل صحيحة نحويًا.

ويُقوَّى هذا الانطباع في البعد الآخر للغز، الذي يتعلق الأمر معه بالإبداع اللغوي، بالقدرة المرتبطة بالكفاءة اللغوية الخاصة بإمكان بناء

جمل كثيرة بشكل غير محدود[١٢]. وعلى الرغم من أن تشومسكي قد فهم مقولة لا نهائية كم الجملة فهمًا استكشافيًا فقد صار اللاتناهي لجمل لغة ما حقيقةً لا يرقى إليهـا الشك في علم اللغة المرتكز على تشومسكي: وقد قدم ما نفرد پيرڤش الحجة الكلاسيكيـة على ذلك: يمكن في الحال إطالة جملة مكونة من ١٠٠٠٠ كلمـة بإضافة صـفة إلى ١٠٠٠١ [١٣]. هذا ما سـيراه پيرڤش أيضًا، ولكن ينبغي أن تصـور شدة مقولته شيئًـا ما فقط: إن توسيع الجملة كإجراء يمكن أن يتواصل دون نهـاية، وذلك وفق القواعد ذاتها التي تُبنَى بها أيضًا جـمل بثلاث كلمات أو اثنتى عشـرة كلمة فقط. ولكن حين يمكن أن تحول كل جـملة موجودة إلى جملة جـديدة، فتشتمل لـغة ما على جمل كـثيرة بشـكل غير مـحدود [١٤]. إن فكرة توسـيع جمل بشكل غـير محدود ، بل حتى تصور أن لغة تتكون من جمل كثيرة بشكل غير محدود، لا تعوزه ملامـح محددة غريبة- الأمـر إذن أن ما تقصد «جـملة ما» هنا لم يعد يُفهَم على أنه تعبير للغة طبيعية [١٥] بل للغة شكلية.

وفي الواقع : يمكننا أن نزيد كل تعبـير عددي بإضافة وحـدة رياضية أخرى، وذلك إلى مـا لانهاية . لقد أسسس تشـومسكي نفسه هذا الـقياس

(١٢) حول النقاش النقدي لهذا القول : ڤايت ١٩٧٢ .

(١٣) پيرڤش ١٩٦٦ ، ص١٠٥ .

(١٤) پيرڤش ١٩٦٦ ، ص١٠٦ .

(١٥) يتحدث پيرڤش ١٩٦٦ ، ص١٠٥ في الحقيقة صراحةً عن كم جـملي للغة طبيعية، يعد غيرَ محدود بمفهوم نظري صارم.

بين «كفاءة رياضية» و«كفاءة لغـوية» وأفاد منه حجاجيًا أيضًا [١٦]. ويتلقى من هومـبولت مقـولة أننا نشكل في اللغـة استـعمالاً لانـهائيًا مـن وسائل نهائيـة- يتجاهل في ذلك الحـقيقـة أنه بالنسبة لهـومبولت أن اللانهـائية لـم تتعلق باللغة مباشرةً، بل بكم ما يمكن أن يعبر عنه في لغة ما أساسًا [١٧]. ٤٣

بيـد أنه بشكل مسـتـقل عن السؤال هل يرتبط تـشومـسكي هنا بحق بهومبولت: يعد اللغز المشار إليه بمصطلح، «إبداع غير محدود» في التفسير اللغوي أحد مـا يسجل في صياغتـه أن اللغة الطبيعيـة يجب أن تُعالَج مثل نظام شكلي: ومـا يكون جوهريًا في الإنتاج اللغـوي يمكن العثـور عليه في نموذج عمليات حسابية.

لنحـاول إذن أن نحـدد بشكل أدق أسس تصـور تشـومـسكي اللغـوي. وينبغي في ذلك أن توضح حـالتان: يحدد تشومسكي «اللغـة» من خلال النحو ثم يشرح «النحو» من خلال «الكفـاءة». وحيث نلخص سياق هاتين الفكرتين، يتضح لماذا لا تعد بالنسبـة لتشومسكي اللغة المتحدثة يوميًـا موضوعَ علم اللغة. وهكذا يمكن أن نفـهم كيف انتهى تشـومسكي إلى المقـولة الخاطئة حـول الفهم الإنساني الصحيح: «اللغة ليست إلا ظاهرة عارضة» [١٨] .

٤- اللغة = النحو = الكفاءة

كيف يُفهَم إذن هـذا الإيضاح للغة من خلال النحـو، وإيضاح النحو

(١٦) تشومسكي ١٩٨٠ ، ص٢٢١ (بالألمانية ١٩٨١ ، ص٢٢٢).

(١٧) هذا ما بينه ڤـايت ١٩٧٢ في مـقالتـه المفـيدة ، أيضًـا: ڤـايت ١٩٧٦، ص٥٦ وما بعدها.

(١٨) تشومسكي ١٩٨١ ، ص٨٨ (بالإنجليزية: تشومسكي ١٩٨٠ ، ص٨٣).

من خلال الكفاءة؟ يمكن في خمس خطوات أن يعاد بناء هذا التشكيل النحوي للتصور اللغوي، والتشكيل الإدراكي للتصور النحوي.

الخطوة الأولى: لماذا لا يعد النحو وصفًا لمادة من منطوقات لغوية؟

يستطيع لغوي يرغب في أن يبحث أبنية نحوية أن يعمل هنا بمفهوم أوصاف تصنيفية: يحلل المنطوقات الموجودة للغة معينة بأن يعزل ويحدد عناصر نحوية، ويبحث العلاقات فيما بينها، ويضع القواعد التي تنصاع لها هذه العلاقات. فموضوع بحثه إذن هو مادة من منطوقات . ومنهج بحوثه إلحاق بين جملة خاصة بلغة معينة وشكلها النحوي. والهدف هو نحو يفهم على أنه وصف تصنيفي لأوجه الاطراد، وعدم الاطراد في لغة معينة. ٤٤

بالنسبة لتشومسكي لا يلتفت إلى هذا النظرة: النحو الذي يهم اللغويين لا يمكن أن يكون وصفًا لمواد لغوية Corpora لمَ لا؟ يوجد لذلك سببان على الأقل:

إنه أمر عادي تقريبًا - إن عُنِيَ بالإبداع اللغوي أن تُبنَى جمل لم ترد بعد- أن تحليلاً، يتعلق بالمكون الواقعي لمنطوقات لغة معينة وتقتصر عليه، لا يمكن أن يقع بدقة في إطار النظر ما يكون، الشيء المهم في اللغة.

ويفتقر فهم للنحو يعد اللغة نظامًا نهائيًا لمنطوقات موجودة، إذن محددة، إلى أن نحواً ما يجب أن يفسر بأنه الإبداع اللغوي، لا أن يصف الأبنية لجمل منطوقة، ولذلك لا يجب أن يتعلق نحو ما بمفهوم تشومسكي بالجمل الواقعية، بل بكل الجمل الممكنة في لغة ما.

ويضاف إلى لذلك سبب عادي بدرجة أقل : تشكل المنطوقات الخاصة بلغة معينة وضعًا خليطًا من جمل نحوية وجمل غير نحوية، ويكفي هذا إذا لم يكن إلا اثنان في المائة من المنطوقات غير نحوية: ماذا يفعل اللغوي الذي لم يعرف بعد مطلقًا ما الذي تتبع هذه الاثنين في المائة من الجمل المدروسة، وما الذي لا يتبعها ؟ إنه في هذه النقطة، يُعمَل فيها نحو واصف فقط بشكل مرسوم في الوقت نفسه: فمن خلال اختبار جمل معينة بين كل المنطوقات الموجودة ، يقنن (يقعد) ما يعد صحيحًا نحويًا، أشكالاً نحوية ممثلة، إن نحواً بمفهوم تشومسكي لا يريد أن يصف جملاً موجودة، ولا يقنن الاستعمال اللغوي، بل يفسر الآلية التي يجب أن يمتلكها المتكلم حتى يمكن بناء جمل باللغة الأم.

٤٥ / الخطوة الثانية: لماذا لا يصف النحو أبنية سطحية؟

لماذا لا يحقق وصف نحوي جيد، حين تُدوَّن لمنطوق لغوي سائر تجزئةٌ وتصنيفٌ نحويان، حيث تنشأ من خلال ذلك علاقة متعادلة (واحد إلى واحد) بين جزء صوتي ووظيفة نحوية تابعة له؟ (١٩) بالنسبة لتشومسكي لا يلتفت إلى علاقة النقل المباشرة هذه بين منطوق وبنية تابعة له ، لأنها لا يمكن أن تحسب حسابًا لظاهرة الغموض. لننظر في المركبات الاسمية الثلاث الآتية: (٢٠)

١ - اصطياد الصيادين.

---

(١٩) ڤايت ١٩٧٦، ص٢.

(٢٠) تشومسكي ١٩٧٣ ، ص١٠٥ (بالإنجليزية ١٩٦٦ ، ص٨٨).

٢- زمجرة الأسود.

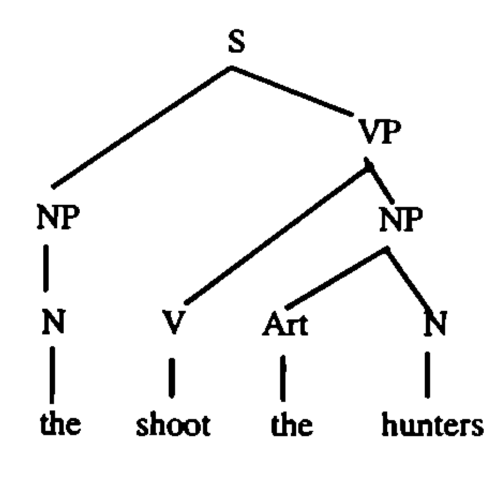
٣- تربية الزهور.

يبدو أن لهذه الجمل البنيةَ النحوية ذاتها: مركب فعلي يربط بمركب اسمي. للجملة الأولى معنى مزدوج. الجملة يمكن إما أن تفهم حسب مثال الأسود المزجرة في (٢)، وإما أن تفسر كـ (٣) حسب مثال تربية الزهور: في هذه الحال تكون «اصطياد الصيادين». المفعول. وبالنسبة لتشومسكي يجب أن يكون النحو قادراً على أن يقدم تفسيراً لهذا الغموض. بيد أن هذه _ على أية حال في منظور تشومسكي [٢١] ابتداءً هي الحال مادمنا نفترض أنه تعد أساسًا للجملة، «اصطياد الصيادين» بنيان عميقتان مختلفتان(*).

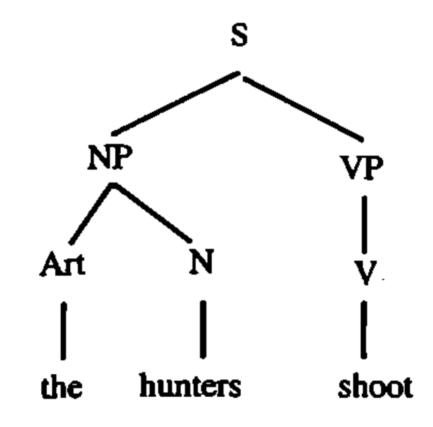
---

(٢١) يوضح ڤايت ١٩٧٦ ، ص٤٢ وما بعدها في إثر كوزريو ١٩٧٥ ، ص١١٣ وما بعدها أن هذه ليست النظرة الممكنة فقط. فالازدواجية تزول حين يعاد بناء الجملة بحيث لا يتعلق الأمر بوحدة نحوية غامضة، بل غير محددة، يفصل فيها السياق وحده في مسألة كيف فهم الجملة بشكل أدق، هذه الوحدة النحوية غير المحددة هي،« إطلاق الصيادين النار»، حيث يميز السياق معها ما علاقة إطلاق النار بالصيادين، هل يطلق الصيادون النار أو يُطلَق عليهم النار، هل يجهزون التصويب أو يشتركون فيه على نحو آخر.

(*) ينبغي أن يلاحظ هنا اختلاف تفسير المكون، "Erschiessen der Jäger" ، وكذا المكون Jägerschiessen ، عن المكون الإنجليزي "the shooting of the hunters" والإمكانات المتعددة عند ترجمتها إلى العربية.



[بمعنى (الصيادون يصطادون)
حيث يكون الصيادون «المسند إليه»]



[بمعنى (الصيادون يصطادون)
حيث يكون الصيادون «المفعول»] (*)

وهكذا يمكن أن يطابق أكثر من بنية عميقة بنية سطحية: إذن لدينا ظاهرة الغموض، ولكن يمكن أيضًا أن يتوافق أكثر من بنية سطحية مع بنية عميقة: هكذا ينشأ ترادف. وعلى أية حال هذه هي حجة تشومسكي الجوهرية، التي يُعلِّل بها القصور النحوي للتحليل السطحي، ويُدخِل مستوى بنية عميقة ومفهومها، ويعد عدم تطابق البنية السطحية والبنية العميقة(٢٢) نقطة محورية حاسمة في انتقال تشومسكي من اللغة إلى النحو.

الخطوة الثالثة: لماذا يعد النحو آلة مجردة؟

يتركب النحو من مكونين: قواعد بنية المركبات التي تُدوَّن بها البنية العميقة لجملة ما- ما تسمى جمل النواة- أو تُوضَع نصب العين بوصفها بنية شجرية، وكذلك قواعد التحويل، التي تُولَّد بها من جمل النواة للبنية العميقة جملُ البنية السطحية. هذه القواعد التحويلية طرائق جبرية، يمكن

(*) رأيت أن أضيف هاتين العبارتين إيضاحًا للمقصود من الرسمين الشجريين.

(٢٢) «لا يمكن أن تطابق أبنية عميقة بأبنية سطحية» . تشومسكي ١٩٦٦ ، ص١٧ .

أن تحول سلاسل لفظيـة إلى سلاسل لفظية أخرى، مـثل المبنى للمعلوم إلى مـبنى للمجـهول، وجـملة إثبات إلـى جملة نفي أو اسـتفـهام. هذا النحـو واضح تمامًا، ودون اسـتناد إلى معلومـات، لا تمثل في النظام يمكن أن يولد هذا النحو جمله. وبذلك يمكن أن يتوفر من خلال نموذج آلة مجردة، وتجيز هذه الآليـة نهـجًا مـؤثرًا، / أي يمكـن حـسابه، سـواء لسـرد كل الجـمل الصحيحـة الصياغة نحويًا، أو لتقرير هل يعـد تعبير مقدم صحيـحًا أو غير صحيح. 47

وبذلك تكون اللغة كم كل وفـقط كل الجمل الصحيـحة نحويًا. هذا فقط ما يهم هنا. وتكمن حركة الشطرنج للنموذج الآلي للنحو في استبعاد جمل غـير نحوية: لم تعد جـمل خاطئة أو غيـر تامة نحويًا جمـلاً، لم تعد جزءاً من اللغة بمفهوم تشومـسكي. على هذا النحو حل تشومسكي بلطافة مشكلة، كيف يمكن أن تُتجنَّب المعيارية المتـضمنة في أنحاء وصفية. ويمكن فضلاً عن ذلك أن تدرك أخطاء نحوية بوصفـها أخطاء في استعمال النظام وتحقيقه.

وبالنسبـة لتشومسكي يبـحث علم اللغة ويفسـر قدرة المتكلمين على بناء جـمل جـديدة. ويميـز الآن أين (في أي شيء) تكمن هذه القـدرة: إن المعرفة اللغوية معرفة قاعدية، ويعني إمكان الكلام إمكان إتباع قواعد. وفي الواقع خَـفَّف تشـومسكـي في مرحلة مـتـأخرة مـن تفكير ، هـذا التصـور

(٢٣) تشـومـسكي ١٩٨٦ ، ص١٥١ ، حـول ذلك: هيـجـمـان ١٩٩٤ ، ولقـد حـول تشومـسكي ١٩٩٥ هذه المقاييس إلى مبادئ أكثر تجريداً.

القاعدي ، وأبرزه، بحديثه عن «مقـاييس متغيرات» بدلاً من «قواعد» [٢٣].
وفي الواقع تقاسم الـقواعد مقـاييس المتغـيرات في خواص جـوهرية، فهي مثلاً فطرية وليست منفتحة للوعي [٢٤].

الخطوة الرابعة: لماذا يجب أن تُتَضمَّن حدوس المتكلمين؟

حين يمكن أن نحدد اللغة بأنها لم من جمل صحيحة الصـياغة، يمكن أن يولدها نظام شكلي، فإنه تنـشأ مشكلة أن تكون أنحاء عـدة ممكنة دائمًا، يمكن أن يُولَّـد منهـا هذا الكم. ولأنـه توجـد الآليـة المولـدة «خلف» المواد اللغـوية المتاحـة على السطح، وأننا لا يمكن أن نكتـشـفهـا إلا بشكل غيـر مباشر، وذلك من خلال بناء نظرية مفـسرة، فإن السطح يبقى من خلال آلية الإنتاج اللغوي الأسـاسية، ويحدد نقصه من خلاله / نظـريته المفسرة [٢٥]. ٤٨
إذن الأنحـاء المختلفـة مناسبـة بقدر مـساوٍ لتـفسير الجـمل، فأي منهـا هو المناسب؟

في هذا المـوضع يؤدي حـدس المتكـلم دوراً. فــفي الواقـع نحن لا نتحدث عادةً بجـمل صحيحة نحويًا، بل يمتلك كل مـتكلم داخل لغته الأم حسًا صادقًا تقريبًا، يمكن أن تُعـرَف به وتُصحَّح أبنية غير نحوية، حتى وإن لم يستطع المتكلمون عادةً تقديم أسباب لمسألة لمَ تعد جملة ما غير نحوية. فبالنسبة لتشومسكي هذا الحكم بنحوية جمل ما هو مثال لا يمكن أن يخدع

---

(٢٤) لين ١٩٩٩ ، ص١٨٤ .

(٢٥) بيَّن مـا نفرد بيـرڤش ١٩٦٦، ص٢٥٨ بشكل حـسن للغايـة هذا التحـديد الناقص (القاصر) للنظرية اللغوية بوقائع لغوية.

في البحث اللغوي . لأنه وحده يجيز أن يقرر، «الكفاية الوصفية» لأنحاء ممكنة مختلفة[٢٦].

ويُحكَم بشكل جدلي على دور حدوس المتكلمين، ويأتي المقياس من مواقف هرمينوطيقية _ خاصة بنظرية ذاتية، التي ترى في حدوس المتكلمين موضوعَ البحث في شكل بدهية تعبير المتكلمين عن ذواتهم، حتى الفهم الموضوعي _ التفسيري الذي يتبع أسلوب تفسير منطقي[*]- نظامي للعلوم الطبيعية. وتبعًا لذلك يجب أن يبقى موضوع البحث صامتًا. ويتحدث فرِد داجُستينو عن «ذاتية لغوية» لتشومسكي باعتبار أنه توجد آخر الأمر أوجه إقناع لمستخدمي اللغة، تشكل خواص جمل ولغات. [٢٧] ويرى كارل أوتو أبل في حدس المتكلم رد اعتبار لمعرفة استبطانية بالقدرة اللغوية الخاصة بوصفها إتباعًا للقاعدة[٢٨].

٤٩ / وعلى النقيض من ذلك يجادل شنايدر متشككًا [٢٩]: لا يتعلق الأمر بالنسبة لتشومسكي بالمعرفة المتاحة بشكل تأملي للمتكلم، التي يمكن أن يتحدث عنها أيضًا[٣٠]، بل بمعرفة حيث تظل «لاشعورية» لا يمكن أن

(٢٦) تشومسكي ١٩٦٦ ، ص٢٦ ، و١٩٦٥ ، ص٣٢ وما بعدها.

(*) الصفة nomologisch مأخوذة من المصطلح nomologie ، أي علم النواميس الطبيعية والمنطقية.

(٢٧) داجُستينو ١٩٨٦ ، ص٧ وما بعدها.

(٢٨) أبل ١٩٧٤ ، ص١٠٧ .

(٢٩) شنايدر ١٩٩٢ ، ٦٨ وما بعدها.

(٣٠) «لهذا يحاول النحو التوليدي أن يحدد ما يعرف المتكلم حقًا، وليس ما ربما يقرر عن معرفته»، تشومسكي ١٩٦٥، ص ٨ .

تستخدم بمفهوم غير مألوف على الإطلاق فلسفيًا، وأن توضح بوصفها بنية افتراضية أو مصطلحًا نظريًا [٣١].

ولا يرى تشومسكي نفسه أي سبب، برغم تضمين حدوس المتكلمين، للعدول عن أن يسلك منهجه الأسلوب الغاليلي (نسبة إلى جالنيوس) بمفهوم الإيضاح العلمي الطبيعي لظاهرة ما بوصفها بمساعدة نماذج رياضية [٣٢]. وفي الواقع لا يبعد تخمين بيرڤش وهو أن الحدود الصارمة بين العلم الذي يفهم ـ بشكل وصفي ، والعلم الذي يفسر- بشكل رياضي ليست لدى تشومسكي شفافة [٣٣] - لتتذكر التضافر المذكور في البداية بين ميل تشومسكي لوصف بإجراءات حسابية والباعث الإنساني الخاص به.

وفي سياق إعادة بنائنا الخاص برجوع اللغة إلى النحو لا يمكن أن يُجَاب دون تعقيد حقًا عن السؤال عن الأهمية التي تُعزَى إلى حدوس المتكلمين. وتعد كل النماذج التي تحتمل بالنسبة للنحو بوجه عام حسابية بالنسبة لتشومسكي . ولكن عن أي حساب يمكننا أن نقول حقًا إن له وضعَ أن يكون نحواً، ومن ثم يمكننا أن نتناول أيضًا ربطًا بالمعنى والشكل الصوتي للجمل. هذا ولا يمكن أن يُقرِّر إلا من خلال حدوس المتكلمين. ويظل «نحو» ينتج جملاً، لا يقبلها المتكلم كجمل نحوية، حسابًا لتوليد سلاسل علامات صحيحة الصياغة، ولكنه ليس نحواً لغويًا.

---

(٣١) شنايدر ١٩٩٢ ، ص٧٥ .

(٣٢) تشومسكي ١٩٨١ ، ص٢١٩ (بالإنجليزية ١٩٨٠ ، ص٢١٨).

(٣٣) بيرڤش ١٩٩٦ ، ص٢٥١ وما بعدها.

الخطوة الخامسة: لماذا يمثل النحو الكفاءة؟

لماذا تقدم حدوس المتكلمين نهجًا للحكم؟ لأن هذه الحدوس تقدم برهانًا على كفاءة لغوية يمتكلها متحدثو اللغة الأم. ويمكن لنحو، عبر من خلال ثقب إبرة حكم المتكلمين، أن يظهر دعوى أن يكون حقيقيًا من ناحية نفسية، ويعني هذا أن: يطابق هذا النحو الذي يُصَاغ لغويًا نحو/ شامل (كلي) ، يمثل بشكل عقلي من جانب المتكلمين. هذا النحو يصير بهذا نموذجًا للعقل الإنساني (٣٤).   ٥٠

وبذلك يصير لمفهوم النحو ـ وهو ما أكده تشومسكي أيضًا معنى مزدوج: يمكن أن يتعلق بنحو المتكلم الذي يُوظَّف بناءً على فسيولوجيا المخ أو يتعلق بالنحو الذي دوَّنه اللغوي. المهم فقط أنه توجد بينهما علاقة التمثيل. وحيث تكون هذه هي الحال يفسر النحو الذي يصفه عالم اللغة، ذلك الذي يمتلكه المتكلم: إذن يعد النحو الذي صيغ لغويًا نظرة إيضاحية للنحو الشامل (الكلي).

الخطوة السادسة: لماذا ليست الكفاءة اللغوية قدرة، بل معرفة؟

تسوغ هذه العلاقة الوثيقة بين النحو العقلي في رأس المتكلم، والنحو اللغوي على الورقة، الحديثَ عن أن المتكلم يمتلك بنحوه الداخلي نظريةً بمعنى نظام معرفي. ومن غير المفهوم لتشومسكي أن: كفاءة المتكلم هي

(٣٤) تشومسكي ١٩٨١ ، ص٢٢٠ .

معرفـة اللغة ، ومن ثم فإنه قد مهَّـد الطريق لعلم لغة إدراكي. ويصف هذه المعرفة بأنها لا واعية، أو كامنة أو معرفة ضمنية (٣٥).

ابتداءً يبـدو فكرة مقبولة الربطُ بهـذا الوضع الضمني اللاواعي : هذا هو فهم أن كـفاء المتكلم في سياق التـفريق بين معرفـة كيف، ومعـرفة ماذا يمكن أن توصف بمعـرفـة كـيف، وأن الأمر إذن مع المـعرفـة اللغـوية يدور أساسًا حول مقـدرة هي تقريبًا مثلما نستطيع السبـاحة أو ركوب الدراجة، ولكن : يعارض بدقـة هذا الفهم (٣٦): فركـوب الدراجة مـقدرة (مـهارة) ولكن الكلام ليس مقدرة، بل معرفة (إدراك) . ولهذه المعرفة طبيعة قضوية، إنها معـرفة ماذا. وسبب رفض تشـومسكي تحديد القدرة اللغـوية بمقدرة / ٥١ هو من ناحـية أن المقدرة تـكتسب من خلال الـتدريب والخبـرة، ولكن هذا الفهم أيضًـا لا يُلتفَت إليـه في أفق المثيرات القـاصرة(٣٧). وللسبب الآخر طبيعة تصورية: فما دام الأمـر يتعلق بمقدرة، فليس من المفيد أن يُفترَض أن القواعـد التي تقوم عليـها مقـدرة مثل ركـوب الدراجة تُمثَّل عـقليًا كـبنية إدراكيـة، ولكن حين يتعـرف المتكلمون أوجه غـموض الجـمل فإن هذا لا يمكن أن يفسـر إلا باعتبـار أنهم يمتلكون نظامًا قـاعديًا ممثلاً بـشكل عقلي، حتى إن لم يكن لديهم مدخل واع إلى هذا النظام القاعدي، ولتعليم المسافة بين هذا الشكل للمعرفـة المميز للكفاءة اللغوية، وتصـورنا المعرفي اليومي،

(٣٥) تشـومـسكي ١٩٨٠ ، ص٦٩ ومـا بعـدها، وص٢٤١ ومـا بعـدها، وتشـومـسكي ١٩٨٦، ص٢٧٠ وما بعدها.

(٣٦) تشومسكي ١٩٨٠ ، ص١٠٢ وما بعدها.

(٣٧) تشومسكي ١٩٨٦، ص٨ .

يتحدث تشومسكي بدلاً من الحديث عن «معرفة» أحيانًا عن «إدراك» [٣٨]: هو شكل للمعرفة يشارك، المعرفة بمفهوم عادي كل الخواص باستثناء واحدة، وهي أن هذه المعرفة تظل دون وعي.

الخطوة السابعة: مفاهيم الكفاءة

ما الكفاءة ؟ في أفكار تشومسكي تتميز ثلاثة أنواع من الكفاءة [٣٩]: توجد ثمَّ «الملكة اللغوية»، بمفهوم آلية فطرية، تشكل النحو الشامل (الكلي) بمفهوم ضيق [٤٠]. ويتعلق الأمر في ذلك ببنية ممثلة على أساس فسيولوجيا المخ، تقدم وتحصر ما يمكن أن يُعلَّم بوصفه قدرةً لغوية في المتكلم المفرد. على هذا المستوى من الكفاءة من المجدي قليلاً الحديث عن، «قواعد». ولذلك يتحدث تشومسكي أيضًا منذ الستينيات عن «مبادئ» مواضعها المفتوحة مقاييس المتغيرات تميز من خلال مواد مختلفة في مواقف اكتساب اللغة[٤١].

هذه المبادئ أنظمة تحتية يمكن أن تُوضَّح تحت مصطلحات مثل نظرية «الربط (الإحالي)» ، و«نظرية الضبط» و«نظرية العمل (الإعرابي)»، بأنها أنظمة شكلية. وتعد هذه الكفاءة النحوية الشاملة جزءاً من بيولوجيا الإنسان، فهي واقعية من ناحية فسيولوجيا المخ.

---

(٣٨) تشومسكي ١٩٨٦ ، ص٢٦٩ .

(٣٩) شنايدر ١٩٩٢ ، ص٤٤ وما بعدها.

(٤٠) تشومسكي ١٩٦٥ ، ٢٧ ، و١٩٨٨ ، ص٦٠ .

(٤١) حول هذه «النظرية للمبادئ ومقاييس المتغيرات» . تشومسكي ١٩٨٦ .

٥٢ وتفرق عن ذلك الكفاءةُ الخاصة بلغة معينة / التي تكتسب وتكمن في القدرة على بناء جمل اللغة الأم. يدور الأمر هنا حول بناء بنية إدراكية، «نظام إدراكي» ليست مقدرة بل له طبيعة المعرفة: يطلق تشومسكي عليه نظام المعرفة [٤٢]. وتعد هذه الكفاءة الخاصة بلغة معينة جزءاً من سوسيولوجيا الإدراك. إنها واقعية عقليًا.

ويمكن كذلك أن يفترق شكل ثالث للكفاءة، يُوصَف - خلافًا للكفاءة النحوية الشاملة، والخاصة بلغة معينة- بأنها «كفاءة براجماتية»[٤٣]. ولا يتعلق الأمر في ذلك ببناء جمل، بل بقواعد تستند إلى استعمال الجمل في مواقف. وقد أشار تشومسكي بلا شك إلى هذا النوع الثالث لمفهوم الكفاءة. ولكن بدايةً سلك علماء اللغة والفلاسفة المهتمون بنظرية الفعل الكلامي هذا السبيل لنمذجة (وضع نماذج) لكفاءة براجماتية. وما يهمنا في ذلك أن تصور تشومسكي للكفاءة _ برغم أنه قد طُوِّر أساسًا بوصفه إجابة عن أسئلة الإنتاجية النحوية- يمكن أيضًا أن يُنقَل إلى تساؤلات خاصة ببراجماتيا الاتصال _ ما يهمنا هنا هذا «الانتقال».

ماذا في تصور تشومسكي للكفاءة يمكن فصله عن تخصيصه القائم على نظرية النحو: أو بسؤال آخر: كيف يمكن أن يُوصَف «توجيه الكفاءة» بشكل أدق بأنه موقف منهجي؟

---

(٤٢) تشومسكي ١٩٨٨ ،ص٣٦، ٣ .

(٤٣) هذا التعبير لـ: جريفندورف / هَم/ ستيرنفلد ١٩٨٩ ، ص٣٤ .

٤- الكفاءة والأداء حول «نحو» التفريق

يفرق تشومسكي بين الكفاءة والأداء. هذا التفريق الذي طَوَّره في الستينيات في «جوانب النحو» [٤٤]، يعد تفريقًا أساسيًا، وقد استمر عدة عقود، حتى إن تغير الاصطلاح حيث يُحدَّد في معرفة اللغة في الستينيات الكفاءة باللغة الداخلية (I-language)/ و الأداء باللغة الخارجية ٥٣ (E/language). إنه ذلك المخطط الثنائي الذي يمكننا أن نرسم به بشكل أدق الجانب المنهجي لتوجيه الكفاءة. ما تهم في ذلك جوانب ثلاثة:

١- إن علاقة الكفاءة بالأداء مثل علاقة نظام معرفي باستعماله الفعلي، مثل علاقة قاعدة باستعمالها المحدد؛ فالكفاءة تعد أساسًا للأداء.

٢- الكفاءة شكل للغة، ولكن الأداء تعديل (تشويه) لها. ويُبرز تحليل الكفاءة اللغةَ المجردة، ويبرهن تحليل الأداء على تشوهها بتأثير عوامل غير لغوية.

٣- الكفاءة كامنة، ولكن الأداء ظاهرة يمكن ملاحظتها.

ويخلق تضافر هذه الجوانب الثلاثة موقفًا جديرًا بالملاحظة: فمن جهة يتميز نظام المعرفة اللغوي، وليس الاستعمال بأنه ذلك الموضع الذي يوجد فيه الموضوع الأصلي والمشروع وحده أيضًا لعلم اللغة. ومن جهة أخرى ليس لدى عالم اللغة مدخل مباشر إلى هذا الموضع الكامن.ولا يمكن أن تُفتَح (مغاليق) الكفاءة إلا عبر الأداء. ولا يمكن أن تفك شفرة الشكل إلا بتعديله.

---

(٤٤) تشومسكي ١٩٦٩، ص١٤ .

كيف يحل تشومسكي هذه الإشكالية؟

في هذا الموضع تعد أمراً ضرورياً حيلةٌ منهجية، تختص بكل نظرة لغوية مركزة على الكفاءة- تبعًا لتضافر (١) و (٣) - يجب أن تكون منفردة أيضًا. وهذه هي استراتيجية المثالية. فموضوع النظرية اللغوية هو في المقام الأول متكلم- سامع مثالي ، يعيش في جماعة لغوية متجانسة تمامًا، ويعرف لغته معرفة مميزة، وعند تطبيق معرفته اللغوية في الكلام الفعلي لا تتأثر الأخطاء بشروط منفصلة الصلة نحويًا، مثل الذاكرة المحدودة والتشتت، والارتباك وتغير الانتباه والاهتمام [٤٥]. ويوضح تشومسكي دون غموض غرضَ هذه المثالية: «في المثالية المفترضة فقط... يمكن أن يدرك الاستعمال اللغوي بأنه انعكاس مباشر للكفاءة اللغوية، / وفي الواقع لا تكمن فيما يبدو علاقة مباشرة على هذا النحو» [٤٦]. ٥٤

وفي ملمح هذه المثالية يعالج الأداء كأنه يمثل الكفاءة، وذلك في تلك الطريقة الكلاسيكية التي يجب أن يُشترَط فيها وجود التمثيل، ومن ثم يشكل تمثيل ما معنىً بوجه عام. ولهذا الفرض الخاص بالأداء الذي تمثله الكفاءة نتيجة جوهرية: لما كان الاستعمال اللغوي ينتج عن الكفاءة اللغوية الأساسية فإنه يُستبعَد تأثير رجعي للاستعمال في الكفاءة. وبذلك تصير لغة باعتبار أنها تفهم بوصفها مفهومًا داخليًا لمنجزات لغوية، ظاهرةً هامشية.

---

(٤٥) تشومسكي ١٩٦٩ ، ص١٣ .

(٤٦) تشومسكي ١٩٦٩، ص١٤ .

٤- جون ل. سيرل

كيف تُكوِّن القواعد أفعالاً كلامية

جون ل. سيرل

كيف تكوّن القواعد أفعالاً كلامية(*)

>إن التحدث بلغة ما هو
شكل للسلوك، توجهه القاعدة< (١).

١- هل ثمة تبديل للموضوع؟

يعني أن تتكلم أن تفعل شيئًا. بهذه المقدمة لنظرية لغوية قائمة على أساس براجماتي- على أية حال خلافًا لسوسير وتشومسكي - يتصدر تبديل جذري للموضوع في النظر اللغوي. فلم يعد يُهتَم باللغة بوصفها نظامٍ علامات، بل الاستعمال الذي نشكله من العلامات اللغوية، ولم يعد يُسأل عن أبنية نحوية مستقلةً، عن موقف استعمالها، بل يتعلق الأمر بمنطوقات لا يمكن أن تُحدَّد أساسًا إلا بالنظر إلى مواقف استعمالها.

٥٥

ولكن: حين نتوجه في هذا الموضع إلى نظرية الفعل الكلامي وبالتحديد في الشكل الذي رسمه سيرل، فإن ذلك ليس ليمكن الحديث أيضًا لأسباب نسبية عن ممثلٍ لتصورات لغوية براجماتية، لأنه قد كان للمرة الأولى لمؤلفين آخرين دورهم، فقد أُدخِل مع كتاب لودفيج ڤيتجنشتاين >بحوث فلسفية< منظور الاستعمال، ومع كتاب ل. أوستن

(*) هذا هو الفصل الرابع ،وهو بعنوان؟"Wie Regeln Sprachakte Konstituieren"
لجون سيرل، من كتاب زيبيله كريمر: (Sprache, Sprechakt, Kommunikation)
«اللغة والفعل الكلامي والاتصال» الذي نشرته دار النشر سور كامب سنة ٢٠٠١م.

(١) سيرل ١٩٧٤ ب، ص٢٩ (بالإنجليزية ١٩٦٩، ص١٦)، وأيضًا: سيرل ١٩٧٤، ص٨٣.

>كيف تنجز الأشياء بالكلمات< منظور الفعل في التأمل اللغوي. وقد عدَّ سيرل نظريتـه في أفعال الكلام استمـراراً في تشكيل وتحديد أفكار أوستن. لماذا الآن إذن سيرل ، وليس ڤيتجنشتاين أو أوستن؟

نريد أن نجيب عن ذلك بفرضـية: يربط سيرل بسوسيـر وتشومسكي رباط منهجي بشكـل مستقل عن مـوضوعات ومـجالات للظاهرة مخـتلفة بشدة عنها. ويعني عرض مفهوم سيرل بالنسبة لنا عرضه بحيث يمكن إبراز هذا الرباط.

ولكن هل لا تعـد هذه دعوىً جـديرة بالملاحظة؟ ثم- إسقـاطًا على فصل سوسير اللغة المعـينة عن الكلام- هل تعد نظرية الفعل الكلامي تابعة لجانب >الكلام<؟ و- / انتقـالاً إلى إطار تفريق تـشومسكي بين الـكفاءة ٥٦ والأداء- هل لا يعـد سيـرل تحـديداً منظراً للأداء اللغـوي؟ في الواقع أبرز سيـرل نفسه، وأكـد أن نظريته تُلحَق منهـجيًا بالـلغة لدى سوسـير[٢]، وأن توجـه تشومـسكي إلى الكفـاءة يظل برهانًا له أيضًا، مـا دام أن مفـهومـه للكفاءة قـد يُوسَّع بحيث يتضمَّن فـيه الأداء- والكفاءة[٣]. ويرتبط بفصل الكلام عن اللغة، والأداء عن الكفـاءة قصد إمكان إبراز اللغة أسـاسًا بأنها موضوع أصلي لعلم اللغـة. وذلك ليس كعملية مطلقـة لفصل بين جوانب غيـر لغوية- وجـوانب لغـوية للظواهر اللغوية، بل بشـكل أدق كتأسـيس لمخطط، يجيز التـفريق مقوليًا بين طـريقتين لمعطيات خاصيـة اللغة: وسواء أأطلقنا على طـريقتـي المعطيـات هاتين بنيـة نحـوية أو تحـقيـقـهـا، نظامًـا سيميولوجيًـا وتحقيقه أو قاعدة وتطبيقها، وهو مـا يهمنا ، فإن الجانبين ليسا

---

(٢) سيرل ١٩٧٤ ب، ص٣٢ .

(٣) سيرل ١٩٧ أ ، ص٤٣٧ .

مختلفين بل يقعان في علاقة نسب. ولا يكون وصف شيء ما بأنه تحقيق، وتفعيل، وتطبيق، مفيداً إلا حين يمكن حينئذ أن تُفترَض بنية أو نظام أو قاعدة أنها موجودة.

أما ما تُنجزه نظرية الأفعال الكلامية لسيرل فهو أنه لم يعد يتوافق هذا التقسيم بين نموذج ويحقق مع ذلك التقسيم بين لغة وكلام، بل أن يورد في جانب الكلام ذاته، فالكلام يفقد وضع أن يكون مجرد ظاهرة تفعيل أو تحقيق، ويجعل من الممكن أن يعاد بناؤه عقليًا بمساعدة التشعب بين فعل كلامي شامل (كلي) وإنجازه الخاص في المنطوق الخاص بلغة معينة.

٢- تمهيد لنظرية أفعال الكلام

٥٧ / يُقدَّم شرطان كأنهما، تمهيد لنظرية أفعال الكلام لسيرل. إنهما من جهة فكرة أن >التحدث بلغة ما شكل للسلوك توجهه القاعدة<[٤]، ومن جهة أخرى مبدأ إمكانية التعبير الذي يستطيع المرء طبقًا له >أن يقول أيضًا ما يقصده<[٥]. كلا الافتراضين أساس مفترض، يستخدمه سيرل دون أن يدلل عليه. ومع ذلك تبسط نظرية الفعل الكلامي أوجه الاستلزام لهذين الافتراضين بحيث يجب أن يثبت في مقبوليته قوة تحمل الأساس أيضًا.

لنبقَ عند التمهيد الخاص بنظرية الأفعال الكلامية، الذي فيه يُقدَّم مفهومان أساسيان للفهم اللغوي لدى سيرل: يتعلق الأمر بمفهومي ' >القاعدة<، و>المعنى< .

(٤) سيرل ١٩٧٤ ب، ص ٢٩ (بالإنجليزية ١٩٦٩ : ص١٦).

(٥) سيرل ١٩٧٤ ب، ص ٣٤ (بالإنجليزية ١٩٦٩ : ص١٩).

١- حول القاعدة:

يأخـذ سيـرل طريقـة الكلام عن > القـواعد< مـأخذ الجـد بمعنى أن القواعد يُعَزى إليها وضع آخر بوصفها قوانين (-طبيعية) : فما يقعد قواعد دائمًـا يمكن ، ولكن لا يجب، أن يقع على نحـو ما تـعني القاعـدة. وهكذا تظهـر القواعـد إمكانية التـفريق بين سلوك صـحيح وسلوك خـاطئ، وهي تخلق فضلاً عن ذلك إمكانية سوء الاستعمال. وخلافًا للقوانين الطبيعية لا يُعزَى للـقواعد بُعـد معـياري يمكن حـذفه [٦]. وبينما يفـسر تشـومسكي القواعد النحـوية الشاملة (الكلية) بأنهـا- في مثال أخير- أبنيـة تُمثَّل على أساس فـسيولوجي عـصبي، فإن القواعـد بالنسبة لسـيرل ليست مـعطيات واردة في فـسيـولوجيـا المخ، بل في واقع اجـتمـاعي فـقط. ولكن في هذا الواقع يمكن أن تفي القواعـد بوظيفتين مختـلفتين تمامًا [٧]. وإما أن يشكل سلوك موجـود بشكل مستقل عـن القواعد كمـا هي الحال مع آداب المائدة (الطعـام) من خـلال القـواعـد. ويـطلق سيـرل عليـهـا> قـواعـد مطردة (قيـاسيـة)<. وهي تقبل في الغـالب شكل الأوامر : >حين تقطع الطعام/ أمـسك السكين باليد اليـمنى< أو بشكل أعم: حين يكون س، افـعل ص. وإما أن يدور الأمـر حول قواعد، مـثل قواعد لعبـة الشطرنج، التي لا تتيح ولا يتـمـخض عنهـا أسـاسًا إلا مـا تنظـم، يتحـدث سـيـرل عن > قواعـد

٥٨

(٦) سيرل ١٩٩٧ ، ص١٥٦ أكد مرة أخرى في سياق تحليله لمؤسسات اجتماعية معيارية الأنظمة القاعدية، وأبرز أن «البنية المؤسسية هي بنية قـاعدية، وأن القواعد الحقيقية التي نميزها حين نصف المؤسسة هي تلك التي تحدد جوانب يكون النظام تحتها معياريًا».

(٧) سيرل ١٩٧٤ ب ، ص٥٤ .

تأسيسية<. وتختص هذه القواعد بدور مذكرٍ بتحديدات، وهكذا حين يصح: أن يموت ملك في لعبة الشطرنج حين لا يستطيع أن يقوم بأية حركة دون أن يتعرض هو نفسه لهجوم بسبب هذه الحركة. أو بشكل أعم :>س تعد كـ ص في السياق ي <.

وهكذا حين يكون الكلام سلوكًا توجهه قاعدة فإنه يفهم بمعنى الفئة الثانية من القواعد: تنجز الأفعال الكلامية متطابقة مع عدد من قواعد تأسيسية [٨].

ويُظهِر التفريق بين قواعد مطردة وقواعد تأسيسية، ومن ثم الزعم أيضًا بأننا نتكلم في تطابق مع قواعد تأسيسية، بلا شك أوجَه ضعف _ لقد أوضح فيلهلم فوسنكول هذا في مناقشة مفصلة[٩]. بيد أننا نتساءل هنا في إطار التمهيد للمرة الأولى، ماذا يهم سيرل أساسًا (إلامَ ينتهي) ، حين يربط الكلام بقواعد تأسيسية.

نحن لا نستطيع أن نستند إلى قواعد إلا حين توجد أيضًا على نحو ما ، وبذلك لم تعد القواعد مجرد مقولة للملاحظ، وهي لا تُعزَي بشكل استعادي ، ولا تتبين إلا داخل تأمل حول اللغة، في حين أننا نسلك في الكلام الفعلي على أية حال، كما لو أننا نتبع في ذلك قواعد، بل يجب أن تكون القواعد موجودة فعلاً، ومن ثم يصير الاستعمال اللغوي ممكنًا. بيد أن هذا يعني أيضًا أن المتكلمين يمتلكون هذه القواعد، فهل يجب إذن أن يعرفوها بوضوح؟ بالنسبة لسيرل لا يعني الأمر هذا تحديدًا. فما يكون

---

(٨) سيرل ١٩٧٤ ب ، ص٥٩ ، سيرل ١٩٨٥ ، ص٢٢٣ وما بعدها.

(٩) فوسنكول ١٩٨٢ ، ص٣٥-٤٧ .

مقبولاً مع اكتساب لغات أجنبية- أننا نستطيع أن نتكلم بقدر ما نعرف القواعد اللغوية- لا يصدق بأية حال في الكلام باللغة الأم: فلا يتبع المتكلمون القواعد بوعي ولا بدون وعي[١٠].

فقواعد اللغة الطبيعية تسري بشكل ضمني. ويوجد علم اللغة والفلسفة اللغوية في موقف يصف بشكل لاحق ما يسري بشكل قبلي؛ ويمكن أن يقارن بموقف / وجوب تجريد قواعد الشطرنج من فعل لاعبي الشطرنج ، التي يستند إليها في الحقيقة دائمًا اللاعبون. ٥٩

مثل هذا الموقف يمكن أن يوجد فقط، وينجز فقط أيضًا في نطاق حكم سابق منهجي: إننا نستطيع أن نفصل مع فعل ما بين القواعد والإنجاز، باعتبار أن الإنجاز قائم بشكل معياري على القواعد. فالإتيان بهذا الحكم السابق هو معنى طريقة كلام سيرل عن >قواعد تأسيسية< نستند إليها عند الكلام.

٢- حول المعنى

نصل الآن إلى فرض الأساس الثاني، مبدأ إمكان التعبير[١١]. إن الأمر يتعلق في ذلك بفرضية خاصة بنظرية المعنى، وبذلك يمهد سيرل الطريق على هذا الجانب بين نارين (بديلين، كلاهما خطر)؛ نار تصور خاص بدلالة الإحالة، ونار تصور دلالي مفهومي محض. كيف يفهم هذا؟ في منظور خاص بدلالة الإحالة للكلمات معنى، وللجمل قيمة

---

(١٠) سيرل ١٩٩٧ ، ص ١٤٧ (بالإنجليزية ١٩٩٥ : ص١٣٧).

(١١) سيرل ١٩٧٤ ب ، ص٣٤ وما بعدها.

صدق من خلال أنها تتعلق بشيء في العالم، وذلك بشكل مستقل عن مسألة هل يوجد متكلمون يستخدمون الكلمات، ويرفعون بنطق جمل دعاوي صلاحية (سريان). إن الرموز اللغوية بالنسبة لسيرل ليس لها معنى، بل لا ينشأ المعنى إلا في إنجاز الفعل الكلامي . فالمنطوقات وحدها، أي الأفعال التي ينجزها المتكلمون بجمل، يمكن أن نعزو إليها معنى. وبذلك سحب البساط من تحت الفرض الخاص بدلالة الإحالة، وهو أن المعاني مثل >كيانات< تعد حاملاتها علامات لغوية.

بيد أنه ما يزال نوع من طريق ذي اتجاه واحد يحاول سيرل أن يتجنبه: حين يكون فعل للمتكلمين، ينتج معنى فإنه يَغلب- وهذا النهج قد اقترحه جرايس- أن يؤسس معنى المنطوق في مقاصد المتكلمين فقط : نحن نخبر بدقة عن شيء حين نجعل السامعين قادرين أيضًا على معرفة مقصدنا من إخبارهم بهذا الشيء. وبالنسبة لسيرل مثل هذه النظرة المفهومية بشكل منطقي تغفل الدور الذي تؤديه قواعد وأعراف عند إنتاج المعنى، ولا ينشأ معنى المنطوق إلا بتعاون بين قصد المتكلم وطرق لغوية للجماعة محققة قاعديًا ومرتبطة بأعراف، / وكون هذا التعاون بين عالم داخلي وعالم ٦٠ خارجي ، بين ما هو عقلي وما هو اجتماعي ممكنًا أساسًا، يجب هذا بدقة أن يكفل مبدأ إمكانية التعبير : فمن المؤكد أن كل قصد إنساني- على أية حال من حيث المبدأ- يُشفَّر في تعبير لغوي أيضًا: فكل ما نقصد، يمكن أن نقوله أيضًا. ويكفل هذا التوازي بين قصد ومنطوق أن المقاصد تتجلى في منطوقات لغوية، وتكون هناك متاحة للتحليل أيضًا. وعلى هذا النحو لمبدأ إمكانية التعبير تأثيران: فمن جهة تصير حالات > عدم الصدق، والإبهام،

والغمـوض، والنقصان غيـر مهمـة نظريًا بالنسبة للاتصـال اللغوي< [١٢].
وينشأ كتأثيـر جانبي فضلاً عن ذلك أن أغراض أو مقاصـد المتكلمين تصير نوعًا من موضوعـات، توجد قبل منطوقات لغوية ومسـتقلة عنها، وإلا من جـهة أخـرى فإنه لا يشكـل افتـراض إمكانية نقـل القصـد إلى منطوق أي معنى. وبقدر مـا يرفض سيرل إذن خاصية الكيـانات للمعاني ، يؤيد وضع الكيانات للمقاصد. وفي الواقع ليست مقصدية سيرل موضوعنا هنا.

٣- ما الفعل الكلامي؟

بعـد أن وُضِعت الأسـس يمكننا أن ننتـقل إلى بـناء نظرية الفـعل الكلامي أما السؤال الأول الذي يطرح فهو ما لبناتها؟

إن الفـعل الكلامي هو أصـغـر وحدة لاتصـال إنسـاني، يمارس بهـا المتكلم فعلاً تجاه سامع [١٣]. وهو يتكون من مكونين ، من محتوى قضوي ووظيفـة إنجازية. ويفهم سـيرل تحت> محتـوى قضوي <جوانب الإحالة والحمل . وتتعلق الوظيفة الإنجازية بالدور ، بما يقصد متكلم أن يفعل بنطق جملة مـا في موقف مـعين، سواء أنطق تقـريراً أو أمراً أو سـؤالاً أو وعداً. وتوصف أفعال إنجازية وقضوية من خلال التعبير بكلمات في سياق الجملة في سياقات معينة/ بشروط معينة، ومع مقاصد معينة< [١٤].

٦١

ويمكن أن يعـرض بشكل تخـطيطي المحـتـوى القـضـوي والدور

(١٢) سيرل ١٩٧٤ ب ، ص٣٦ (بالإنجليزية ص٢٠).

(١٣) سيرل / فاندرفكن ١٩٨٥ ، ص١ .

(١٤) سيرل ١٩٧٤ ب ، ص٤١ .

الإنجازي أيضًا: لنشر بـ > R=ل< إلى مصطلح الإحالة، و> P = ح< ، إلى مصطلح الحمل، مثلما نشير بـ >!<، و>؟< إلخ لكل وظيفة إنجازية معينة. إذن للأفعال الكلامية الشكل>! (ل/ح)< أو>؟ (ح/ل) <. أو حين يُدوَّن المحتوى القضوي بشكل مختصر بـ (ح) والوظيفة الإنجازية بـ> F = ز<، ينشأ الشكل المعياري لفعل كلامي : >ز (ح)< هذه البنية شاملة (كلية)، وتسري ـ في رأي سيرل- على كل كلام ممكن، بشكل مستقل عن فروق اللغات المفردة (المعينة) ويمكن أن يرجع كل منطوق موفق اتصاليًا إلى هذه البنية، ومن ثم يوضح بأنه تحقيق لهذه البنية.

ويجب أن يُتجنَّب سوء فهم لهذا العلم المكون من مكونين للفعل الكلامي: فمعنى الفعل الكلامي ليس مجموع المعنى الدلالي للجملة، الذي يرتبط بالمحتوى القضوي ، والمعنى البراجماتي للمنطوق الذي يتأصل في الوظيفة الإنجازية. ويُفهَم بالأحرى كلام سيرل عن المحتوى القضوي بأنه نقد للكلام المألوف فلسفيًا عن القضايا بأنها نوع من كيانات مستقلة . فالمحتوى القضوي ليس مستقلاً، وهو يظل مقتصراً على تضمنه في الأفعال الإنجازية. ولا يظفر المحتوى القضوي أيضًا بمعناه إلا في نطاق هذا التحديد الإنجازي للوظيفة. وهكذا لا تُبنَى الدلالة من خلال البراجماتية بل على العكس من ذلك تتشكل الدلالة ذاتها براجماتيًا.

بيد أنه لا يجوز أن يخدع هذا التشكل البراجماتي للدلالة عن أية يحافظ على قرب كبير عن النظرة اللغوية القائمة على الجملة. وهو قرب وصفه جيوفري ليتش بأنه إعادة - نحوية [١٥] وينجز سيرل دون شك

(١٥) ليتش ١٩٨٣ .

يتجزئة ظواهر الاتصـال إلى أفعال كلاميـة مفردة أسلبةَ (صيـاغة أسلوبية) قائمة على الجملة. ويتم الفعل من خلال الكلام عادةً في تتابع للمنطوقات، لا يجسـد إلا بوصفـه تفاعلاً، سلسلةً كـاملة لمنطوقات مـتبادلة بـين متكلم وسامع في الحقيقـة فعلاً مشتركًا، ولا يقتصـر كلامنا فضلاً عن ذلك/ على التبـادل بين متكلم وسامع، بل يتـجه غالبًا إلى قـاعة استـماع لا ينشأ معـها تعـيين أدوار المتكلمين والسـامعين والمشـاركين في الاسـتمـاع إلا في أثناء الحدث الكـلامي. وفضلاً عـن ذلك تؤدي دوراً مشـاركًا في تحديـد حدث الفعل الكلامي دائمًـا أيضًا بالنسبـة للمتكلم اعتـراضات لغوية مـتصلة من جانب السامع، بل أيضًا وقفات، ومنطوقات مقاطعة، ووسائل غير لغوية ، مثل حركات اليدين وتعبيرات الوجه. فهل إذن ما يكون تفاعلاً لغويًا يمكن أن يعاد بـناؤه على نحو مناسب في مـصطلحات الأفـعال لمتكلمـين فرادي (معينين)؟ (١٦) لا نرغب هنا في أن نستمر في تتبع هذا السؤال ، فيكفي أنه حين يوضح أن سـيـرل حيث يجـعل الفـعل الكلامي الوحـدةَ الأسـاسيـة للاتصال فإنه يضع نموذج حدث الاتصال وفق معيار نحو الجملة.

٦٢

وتكمن الخطوة المثالية المهمة لنظرية الفعل الكلامي في أن سيرل يبرز شروطًا ضروريـة، تكون في مجموعهـا كافية أيضًـا، ومن ثم يمكن أن يعد منطوق يفي بهذه الشروط فعلاً كلاميًا موفقًا (١٧). ويمكن أن يفرق بين ست مجـموعات من شـروط التحقق. منهـا يجرد سيـرل قواعد أفـعال كلامـية موفقة.

---

(١٦) حول الاعتراضات: فرانك ١٩٨١ .

(١٧) سـيرل ١٩٧٤ ب، ص٨٨ ومـا بعـدها، وسـيرل / فـاندرفكن ١٩٨٥ ص١٢ ومـا بعدها.

١- **شروط الاستواء.** ينتظم تحت ذلك في رأي سيرل سلسلة غير محدودة، دون شك من الشروط التي تشكل ما أشبه بشروط الإمكان لكل اتصال. وفي الواقع يمكن أن يُفرَّق بين مجموعتين مهمتين. تكفل المجموعة الأولى أن يستبعد كل ما يمكن أن يحول دون الكلام من ناحية جسدية أو عقلية، أي الصمم ، والحُبْسَة، واضطرابات الحنجرة. والأهم المجموعة الثانية، في البداية تظهر شروط مثل شروط أن المتكلمين يفعلون بوعي تام، أي يعرفون ما يفعلون، بل إنهم لا يقعون تحت ضغط أيضًا، وكذلك لا يعتورهم خوف. وتستبعد هذه الشروط عدا ذلك أشكالاً ثانوية، وطفيلية وغير حرفية للاتصال: ولايجوز أن يتعلق الأمر بمسرحيات ولا بنكات. وتستبعد كذلك أشكال غير حرفية للكلام مثل صور المجاز أو السخرية أو التهكم.

٦٣ ومن اللافت للنظر من جهتين في هذه الشروط : (أ) فهي تُحيِّد / المعطيات النفسية والاجتماعي، التي تشكل كلامنا دائمًا أيضًا في الحياة اليومية. ومن ناحية نفسية تفترض شفافية ذاتية خالية من العاطفة: يعد المتكلمون فاعلين يعرفون بكلامهم ماذا يفعلون. ومن ناحية اجتماعية يتعلق الأمر باستبعاد تدرج للقوة بين متكلم وسامع، أي باتصال خالٍ من صور عدم التكافؤ بين الأنا والآخر. وتتميز هنا مثالية يمكن أن تُكثَّفَ في فرض أننا نجري محادثات، ولكننا لا نُجَر إليها . (ب) ثمة شيء لافت للنظر أيضًا، وهو الاستبعاد المنطقي للكلام، >غير الواقعي<، وربما يشكل فائدة قليلة أن نوضح الدور الأساسي للكلام من خلال حدث تمثيلي، وعلى هذا النحو يمكن أن يُتحقَّق من أن المسرحية تُستبَعد. ولكننا نعرف أن

جزءاً لا بأس به من كـلامنا يُظهر دائمًـا أيضًا بعـداً لأداء الأدوار، للعرض الذاتي، والإخـراج الذاتي باختـصار: عنـاصر فـعل شيء ما. ويتـوافق مع استبعاد جـوانب مسرحية للكلام تجنب استعمـال لغوي غير حرفي. إنه في استعـمال لغات طبيعيـة تكون الحدود بين ما هو حرفي وما هو غـير حرفي غير واضحة.

وتوجد أسباب وجـيهة لافتراض أن اللغة المجـازية لا تشير بأية حال إلى استـعمال لـغوي معـدول شعري، بل إلى مـبدأ تطور ونمو، نمو حـتمي لكل لغة طبيعية.

وتتكشَّف فـي شـروط الاسـتـواء هذه ازدواجـيـة في نظـرية الفـعل الكلامي: يتابع سيرل إرث أوستن (الذي سنصل إليه فـيما بعد)، حيث إنه يريد أن يتخلى عن أولوية الكلام الإخـباري : فما تكون الجـمل به جيدة لا يكمن فقط في بناء أوجه زعم، بل يتضمن أدوراً أخرى كثيرة للمنطوقات. وفي الواقع لقد تغذى التفضيل التقليدي لجمل الزعم (الإخبار) من تصور لغوي فلسـفي، عرف التفـريق بين أبعاد منطقيـة- معرفـية، وأبعاد بلاغـية للاستعمال اللغوي تفريقًا لا شائبة فيه. وتُحقِّق نظرية الفعل الكلامي نسبية الجـملة الإخبـارية على نحـو يُبقِـي على الفرق بين مـا هو منطقي ومـا هو بلاغي في الوقت ذاته. وتهدف شـروط الاستواء إلى الاستبـعاد المنطقي ما هو بلاغي من تحليل الفعل الكلامي.

/(٢) >شروط المحتوى القضوي< : تعالج المجـموعة الآتيـة شروط ٦٤ المحتوى القضوي. وبالنسبة لسيرل _ كما ذكرنا هذا من قبل- يعد المحتوى القضوي غير مستقل، ويمكن أن يُقرأ في أن شكله اللغوي >...(أ ن ح)< لا

يمكن أن يعرض دائمًا إلا بوصفه جملة فرعية ، إنه هذه التبعية للمحتوى القضوي المؤداة بالتشكيل البراجماتي للإحالة والحمل، باستعماله الإنجازي الذي يُعبَّر عنه بهذا الشرط. ومع الوعد مثلاً يجب أن يَعد المتكلم بفعلٍ، إذ إن النشاطات فقط بوصفها تعبيرَ محمول تكون محتملة، ولا يمكن فضلاً عن ذلك أن يُوعَد بشيء مضي : يجب أن يتعلق الأمر بنشاط مستقبلي.

(٣) >**شروط تمهيدية**< تتعلق شروط التمهيد بمجالات يجب أن يوفي بها ومن ثم يشكل فعل كلامي معنًى أساسًا. وحين يفعل شخص ما شيئًا فمن غير المقبول عقليًا أن يدعي إلى هذا الفعل بالذات، ولا يكون الاعتذار مناسبًا إلا حين يجب على المتكلم أن يجيب هو نفسه أيضًا بما يتعذر به. وحين أعطى وعدًا، فإنه يتبع شروط هذا الموقف أن ذلك الذي يتلقى الوعد، الذي وعدته به، تأمل في الحقيقة أيضًا أن يكون وقوع ما وعد به في دائرة اهتمام السامع، وليس عدم وقوعه.

(٤) >**شروط الإخلاص**<. تعالج شروط الإحالات حالات عقلية: يجب أن تتطابق مقاصد المتكلمين وآراهم مع ما يقولون، فحين يُصدَر أمر فإن الآمر يجب أن يكون مقتنعًا بأن السامع قادر على أداء الأمر. وحين نعطي وعدًا يجب أن يكون لدينا القصد لإتمام الفعل الذي وعد به أيضًا. ويكون لدينا كذلك الظن بأننا قادرون على أداء الفعل.

وهكذا ينطلق سيرل من وجود أحوال عقلية مستقلة عن اللغة ـ ويمكن بحق إذن- بمفهوم ڤيتجنشتاين ـ أن يُشَك فيما إذا كان الممكن فصل أحكام عن حالات العالم الداخلي عن >اللعب اللغوي للاستخبار< أساسًا (١٨)، وكذلك فيما إذا كان من الممكن إلا تُعزَى بشكل استعادي

(١٨) شنايدر ١٩٩٣ ، ص٢٠ .

محض، بل / أن تُعالَج في الواقع كشيء، يجب أن يوجد لدى المشاركين ٦٥ في زمن إنجاز فعل كلامي. غير أن شرط الإخلاص يعين إذا فُسِّر في أفق مبدأ إمكان التعبير، الذي يكفل أن كل مقصد يمكن أن يتجلى في اللغة أيضًا، تأكيدًا مغايرًا بعض الشيء: إن الأمر لا يدور حول وجود أحوال عقلية قبل لغوية فقط، بل حول حقيقة أن إنجاز فعل كلامي في جماعة لغوية يعد تعبيرًا عن حال نفسية تعد أساسًا له- وهذا الأخير مستقل عن السؤال، هل هذه الحال النفسية موجودة حقيقة أو لا [19].

(٥) >**شرط جوهري**<. وكما يشي اللفظ: يشكل هذا ، >الشرط الجوهري< القلب من بين شروط الإنجاز الموفق لأفعال كلامية. إنه ما وصفه سيرل بالتعاون مع فاندرفكن فيما بعد بأنه >الغرض الإنجازي< [20]. ويتعلق هذا الشرط بالدور الخاص للفعل الإنجازي المعين. وحين يُلقَى بيان فإن الأمر يتعلق بإخبار عما هي الحال وما يجب أن يكون المتكلم مستعدًا أيضًا لأن يدلل عليه بناءً على استفسار. وحين يُعطَي وعد فإن المتكلم يضطلع بالالتزام بإنجاز الوعد. وحين يُطرَح سؤال فإنه يفترض أن السائل لا يعرف ما الإجابة.

(٦) **شرط خاص بنظرية المعنى**. هنا يؤدي تصحيح سيرل للتحليل اليوناني للمعنى دورًا. ويشترط استدعاء تأثيرات إنجازية دائمًا أن السامع

---

(١٩) «في الحالات التي تُحدَّد فيها حال نفسية من خلال شرط الإخلاص يعد إنجاز الفعل تعبيرًا عن هذه الحالة، ويعد هذا القانون مستقلاً عما إذا كان الفعل ينجز بإخلاص أو بلا إخلاص، أي مستقلاً عما إذا كانت الحال النفسية المعنية موجودة لدى المتكلم حقيقةً أو لا» . سيرل ١٩٧٤ ب، ص١٠٧ (بالإنجليزية ١٩٦٩: ص٦٥).

(٢٠) سيرل / فاندرفكن ١٩٨٥ ، ص١٢ وما بعدها.

يعرف أن المتكلم لديه القصد أن يحدث هذا التأثير فيه- يتبع سيرل إلى حد بعيد جرايس، ومع ذلك _ وهو ما يَهُم سيرل بهذا الشرط- إن إعادة الاستدلال على المقصد تكفلها الأعراف اللغوية ذاتها، التي توجه المنطوقات: يُربَط معنى المعبر عنه من خلال الأعراف بإنتاج التأثير الإنجازي.

٦٦ / وبذلك نكون قد سردنا الشروط الضرورية، التي تعد في تضافرها (تعاونها) كافية أيضًا، وبذلك يصير بنطق جملة ما فعل كلامي منجز بنجاح. وتُستنبَط من هذه الشروط الستة قواعد استخدام تلك التعبيرات التي يشير بها المتكلمون إلى أي نوع من الفعل الكلامي يريدون أن ينجزوا. ويمكن أن تكثف إلى أربعة أنماط قاعدية : (١) قواعد المحتوى القضوي . و(٢) قواعد التمهيد، و(٣) قواعد الإخلاص ، و(٤) قواعد جوهرية. ولما كانت هذه القواعد تستند بشكل وثيق إلى الشروط المتقدمة ، حيث تنقلها إلى شكل أمري ، فإننا لا نريد هنا أن نمضي في الإيضاح.

الأهم هو تصنيف أفعال الكلام، الذي يعين الخطوة التالية لنظرية الفعل الكلامي ، فقد ذكرنا في الشرط الجوهري ، الغرض الإنجازي ، مصطلحًا أورده سيرل وفاندرفكن بوصفه مفهومًا أساسيًا لم يُواصَل تحديده لكي يستوعب جوهر>نكتة< فعل كلامي [٢١]. وفي رأي سيرل لا يوجد إلا عدد محدود للغاية من أغراض إنجازية متباينة، أي أنماط الأفعال الكلامية. إنها بوجه خاص ثلاثة مبادئ للتفريق، التي تستعمل في ذلك:

---

(٢١) سيرل/ فاندركن ١٩٨٥ ، ص ١٢ وما بعدها.

(أ) فروق في الغـرض الإنجازي ، و(ب) فروق في اتجاه المناسـبة بين الكلمة والعلامة ، وكذلك (جـ) فروق في الأحـوال النفسية المعبر عنها في كلٍّ . وتنتج عن ذلك بالنسبة لسيرل الأقسام الآتية لأفعال إنجازية:

(١) الإخباريات (غـرض إنجازي إخباري) ، مثل الـتقرير ، والزعم، والوصف والتنبؤ، لها غرض أن المتكلم يثبت أن منطوقاته تقدم شيئًا، وهذه هي الحال، وتتـوافق الكلمات مع الـعالم، والحال النفـسيـة المعبر عـنها هي الاقتناع بأن شيئًا محدداً هو الحال.

(٢) الالتزامـيات (غـرض إنجازي إلزامي)، مـثل الوعد ، والتـهديد، والإعلان، ترمي إلى غرض أن يلتزم المتكلم بفعل مستقبلي . وهكذا يجب أن يتوافق هنا العالم مع المنطوق. والحال النفسية المناسبة لذلك هي القصد.

(٣) التوجـيهـات (غرض إنجازي توجـيهي) ، مثـل الأمر، والنصح، والسؤال، والإجـازة، والطلب، لهـا غرض أن متكلـمًا ما/ يريد أن يـحمل ٦٧ سـامعًـا على فعل شـيء ما، يجب أن يتـوافق العـالم مع المنطوق ، وتكون الحال الداخلية الموافقة هي التمني.

(٤) الإعلانيـات (غرض إنجـازي إعلاني) مـثل الزواج، والإخطار، والتعيين ، والإبعاد عن الكنيسة الكاثوليكية، وإعلان الحرب، لها غرض أن تنجز مـن خلال كلام فـقط وقائع جـديدة في العالم، وينشـأ هنا توافق بين عالم وكلمة.

(٥) التعبيـريات (غرض إنجازي تعبيري) ، مـثل الشكر، والاعتذار، والشكوى التـهنئـة، لها غـرض أن يعـبر مـتكلم عن أحـواله الداخليـة في الكلام، ويغيب حينئذ توافق بين العالم والكلمة.

ويعلل سيرل أنه توجد هذه الأنماط الخمسة فقط من أفعال الكلام بأنه يمكن أن تتصور أربع حالات فقط في التوافق (اتجاه المطابقة) بين العالم والكلام: إما أن يشير الاتجاه من الكلمة إلى العالم (الإخباريات)، أو من العالم إلى الكلمة (الالتزاميات والتوجيهات) ، ويوجد كذلك الاتجاه المزدوج من الكلمة إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمة في الوقت نفسه (الإعلانيات)، وأخيراً الاتجاه، >الشاغر< الذي لا توجد فيه علاقة بين اللغة والعالم (التعبيريات) .

نلاحظ كيف يقوم هذا التصنيف على محور علاقة بين اللغة والعالم، الذي ينتظم بناءً عليه كل ما يعد فعلاً كلامياً بوجه عام. أما طرق الكلام التي لا أهمية لهذا المحور بالنسبة لها، وهي خطابات تخيلية في المسرح أو في الأدب أو الخطاب الديني في الصلاة [٢٢] ، فلا تعد أفعالاً كلامية أيضاً.

٤- حول الفصل بين الفعل والإنجاز أو:

فيمَ يشارك سيرل سوسير وتشومسكي؟

٦٨ / لدينا الآن أمام أعيننا بناء تصنيف الفعل الكلامي . ويجب أن نتجه إلى الإجابة عن سؤال طُرِح في البداية، إنه دعوى إعادة بنائنا _ (لأقوال) سيرل، يتيح إبراز الرباط الذي يربط- مع كل اختلاف منهجي وموضوعي _ سيرل بسوسير وتشومسكي. وتُقدِّم خيوط عدة، ربما تعقد هذا الرباط:

(٢٢) أشار فوسنكول ١٩٩٣ ، ص٩٢ وما بعدها من خلال أمثلة لكلام تخيلي وكلام ديني إلى حدود تصنيف سيرل: «بالنسبة لأفعال كلامية دينية، وأفعال تخيلية أيضاً لا يسري نموذج المطابقة لسيرل أو لا يسري بمفهوم أساسي، حصري . ولذلك يقع أيضاً زعمه أنه لا توجد إلا خمسة أنماط للأغراض الإنجازية، موقع شك».

على هذا النحو يشـارك سيرل سوسير- ولكـن ليس تشومسكي ـ الرأي ، وهو أن اللغة مؤسسة اجتماعـية ، ويشارك سيرل تشومسكي ـ ولكن ليس سوسيـر- فرضية أبنية عـميقة شاملة (كليـة) سارية على كل اللغات. هذه الوجهات للنظر وثيـقة الصلة، وسنعود إليها مـرة أخرى أيضًا، ولكن نريد الآن أن نلفت الانتباه إلى حـالة أخرى: فما يفـرق فيه فصل سوسـير اللغة عن الكلام وتقسيم تشومسكي بـين الكفاءة والأداء يمكن أن يحدد بمقتضى هذا التفريق مـا موضوع علم اللغة بدقة: إنه تلك اللغة المحـضة من جانب كل كلام سابق. لقد كان تخميننا الذي صيغ في البداية أن سيرل ينطلق من الكلام، ولكن فقط ليـورد مرة أخرى في مجال الكلام ذاته بـالتحديد ذلك التفريق بين نمـوذج وتحقيقه، الذي قـدم الباعث لدى سوسيـر وتشومسكي لفـصل أسـاسي بين اللغـة والكلام. ويمكننا إذن أن نعـرض بشكل أدق مـا يعني هذا.

فـفي الأصل يدور الأمـر حـول فهـم أن سيـرل لا يقـصـد بـ > فعل كلامي< إنجاز فعل كلامي ، فمن خـلال الشكل المعياري والتصنيف القائم عليه يُحدَّد أنه ليست المنطوقات المحددة موقفيًا من ناحية مكانية- وزمانية ، بل نمط المنطوق غير المختلف مكانًا- وزمانًا يعد فعلاً كلاميًا (٢٣). ليس ثمة منطوق محدد فـعلاً كلاميًا، بل يُنجَـز (يحقق، يعين) فعلاً كلاميًـا. أما ماذا يعني هذا فنريد أن نناقـشة (١) بمساعدة بحث سـيرل لأفعـال كلامية غـير مبـاشرة، و(٢) بمساعدة فـهمه لكيف يُفـسَّر أن المتكلمين يمكنهم أن يتبـعوا قواعد، دون أن يعرفوا هذه القواعد.

(٢٣) فوندرليش ١٩٨٢ ، ص٤٦٣ .

يجب أن ننتهي من منطوق محدد موقفيًا من ناحية مكانية وزمانية إلى الفعل الكلامي الذي يعد أساسًا لهذا المنطوق، وحيث إن المنطوقات ليست أفعالاً ، بل تنجزها، فإن نظرية الأفعال الكلامية تفرق أيضًا - كما هي بالنسبة للنظرية اللغوية لسوسير وتشومسكي- بين لغة محضة ، وإنجازها أو استعمالها.

٤-٢ هل نتبع قواعد في الكلام؟

حين توجد الشروط الضرورية والكافية الممكن تكثيفها في قواعد، التي تحدد أفعالاً كلامية، وحين لا تحصل منطوقات واقعية على وضعها ، أن تكون فعلاً كلاميًا، إلا في إطار هذه الآلة القاعدية، فإنه يلزم سؤال: كيف يمكن أن يتحد هذا الوضع للقواعد بأن يكون فعلاً كلاميًا مع مسألة أن المتكلمين ليسوا على وعي بهذه القواعد، وأن فلاسفة اللغة وعلماءها يمتلكون على كل حال معرفة بهذه القواعد؟ كيف يمكن أن يُكفَل وجود هذه القواعد ، بحيث إنها/ يمكن أن تقوم بوظيفة شرط للكلام، دون ٧١ وجوب أن يعرفها المتكلمون حقيقةً؟ يمكن أن تُفسَّر فطرية تشومسكي التي تسقط معها الآلة القاعدية النحوية الشاملة بوصفها بنية دماغية، بأنها إجابة ممكنة عن هذا السؤال. وعلى نحو مخالف لتشومسكي _ يقترب من ذلك سوسير دون شك- تعد اللغة بالنسبة لسيرل مؤسسة اجتماعية. ولكن كيف يمكن أن يُفسَّر أننا نتبع قواعد دون أن نعرفها؟

إن المؤسسات تنجز نوعًا خاصًا من الوقائع التي يصفها سيرل خلافًا للوقائع،>الخام< بأنها وقائع مؤسسية [٢٤]. فمؤسسة المال تجعل من قطعة

(٢٤) سيرل ١٩٧٤ ، ص٧٨ وما بعدها، وسيرل ١٩٩٧ ، ص٣٧ وما بعدها.

من الورق ورقة من فئة المائة، ومؤسسة الملكية الخاصة تجعل من يمتلك عقد شـراء مالكًا لبـيت. وتجعل مـؤسـسة اللغـة من المنطوق >أعد بأن أهديك السـاعة غـدًا< إلزامًـا. وكـون هذا التـحـويل لكيـانات إلى شكل وجـود اجتـماعي موفـقًا يكمن تعليلـه في نظام قواعد تأسـيسيـة، الذي يعين نواة مؤسسة اجـتماعية، ويمنح كل واقعة مـؤسسية الشكل >س تعد كـ ص في السياق ي<.

وهكذا تكون اللغة ذاتها مؤسسة. ولما كان من الممكن أن نمتلك اللغة دون مال وملكية، ولكن لا يمكن أن نمتلك المال والملكية دون لغة، فإن اللغة فضلاً عن ذلك الأساسُ لكل المؤسسات الأخرى.

وهكذا فهي خاصيتها المؤسسـاتية التي يوفق بمقتضاه النظام القاعدي الخاص بنظرية الأفـعال الكلامية إلى وجـود حقيقي. وتعد هـذه القواعد ، ليس على نحو آخر غير نحو الأعماق لتشومسكي، شاملة (كلية): فاللغات المفردة هي إذن تحقـيقات لهذا النظام القاعـدي الشامل، الذي ينقاد في كلٍّ لأعراف أخرى [٢٥]. ومع ذلك لا يحل كون اللغـة كمؤسسة تجـسد نظامًا لقواعد تأسيسية السؤال المنطلق عن وضع القواعد بالنسبة للكلام، بل يزيد من حدته. فهو يقـبل شكل السؤال الآتي، كيف تصير مؤسسات اجـتماعية تعد أنظمة لقواعد تأسيسية، مؤثرةً في سلوك أفراد لا يعرفون هذه القواعد. ويكمن الغـرض في إجابة سـيرل في أن هذا التـأثير/ لا يوصف بأنه اتـباع ٧٢ للقاعدة ـ بوعي أو بدون وعي . ولكن ماذا غير ذلك؟

---

(٢٥) «يمكن أن تفهم البنية الدلاليـة للغة ما على أنها تحقـيق قائم على أعراف لسلسلة من قواعـد تأسيسـية تعد أساسًـا للمجموعات» . سيـرل ١٩٧٤ ب، ص٥٩ (بالإنجليزية ١٩٦٩ ، ص٣٧).

هنا يأتي دور مفهوم لم يدخله في دراسته للمقصدية إلا بعد تخطيط نظريته للفعل الكلامي، ووسَّعه في دراسة حول أنطولوجيا وقائع اجتماعية. إنه مفهوم (تصور) الخلفية[٢٦] (background). ويفهم تحت > خلفية< مركبًا من قدرات عقلية- يقول سيرل كذلك > القدرة<، >والميول<، تكون خصوصيتها في تمكين المقصدية والتمثيل، ولكنها ذاتها لا تكون مقصدية ولا تمثيلية، هذه القدرات تفسر فهمنا اللغوي دون أن تكون هي ذاتها لغوية. فيمَ تتجلى قدراتنا الخلفية يعرضه سيرل بمثال دلالي[٢٧]: للكلمة schneiden (يقطع) معنى حرفي مدون في المعجم، ولكن لا يغير شيئًا أن نفهم schneiden في استعمالات مثل، >يقص الشعر<، و>يقطع الحلوى< و>يقص الحشائش< على نحو آخر ، لأن شروط صدق الجمل تتغير برغم المعنى الحرفي الباقي بشكل ثابت . فمعنى جملة ما يظل ناقص التحديد بشكل جذري[٢٨]، وتوجد القدرات غير الدلالية لخلفيتنا التي تتيح أساسًا تحديدًا دلاليًا للجمل.

ولكن كيف يمكن أن نتصور الربط بين قدرات خلفية فردية وأنظمة قاعدية مؤسساتية؟ يمكن أن تستجيب الخلفية للأنظمة القاعدية بشكل حاد سببيًا دون أن تمثل هذه الأنظمة القاعدية في الوقت نفسه[٢٩]. وعلى هذا

---

(٢٦) «لتفسير كيف يمكن أن نستند إلى أبنية قاعدية، مثل اللغة والملكية والمال والزواج... إلخ في حالات، لا نعرف فيها القواعد، ولا نتبعها بوعي أو بدون وعي، يجب أن أرجع إلى المفهوم ، الذي ذكرته في موضع آخر، >الخلفية<». سيرل ١٩٩٧ ، ص١٣٨ (بالإنجليزية ١٩٩٥ ، ص١٢٩).

(٢٧) سيرل ١٩٩٧ ، ص١٤٢ .

(٢٨) سيرل ١٩٩٧ ، ص١٤٢ .

(٢٩) سيرل ١٩٩٧ ، ص١٥١ .

النحو يمكن أن تنعكس أنظمة قاعدية مؤسساتية في الأفراد. ويتطور بشكل متزايد في التعامل مع المؤسسات تواز بين مؤسسة اجتماعية وميل (نزعة) (فردية)، ويطور الأفراد >مهارات وقدرات، تكون كما يقال/ مكافئة وظيفيًا لنظام القواعد، دون أن تتضمن حقيقةً أية تمثيلات أو أوجه تذويت لهذه القواعد< (٣٠).

٧٣

ومع ذلك تؤدي القواعد دورًا جوهريًا في تفسير السلوك ، إذ إن الميول والقدرات التي اكتُسِبت، تلفت النظر لذلك تحديدًا على هذا النحو، وليس على نحو آخر، لأنها تطابق القواعد. هي في الواقع أنظمة قاعدية موجودة، >تظهر في القدرات الفردية<» وحتى تبرز هذه العلاقة للسلوك بالقواعد التي توفر عبر الخلفية يستبعد سيرل أيضًا طريقة الكلام، التي تصرفنا فيها ، كأننا نتبع قواعد.

نستطيع إذن أن نؤيد مرة أخرى افتراض رباط مشترك بين سوسير، وتشومسكي، وسيرل: سواء أتعلق الأمر بفصل سيرل بين الفعل والإنجاز أو بتفريقه بين نظام قاعدي مؤسسي وميول فرضية: ففي كل حال يُقسَّم ما له أهمية في خاصيتنا اللغوية إلى أحد هذين التسجيلين. ويعد هذا التقسيم غير متناسق، بل يتعلق ما يجب أن يفعل بالإنجاز والميول الفردية، بما يمكن أن يوصف بفعل وآلة قاعدية. ويعني تفسير منطوق بأنه إنجاز فعل كلامي قياسَ هذا المنطوق بمعيار الشروط الضرورية والكافية للأفعال الكلامية. ويعني تفسير السلوك الكلامي الفردي وصفَ ميول متكلمين فرادي بالنسبة لصياغتها من خلال أنظمة قاعدية اجتماعية. فالنظام القاعدة يقتضي الإنجاز والسلوك ، ولكن لا يصح العكس.

---

(٣٠) سيرل ١٩٩٧ ، ص١٥٢ . (بالإنجليزية ١٩٩٥ ، ص١٤٢).



٥- يورجن هابرماس

أسس براجماتية شاملة (كلية) للاتصال

٥- يورجن هابرماس

أسس براجماتية شاملة (كلية) للاتصال(*)

>تشير العقلانية الملازمة للواقع اليومي الاتصالي إلى واقع حجاجي بوصفه مثالاً مرجعيًا< (١).

١- الاتصال والعقل: علاقة تكوين

٧٤ / أُلهِمت تصورات لغوية براجماتية من فكرة أن الكلام فعل. وترجع خصوصية تصور اللغة والاتصال ليورجن هابرماس إلى بيان أن ما هو مميز في علاقة الفعل باللغة يكمن في أنه لا يمكن أن يُفعَل باللغة فقط ، بل يمكن أن يُقطَع أيضًا بالفعل الكلامي. فاللغة وسيط يتيح إنجاز فعل وإعفاءه في الوقت نفسه، حيث تهيئ شكلين للاستعمال اللغوي: الاتصال اليومي، والخطاب الذي نستطيع أن نتخلص فيه ومن خلاله من أوجه سوء الفهم، والاشتباك ، والإكراه ، التي تخص حدث الاتصال.

وحيث يُتكلَّم دائمًا تُوجَد من خلال إمكانية انتقال من الاتصال إلى الخطاب إمكانية أن الآخر والآنا يمكن أن يؤثرا بعضهما في بعض تأثيرًا لا يقوم على القوة أو المال، بل على حجج تعلل بها الدعاوي، ولكنها يمكن

(*) هذا هو الفصل الخامس ،وهو بعنوان "Universalpragmatishe Grundlagen der Kommunikation" ليورجن هابرماس، من كتاب زيبيله كريمر: (Sprache, Sprechakt, Kommunikation) «اللغة والفعل الكلامي والاتصال» الذي نشرته دار النشر سور كامب سنة ٢٠٠١م.

(١) هابرماس ١٩٨١ ، جـ ٢ ، ص٣٧ .

أن تُرفَض أيضًا. وحيث لا يمارس تأثير من خلال السلطة، بل من خلال أسباب، فإن نجاح هذا النوع من الممارسة يصير متعلقًا أيضًا بمقدار العقلانية التي تُستعَمل في استراتيجيات التعليل. ولذلك يعد الاتصال خلية تفاعل اجتماعي، وليس مبدأ بنيته القوة، بل العقل، وبذلك يصير الاتصال فعلاً تربط شروط نجاحه بشروط، يصير العقل في إطارها مؤثراً . بيد أن العقل يعني هنا: / إمكان الوصول إلى إجماع، لا يقوم على إكراه نفسي أو ٧٥ اقتصادي، بل فقط على إكراه (جبر)، ينطلق من قوة الحجة الأفضل. وهكذا لا تؤدي ، >علة الإجماع< التي صارت مؤثرة في نظرية الفعل الاتصالي إلى إنكار اختلاف الرأي في الاتصال اليومي، بل على العكس: لأن أوجه سوء الفهم واختلافات الرأي والنزاع تطبع اتصالنا فإنه تصير حالةُ أن اللغة، واللغة وحدها تهيئ أداةً إمكان الوصول إلى اتفاق دون استعمال القوة في حالة نزاع، حالةً جوهرية.

نحن ننظم هابرماس هنا في سلسلة من أولئك المؤلفين ، الذين على اقتناع، >بالتميز العقلي< للغة، ويشير هذا المختصر المقتضب لنهجه إلى أي استعمال لهابرماس يضفي على هذا، >التميز العقلي<. فالاستعمال اللغوي لا يمكن أن يعاد بناؤه بشكل عقلاني فحسب، بل إن ينتج العقلانية والعقل أنفسهما.

يتبع هابرماس في إعادة بنائه للاستعمال اللغوي بدايةً النهج الخاص بنظرية الكفاءة الذي اتخذه تشومسكي ، والنهج الخاص بنظرية الفعل الكلامي الذي حدده سيرل. بيد أن هذا البناء الخالف يسوقه إلى نقطة،

يتضح فيها لماذا يؤدي إعادة البناء العقلية للاتصال إلى كشف تكوين العقلانية من خلال الاتصال. إنه هذا الإنجاز التكويني الذي يفترق من خلاله نهج هابرماس الخاص ببراجماتية شاملة عن مفكرين لغويين آخرين متمركزين على العقل، والذي يربطه في الوقت نفسه بنهج أبل الخاص ببراجماتية التعالي. حتى حين رَغب هابرماس في عدم وصف أفكاره بالمحمول، > متعالية <[٢]، فإنه يتفق مع كارل- أوتو أبل في أن الاتصال لا يقدم فقط شرط إمكانية البناء الموضوعي والذاتي والاجتماعي ، بل _ وهذا يجعل النظرية اللغوية مجديةً على هذا النحو من ناحية فلسفية- شرط إمكانية البناء العقلي . وهكذا يعني فهم نظرية الاتصال لهابرماس التحقق من مسألة لماذا تعد المعقولية فرضًا سابقًا للكلام لا يُتجنَّب، وبذلك يُكوَّن من خلال الاستعمال اللغوي.

٢- حول منهج إعادة البناء العقلي

/ وصف هابرماس منهجه «بإعادة البناء العقلي»[٣] .ويمكن في نطاق ٧٦ هذا النهج الخاص بإعادة البناء أن يتضح بجلاء ماذا يربط هابرماس بتشومسكي. هذا الربط هو افتراض أنه في المقدرة اللغوية يُعبَّر عن معرفة ضمنية يمكن أن تُوضَّح بوصفها نظامًا قاعديًا توليديًا، بحيث يمكن أن تُستخَدم هذه القواعد في الوقت نفسه تفسيرا لسلوك المتكلمين. ويمكن هنا إبراز سمات أربع لهذا السلوك[٤]:

(٢) هابرماس ١٩٨٤ (ماذا تعني براجماتية شاملة؟) ص ٣٨٠ وما بعدها.

(٣) هابرماس ١٩٨٤ (ماذا تعني براجماتية شاملة؟) ص ٣٦٣ وما بعدها.

(٤) هابرماس ١٩٨٤ (ماذا تعني براجماتية شاملة؟) ص ٣٦٣ وما بعدها.

- **توجه إلى البنية العميقة.** يعني الكلام استعمال رموز. ويمكن أن يقع وصف معطيات رمزية وإيضاحها بالنسبة لهابرماس من ناحيتين: فمن ناحية يمكن أن نستند إلى فهم معنى الرموز ومضمونها، ونتبع إذن > موقفًا موجهًا إلى أبنية سطحية<[٥]، مثلاً ، حيث نربط بنية سطحية غير مفهومة لنا ببنية معروفة لنا من قبل ، أي نعيد صياغتها، ومن ناحية أخرى يمكن أن نستنتج معنى أبنية رمزية بمساعدة قواعد، تُنتَج وفقًا لها. وفي هذه الحال يجب أن>.... ننظر من خلال سطح البنية الرمزية إلى داخلها<[٦]، بحيث ترى بنيتها العميقة في شكل قواعد توليد. إن هابرماس يفهم البنية العميقة على أنها آلية توليدية، تستلزم الظواهر السطحية. وهكذا لا يتفكر في هذا، > الاستلزام< وفق نموذج كانط لتكوين المعرفة، بل وفق توليد المنطوقات، أي ـ كما أكد هابرماس بالذات- وفق >نموذج البنية العميقة والبنية السطحية<.

- **توجه إلى الكفاءة.** لهذه البنية العميقة شكل قواعد، يجب أن يتملك ناصيتها حتى يمكن التواصل. ويعادل امتلاك هذه القواعد الكفاءة الاتصالية للمتكلمين. فهي المقدرة ، وهي المعرفة الضمنية والمهارة العملية.
٧٦ / ومهمة نهج إعادة البناء أن يعاد بناء هذه المعرفة >ما قبل النظرية< بشكل منظم[٧]. هذا الوعي القاعدي الضمني هو، >معرفة كيف<[٨] الذي يعد

---

(٥) هابرماس ١٩٨٤ (ماذا تعني براجماتية شاملة؟) ص ٣٦٧ وما بعدها.

(٦) هابرماس ١٩٨٤ (ماذا تعني براجماتية شاملة؟) ص ٣٦٧ وما بعدها.

(٧) هابرماس ١٩٨٤ (ماذا تعني براجماتية شاملة؟) ص ٣٦٣ وما بعدها.

(٨) هابرماس ١٩٨٤ (ماذا تعني براجماتية شاملة؟) ص ٣٦٨ وما بعدها.

معرفة موضحة بما يُوصَف. ولم تعد هذه القواعد النحوية لتوليد جمل، بل القواعـد البراجمـاتية الشـاملة ، التي تُحولّ جمل وفـقًا لهـا إلى منطوقات وتُستخدَم .

ج - **الجوهرية** [*] لا يجوز أن يُساء فهم الاستناد إلى قواعد التوليد بشكل آلي بمـفـهـوم ، >كـمـا لو< بشكل مـجـرد، بل يدور مع >دعـوى الجوهرية<[٩]. ويجب أن تطابق بدقـة المعرفـة ما قـبل النظرية التي توضح إعادة بناء عـقلي، حين تكون إعادة البناء هذه صـادقة، القـواعدَ التي تكون مؤثراً عمليًا في مـجال الموضوع، أي تحدد حقيقة توليـد أبنية سطحية [١٠]. وعلى هذا النحو يعد هابرماس في هذا الموضع أن اسـتنتاج تشومسكي، أن النحو الشامل يمثل عـقليا لدى المتكلم، منطقي فقط ، فهـو يرغب هو نفسه في واقع الأمـر أن تفـهم الكفـاءة الاتصاليـة على أنهـا نتـيـجة لعـمليـات تعلم[١١].

د- **دعوى الشمـوليـة (الكليـة)**. إن المعرفـة المعاد بناؤها ذات طبيـعة عامـة، هي مقدرة شـاملة (كلية) [١٢] ، لا تُعزَى إلى جـماعات مـفردة ولا أفراد فـرادي ، بل هي «كفاءة نوعـية» [١٣] ونتيجـة لهذه الشموليـة يقترب التفسير من خلال إعادة البناء من قوة التفسير لنظرية عامة.

(*) يعني مصطلح Essentialismus الجوهرية أو الماهيوية، ويخـص نظرية تقدم الماهية أو الجوهر على الوجود (فهي بذلك نقيض الوجودية).

(٩) هابرماس ١٩٨٤ (ماذا تعني براجماتية شاملة؟) ص ٣٧٣ .

(١٠) هابرماس ١٩٨٤ (ماذا تعني براجماتية شاملة؟) ص ٣٧٣ .

(١١) هابرماس ١٩٨٤ (ماذا تعني براجماتية شاملة؟) ص ٣٧٣، ص ٣٧٨ .

(١٢) هابرماس ١٩٨٤ (ماذا تعني براجماتية شاملة؟) ص ٣٧٠ .

(١٣) هابرماس ١٩٨٤ (ماذا تعني براجماتية شاملة؟) ص ٣٧٣ .

إن هذا البرنامج البحثي ، الذي يدور فيه حول > نظرية للكفاءة الاتصالية<، الذي >مهمته إعادة بناء النظام القاعدي ، الذي تنتج أو نولد وفقا له أساسًا مواقف كلام ممكن<[١٤] (الإبراز من ز . ك) يطلق عليه هابرماس >براجماتية شاملة (كلية)<. ويمكن أن يبرز التوجه إلى الأبنية العميقة، والكفاءة،/ ودعوى الجوهرية والشمولية أوجهَ الامتزاج المنهجية التي تربط البراجماتية الشمولية لها برماس بنظرية تشومسكي النحوية[١٥]. ٧٨

٣- براجماتية شاملة (كلية)

إن الأمر إذن لا يتعلق ببساطة باللغة، بل >بكلام ممكن<.

فالكلام يكون حيث تصير الجمل وسيلة لفعل اجتماعي . ولكن ـ وهذه هي النقطة المحورية- استعمال جمل في نطاق علاقة بين الآخر والآنا هو فعل، لا نستطيع أن نصفه بشكل مناسب بمساعدة فعل ذي غرض عقلي ، يتوخى فيه المتكلمون >حساب نجاح ذاتي< [١٦] .في الواقع يوجد هذا الشكل، >لفعل استراتيجي< في الكلام، بل هو شكل مستنبط في مقابل الفعل الاتصالي، شكل >طفيلي< [١٧] فالفعل الاتصالي يجسد على نقيض ما سبق >الصيغة الأصلية< [١٨] للفعل، يتم فيه في وسيط اللغة تفاعل اجتماعي. ويعد هذا الذي يسبب هذا النوع من الفعل الكلامي

---

(١٤) هابرماس ١٩٨١ ، ص١٠٢ .

(١٥) هذا ما يراه هابرماس أيضًا : ١٩٨٤ (ماذا تعني براجماتية شاملة؟) ص٣٧٠ .

(١٦) هابرماس ١٩٨١ ، جـ ١ ، ص ٣٨٥ وما بعدها.

(١٧) هابرماس ١٩٨١ ، جـ ١ ، ص٣٨٨ .

(١٨) هابرماس ١٩٨١ ، جـ ١ ، ص٣٨٨ .

اتفـاقًـا. وهكذا يكون الفـعل الاتصـالي فـعلَ تـفاهـم، ويكون إطار بحث براجـماتـي شامل واضـحًـا: إن الأمر لا يتـعلق بالكـلام بشكل مطلق، بل بصيـغة للكـلام، قائمة عـلى التفـاهم. ومن خلال هذه الخـاصية تـقدم في الوقت نفسه، >المظهر الأصل< لفعل اجتماعي.

وبذلك يتمـيز السؤال، مـا الذي تحاول البراجـماتية الشـاملة أن تقدم إجابة عنه: كيف يمكن أن يُتخذ تأثير في آخرين بوسائل لغوية فقط، بحيث إننا يمكننا _ وذلك في مـواقف خلافـية أن ننشئ تفـاهمًا (اتفـاقًا) ؟ كـيف يمكن أن نندمج اجـتمـاعـيًا، برغم أننا لا نـعمل إلا بشكل رمـزي ؟ - في الحـقيـقة- هذا مـا يوضحـه هابرمـاس في نقاشـه مع ميـد(١٩) -ليس كل استعـمال رمزي مناسبًا لأن يصيـر وسيط فعل تفاهم./ إنها اللغـة المختلفة ٧٩ قـضويًا، وفـقط اللغة الـتي تمكننا من هذا الوسـيط. وهكذا يجب أن نلحظ ماذا يحدث بالجمل ما دامت تستـخدم وسائل لفعل التفاهم، وبشكل أدق: يجب أن نبـحث فيمَ يكمن تحويل جملة صـحيحـة نحويًا إلى منـطوقات موفقة اتصـاليًا، كيف وفيمَ يتجاوز المنطوق الجـملة؟ تنص إجابة هابرماس على أن فـضـل المنطوقـات على الجــمل يرجع إلى أنهـا تجـسـد دعـاوي الصـلاحيـة. (*) ونريد إذن أن نتـجه إلـى بُعد الصـلاحـية (السـريان) هذا للكلام. وينبغي لذلك أن تقدم لنا الجمل النواة الثلاثة الأدلة.

(*) يقابل مصطلح "Geltung" مصطلح "Validity" (في الإنجليزية). وله عدة معان، منها شرعية ، وصحة، وسريان مفعول، وصلاحية.

(١٩) هابرماس ١٩٨١ ، جـ ٢ ، ص١١ وما بعدها.

٣-١ الجملة النواة ١ : كل منطوق يشير إلى بنية مزدوجة قضوية - أدائية

للمنطوقات في الأساس بنية مزدوجة [٢٠] : يمكن أن يفترق معها بُعد المضمون عن بُعد العلاقة. ومن خلال منطوق ما يتحرك المتكلمون والسامعون في الوقت نفسه على مستويين. فعلى مستوى الذاتية الداخلية تنشأ علاقة قائمة على تفاهم بين الآخر والآنا، وعلى مستوى الموضوعات يدور الأمر حول ما يتفاهم عليه المتكلمون والسامعون. وتطابق هذه الثنائية لجانب العلاقة وجانب المضمون الشكل المعياري لفعل كلامي، الذي حلله سيرل في إثر أوستن، الذي يتركب من جزء قضوي وجزء إنجازي. ويفيد فقط الحديث عن هذا الجانب المزدوج ـ يتبع هابرماس سيرل في ذلك أيضًا- لأن الجزء القضوي والجزء الإنجازي يمكن أن يُفككا : فيمكن أن يستخدم مضمون غير متغير في صيغ إنجازية مختلفة. ومع ذلك يُعنَى هابرماس أكثر من سيرل بحالة أنه يعبر في البنية المزدوجة عن انعكاسية ملازمة للفعل الكلامي ذاته: لا يُنجَز تواصل مضمون ما في الوقت نفسه مع (ما وراء) تواصل عبر مغزى استخدام هذا المضمون. وترجع خصوصية البنية الرمزية لمنطوق ما بدقة إلى هذا الازدواج في المنظور من خلال خصوصية ذاتية، يربط بمقتضاها موقفان متباينان، موقف موضوعي، متعلق بالموضوع وموقف ذاتي ، متعلق بالشخص / بكل إخبار لغوي عادي . ٨٠

(٢٠) حول ذلك: هابرماس ١٩٧١ ، ص١٠٤ وما بعدها ، ١٩٨٤ (ماذا تعني براجماتية شاملة؟) ص ٤٠٤ وما بعدها.

إنهـا >آليـة< هذا المنظـور المزودج ، التي تهـيئ نـهـجًـا، تُحل مـن خـلاله مـشكلات التفـاهم، التي تنشـأ في الكلام، من خـلال الكلام وحده أيضًـا، وهكذا فما يميـز اللغة ليس للشروع في منظور معين، بل ليتـيح التبادل بين منظور مـوضوعي ومنظور عـلاقي< . ومن خـلال هذا التبـادل في المنظور المستكن في بنية الفـعل الكلام يُركَب في اللغة> نهج عقلي<، ومن خلالها يُهيأ إمكان الاستجابة لمواقف اختلاف الرأي دون استعمال الإلزام.

٣-٢ الجملة النواة ٢: كل من منطوق يظهر بدقة أربع دعاوي صلاحية

نريد الآن أن نتـجـه بشكل أدق إلى الجـزء الإنجـازي للكلام، حـيث يظهر في ذلك فـيمَ يكمن تحويل جملة إلى منطوق. وعلى نحـو مخالف لما هو مع جمـلة غير مـحددة مـوقفيًـا، تُربَط بمنطوق مـحدد موقـفيًـا دعاوي صلاحية شاملة. وكون دعوى ما يبديهـا المتكلم، يقبلها المستمع أو يرفضها أيضًـا يعـد الشكل الأساسـي الملازم لخاصيـتنا اللغـوية الخاص بـالعلاقـة الاجتماعية بينهما. وبذلك يصير المنطوق النبع المتفجر لعلاقة اجتماعية.

ويفرق هابرماس بين أربع دعـاوي صلاحية- وهي تُبـدَي بلا استثناء مع كل منطوق [٢١]: إنهـا دعـوى التـفـاهم ، ودعـوى الصـدق، ودعـوى السلامـة، ودعوى الإخـلاص. ويستنبط هابرمـاس هذه الرباعيـة من أربعة

---

(٢١) هابرماس ١٩٨٤ (ماذا تعني براجماتية شاملة؟) ص ,٤٢٨

أقسام لأفعال الكلام [٢٢]: القسم الأول هو التواصليات >Kommunikativa< (يعبر عن، ويتكلم ، ويعارض) ، التي تقع دعوى صلاحية (سريان) التفاهم التي تؤدي على نحو لغوي داخلي تمامًا. وتعد من القسم الثاني التقريريات، >Konstativa < (يصف، ويخبر، ويشرح، ويتبنأ) ، التي تعبر عن الاستعمال الإدراكي للجمل . ودعوى الصلاحية التي تتبعها هي دعوى الصدق. والقسم الثالث هو التمثيلات أو التعبيرات < Expressiva > (يتمنى ، ويأمل، ويوحي)،/ التي يعرض بها المتكلم ٨١ مقاصدَه، مواقفَه على السامع، وهي تقع تحت دعوى صلاحية الإخلاص، أي يجب أن يعبر عما يقصده المتكلم، والقسم الأخير هي التنظيمات < Regulative > (يعتذر، ويأمر، ويحذر) الذي يستند المتكلمون معها إلى معايير اجتماعية، وتتعلق دعوى الصلاحية>السلامة < بالتوقعات المرتبطة بذلك المقر بها اجتماعيًا.

وتتوافق نظامية دعاوي الصلاحية هذه بأنظمة مختلفة غير لغوية ، فدعاوى الصلاحية للصدق والإخلاص والسلامة تُضمَّن جملة ما في ثلاثة أنظمة للعالم : في العالم (الموضوعي) الخارجي المعروض، وفي العالم الداخلي (الذاتي) المعبر عنه، وفي العالم الاجتماعي المنشأ. ويتضمن إنجاز فعل كلامي فضلاً عن ذلك التزامات من جانب المتكلم. وعلى هذا النحو يُربَط بأفعال كلام إثباتية التزام التعليل، وبأفعال كلام تنظيمية التزام تسويغ،

(٢٢) طُوِّرت للمرة الأولى في ١٩٧١ ، جـ ١، ص١١١ وما بعدها، وأيضًا : ١٩٨٤ (ماذا تعني براجماتية شاملة؟) ص٣٨٦، وما بعدها، ١٩٨١ ، جـ ١، ص٣٩٧ وما بعدها.

ولكن بأفعال كلام تعبيرية التزام برهان (اختبار). وتوضح أوجه الإلزام هذه أن السامع الذي يقبل عرض متكلم. يفعل هذا على ثقة من أن المتكلم- إذا اقتضى الأمر- سوف يسلك على نحو ما يطابق الالتزامات المتعهد بها في الفعل الكلامي. >وهكذا تكمن القوة الإنجازية لفعل كلامي مقبول في أنها يمكن أن تحرك سامعًا إلى أن يطمئن إلى التزامات المتكلم المميزة للفعل الكلامي< [٢٣] .ولكن ماذا يضمن للسامع أن المتكلم سوف يلتزم حقيقة؟ وهكذا هل يعد سؤال ما منجزًا، إذا وقعت إجابة مرضية، وهل يبدي زعمًا، إذا ما ثبت أنه خطأ؟ ماذا يحفز السامع لأن يقبل عرض المتكلم، وأن يقر بذلك دعوى صلاحيته؟

وبهذه الأسئلة يُمَس المفصل في نهج براجماتي شامل لهابرماس . أما ما يَهُم هابرماس فهو أن هذا الحفز لأن يقر الآخرين بدعواه، لا يجوز أن يقوم على جاذبية، على إيحاء، على سيطرة وقوة نهائيًا، بل على ما يمكن أن يتُكلَّم عنه فقط، فلهذا أساس عقلي . يتحدث هابرماس عن >خاصية إدراكية< لدعاوي الصلاحية هذه، / ويقصد بذلك أنها متاحة ٨٢ لاختبار [٢٤] ويكون تأثير متبادل بين الآخر والآنا من خلال الكلام وفيه ممكنًا بدقة، لأن دعاوى الصلاحية التي تظهرهما، يمكن أن تُختبَر أيضًا: يمكن أن يُقرَّر عقليًا أساسًا هل تُرفَع بحق أو بدون حق. وهكذا فليس رفع (إظهار) دعوى صلاحية أساسًا، بل ما طبيعة النهج الذي يؤدي إلى إقرار فرضها أو رفضه، هو محور نظرية الفعل الكلامي البراجماتية الشاملة، ويعين شخصيتها المميزة . نريد إذن أن نتجه إلى هذا النهج.

(٢٣) هابرماس ١٩٨٤ (ماذا تعني براجماتية شاملة؟) ص ٤٣٢ .

(٢٤) هابرماس ١٩٨٤ (ماذا تعني براجماتية شاملة؟) ص ٤٣٣ .

٣-٣ الجملة النواة ٣ : في حالات الخلاف يمكن أن يحرر البعد الفعلي للكلام في الخطاب

كل منطوق ، يعد فعلاً كلاميًا، يظهر في الوقت نفسه كل دعاوى الصلاحية الأربعة، وكذلك حين لا يصرح إلا بدعوى من دعاوى الصلاحية هذه في الشكل اللغوي (الإثباتي (التقريري) ، والتمثيلي (التعبيري) ، والتنظيمي) .ومظهر ذلك أنه بناءً على كل منطوق يمكن للسامع أن يطرح أربعة أنواع من الأسئلة : يمكنه أن يستند إلى مفهومية الألفاظ المستخدمة: مثلاً> ماذا يعني هذا<؟ ويمكنه أن يضع صدق المحتوى القضوي موضعَ تساؤل: مثلاً > هل يمضي الأمر على هذا النحو؟ < ، ويمكنه أن يجعل التزامَ مقابله موضعَ شك: مثلاً >هل تخذلني ؟<، ويمكنه أخيراً أن يجعل المعايير التي تعد أساسًا لفعل كلامي ، تصير مشكلة: مثلاً، >لماذا فعلت هذا ؟< [٢٥].

إن الاتصال متضمن في أساليب مبلغة في الحياة اليومية ، حادث عادة على نحو غير خلافي بدرجة أكثر أو أقل، وحين يُطرَح سؤال، فإنه يُنجَز بسرعة غالبًا، وما نفعله بكلام أو بدون كلام يتواصل دون انقطاع.

ولكن توجد مواقف اختلاف، ليس من السهل أن تُسوَّى : هذه هي الحال حين > يُخَل بعمل لعب لغوي ، ويُزعزَع اتفاق في الخلفية < [٢٦]. في هذا الموقف يوجد تسويغ لدعاوى الصلاحية ذاتها، التي تُوضَع موضع

---

(٢٥) هابرماس ١٩٨٤ (نظريات الصدق)، ص١٣٨ .

(٢٦) هابرماس ١٩٨٤ (نظريات الصدق)، ص١٣٨ .

تساؤل. كيف/ نتـعامل مع هذا الموقف؟ يمكننا هنا أن نفيد مما يكون التـميز ٨٣ الوحيد للغة في مـقابل كل النتاجات الرمزية الأخرى: أنها تسـتخدم أداتيًا وتأمليًا فـي الوقت نفسه، أي يمكن أن تعـمل داخل أنظمة رمـزية مخـتلفة. وتثـبت البنيـة المزدوجة القـضوية- الأدائـية من هذه السـمـة للغة. ويبـسط هابرماس تفريقًا متوافـقًا مع هذه البنية المزدوجة للفعل الكلامي : تلك التي بين >فعل اتصالي< و>خطاب< .فالفـعل الاتصالي مرتبط بسـياقات غـير لغوية، ويُنجَز في >ألعاب لغوية متكيفة، ومكفولة معياريًا<[٢٧] . وتشارك هنا- أيضًا تعبيرات الوجـه ، وحركات اليدين والصمت في الكلام. وعلى العكس من ذلك تُحيَّـد في الخطاب السياقـات غير اللغـوية. وبتعبـير أدق: يحرر (يسـتبعـد) البعد الفـعلي المغير للعـالم في الفعل الاتصـالي ، بحيث يمكن أن تصير دعاوي الصلاحيـة الإشكالية ذاتها هي الموضوع. فالخطابات تقطع علاقة التـفاعل العادية، وتجعل ضرورات الفعل واقـعية (ممكنة)[٢٨]. الضـرورة الوحيـدة التي تصيـر مؤثرة هنا أيضًـا هي الضرورة غـير الملـزمة لأفضل حجة[٢٩].

ويصير الخطاب سـاحة قضاء للاتصال. هذا القيـاس بأحكام القضاء ليس مناسبًا بأية حـال من الأحوال، وقد أكد هابرماس نـفسه أننا يمكننا أن نوضح مـا دعوى الصـلاحـية من خـلال نموذج دعـوى قانونيـة[٣٠] ومثل

(٢٧) هابرماس ١٩٧١، ص ١١٥ .

(٢٨) حول ذلك: بوسنر ١٩٧٤ .

(٢٩) هابرماس ١٩٨٤ (نظريات الصدق)، ص١٦١ .

(٣٠) هابرماس ١٩٨٤ (نظريات الصدق)، ص١٢٩ .

الدعاوى القضائية يمكن أن ترفع دعوى صـلاحية، وأن يُختلَف حولها وأن يدافع عنها، وأن ترفض، ومثل الدعـاوي القضائية نسمى دعـوى صلاحية، يقوم الاعتراف بها على وجود سبب كاف، >صحيحة<، أي نقول أنه محق (في دعواه). وكمـا تمثل المحكمة في الخلافات القضـائية، يمثل الخطاب في الخلافات الكلامية، > مكانًا علنيًا < إن أراد المرء ذلك ، يُستخدَم للإيضاح الحجاجي للخلافات، وأخيراً، كما يجب أن يعرض في الخلافات القضائية أن المتنازعين يعدون، >ذواتًا رشيدة< [٣١] ، تعرف مـاذا تفعل/ ، ويمكنهم ٨٤ في الوقت نفسه أن يضطلعوا بمسؤولية مـا يفعلون. سوف نعود مرة أخرى إلى الصياغة القانونية للعلاقة بين شركاء الحديث.

ويكفي في هـذا الموضع، حين يمكن أن يتـحـقـق من ذلك أن الوفـاء الخطابي بدعاوي الصـلاحية لا يسري على نحو صـارم على كل الدعاوي الأربعـة الملازمـة للفـعل الكلامي، بـل على الدعـوى المتـعلقـة بالصـدق، والمتعلقة بالسلامة (الصحة) فقط . فـلا يُبحَث ما إذا كان شخص ما ملتزمًا أم لا، بل لا يمكن أن يثبت (ذلك) إلا في أثناء سير الفعل. ويعد هابرماس أيضًا ما إذا كان تعبير ما مفـهومًا أم لا من شروط الاتصال أكثر من دعاوى الصلاحية التي تظهر في الاتصال ذاته [٣٢].

بيد أنه يسرى على الصدق والسلامة أيضًا أن في حالات شك يكون الخـروج من الفـعل الاتصـالي والدخـول في خطاب ممكنًا . هذا الانتـقـال

---

(٣١) هابرماس ١٩٨٤ (نظريات الصدق)، ص١٢٩ .

(٣٢) هابرماس ١٩٨٤ (نظريات الصدق)، ص١٣٨ .

يحدث من خلال تحرر من كل العناصر غير اللغوية للاتصال، وكذلك كل العلاقـات بالعالم غيـر اللغوية، التي يُعد منهـا الرجوعَ إلى الخبـرات . وما يبقى هو الجـدل (الحجاج) ، ولا شيء مثل الجـدل. ويفهم تحت، > حجة< تعليل، يحفز على الإقرار بدعـوى صلاحية. [٣٣] ويمكن في ذلك أن يُحاجَ على مراحل مـختلفة، تختلف في درجـة التأمل الذاتي [*] ابتداءً من خلال المعلومات ووجهـات النظر، التي تدعم موقفًا ما أو تدحـضه، ثم من خلال لغة الحـجاج ذاتهـا، التي تُستخـدَم في ذلك، وحين لا يؤدي هذا باستـمرار إلى أي تفاهم. يجب أن ينتقل إلى نقد عام للمعرفة والمعايير، ولا يستهدف الكلام في هذا الخطاب إلا إلى شيء واحـد: إيراد أسـباب، تؤيد شـيئًـا أو تعارضه. ومن ثم يحدث في الخطاب شيء أشبه، > باتصال خالص < وفي هذا النوع من الاتصـال وحده يمكن أن ينشـأ >إجـماع مـعلل<[٣٤] حول مسألة هل ترفع دعـوى صلاحية بحق أو بدون حق. ويفتـرق هذا الإجماع المعلل، أي . > الصادق< عن إجـماع> كاذب< ، من خلال أنه مـع الخاطئ تقـوم الموافقـة على كل الأسبـاب الممكنة، وليس على أسـباب يُدافَع عنهـا بشكل جدلي.

إذن ما يميـز الإجماع بوصـفه هدفًا للفهـم / لدى هابرماس ليس أنه ٨٥ إجـمـاع ولكن كـيف ينشـأ. إن الأمـر يتـعلق بـالنهج ذاته ، أي بخـواص

---

(٣٣) هابرماس ١٩٨٤ (نظريات الصدق)، ص١٦٢.

(*) ربمـا يقـصـد بهـذا المصـطلح Selbstreflexivität مصـطلـح الاسـتبطان Introspektionأي فحص المرء أفكاره، ودوافعه ومشاعره.

(٣٤) هابرماس ١٩٨٤ ، (نظريات الصدق) ، ص, ١٦٠

شكلية.[٣٥] إنها هذه الخواص الشكلية التي تقدم معياراً للتفريق بين إجماع >صادق،< وإجماع< >كاذب<. ولكن هذا الشكل يكمن في إمكانية أخذ ورد، تارة بين اتصال وخطاب، ولكن تارة أخرى بين درجات الخطاب ذاتها المشار إليها فيما سبق [٣٦]. وفي الواقع يوجد شرط أساسي يمكن في إطاره فقط أن نستعمل هذا الشكل: يجب أن نمتلك أيضًا حرية (-الاختيار) لإمكان القيام بهذا التبادل للمستويات والدرجات الاتصالية حقيقةً. ولكن مثل هذا الحرية تقدم حين يتعلق الأمر >بموقف كلامي نموذجي<.

٣-٤ الجملة النواة ٤: في التواصل يجب أن نفعل بشكل مضاد للواقع كما لو وجد موقف كلامي مثالي

موقف كلامي مثالي [٣٧] هو موقف حديث، خالٍ من كل الضرورات غير الحجاجية، ويكفل من خلال ذلك >حرية اختيار مكانه بين مستويات الخطاب< [٣٨] وعلى نحو مغاير لما هو لدى تشومسكي لا يتعلق

---

(٣٥) >تزعم نظرية الإجماع للصدق تفسير الضرورة غير الملزمة لأفضل حجة بوجه مميز من خلال خواص شكلية للخطاب...< (هابرماس ١٩٨٤ (نظريات الصدق)، ص١٦١

(٣٦) >لأن قوة الحجة المستهدفة الإجماع تقوم على أننا يمكن أن نذهب في الغالب ذهابًا وإيابًا بين المستويات المختلفة للخطاب، حتى ينشأ الإجماع<، هابرماس ١٩٨٤ (نظريات الصدق) ، ص١٧٦ .

(٣٧) هابرماس ١٩٧١ ، ص ١٣٦-١٤١ ، ١٩٨٤ (نظريات الصدق) ، ص١٧٤-١٨٣ .

(٣٨) هابرماس ١٩٨٤ (نظريات الصدق) ، ص١٧٧ .

الأمر بالمتكلم المثالي ، بل ببنية مثالية تُقدَّم بدقة، حين توزع فرص إنجاز أفعال كلامية بشكل متناسق بين كل المشاركين في الخطاب. ففي الموقف الكلامي المثالي لدى كل المشاركين الفرصة ذاتها للشروع في أوجه خطاب، والاستمرار فيها بشكل غير محدد، لعرض إشكالية كل دعوى صلاحية وتعليلها ودحضها. وفي الواقع كون المشاركين في الحديث يظنون في ذلك فقط أنهم يتكلمون بعضهم مع بعض بشكل متخفف من الفعل، ولكن هذا لا يوجد حقيقةً على الاطلاق ، لا يُكفَل بعد بإمكانية التبادل هذه في أدوار حوارهم . يجب أن يُوفَّي إضافةً إلى ذلك بشروط أخرى: فالمتكلمون / يجب أن تكون لديهم الفرص ذاتها لأفعال كلامية تعبيرية، أي ألا يخدعوا عبر مقاصدهم أنفسهم ولا الآخرين. ويجب أن تكون لديهم الفرص ذاتها لأفعال كلامية تنظيمية، بحيث تُستبعَد إذن أوجه عدم تناسق اجتماعي ، والتزامات فعلية أحادية الجانب متضمنه فيها.

إنها تسوية مزدوجة ، تقع في الموقف الكلامي المثالي : فمن جهة يتعلق الأمر باستبعاد كل ضرورات الفعل، وبإعاقة كل أشكال الكلام غير الحجاجية في الوقت نفسه. وقد وصف هابرماس ما يجري في هذا التوقف مرة أخرى بـ >فعل اتصالي محض<[٣٩]. ما من شك أن: هابرماس على وعي بأنه _ قياسًا على هذا >النموذج للاتصال المح <يكون الاتصال الحقيقي ناقصًا، ومختلفًا بشكل غير قليل عن هذا المثال:> فكل كلام تطبيقي خاضع سواء من خلال الحدود المكانية والزمانية لعملية الاتصال أو حدود العبء النفسية للمشاركين في الخطاب، لقيود أساسية ، تستبعد

(٣٩) هابرماس ١٩٧١ ، ص ١٣٨ ، ١٩٨٤ (نظريات الصدق)، ص١٧٨ .

وفاءً تامًا بالشـروط المثالية[٤٠] بل أكثر من ذلك: حين نـكون مشاركين في موقف كلامي، لا نستطيع أن نقرر بشكـل إمبريقي مطلقًا، هل نجري خطابًا أو خطابًا صوريًا فقط [٤١]. باختصار: لا يمكن أن تعد مواقف كلامية مثالية أوصافًا لأحـداث كلامية واردة بشكل إمبريـقي . وبمعنى دقيق: إنها لا ترد في الواقع على الإطلاق . ولكن مـا وضع هذه المثاليـة؟ وربما كانت إجـابة طبيـعة: أن مواقف كلامـية مثـالية تشكل معـياراً ، أي تكوين، >للواجب< موجـه إلى قيمـة التفاعل الخـالي من التسلط، يقدم في مـقابل ،> المغزى < مقـياسًا نقـديًا ، باعتبـار أنه يمكن أن يعد سـبقًا مـتوقعًـا إلى مستـقبل ليس حـقـيـقيًـا بعـد، ولكنه ممكـن . ويعني تقـديم هذه الإجـابة وصفَ الموقف الكلامي المثـالي بأنه مبدأ تـنظيمي. ومع ذلك– وهذا أمـر جوهري ـ فهـو بالنسبة لهابرمـاس ليس مبدأ تنظيميًا فقط، بل مبـدأ أساسيًا. ويُؤسس كون الموقف الكلامي ليس مـحض خيال، بل مـزوداً بخيار مـستـقبلي ، وبذلك يمكن أن يعد، >سبقاً< ، / في أنه يصير مؤثراً بشكل عملي مع ذلك في كل ٨٧ فعل كلامي مختلف بشـكل حقيقي عن المثال: >إن الموقف الكلامي المثالي ليس ظاهرةً إمبريقيـة، ولا تركيبًا مجرداً، بل زعمًا يجـري بشكل متبادل لا يُتـجنَّب في أوجـه الخطاب.... هو خـيال مـؤثر بشكل عـملي في عـمليـة الاتصال< [٤٢] (الإبراز من ز . ك).

وهكذا يكون الموقف الكلامي المثالي من هذه الناحية مزوداً بمؤشر ما هو واقعي، وليس فقط بما هو خيالي ، لأنه يصير بوصفه زعمًا بشكل يومي

---

(٤٠) هابرماس ١٩٨٤ (نظريات الصدق) ص ١٧٩ .

(٤١) هابرماس ١٩٨٤ (نظريات الصدق) ، ص١٨٠ .

مؤثرًا في الكلام- وذلك بالتحديد من خلال أننا نظهر دعاوى صلاحية بشكل كلامي ، نفترض سابقًا إمكانية إقرارها العقلي بمفهوم إجماع معلل. فلو لم نزعم إمكانية الإقرار المستقبلية هذه ، لما كان من الممكن أن يُفسَّر شيء آخر، لماذا يحاول البشر أن يؤثر بعضهم في بعض بوجه عام من خلال الكلام، وليس بوسائل القوة والسلطة غير الرمزية. فقط لأن اللغة ذاتها، تمكننا من >وسيلة السلطة< لقطع الفعل الاتصالي مع خلافات كلامية، وإمكان التبادل على مستوى الخطاب ولأنه فقط يمكن أن تتحقق معقولية من خلال هذه الحركة الشكلية للأخذ والرد، ولتبادل المنظور بين هذه المستويات الملازمة للغة، نكتسب بكفاءتنا الكلامية البراجماتية الشاملة في الوقت نفسه كفاءةَ المعقولية. وتصح هذه بوصفها قدرة كلامية، أي مستقلة عن مسألة ما طبيعة الشروط الحقيقية للتعايش في كُلٍّ . فكلما زاد إنجازنا المواقف تبسط فيها >الأبنية الخاصة للغة<، وهذه الأبنية فقط، طاقة صياغية ، زاد امتلاك العقل فرصة. وهذا هو غرض الصياغة البراجماتية الشاملة للتميز العقلي للغة: فمن يتكلم لا يحب أن يكون صائبًا (معقولاً)، بل يستطيع أن يكون صائبًا. وتصير خاصية اللغة شرطًا اللغة شرطًا لإمكان العقل.

٤- استراتيجية البراجماتية الشاملة وتضميناتها

مع نظرة جانبية إلى براجماتية التعالي لكارل _ أوتو أبل

٨٨ / لقد تقصينا نظرية الاتصال البراجماتية الشاملة - في خطوطها الأساسية . وتكون ضد البناء الفكري الذي ينشأ في ذلك اعتراضات كثيرة

ممكنةً، وتُناقَش بشكل أساسي أيضًا. (٤٣) ما يهمنا هنا هو الاستراتيجية المفهومية التي تعد أساسًا لتكوينه وتضميناته أيضًا.

وثمة نظرة جانبية إلى موقف براجماتية التعالي لكارل- أوتو أبل تتحم في هذا الموضع. وعلى الرغم من أن هابرماس وأبل يفترقان في السؤال، هل يكون >تعليل أخير< ممكنًا من خلال تأمل لغوي، فإن ثمة اتفاقًا كبير يتجلى في توقيع نظريتهما للاتصال. وهو يكمن في الموضوع وفي الاستراتيجية التصورية. ففي الموضوع يتعلق الأمر بفرض شكل معياري للاتصال، بنية مزدوجة قضوية - أدائية، وبأساس صلاحية الكلام الذي يمكن أن يفترق إلى أربع دعاوي ، الذي يقتضي ويكفل بالنسبة لها برماس وأبل أيضًا الإنجازَ العقلي الملازم للاستعمال اللغوي . وفي الاستراتيجية التصورية لا يتعلق الأمر ببساطة بالنقلة المشتركة بين المفكرين إلى مذهب التعالي (*) التي تكمن في تمييز خاصيتنا اللغوية بأنها أفعال تكوينية للعقل، بل بمسألة كيف تُعلَّل هذه النقلة. ومحور هذا التعليل هو المثالية، لدى هابرماس في شكل الموقف الكلامي المثالي ، الذي يُفتَرض سابقًا في كل كلام، ولدى أبل في السبق إلى جماعة الاتصال المثالية، باعتبار أن تمثيلاتها ننتهجها باستمرار في التواصل الحقيقي.

---

(٤٢) هابرماس ١٩٨٤ (نظريات الصدق) ، ص١٨٠ .

(٤٣) مثل تومبسون / هيلد ١٩٨٢ .

(*) يقصد هنا مصطلح Tranzendalalismus ، ويترجم أيضًا إلى الفلسفة المتعالية، أي كل فلسفة تقول بأن اكتشاف الحقيقة يتم بدراسة عمليات الفكر، لا من طريق الخبرة أو التجربة.

ما الوضع المفهومي الذي يُعزَى لهذه المثالية؟ [٤٤] هذه المثالية هي وجوب يمكن أن يُثبَت في الوقت نفسه بأن وجود. وهكذا من المهم هو مضمون واقعية المثالية. توجد علاقة عادية للغاية بين مثالي / وواقعي . ٨٩ وهذه هي الحال، حين نستخدم ما هو مثالي معياراً (نقديًا). مثل هذا المعيار يجب أن يكون موجوداً على نحو ما، حتى يمكن أن نوظفه حتى يمكن أن نقيس به عملية، >واقعية<. فالفرق بين >مثالي< و >واقعي< هو إذن الفرق بين ما نستخدمه معياراً، وما يُقاس بذلك. ولكن هذا لا يصدق على معنى ذلك النوع من الوجود الذي يُعزَى إلى الموقف الكلامي المثالي أو جماعة الاتصال. ويجب أن تكون معايير، على أية حال أن تشكل وأن تقرر. أما أوجه المثالية البراجماتية الشاملة على عكس ذلك فهي ليست تكوينية، بل تأسيسية. فهي لا تُبتَدع، بل يُعثَر عليها . ويعني> أن يُعثَر عليها< أن المثالية لا تصير مؤثرة من خلال أن الكلام والتواصل يحكم عليهما من خلال منظور الملاحظة، وبناءً على قيمة حال لم توجد بعد. بل إن هذه الحال المثالية زعم، ننجزه بشكل واقعي ما دمنا ندخل في حوار.

ولكن ما هو بالتحديد ما يزعم في ذلك؟ يُزعَم أن المشاركين في الاتصال لديهم معرفة بشموليات (كليات) براجماتية، [*] بمقتضاها يمكن

(٤٤) البرشت فيلمر ١٩٩٢، ص١٥٩ وما بعدها ناقش في سياق مفهوم الصدق فكرة، >المثالية الضرورية <ومناقشةً نقدية، وأثبت على هابرماس وأبل تفسير خاطئًا موضوعيًا للمثالية، في حين أنه هو نفس يدافع عن صياغة أضعف للمثالية ، تؤول إلى >تفسير أدائي< .

(*) يقصد هنا مصطلح pragmatische Universalien.

أن ينتقلوا في كل وقت إلى صيغة متميزة للتواصل : الخطاب. وفي أوجه يُتجادَل. يتُجادَل في ما يمكن أن يُفعَل في موقف كلامي مثالي، وما يمكن أن يُفعَل في جماعة اتصال مثالية. وهكذا تُسقَط المثالية البراجماتية الشاملة على حال ، يتوافق فيها الاتصال والجدل (الحجاج). ومع هذا الإرساء في الجدل تفقد الاستراتيجيات المثالية لهابرماس وأبل وصمة عار ما هو خيالي، ويوتوبي (وهمي) وغير واقعي، وتقربنا بلاشك من أساليب كلامية مألوفة، ويكمن المعنى الواقعي لاستراتيجية المثالية في جعل الحجاج (الجدل) نمطًا أصليًا لما يعد، >اتصالاً< فالحجاج إذن، اتصال محض .

ولكن هل لا ينشأ من خلال ذلك موقف جدير بالملاحظة ؟ في إثر أفكار ڤيتجنشتاين وأوستن وبولر تهجر الفلسفة اللغوية البراجماتية الشاملة احتكار نظرة لغوية، تعالج، >العرض< و>التمثيل<، ويتربط بذلك نظرية الزعم بوصفها كيفية مميزة للاستعمال اللغوي. ولكن هل يرث تمييز الحجاج (الجدل) بأنه ظاهرة أساس / للاتصال إرث تجسيد للكلام ٩٠ المزعوم؟ في هذا الاتجاه يُفسَّر أيضًا الحفاظ المتصل على نظرة لغوية مرتكزة على الجملة بالفارق فقط وهو أن الجملة الآن تقبل شكل منطوق. ويشار في هذا الاتجاه أيضًا إلى أن اللغة لدى هابرماس وأبل تصير وسيط لعلاقة بالعالم- مثلثة في الواقع في هذه الأثناء- إلى أي مدى يرجع الفضل في استناد الكلام في الوقت نفسه إلى عالم خارجي وعالم داخلي ، وعالم أوسط إلى التصور التقليدي، وهو أن اللغة تمثل العالم؟ و: على هذا النحو

يكون حريًا أيضًا أن يقدر الحجاج (الجدل) بأنه ذلك الاستعمال اللغوي الذي يُهَم حين يجب أن تُوضَّح دعاوى صلاحية مشكوك فيها، وحين يصبح أن يُفسر أي دعوى صلاحية توجد بحق. هل هذه الصورة للغة القائمة على أساس عقلي تكون مناسبة كوسيط للتفسير، حين يتعلق الأمر بالكشف عن نطاق البناء الذاتية الداخلية (البين ذاتية)؟ إن دعوى النظرية البراجماتية الشاملة هي بلا شك رجوع ما يُعرَف إلى ما يُقرُّ به. ولكن في نطاق استراتيجية المثالية، التي تجعل الحجاج (الجدل) نقطة النظر لكل تواصل، تتجلى صورة أخرى: فالاعتراف المتبادل، باعتبار أنه يقوم على ما يجب أن يؤدي إلى إجماع في حالة اختلاف الرأي من خلال حجاج عقلي ، يستخدم شرط، >كلام صائب (معقول)< .هذا الكلام- لا يجوز في الواقع أن يُنسَى هذا- صائب (معقول)، بمعنى شكلي تمامًا، وليس بمعنى مادي: يتعلق الأمر بالقدرة في حالة الخلاف، على إمكان الإحجام عن الفعل، والانتقال إلى الخطاب ومناقشة الأسباب. هذا في الواقع يشترط أن شأن المتكلم والسامع شأن ذوات قضائية ، خاصيتها المميزة بدقة هي تلك التي نكون جميعًا بالنظر إليه متساويين: أي إمكان أن نعد أشخاصًا قادرين على الحساب وملزمين به، وهذا بشكل مستقل عن الفروق الواقعية التي تخصنا كطبيعة جسدية وطبيعة جنسية وطبيعة اجتماعية. وتصير أفعال الكلام وسيطًا، وإذا اقتضى الأمر كل ما يمكن أن يستبعد ما يعنينا بوصفنا كائنات محددة موقفيًا مكانًا- وزمانًا- وليس أشخاصًا.

وعلى نحو آخر غير ما هو لدى تشومسكي لا تتعلق المثالية البراجماتية الشاملة بكفاءة المتكلمين ، بل ببنية الفعل الكلامي، وبشكل أدق: بتأثيراتها المحيدة للشروط المكانية- والزمانية / لكل كلام. إن الموقف الكلامي المثالي وجماعة الاتصال المثالية لهما بنية قانونية بشكل كامن: أن تتكلم يعني أنك تستطيع أن تمتلك حقًا.



ثالثاً: ما بين حدين

٦- تناول عقلي (إدراكي) للغة والاتصال

- بين حدين

١- تقابل أو تشابه أسري؟

٩٥ / سوسير وتشومسكي من جانب، وسيرل وهابرماس من جانب آخر: بهذا المربع من المؤلفين يُعلمَّ بالنسبة للقرن العشرين جدل أساسي: إن الأمر يتعلق بقطبية البنية والفعل بوصفهما خيارين أساسيين لعمل النظرية اللغوية [1]: فإما أن تظهر اللغة بوصفها نظامًا محددًا، فيهتم بالسؤال >ما اللغة< ، وإما أن تُضمَّن اللغة في سياق فعل إنساني، فيهتم بالسؤال >فيم نستخدم اللغة؟< . إنهما حالتان مختلفتان تمامًا، تصيران مع هذه التساؤلات الموضوع في كُلّ: ففي بُعد البنية يتعلق الأمر بالكلمة أو الجملة بوصفها تكوينًا لعلامات لغوية مشكلاً من مكونات، يمكن تحديدها وتحليلها بشكل مستقل عن مواقف الاستخدام. وفي بُعد الفعل يتعلق الأمر بمنطوق بوصفه فعلاً اتصاليًا، لا يمكن أن يُميَّز إلا بالنظر إلى مقاصد الكلام وداخل سياقات موقفية. بيد أنه بغض النظر عن هذه التقابلات المتعلقة بالموضوع بين مواقف قائمة على أساس اللغة، وعلى الفعل الكلامي يوجد ثمة اتفاق. وهو يتجلى في الفهم اللغوي الأساسي، ويختص بالفروض السابقة الكامنة بدرجة أكثر أو أقل التي توجه العمل النظري اللغوي لسوسير وتشومسكي وكذلك العمل النظري اللغوي لسيرل وهابرماس . محور هذه الفروض المشتركة هو نموذج- العالمين لخاصية اللغة. ونستطيع

---

(١) حول ذلك شنايدر ١٩٩٢ ، وايليش ١٩٩٦ .

أن نقول حول ذلك أيضًا: أونطولوجيا- العالمين. فحيث يعمل هذا النموذج موجهًا للبحث اللغوي والتأمل اللغوي، ينتج فهم يمكن أن نصفه بالصورة اللغوية، الموجهة إلى العقل أو >العقلية (الإدراكية) < .

٩٦ / ما الخطوط الأساسية لنموذج- العالمين ؟ ابتداءً: ينقسم مجال خاصيتنا اللغوية إلى منطقتين: إلى اللغة المحضة أو الاتصال ، وإلى كل كلام. فاللغة تمتلك عنصراً مؤسسًا للتجانس في شكل آلة قاعدية نحوية أو دلالية أو براجماتية، يُسفر عن استخدامها ، وتفعليها ، وتحقيقها الكلام. فاللغة والكلام يسلكان بعضهما تجاه بعض إذن مسلك نموذج وتحقيقه، مسلكَ نمط وتمثيله المكاني- الزماني . اللغة والكلام يتبعان بذلك مستويين تعبيرين أو نطولوجين مختلفين.

وتعرف كل لغة مفردة (معينة) تصنيفًا مقوليًا مطابقًا للتفريق بين >lingua< (لغة معينة) و >sermo< (كلام). وهكذا لا تكمن نكتة أونطولوجيا- العالمين بأية حال في التفريق بين اللغة والكلام لذاته ، بل في علاقة متدرجة بينهما: فتفريق سوسير بين اللغة والكلام الذي وصفه هو نفسه بتفريق بين >نظام< و >تنفيذه<، بين ما هو جوهري، وما هو عارض، وكذلك تفريق تشومسكي بين > الكفاءة<، و>الأداء <، بين لغة- ذ (لغة مذوتَّة (داخلية)، ولغة- ج (لغة مجسدة (خارجية)، الذي فسره بأنه تفريق بين ، > اللغة< و >ظاهرة عارضة< ؛ يطرح تفريقهما لذلك التحويلات: توجد أولوية منطقية- نَسَبية للغة في مقابل الكلام. ويعد التفريق المنهجي بين نموذج شامل وتحقيقه الخاص مبدأ تنظيم نموذج- العالمين. هذا المبدأ

يستعمله سيرل وهابرماس في جانب الاستعمال اللغوي ذاته. وتستكمل أيضًا البنية المزدوجة القضوية- الأدائية للفعل الكلامي ، تنميط الفعل الكلامي الذي يشتمل على كم لا يمكن تحديده بدقة من أقسام الفعل الكلامي- لدى هابرماس بتنميط دعاوي الصلاحية: بذلك يكون لدينا نظام شموليات (كليات) براجماتية، يجب أن يكون من الممكن أن يُحلل حدث كلامي ما بوصفه تحقيقًا له، حتى يمكن أن يُعد كلامًا أساسًا، يفي بغرض الإفهام الخاص به.

٢- استقلالية اللغة والاتصال

حيث تؤدي أونطولوجيا- العالمين العمل الخاص بالنظرية اللغوية، ٩٧
تُؤكِّد على الأقل نتيجة: فما هو لغة دائمًا لا (لم يعد) يُحدد من خلال أن اللغة تستخدم لتمثيل ما هو غير لغوي ، وهكذا لم يعد هدفها المتميز تمثيل الأفكار. وفي التصور اللغوي التمثيلي المؤثر حتى في العصر الحديث، مع نظريته الإحالية للمعنى وتمييزه لجملة الزعم (الخبر) تعد اللغة تصويراً أو وسيطًا أو أكثر لنظام سابق على اللغة ذاتها، يفسر بشكل أثير بأنه نظام التفكير. ويكمن إنجازاً لنموذج- العالمين في نبذ الخَلَف لهذا التصور اللغوي التمثيلي ، باعتبار أن الشكل والتنظيم والنظام والقاعدة لا تعرض فقط من خلال اللغة، بل إنها الآن تتمركز في اللغة ذاتها، ويمكن تعليلها أيضًا من خلالها فقط. فاللغة تصير نبع الشكل، والنظامية ، والقاعدة، وهذا يجعلها مستقلة. ولا تعرض اللغة الأبنية، بل تصير هي ذاتها مثالاً مقدمًا للبنية- ولا يعد تأكيد هذا الاستقلال في مقابل عالم الأفكار ، بل في مقابل البقية الكلية للعالم الباعث الجوهري الذي يجعل نموذج-

العالمين قوى التأثيـر على هذا النحو. وبذلك تصير >اللغة< أو >الاتصال< موضوعين مستقلين بذاتهما sui generis ، هدفين مستقلين، ويجد الاتجاه >اللغـوي< أو اتجاه >النقـد اللغـوي< الذي يعـالج- من منـظور تحليلي- مسـائل موضوعـية بوصفـها مسـائل التحليل اللغوي، أو يـرقى باللغة إلى بديهية قـبلية للمعرفـة والثقافة- في مواقف سـوسير وتشومـسكي وسيرل وهابرماس التصورَ اللغوي المناسب له. فلم يعد يتقدم النظام الممكن عقلنته والمعقولية على اللغة ، بل هما ملازمان لها. هذا هو محور التصور اللغوي القائم على أساس عقلي.

وبذلك يفصل هذا التصور اللغوي اللغَة عن وظيـفتها المتفردة، وهي تمثيل عـالم أفكار سابق عـلى اللغة، وفي الواقع تتـأسس في المقابل عـلاقة مناظرة للعـلاقـة بين الفكر واللـغة في داخـل اللغة ذاتـها، وتظـهر عـلاقـة الاستنباط المميزة للتصور اللغوي التمثيلي / بين الفكر (العقل) واللغة مرة ٩٨ أخرى بوصفها قياسًا تركيـبيًا في النظريات اللغوية المعالجة هنا، في العلاقة بين النظام اللغوي الاتصالي الشامل المتـجانس والكلام والتواصل الخاصين غير المتجانسين.

٣- سمات الصورة اللغوية العقلية (الإدراكية)

إن مـعالم الصـورة اللغوية القـائمـة على أساس عـقلي ذات أشكال عـدة. ويمكن أن يأتلف بعض ملامح هذه الـصورة- ولكن ليس كلهـا بأية حال من الأحوال- التي يشترك فـيها كل المؤلفين المعالجين هنا- تارة بشكل أكثر، وتارة بشكل أقل:

(١) **الشمولية (الكلية)** : توجد مبادئ شاملة (كلية) نحوية أو براجماتية، يشترك فيها ما يستحق أن يطلق عليه بوجه عام، >لغة< أو > كلام< . ولا يُعد كلامًا أو تواصلاً إلا ما يوضح بأمثلة هذه الخواص الشاملة. وما يكون في الكلام متجاوزًا الحالة، تجليًا لنمط شامل يدين لشروط غريبة عن اللغة، ويعرض- بالقياس إلى معيار اللغة المحض والاتصال- ماهو غير لغوي . ويعد الموضوع المتميز لعلم اللغة وفلسفة اللغة الشموليات (الكليات) النحوية والدلالية والبراجماتية.

(٢) **اللاشفافية** : يمكن أن توصف العلاقة بين الكلام واللغة بمجازات مكانية- مقصودة بشكل متدرج. ويمكن أن يُدرَك هذا في شكل العلاقة بين السطح وبنية العمق أو بوصفه علاقة بين خارج وداخل. وتعد اللغة بوصفها بنية عميقة، أو الاتصال كيانًا غير مرئي (غير شفاف). فهو ليس مادة إمبريقية، ولا يتجلى، بل يجب أن يُستنتج .ومهمة منظري اللغة النفوذ من سطح الحدث الكلامي المحدد الموقف مكانًا وزمانًا، والإيضاح بأوصافهم في ذلك ليس الأبنية المتاحة للحواس، بل للعقل فقط، جعلها متصورة >للنظر العقلي<.

(٣) **المثالية**: تقدم المثالية آلة نقل للانتهاء من السطح إلى ما يقع خلفه أو تحته، وللوصول من المرئي من ناحية إمبريقية / إلى غير المرئي من ناحية إدراكية، ولجعل هذا بدوره متاحًا بالوصف. ويشكل المتكلمون- السامعون المثاليون لدى تشومسكي فقط جملاً صحيحة الصياغة نحويًا. أما المتكلمون لدى سيرل فهم أنفسهم شفافيون تمامًا، بحيث إنهم- في الأساس- يستطيعون أن يقولوا أيضًا كل ما يقصدون. ويعمل شركاء

٩٩

الحوار لدى هابرماس بوصفهم مجسـدين (مشخصين) لدعاوى الصلاحية مجـردين من الاختلافات الجسدية والاجتـماعية- وذلك فـقط في وسيط الحجة، وليس على الإطلاق من خلال السلطة، والحيلة، والتضليل وجاذبية (الشخـصية) . باختـصار: تكفل استـراتيجية المثـالية أنه ليس مسـألة كيف تكون اللغة والـكلام والاتصال حقـيقة، بل مـسألة كيف يـنبغي أن تكون ، تصـير المـوضوع المهم للـنظرية اللغـوية. إن الأمر لا يتـعلق بلغـة واتصـال حقيقين، بل بلغة واتصال ممكنين.

(٤) **القاعـديـة:** نادراً ما يظهـر من ناحيةٍ الرباطُ الواصل بين مـؤلفينا بشكل أفضل مما في الإجابة عن الـسؤال، ماذا يمكن أن يعد إيضاحًا مـوفقًا للغـة أو الاتصال: ويعني تفـسيـر اللغة أو الاتصـال وصفَ القواعـد، التي تتبـعها في الكلام. فـالقواعد تعين الشـروط الضرورية والكافـية في الوقت نفـسـه للإبداع اللغـوي والاتصالي. وفي ذلـك يمكن أن يُفرق بـين قواعـد واستـعمالهـا : فالقواعد لا تصـف- اقتفاءً لمنظور المـلاحظة وانطلاقًا منه- أوجه الاطراد للاستعمال اللغوي، بل هي ما يجب أن نمتلكه حتى يمكن أن نتكلم أساسًـا. ويُحدَّد هذا >الامتلاك< بأنه نوع من المعرفـة: تُعْلَم القواعد النحوية أو البـراجماتيـة- وذلك بشكل صريح أو ضمـني . ولذلك يفضي هذا التصـور للقاعدة إلى اتجاه إدراكـي كامن- متجلٍ في واقع الأمـر أيضًا لدى تشومسكي.

(٥) **المقدرة بوصفها معرفة:** ما صار في علم اللغة الإدراكي اللاحق لتشومسكي (في إثره) برنامجًا: هو أن اللغة تعد بنية معرفية [٢] ناتجة عن فرض بنائها القاعدي. فالجوهري هو إمكانية العرض القضوي لهذه المعرفة اللغوية والاتصالية./ وهي لا يمكن أن تُفسَّر بأنها مهارة عملية، مثل ركوب الدراجة أو السباحة، بل هي قدرة مؤسسة للمعرفة. ١٠٠

ولا يعني هذا أن المتكلمين يكونون على وعي بهذه المعرفة، بل إنه يمكن أن يعيد منظر اللغة بناءها في شكل معرفة موضوعية. وبالنسبة لتشومسكي يتعلق الأمر، بمعرفة حدسية أو ضمنية ويستخدم هابرماس مفهومَ معرفة ما قبل نظرية . ويفرق فضلاً عن ذلك بين معرفة كيف للمتكلم، ومعرفة ماذا للمفسر ، الذي يريد أن يفهم المعرفة الضمنية للمتكلم. ويُؤكد سيرل (ما يرفض تشومسكي في واقع الأمر) أن الأمر يتعلق بمعرفة كيف، بمعرفة عملية: ويشترك جمعيهم في الرأي القائل إن المعرفة اللغوية الخاصة بالمتكلمين يمكن أن تنتقل إلى معرفة موضوعية وصريحة [٣]، وإن معرفة كيف يمكن أن يعاد بناؤها على أنها معرفة ماذا. وتتأسس مقدرة المتكلمين في معرفة لغوية، ولذلك لا تُعرض بوصفها نظامًا معرفيًا فقط، بل تُفسر أيضًا.

(٦) **التركيز على الكفاءة:** حيث يعيد علم اللغة وفلسفة اللغة بناء المعرفة الشاملة للمتكلم،يكون موضوعهما الكفاءة النحوية أو الاتصالية

---

(٢) بيرڤيش ١٩٨٧ .

(٣) هابرماس ١٩٨٤ (براجماتية شاملة) ، ص ٣٧١ .

للمتكلمين.وعلى الرغم من أنه لايمكن أن تُستنتج هذه الكفاءة إلا من الأداء فإن لها– وفق نموذج العالمين– وجود يمكن أن يُفصَل إلى حد بعيد عن الأداء. فهي معطي لذاته. وأكثر من ذلك: الكفاءة هي المكان الذي يمكن أن يتمركز فيه النظام القاعدي للغة والاتصال. ولذلك تصير الكفاءة الموضوع الأصل للنظرية اللغوية. ولا تتقصى النظرية اللغوية عن المتكلم، بل عن الميل للكلام.

(٧) **التركيز على المتكلم والحوار:** الشخصية الجوهرية في سياق بحث اللغة والاتصال هي المتكلم. ويعد إنتاج الرموز اللغوية، وليس تفسيرها هو طريقة العمل الجوهري بالنسبة للغة. والمتكلمون هم الفاعلون بمفهوم أصحاب منطوقاتها القادرين على الحساب والمتلزمين به وهكذا يصير تبادل الكلام بين أشخاص ، الحوار، المظهَر الأصلي للاستعمال اللغوي. وعلى العكس من ذلك / يجب أن يعد الكلام المسرحي على المسرح أمام الجمهور أو الاتصال الذي يوصل من خلال الكتابة أو آلات تقنية أشكالاً طفيلية. ١٠١

(٨) **لا تحيز الوسائط:** تعد الملامح النحوية والبراجماتية الشاملة (الكلية) للغة والاتصال غير متحيزة (حيادية) الوسائط. فبالنسبة لسوسير لايتبع الصوت اللغوي اللغةَ: مقارنة بلعبة الشطرنج التي يكون فيها التحقيق المادي للقطع في مقابل قيمتها الموقعية عارضًا، ولاوزن له. فاللغة تتحقق في معطيات مادية، ولكنها هي نفسها ليست مادية. ولذلك هي أيضًا غير متحيزة (حيادية). وسواء أكانت اللغة منطوقة أو مكتوبة أو كنا

نتواصل بمساعدة أجهزة تقنية لايتغير ما اللغة والاتصال حسب مفهومهما بوصفهما، >كفاءة نوعية<(٤). ولاتتبع الوسائط إلا جانب التنفيذ والتحقيق، ولا تعمل إلا حين يستعملها نظام المعرفة اللغوي غير متحيز الوسائط بشروط يمكن تحديدها مكانيًا وزمانيًا، إن الوسائط ظواهر تحقيق، والأهم:اللغة ذاتها ليست وسيطًا- على أية حال ليس بمفهوم له أهمية وله دلالة كبيرة على نحو ما للنظرية اللغوية.

(٩) **اللاتجسيد:** لا تُجرِّد اللغةُ فقط من ماديتها ، بل المتكلمون أنفسهم أيضًا. وكما لا تعد الخاصية الصوتية بوصفها أثراً للجسد في الكلام صفةً جوهرية للغة، لاتعد الخاصية الجسدية للمتكلم أيضًا ظاهرة أساسية لخاصيته اللغوية. فسوسير يحرك المتكلمين ولاعبي الشطرنج في منظور واحد. ولدى تشومسكي المتكلمون أنظمة إدراكية أو نحاة، ولدى هابرماس هم أشخاص عاملون بشكل شكلي عقلي. وعلى نحو ما يكون التجسيد الصوتي والكتابي والإشاري والتقني للغة في كل استعمال لها هامشيًا بالنسبة للغة ذاتها ، فإنه يظل أجساد المتكلمين بوصفها شرطًا عينيًا لكلامهم، ومثالاً مبتغى، وتحيزاً جنسيًا مبعدةً في الكلام.

١٠٢ (١٠) **الانتقالية :** تتبع اللغة والكلام مجال / ما هو رمزي. وتهمنا الخواص المميزة لهذه الرمزية . فاللغة هي ما تكون ، خلافًا للصورة. وهكذا فاللغة نظام رمزي خطابي، وليس ايقونيًا . هي رمزية مؤلفة بشكل متفرد، قائمة على تأليف وحدات متعاقبة، ومع ذلك يمكن أن يفرق فيما بينها.

---

(٤) هابرماس ١٩٨٤ (براجماتية شاملة) ، ص٣٧٠ .

توجد دائمًا عناصر >أخيرة< للتحليل اللغـوي والاتصالي، وهي الفونيم، أوالمورفـيم، أو الكلمة، أو الجـملة أو الفعل الكلامـي، ذات حدود مـحددة بدقة، ويكون شكل التنظيم، التي ترد العناصر فيه التوالي، فهي تتبع أحادية البعـد للخطية. وخـلافًا للصورة لا تسـتعمل اللغـة ثنائية البـعد للسطح أو ثلاثية البعـد للمكان على الإطلاق. ولذلك تعد تعبيرات الوجـه وحركات اليدين- بنظرة دقيقة- معطيـات غير لغوية. ولذلك لا يُعرَض النظام المرئي للكتابة إلا في خصوصيته، التـدفق الكلامي الزمني، حقيقةٌ ينظر إليها على أساس النظرية اللغوية. ولم تعد كتـابات ، تعمل بثنائية البعد للسطح، ولا يسري عليها المبدأ الصوتي الخطي في الوقت نفسه، مثل الكتابات العددية، أو اللغات الشكلية للرياضيات والمنطق أو لغات الـبرمجة ، لـم تعد كتابات بمفهوم النظرية اللغوية.

(١١) **مؤشر الواقع:** هل توجد اللغـة المحضة والاتصال أو يكتـشفا؟ بالنسبة لمربع مؤلفينا الإجابة واضحـة: حين يعاد بناء التصور اللغوي القائم على أسـاس عقلي من خـلال العـمل النظري أيضـًا، فإن إعـادة البناء هذه تُربَط بدعـوى أنهـا لا تجلب إلا لعـرض ما يوجـد بوصـفـه نظامًا قـاعـديًا ومعرفيًا، وما يوجد حقيقـةً بوصفه كفاءة المتكلمين ويستعمل في كل كلام أيضًا. ولذلك أيضًا لا يبنى منظر اللغة، بل يعيد بناء: إنه يستبطن ما يتوارى خلف الظواهر اللغـوية غير المتـجانسـة. وبالنسبة لسـوسيـر توجد >اللغة< بوصفها كيانًا اجـتماعيًا خارج الأفراد حقيقةً. وبالنسـبة لتشومسكي النحو الشامل (الكلي) حـقيقة بيولوجـية إدراكية، إن لـم يكن علـى الإطلاق قالبًا

دماغـيًا. وبالنسبـة لسيرل اللـغة مؤسـسة اجتـماعيـة، وأنماط الفعل الكلام وحدات أساسيـة للفعل الإنساني لا يمكن الاستمرار في تجزئتـها، وبالنسبة لهـابرماس/ الموقف الكـلامي المثالي زعم مـضـاد للواقع ، ومع ذلك فهـو ١٠٣ بوصفـه فرضًـا سابقًا ضـروريًا مؤثر بشكل عـملي حقـيقـةً في كل حدث كـلامي. اللغة المحـصنة والاتصـال ليسـا بنائين كـما همـا في ذاتهمـا، أي متصورين ، إنهما ليس متخيلين فقط ، بل هما موجودان حقيقةً.

هذه إذن أبجدية الـتصور اللغـوي العقلي (الإدراكي) . ويوجـد مثل هذا التـصور اللغـوي، على نحـوِ فرضـيةٍ مـا بين حدين هذه، حين تصـور أونطولوجيا- العـالمين بوصفها فرضًـا سابقًا- ضمنيًا بدرجـة أكثر أو أقل، وهو العمل الخاص بالنظرية اللغوية.

ويمكننا أن نفـهم هذا >التـصـور< الآن في خطوة أبعـد بشكل أدق: حين تبسط أونطولوجيـا العالمين تأثيرها التحتي، ينتج فـهم للغة والاتصال، لم يعد يـفرق بين وسيلة العـرض وما يُعـرض الذي يحدد مـعه إذن نموذج بالواقـع ذاته. ونريد أن نطلـق على هذا ، الاسـتنتـاج الخـاطئ العـقلي (الإدراكي).

٤- أين يكمن الاستنتاج الخاطئ العقلي (الإدراكي)؟

يتبنى بيير بوردو مصطلح أوستن >نظرة سكولاستية< (٥).

وصف أوستن بهذا المصطلح موقفًا خاصًا بالنظرية اللغوية، بدلاً من أن يُفهَم معه بمـناسبة منطوق خاص معناه تبعًـا للموقف الكلامي الواقعي،

(٥) أوستن ١٩٧٥ ، ص ١٣ .

تُحشد وتبحث كل معانيه الممكنة. ويعمم بوردو ملاحظة أوستن إلى استنتاج خاطئ مميز للعلوم، يطلق عليه >مغالطة سكولاستية< .فحين يبحث علماء ظواهرَ اجتماعية، ثقافية ، لغوية، فإنهم يفعلون هذا في موقف وقت الفراغ (scholé) الذي تكمن خصوصيته في استبعاد تلك الشروط والأغراض والضرورات التي تخص موضوعات بحثها بتضمنها الخاص بعالم الحياة وواقعيتها. ثمة عدم انسجام بين الموضوع والمنهج مستقر هنا بالنسبة لبوردو، ينشأ >>حين تُطبق طريقة تفكير على واقع، تشترط الوقف المؤقت للضرورة العملية، وتستعمل أدوات تفكير، طُوِّرت ضد الواقع <<[٦]. ويعني هذا بالنظر إلى علم اللغة: هذه الدراسة تُحدث انتقالاً للتمكن الأساسي من اللغة بوصفها أداة تفاهم إلى التمكن الثانوي منها بوصفها موضوع الملاحظة والتحليل. وليس إجادة اللغات، بل معرفة اللغة هو هدف علم لغة نظامي . ولكن هذا يعني أن: الصفات التي تنشأ بدقة من خلال أن اللغة لاتستعمل بشكل عملي، بل تُبحَث، تُسقَط بوصفها خواص واقعية على لغات طبيعية وعلى الكلام.

وفي إثر بوردو شخَّص تشارلز تايلور في الفلسفة اللغوية تبادلاً عقليًا (إدراكيًا) بين المثال والحقيقة ، بين النموذج والواقع[٧]. ولكن ما مدى توفيق هذه الأفكار في حالة نظريات لغوية حديثة؟

وإذا لم يعد تشومسكي اللغات الطبيعية لغات بمفهوم نحوه الشامل، وإذا أقر هابرماس من خلال تفريقه بين الاتصال والخطاب أن اتصالاً

---

(٦) بوردو ١٩٩٣ ، ص٣٤٤ .

(٧) تايلور ١٩٩٥ .

حقيقيًا لا يتم مثل موقف كلامي مثالي فإن الإستراتيجية العقلية أدق من أن يستلزم التبادل المجرد بين المثال والواقع.

ونكشف عن هذه الدقة بالتحديد في منظور أونطولوجيا العالمين: يُقَر ويُثبَت التقسيم بين> أحداث كلامية <حقيقية، ومتمركزة مكانًا وزمانًا، ويمكن ملاحظتها ، وخاصة، وغير متجانسة،ويومية،وبين >اللغة< المثالية ، وغير الممكن ملاحظتها، والممكن إعادة بنائها بشكل عملي ، والشاملة، حيث يُعزَى كلاهما أونطولوجيًا إلى مستويات متباينة، ويعد الفرض السابق لأونطولوجيا- العالمين في هذه الناحية تقريبًا استراتيجيةً لا تتورط في حيل الاستنتاج الخاطئ العقلي ، وفي الواقع : حيث تُعزى > للغة< الأولوية المنطقية-النسبية في مقابل الإنجازات الكلامية يُحَّرك انسلاخ الكلامي الحقيقي باعتبار أن هذا يصير إلى تمثيل- متغير (مشوه)- لشكل اللغة أوالاتصال.

في الواقع لم تعد اللغة تمثل منطق / وجود واضح غير لغوي ، ١٠٥ ولكن حيث صارت اللغة ذاتها كياناً واضحًا، يمثل الكلام-سواء أقبلنا أو رفضنا- وضوحَ اللغة. وهكذا لا يكمن> الاستنتاج الخاطئ العقلي < في تشكيل مفهوم أو نموذج للغة، وفهم هذا البناء المتصور (الفكري) بمؤشر الواقع، وأخيرًا عُدّ كل كلام حقيقةً اللغة المحصنة ذاتها. ولا يُبدَل ببساطة النموذج بالحقيقة، بل تُحول الحقيقة إلى تمثيل للنموذج، وهو ما يقع دائمًا على حساب الحقيقة. وهكذا يكمن الاستنتاج الخاطئ في أن حقيقة الكلام تعد كما لو أنها تمثيل، وبشكل أدق: تمثيل اللغة . وبذلك يُورد في الكلام

ذاته الحد بين لغة/ غير لغة: إنه تُخلط إذن ماهية> الكلام< في مقابل ماهية > اللغة< ، وما هو لغوي بما هو غير لغوي، وبمقتضى هذا الخلط يكون الكلام في مقابل اللغة المحضة شيئًا غير تام، وناقصًا، وقاصرًا، ومشوهًا أساسًا: بصيغة أقل إذن تشويهًا. ومهمة النظرية استخدام مفهوم اللغة أداة تقنية في جانب الكلام. هل يصير في فكرة لغة محضة، اتصال بشكل أبدي، يستخدم لتنقية كلامنا الحقيقي ، جانبٌ لاهوتي بشكل باهر مؤثرًا؟

وكما هي الحال دائمًا أيضًا: نريد الآن أن نتجه إلى مواقف خاصة بالنظرية اللغوية، لا تتعلق- على نحو أو آخر- بصورة لغوية عقلية.

رابعًا: اللغة والاتصال خارج فروق عقلية

٧- لودڤيج ڤيتجنشتاين

اللغة وشكل الحياة

أو: لم توجد ألعاب لغوية وليس أفعالًا كلامية؟

لودفيج فيتجنشتاين

اللغة وشكل الحياة

أو: لمَ توجد ألعاب لغوية وليس أفعالا كلامية؟

>يجب أن تفكر في أن اللعب باللغة إن صح التعبير
هو شيء لا يمكن توقعه - أعني: ليس معللاً.
ليس معقولاً (أو غير معقول).
إنه موجود هناك - مثل حياتنا<.

١- اللغة بلاكيانات

/ حيث يتبع فكر لغوي حدوس أونطولوجيا عالمين، تنشأ - في ١٠٩
العالم الأول - كيانات يمكن إعادة بنائها عقليًا في شكل أنماط الموضوع: الأفعال الكلامية، والكفاءة النحوية أو البراجماتية، والفعل الاتصالي وأخيرا أيضًا اللغة. هذه الأبنية شبه - الموضوعية لا تُستبطَن إلا من خلال التحليل الخاص بالنظرية اللغوية أو إعادة البناء. ولكنها توجد - هكذا الفرض على أية حال - بوصفها معطيات شاملة لخاصيتنا اللغوية بشكل مستقل عن الكلام وفعل المنظر من اللغويين أيضًا.

ويتصدر لودڤيج ڤيتجنشتاين سلسلة أولئك المؤلفين الذين يقلعون عن التصور اللغوي العقلي. وفي هذه المقاطعة يعد ڤيتجنشتاين راديكاليًا

(١) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد ٨ ، فقرة ٥٥٩ .

بشكل ملحوظ: لأنه لا يشكل له أي معنى التفريق بين مستويين، بين قاعدة وتحقيقها، بين نمط شامل وتمثيله المحدد، بين معرفة واستعمالها. لأن هذا الفرق المتدرج يجب أن يجسد تفريقًا قياسًا على ذلك الذي بين >موضوع< و> استعمال الموضوع<. إنها تحديداً خصوصية نظريتي سيرل وهابرماس اللغويتين القائمتين على أساس أدائي، وبرغم توجههما إلى الفعل الكلامي ١١٠ لم يأمنا من هذا التجسيد. ولكن بالنسبة لڤيتجنشتاين لا توجد كيانات مناظرة للموضوع/ في اللغة لسبب بسيط، وهو أنه، حيث توجد >لغة< دائمًا، فإنها لا توجد إلا بوصفها نشاطًا واستعمالا. والحديث عن القواعد واستعمالها ليس كذلك إلا طريقة لنشاط لغوي.

وحين يجعل ڤيتجنشتاين جانب الاستعمال والنشاط للغة قويًا على هذا النحو فإنه يفعل هذا إذن بمفهوم غاير تمامًا لسيرل، حين يتحدث عن >أفعال كلامية<، أو لهابرماس، حيث يتحدث عن >الفعل الاتصالي<. وهكذا يعني فهم الفكر اللغوي لڤيتجنشتاين فهمَ فيمَ يكمن اختلاف فهمه لنشاط اللغة في مقابل الطرائق البراحماتية اللغوية المألوفة؟ ونكشف عن هذا الاختلاف حين نتساءل لماذا لا يُحدَّد اللعب باللغة لڤيتجنشتاين بأفعال كلامية؟ وتحاول الأفكار الآتية أن تقدم إجابة عن هذا السؤال.

وهكذا فإننا نجعل >اللعب باللغة <تصوراً أساسيًا لعرضنا عن ڤيتجنشتاين. وفي أثناء مرحلة طويلة لتلقي ڤيتجنشتاين فُرِّق بين ڤيتجنشتاين، في مرحلة مبكرة >يمثلها كتاب> بحث منطقي – لغوي <، وڤيتجنشتاين، في مرحلة متأخرة، يمثلها كتاب> بحوث فلسفية PU <،

حيث أقلع ڤيتجنشتاين المتأخر عن كل أوجه اقتناع ڤيتجنشتاين المبكر تقريبا[٢] .وكان النظير الفلسفي لهذا التقسيم الثاني العام الرأي القائل إن ڤيتجنشتاين قد فهم اللغة ابتداء على أنها حساب، ولكنه فهمها فيما بعد على أنها >لعب باللغة<: وهكذا انفصل تصور اللعب باللغة عن تصور الحساب. ويجب على مناقشة كتابات غير منشورة أخرى أن تنشيء صورة متعددة الأوجه، نلتزم بها أيضًا: تكتسب مرحلة انتقال بين ڤيتجنشتاين >المبكر< ڤيتجنشتاين > المتأخر< في ذلك مَعْلَمًا[٣]، يتضح فيه أن فكرة العدد - يشير قياس اللعب باللغة إلى الطريق - تصير أهم مصدر لتصور اللعب باللغة. وحيث حوَّل ڤيتجنشتاين فهمه حول ما العدد مَهَّد الأرض لفكرته حول اللعب باللغة. وفي الواقع سوف نتجاهل السؤال عن الانقطاع أو الاستمرار داخل / فكر ڤيتجنشتاين، وتستند بوجه خاص على نصوص قد كتبت بعد كتاب >المختصر<[٤]. ١١١

٢- النهج المورفولوجي

تتجلى طبيعة فهم ڤيتجنشتاين للنشاط في فهمه للفلسفة، فالفلسفة بالنسبة له ليست علمًا، ولا نظريةً، ولا نظامًا معرفيًا أو مفهوميًا، بل هى نشاط. ولهذا الفهم للنشاط تأكيد أداتي - عملي على نحو مشدد : يعني أن تكون نشطًا أن تستعمل شيئًا، وذلك أننا في ذلك موجهون إلى نهج، ممارسة نوع من التقنية. ولكن ماذا يعني هذا بالنسبة لفلسفتها بأنها نشاط؟

---

(٢) حول ذلك : سدماك ١٩٩٤ ، ص٢٦ وما بعدها.

(٣) تمتد فترة الانتقال هذه من عودة فيتجنتشتاين إلى كمبردج ١٩٢٩ حتى ١٩٣٥ تقريبًا. ويوجد كثير من أفكار البحوث الفلسفية في مخططات هذه الفترة ، حول هذه المرحلة. سدماك ١٩٩٤ ، وهيلمي ١٩٨٧.

يوجد على ذلك إجابة منطقية ومسموعة غالبا أيضًا، لها في الوقت ميزة أن تُلحَق بموضوعنا عن اللغة دون وصلة: إن نهج ڤيتجنشتاين الفلسفي يمكن أن يوصف بأنه نقد لغوي. ويقصد بذلك أن المشكلات الفلسفية تنبعث بالنسبة له غالبًا من سوء استعمال للغة. وشأن الاستعمال وسوء الاستعمال للغة في ذلك بعضهما إلى بعض شأن عمل اللغة وتعطلها >تنشأ الاضطرابات، التي نُعنَى بها، مثلاً حيث تمضي اللغة فارغة، وليس حين تعمل<[٥] .وبذلك تصير فلسفتها إلى نشاط، يكمن فيه الشروع في >نظرة عميقة في عمل اللغة<[٦] (الإبراز من ز .ك.). ويطلق ڤيتجنشتاين على هذا أيضا >نظرة نحوية< يمكن بها أن تحل المشكلات الفلسفية التي تقوم على أساس أوجه سوء فهم للغة من خلال أنها تُعلَّم بأنها سوء استعمال، وتُحل من خلال ذلك: >فالفلسفة صراع ضد سحر عقلنا بوسائل لغتنا<[٧].

مثل هذا المنهج اللغوي النقدي لدى ڤيتجنشتاين جدير بالتشخيص، ويعين فضلا عن ذلك حالةً، / تعد هى هي بالنسبة لكل مراحل تفكيره. ١١٢

(٤) حول المشكلات التي تُربط بنشر هذه الكتابات الأخرى : شولته ١٩٨٩ ، ص٤٣ وما بعدها.

(٥) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد ١ (بحوث فلسفية) فقرة ١٣٢ ، و: > لأن المشكلات الفلسفية تنشأ، حين تتعطل اللغة< ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد ١ (بحوث فلسفية) فقرة٣٨ .

(٦) ڤيتجنشتاين مجلد ١ ، (بحوث فلسفية)، فقرة ١٠٩ .

(٧) ڤيتجنشتاين مجلد ١ ، (بحوث فلسفية)، فقرة ١٠٩ .

ومع ذلك نريد أن نتقدم خطوة أخرى في الإجابة عن السؤال عن نهج ڤيتجنشتاين. إلى الاتجاه الذي يجب أن يُنتهج في ذلك يوجهنا الفرق بين >تعطيل <، و> عمل <اللغة. فما يعني ڤيتجنشتاين بأن اللغة تتعطل؟ حيث نتحدث عن >ظواهر مكانية وزمانية للغة< فإنها تعمل، وحيث نتحدث عن >مستحيل غير مكاني وغير زماني< فإنها تتعطل[٨]. وفي وحصف هذه >المستحيلات< تظهر استعمالات، مثل >الحكم المسبق لنقاء البلور<[٩]، و>سوء فهم دور المثال<[١٠]، تشير بالنسبة له إلى حيل استنتاج خاطئ[١١]: فالمرء يخبر عن الشيء الذي يقع في طريقه العرض[١٢]. وهكذا لا تتعطل اللغة بدقة إلا حين تُنقَل المثالية التي تُجرَى بوسائل اللغة، التي تعد خاصية لوسائل الوصف، إلى الموصوف ذاته، ونعيش >في الفكرة<، و>يجب أن يوجد المثال في الواقع<. [١٣] وهكذا لا يتعلق الأمر

---

(٨) ڤيتجنشتاين جـ ١ ، (بحوث فلسفية)، فقرة ١٠٨ .

(٩) ڤيتجنشتاين جـ ١ ، (بحوث فلسفية)، فقرة ,١٠٨

(١٠) ڤيتجنشتاين جـ ١ ، (بحوث فلسفية)، ص١٠ وما بعدها.

(١١) المثال> في أفكارنا ، يحدد بشكل مؤكد. ولا تستطيع أن تقلع عنه.. وتقع الفكرة كأنها نظارة على أنفنا، وما نراه نراه بها، نحن لا نصل إلى الأفكار لنزعها<. ڤيتجنشتاين جـ ١، (بحوث فلسفية)، فقرة ١٠٣ .

(١٢) ڤيتجنشتاين جـ ١ ، (بحوث فلسفية)، فقرة ١٠٤ .

(١٣) ڤيتجنشتاين جـ ١ ، (بحوث فلسفية)، فقرة ١٠١. أيضًا: حين نظن أن ذلك النظام، المثال، يجب أن يوجد في اللغة الحقيقة، نصير غير سعداء بما يُطلقَ عليه في الحياة المعادية > جملة< و > كلمة< و >علامة< . ڤيتجنشتاين جـ ١ ، (بحوث فلسفية)، فقرة ١٠٥ .

بتشويه المثاليـة، بل لا يتعلق إلا بإيقاف استعمـال خاطئ للمثال، يرجع إلى أن المثال يودع في الأشياء ذاتها[١٤].

ولكن ماذا يمكن أن يكون استعمال مناسب للمثالية؟ بحيث لا تهدد المطالبة به شيئا فارغا<؟[١٥] ونستطيع أن نَسْلَم من هذا >الفراغ< بأن نجعل المثال نموذجًا، وأن نصـف النموذج بأنه/ ما يوجد، بأنه مـوضوع المقارنة - بأنه مـعيـار إن صح التـعـبيـر - ، وليس بأنه حكم مـسبق يجب أن يطابق الحقيـقة<[١٦]. وهكذا يكون مـعنى المثالية وظيـفة اسـتكشافيـة: تسـتـخدم النماذج معياراً للمقارنة.

١١٣

ويبـدو مثلاً فـي استعـمال المثـال معـياراً في المقـارنات ذلك التـوجه المنهـجي الذي نُعنَى هـنا بإيضـاحـه. نـريد أن نطلق عـلى هذا> النهجَ المورفولوجي< .ويكتسب نهج ڤيـتجنشـتاين اللغوي النقـدي مخطوطه المتـميـز للغاية مـن خلال إنهـا تمثيل هذا النـهج إلى ظواهر، والظواهر هى مظاهر لا ينظر إليها على أنها تواري تحت سطحهـا جوهر مستقر، يصح أن يكشف عنه من خلال تحليل متغلغل في الظواهر ومفككًا لها. وبذلك يفهم

---

(١٤) >نقع على جليد زلق، حيـث يُفتقَر إلى الاحتكاك، أي تكون الشـروط بمعنى محدد مـثاليـة، بل إننا لذلك أيضًـا لا نستطيـع السيـر. نريد أن نسيـر، فـإننا نحتـاج إذن إلى الاحتكاك. العودة إلى الأرض الخشنة< . ڤيـتجنشـتاين جـ١، (بحوث فلسفـية)، فقرة ١٠٧.

(١٥) ڤيـتجنشـتاين مجلد ١ ، (بحوث فلسفية)، فقرة ١٠٧ .

(١٦) ڤيـتجنشتاين مجلد ١ ، (بحوث فلسفية)، فقرة ١٣١ .

النهج المورفولوجي على أنـه إمكانية للنهج التحليلي، مع مـيله إلى إرجاع ظاهره معقدة إلى عناصر لا يمكن أن يسـتمر في تفكيكهما، يوفر> العثور< عليها مـا يشبه معرفة بجـوهر الشيء. ولا يلتف الموقف المورفولوجي حول الظواهر. وما له أهميـة دائما يبدو للعيان، فقط يصيـر بدهيًا لنا إلى حد أننا لـم نعد نسـتطيع أن نراه. ولذلك يتعلـق النهج المورفولوجي بالظواهر كـما هى. ويقتبس ڤـيتـجنشـتاين هنا قول جوته: يبـحث المرء عن لا شيء فقط خلف الظواهر: فهى ذاتها العلم[١٧].

ومع ذلك يُصنع بالظواهر شيء: فهى تُنـظَّم . هذا التنظيم يطلق عليه ڤيتجنشتاين >عَرْضًا واضحًا<، ويستخدم بذلك مصطلحا يصفه هو نفسه بأنه >مفـهوم< ،له بالنسـبة له >أهميـة أساسـية<[١٨] . فما ينـجزه العرض الواضح، يمكن أن يتـراءى لنا علاقـات، ومن خلال أن الظواهر تُقَـسَّم إلى سـلاسل (مـجـمـوعـات). وعلى هذا النحـو ينشـأ مـا يشـبـه، الشكل >، >الوجه<. ولقول ڤيتـجنشتاين >لا تفكر،/ بل انظر!<[١٩] جذوره في هذا ١١٤ الفهم عن العلاقة بوصفهـا معالم للظواهر تُجعَل منظورة من خلال عرض واضح. وبذلك تصيـر العلاقة كلمـة أخرى فقط لـطريقة رؤية شيء. وفي الواقع يمكن أن تُنظَّم ظواهر من جـوانب عدة. فمـا يسبب الطبـيعة المميزة للعلاقة التي ينشأ معها شكل معين وليس شكلا آخر؟

(١٧) ڤـيتـجنشـتـاين ١٩٨٤، مجلد ٧: ملحوظات حول فلسفة علم النفس، فقرة ٨٨٩.

(١٨) ڤـيتـجنشـتاين مجلد ١ (بحوث فلسفية)، فقرة ١٢٢.

(١٩) ڤـيتـجنشـتاين مجلد ١ ، (بحوث فلسفية)، فقرة ٦٦.

وفي هذا الموضع يظـهر المـعيـار، النمـوذج، ويرد مـعـه مـرة آخـرى جوته.[٢٠] فقد عالج جوته أوجه المثالية بوصفها موضوعات مقارنة، لكنها لا تُكوَّن بل تُستـقَى من دائرة الظـواهر ذاتهـا، ويمكن أن تؤسس سـلاسل موافقة (قياس). ويطلق جوته على تلك المثالية التي لا تقع خارج الظواهر، بل لهـا ذاتها > طبيـعة< ظاهرة ما >الظاهرة الأصل<. وتفي هذه الوظيـفة للظاهرة الأصل، المنفصلة عن الظواهر الأخرى من خلال لا مرحلة تدرج، لدى ڤيتـجنشتاين بالنموذج: هذه الظاهرة، تُوصف بأنها تستـخدم معياراً. ويمكن أن تحدث >صيرورتهـا المعيار< في ذلك على نحوين: إما بأن تنظم الظواهر الأخرى وفق مـعيار تشابههـا أو عدم تشابهها بـالنموذج، وإما بأن يقوم الـنموذج بوظيفـة نسق[*] (مثـال) لقياس الظـواهر الأخرى. وهكذا تتعلق أية علاقة مورفولوجية تنشأ بين الظواهر باختيار تلك الظاهرة التي لا تقدم في فعل المقارنة المقارن، بل أداة المقارنة. ولذلك لا نصطدم ببساطة مع هذه العـلاقـة، بل ننشـئـهـا . ويعـد الفـرق بين وسـيلة وصف والموضـوع الموصـوف في أفق النهج المورفـولوجي هو الفرق بـين الظاهرة المميـزة من ناحيـة النموذج، والظواهر المنظمة حـسب هذا النموذج. إنه فارق تصـادفه عمليا،ولكنه لا يرجع إلى الأشياء أو الظواهر ذاتها.

---

(٢٠) نبه شـولته ١٩٨٩ ، ص١٠٨، وبوخها يستـر / شتوير ١٩٩٢ ، ص٨٥ ومـا بعدها إلى العلاقة بين جوته وڤيتجنشتاين.

(*) تُستـخدم هنا مـصطلحات ذات دلالـة شديدة القرابـة ، مثل Ideal ، و Vorbild، و Massstab ، وParadigma ، و Muster مما يؤثرتأثيراً سلبـيًا في فهم واضح لقـصد المؤلفة.

وفي > المختصر < يقول ڤيتجنشتاين حول جملة، تعد حاملة لقيمة الصدق، ومن ثم تقدم صورة للحقيقة. هذه الصورة هى >مثل معيار أقيم على الحقيقة<.[٢١]

هذه الوظيفة المستخدمة للمعيار تستمد من الصورة خصوصيتها بأن تبين في علاقاتها الداخلية شكل العلاقة بين اللغة والعالم. لأن الأشكال بالنسبة ڤيتجنشتاين شيء يمكن أن تُبيَّن فقط، وليس أن تُنطَق. وهكذا ففي هذه الفكرة، وهى أن الأشكال تتبين فقط، أي لا يمكن أن تفسر أيضا قيَّد ڤيتجنشتاين زمن حياته. وعلى هذا النحو إذن، حين يُعبَّر في اللغة عن أشكال تعمل اللغة حينئذ مثل صورة. ويكمن الأهم في النهج المورفولوجي في أنه بمقتضى العلاقة التي تقام تُجعل الأشكال مرئية. وبذلك يختص هذا النهج ببُعد أيقوني. وحيث يتوجه المنهج المورفولوجي إلى ذلك دائما، تعالج حينئذ كصورة. وفي ذلك يتأصل تأكيد ڤيتجنشتاين على الوصف في مقابل الإيضاح.[٢٢] وعلى نحو مخالف للإيضاح لا يمكن أن يُصر الوصف على شكلية ما هو استطرادي، بل يشير إلى ملامح أيقونية قوية: فحيث ينتج عن الوصف عرض إيضاحي يكون هذا تطبيق ما يُجعَل منظوراً.

---

(٢١) فيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد ١ ، ج٢، ص١٥١٢ .

(٢٢) يجب أن يستمر كل إيضاح، ويرد الوصف فقط في موضعه، ڤيتجنشتاين م١ (بحوث فلسفية) فقرة ١٠٩ .

وبالنسبة لنا تهمنا نتائج هذه الخاصية لـلصورة، الملازمة للمنهج المورفولوجي في سياق التفكير اللغوي لڤيتجنشتاين. بالنسبة للمختصر كان هذا هو الجملة، وفي النصوص التي تتبع المختصر يصير هذا هو الألعاب اللغوية التي تمثل هذا الالتزام بالصورة للغة. وكون الألعاب اللغوية لا يمكن أن تُفسَّر قياسًا على الأفعال الكلامية يتأصل - في المثال الأخير - في الأيقونية الكامنة، التي تخص اللعب باللغة.[٢٣] يمكننا أن نمضي إلى أبعد، للقول: إن النهج المورفولوجي، مادام يتجه إلى الظواهر اللغوية ذاتها، يفضي إلى نوع من >لا استطرادية< اللغة.

ولقد تحققنا من تفكير ڤيتجنشتاين عن اللغة خطوةً أبعد، مادمنا نستطيع أن نفهم ماذا يعني بالنسبة له هذه >اللااستطرادية< المضادة للحدس ابتداءً، للغة والاتصال.

٣- ألعاب لغوية

١١٦ / >إن اللعب باللغة< هو التصور المفتاح في فلسفة ڤيتجنشتاين. إنه في الوقت نفسه أحد المصطلحات المصطنعة الفلسفية القليلة، التي وجدت مدخلا إلى لغتنا اليومية. لمَ يبتكر ڤيتجنشتاين هذا المصطلح؟ وكيف يُفهَم؟ نريد أن نعثر من خلال ذلك على إجابة عن هذين السؤالين. من خلال أن يحصل تصور اللعب باللغة في إطار النهج المورفولوجي على معالم. وتبرز في ذلك جوانب ثلاثة في اللعب باللغة:

---

(٢٣) نبه إلى ذلك كونولورنتس ١٩٩٠ ، ص٣٨.

(١) موضوع المقارنة، أو لماذا لا تنظم الألعاب اللغوية اللغةَ، بل تنظم معرفتنا عن اللغة.

يوضح سياق النهج المورفولوجي على الأقل من جهة، ما الذي لم يقصده ڤيتجنشتاين بابتداع هذا المصطلح: >فاللعب باللغة< لا يتعلق بجوهر اللغة، ولا يصف وحدة أخيرة لا يمكن الاستمرار في تجزئتها، خُبِّأت بوصفها نظامًا شاملاً خلف تنوع الأحداث اللغوية، ويظهرها التحليل. إن الأمر لا يتعلق على الإطلاق بمفهوم محدد بوضوح من جهة التعريف، له أهمية بالنسبة لنظرية للغة باعتبار أنه يوضح كيف تعمل اللغة.[٢٤] لنتذكر التفريق القائل إن اللغة يمكن أن تتعطل أو تعمل: يتبع مصطلح، >اللعب باللغة <دون شك صيغةَ العمل في التعامل مع اللغة، ويعني هذا بالنسبة لڤيتجنشتاين ابتداءً: لا يجوز أن يعد اللعب باللغة ذلك النوع من المستحيلات، الذي يظهر حين تمضي اللغة فارغةً. ويتجنب هذا مادام لا يجب أن يُثبتَ اللعب باللغة في إيضاح اللغة، بل في وصفها. >فما هو جوهرى في اللعب باللغة هو منهج عملي<.[٢٥] إنه أداة عمل، نظرة عامة لوسائل منجزة للعرض. بل تقع الألعاب اللغوية هناك بوصفها موضوعات مقارنة، ينبغي أن تُلقِي من خلال تشابه وعدم تشابه ضوءاً<

(٢٤) يتجاهل هابرماس هذا حين يورد: >لو طور ڤيتجنشتاين نظرية للألعاب اللغوية، فربما يجب أن يفترض شكل نحو شامل<، هابرماس ١٩٧٥، ص٣٢٧، الاقتباس عن سدماك، ص٢٤٩ .

(٢٥) ڤيتجنشتاين ١٩٨٩ (محاضرة عن الأخلاق) ص١١٦.

١١٧ على/ علاقات لغتنا.[٢٦] وهكذا يقدم اللعب باللغة معياراً. وليست اللغة لعبًا باللغة، بل إننا نقارن اللغة بألعاب لغوية.[٢٧] ولذلك فإن ما ننظمه من خلال المقارنة باللعب باللغة، ليس اللغة، بل معرفتنا باللغة.[٢٨] هذه الوظيفة الابستمولوجية لمقولة اللعب باللغة ربما يمكن أن توضح حالة - مضللة دون شك - وهي أن ڤيتجنشتاين يمكن أن يستخدم البحوث الفلسفية مع وصف مثالين، نادراً ما يتجاوزان في بساطتهما وابتذالهما: فتارة تُباع خمس تفاحات حمراء لدى التاجر، وتارة أخرى يبني شخصان بحجارة بناء . اللعب باللعب هو وسيط العرض، وليس المعروض ذاته. وفي الواقع لا يجوز أن يُنسَى في ذلك أن عرض المنهج المورفولوجي يكمن في نسبية التفريق بين وسيط العرض والمعروض، باعتبار أن وسيط العرض ذاته أيضا يُستقى من دائرة الظواهر: وبناء ألعاب لغوية هو أيضًا ظاهرة لغوية. يهمنا إذن اتجاه الرؤية، هل يتميز اللعب باللغة بأنه نموذج محدد للمعيار أوهل يُعد ظاهرة إلى جانب ظواهر أخرى. المستبعد فقط مثلما الحال مع صورة قلابة أنه طالما يستخدم اللعب باللغة موضوع مقارنة،[٢٩] فإنه لا يمكن أن يُعد في الوقت نفسه هو المقارن.

---

(٢٦) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد ١ (بحوث فلسفية) ، فقرة ١٣٠ .

(٢٧) >أي أننا نقارن اللغة دائمًا بمحاضرة <. ڤيتجنشتاين ١٩٨٤، المجلد ٤ (نحو فلسفي)، ص ٦٣.

(٢٨) سفيناي / شولتس ١٩٩٦ ، ص٨٦٥ أكدا هذا.

(٢٩) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد ١ (بحوث فلسفية) ، فقرة ١٣٠ .

(٢) تشابه أسرى أو: لماذا لا تشترك ألعاب لغوية في سمة جامعة.

ولكن ما الذي يهيئ اللعب باللغة لكي يصير معياراً؟ في هذا الموضع يجب أن نتناول اللعب، باعتبار أنه يقع مع تصور اللعب باللغة شاهداً. ماذا يجد ڤيتجنشتاين مهمًا في الألعاب بحيث إنها، ليس مثل ظاهرة أخرى، توعز بقياس على اللغة؟ يُعلمنا النظر في تنوع الألعاب أن نحجم عن تعبير فكري فلسفي، يصفه ڤيتجنشتاين/ بالتطلع إلى العموم،[٣٠]، إذن ١١٨ يكتشف في أشياء مختلفة خاصية مشتركة بينها كلها بوصفها جزءاً من الأشياء ذاتها، ويريد أن يصفها بمفهوم: >نحن مثلا نميل إلى أن نفكر في أنه يجب أن يوجد شيء مشترك بين كل الألعاب، وأن هذه الخاصية المشتركة تسوغ تطبيق الوصف العام >لعب< على الألعاب المختلفة، في حين تشكل الألعاب أسرة، لدى أعضائها أوجهه تشابه أسرى بعضهم لهم الأنف ذاتها، وبعضهم لهم العين البُنية ذاتها، ولبعض آخر السير ذاته. وتتداخل هذه التشابهات بعضها في بعض<.[٣١] ويعد الحديث عن أوجه التشابه بين الأشياء تعبيراً عن التخلي: يُتخلَّى عن فرض خاصية شاملة، يمتلكها في الوقت نفسه كل الذين يتبعون الأسرة. ويوضح ڤيتجنشتاين هذا بالصورة الموحية للخيط : >ولا ترجع قوة الخيط إلى أن ليفًا ما يمتد من خلال طوله الكامل، بل إلى أن أليافًا كثيرة تمتد معًا<.[٣٢]

---

(٣٠) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد ٥ (الكتاب الأزرق) ص٣٧.

(٣١) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد ٥ (الكتاب الأزرق) ص٣٧ .

(٣٢) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد ٥ (بحوث فلسفية) فقرة ٦٧.

وحين يُنظر إلى اللغة قياسًا على الألعاب، فإن النتيجة تكون جد واضحة: فبدلا من الإشارة إلى شيء ما مشترك نطلق عليه اللغة أوقل لا تشترك هذه الظواهر على الإطلاق في شيء، نستخدم من أجله الكلمة ذاتها لها كلها، بل إنها ذات قرابة بعضها مع بعض على أنحاء مختلفة كثيرة. وبسبب هذه القرابة أو هذه القرابات نطلق عليها جميعا >لغات<.[٣٣] وهكذا ترجع قدرة الدفاع لتصور >تشابه أسرى< إلى الحيلولة دون أن ، حين نتحدث عن اللغة - ولا يريد ڤيتجنشتاين أن يغير شيئا على الإطلاق في طريقة الكلام هذه - نربط بذلك تصوراً ودعوى في الوقت نفسه، فكل ما يعد لغة يشير إلى سمة مشتركة.

(٢) شكل الحياة أو، لماذا يستغنى اللعب باللغة عن التمييز العقلي.

يمكن أن توجد أيضا تحديدات أكثر إيجابية، يمكن أن توضح، ممَ تتغذى طاقة المقارنة للألعاب اللغوية./ وهذا هو جانب النشاط مع تضمين ١١٩ اللعب باللغة في شكل حياة: على نحو ما يشكل الحديث عن >لعب< معنى فقط، حين يوجد نشاط اللعب، فإن العمل يعد أساسيا أيضا للعب باللغة: ينبغي أن تبرز الكلمة> اللعب باللغة< هنا أن التحدث باللغة جزء من نشاط أو شكل للحياة.[٣٤] وليس المهم في هذا الاقتباس أنه على نحو عادي يحدد الكلام بنشاط، بل إنه يجعل جزءا من نشاط.

---

(٣٣) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد ٥ (بحوث فلسفية) فقرة ٦٦.

(٣٤) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد١ (بحوث فلسفية) ، فقرة ٢٣.

ويهـمنا هنا بدقة: أن الاسـتـعمـال اللغوي ليـس ببسـاطة فعـلاً، بل متـضمنًـا في فعل. وهكذا تكون الألعـاب اللغوية مـتشـابكة - وذلك من ناحية التكوين- بأفعـال غير لغوية.[٣٥] ويقدم ڤيـتجـنشتاين لذلك صورة موضحـة: ففي أرض يُنجز الناس نشاطات وحينئـذٍ يتكلمون . ولكن حين نحاول أن نتـعلم لغتهم، فـإنه يثبت أن هذا غير ممـكن، لأنه لا توجد بينهم علاقة مطردة للمنطوق، للناس، مع الأفعال (بحـوث فلسفية، فقرة ٢٠٧). وهكذا فمـا دامت الصلة تنقطع، التي توجد عادة بين الكلام وكل الأفـعال الأخرى، فإننا لم نعد نستطيع أيضًا أن نتكلم بشكل مفيد عن اللغة.[٣٦]

وفي الوقت نفسه يجب أن نبين أن كلام ڤيـتجـنشـتاين عن >الفعل< لا يفهم بشكل مـؤكد، بل بشكل واقعي تمامًا، أي بـوصفه، >استعـمالا<. وثمة ميل لڤيـتجـنشتاين لصور القياس التقنيـة، للتحويلة التي تسبب اللغة قيـاسًا عليها أفـعالاً،[٣٧] وللآلات في صندوق الأدوات، التي نستطيع أن نتصور وفق نموذجهـا عمل الكلمات[٣٨], وللأداة قيـاسًا على استخـدامها ينشأ معنى جملة ما أيضًا:[٣٩] كل هذه الاستعمالات تنم عن ميله للنشاط الملموس، الذي يـشكل المخزون المجازي للفكـر اللغوي لڤيـتجـنشـتاين.

---

(٣٥) يحصل كـلامنا على معناه من خـلال أفعـالنا الأخرى. (ڤيـتجـنشـتاين ١٩٨٤) ، مجلد ٨ (حول اليقين) ، فقرة ٢٢٩.

(٣٦) فيشر ١٩٨٧ ، ص٢٤.

(٣٧) ڤيتجـنشـتاين ١٩٨٤ ، مجلد٢ (ملحوظات فلسفية) ، ص ٥٨.

(٣٨) ڤيتجـنشـتاين ١٩٨٤ ، مجلد١ (بحوث فلسفية) ، فقرة ١١.

(٣٩) ڤيتجنشـتاين ١٩٨٤ ، مجلد١ (بحوث فلسفية) ، فقرة ٤٢١.

وإلى جانب هذا الاتجاه الأداتي (الذرائعي)[*] الضمني يعد اللا تأمل خاصية أخرى لفهمه للنشاط. فلا يتعلق الأمر بالنسبة لـ ڤيتجنشتاين بفعل قصدي، بل/ بوسائل ثقافية داخل جماعة ما، وباستعمالات ممارسة ورصينة، وبطرق فعل حية،[٤٠] صارت بالنسبة لنا بدهية، ويومية، و> تلقائية<. وعلى نحو ما يعد تعلم الكلام ذاته أيضًا، ليس إيضاحًا، بل هو تعلم[٤١]، من خلال عمل سابق ومحاكاة، من خلال إنتاج تلقائي وتصحيحه، من خلال هذا >وهو ما نفعله< يدخل في استعمال اللغة، وفي العادات أيضًا: ففي الأساس ليست لغتنا إلا >توسيعا آخر للسلوك الأساسي. (لأن لعبنا باللغة هو سلوك) (غريزة)<[٤٢] .

إن ڤيتجنشتاين، الذي يُوقِف ويُسْلِم وجوده دون هواده للفكر، يجاهد في سبيل صورة للكلام، لا يستغنى عن الفكر تقريبا. ويعرض تصوره عن اللعب باللغة عن كل تمييز عقلي. >فاللغة لم تنبثق من منطق<[٤٣]. لماذا ينبغي أن يقوم اللعب باللغة على معرفة؟[٤٤]>.هل تعرف

(*) يذهب المذهب الذرائعي Instrumentalismus إلى أن الأفكار وسائل للعمل، وأن فائدتها هي التي تقرر قيمتها.

(٤٠) هذا تعبير يواخيم شولته ١٩٨٩ ، ص١٤٦.

(٤١) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد١ (بحوث فلسفية) ، فقرة ٥.

(٤٢) ڤيتجنشتاين ١٩٦٧ (ورقة) ، ص٥٤٥.

(٤٣) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد١ (حول اليقين) ، فقرة ٤٧٥. وأيضًا : >ليس للعب باللغة أصله في التفكير< .مجلد ٧ (ملحوظات حول فلسفة علم النفس) ، ص٣٢٣.

(٤٤) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد ٨ (حول اليقين) ، فقرة ٤٤٧.

القطة أنه يوجد فأر؟<[٤٥] وليس التأمل والإدراك أنفسهما إلا شكلين لألعاب لغوية، وذلك ليس عن أشكال أخرى، بل - كما يقرر هابرماس على نحو يرثي له-[٤٦] إلى جانبها . إنه الإرساء في شكل الحياة، الذي يجعل ڤيتجنشتاين الاتصال اللغوي بلادور إمكان أن يكون معقولا أو إمكان تعليل العقل ذاته.

ولا يعني هذا في الواقع أن الألعاب اللغوية بلا أوجه يقين. وعلى النقيض من ذلك: >... أريد أن أقول حقيقً أن اللعب باللغة لا يكون ممكنا/ إلا حين يعتمد المرء على شيء.[٤٧] الألعاب اللغوية مرتبطة بأشكال ١٢١ حياة. إنه التقبل، المعطي[٤٨] لشكل حياة، يؤسس من خلاله يقين ما قبل تأملي، أساسي، دونه لا يمكن أن ينجز نشاط إطلاقًا،[٤٩] ولا يمكن أن يُتخَذ اللعب باللغة للشك مخرجا له. ومن ناحية ابستمولوجية يشكل

---

(٤٥) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد٨ (بحوث فلسفية) ، فقرة ٤٧٨.

(٤٦) على هذا النحو يقرر هابرماس: وقع ڤيتجنشتاين في الأخطاء المكملة، وتجاهل دائمًا الدور المتميز للاستعمال اللغوي الإدراكي . وفي جداوله للألعاب اللغوية يرتب وصف موضوع، والقياس الفيزيائي، واختبار فرض على المستوى ذاته للأوامر والنصائح مثلاً. ويتجاهل ڤيتجنشتاين أن الاستعمال اللغوي الإدراكي يدلل على ذلك البعد الذي يجب أن تتعلق به كل الأفعال الكلامية. هابرماس ١٩٨٤ ، ص٨٢.

(٤٧) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد٨ (حول اليقين) ، فقرة ٥٠٩.

(٤٨) التقبل، المعطي _ كما يمكن أن يقال- شكلان للحياة. ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد ١، (بحوث فلسفية ٢) ، ص٥٣٧.

(٤٩) إن الشكل الأبسط للعب باللغة هو اليقين، وليس الحيرة. لأن الحيرة لا يمكن أن تفضي إلى الفعل ، ڤيتجنشتاين ١٩٧٦ (حول العلة والتأثير)، ص٢٠٤.

شكل الحياة في الوقت نفسه الحد لكل تعليل بـ > على هذا النحو أفعل<.(٥٠)

لم نعين ببساطة بالعناوين: >موضوع المقارنة<، و>تشابه أسرى< و>شكل حياة< سمات ثلاث لألعاب لغوية، بل أوردنا تلك الجوانب التي تناسب إلقاء ضوء على الوظيفة المنهجية لتصور اللعب باللغة. وهكذا لا يقدم اللعب باللغة نموذجًا نظريًا موحدًا لتحليل اللغة، بل يجب أن يبين – في نتيجة أخيرة– أنه لا يمكن أن يقدم مثل هذا النموذج الموحد. وتدرك وظيفته المنهجية حينئذ بذلك المعنى المتشكل الذي صِيغ بشكل مرئي، الذي فيه تعد طرق التفكير بالنسبة لڤيتجنشتاين طرق رؤية لشيء ما. اللعب باللغة هو ذلك المنظور الذي يحصل، حين يطبق المنهج المورفولوجي الموصوف من قبل على اللغة ذاتها . وفي هذا المنظور تتميز صورة لخاصيتنا اللغوية، التي تختلف على نحو مهم عن الفهم اللغوي العقلي. ولا ينصرف ڤيتجنشتاين في ذلك ببساطة عن مفاهيم محورية للنظرية اللغوية التقليدية، بل يعيد تفسيرها. ماذا تعني إعادة تفسيرها نريد أن نوضحة الآن بأمثلة بمساعدة ثلاثة مفاهيم، تعد أساسية لكل نظرية لغوية، وترد غالبا لدى ڤيتجنشتاين أيضًا، وهي: المعنى، والقاعدة، والنحو.

٤- المعنى

/ إن السؤال عن المعنى سؤال جوهري للنظرية اللغوية والرمزية. إذن ١٢٢

(٥٠) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد١ (بحوث فلسفية) ، فقرة ٢١٧.

سوف نحدد وروداً أكـوستيكيًا أو مرئيًا بدقـة بأنه شيء لغوي، حين يُعَزي إليـه مـعنى. ويُعلِّم >العـزو لمعنى< هذا الحـد الفاصل، الـذي يفرق عـالم العلامات عن عالـم الأشياء المحـضة. وعلى هذا فإنه إذن حين ترد علامات علامات دائمًا فـإن لهذا علاقة بشيئين (على الأقل): حـامل العلامة ومعنى العلامة، اللذان لا توجـد العلامة إلا بتضا فـرهما. وحين لا يكون لكلمات أو جمل أو منطوقات معنى على أي نحو فإنها أيضًا ليست علامة، ومن ثم لا تعد كلمة أو جملة أو منطوقًا.

إنها عبارة عامة تقريبًا أن ڤيتـجنشتاين، برغـم أنه كان أبعد ما يكون عن تطوير نظريـة للمعـنى بالنظر إلى فلسـفـتـه التي تخلو من نظرية، قـدم تلميحات مع ذلك إلى مسألة في أي اتجاه يجب أن تعالج مسائل المعنى في النظرية اللغـوية. هذا الاتجاه يدلنا على القـول الفصل > معنى كلمـة ما هو قاعدة استعمالها<.[٥١]

وبذلك يظفر ڤيتـجنشتاين بمكان في إطار تخصيص هذه التصورات للمـعنى، فالمعنـى لا يفهم على أسـاس الموضـوع، بل على أساس الفـعل. وبذلك صار براجماتيًا بكل ما تعني الكلمة.

ومع ذلك: يمكن إسهام ڤـيتجنشـتاين في السؤال عن المعنى بشكل أقل في التمهيد لـ> براجماتية الدلالة <، بل إنه يتجاوز بشكل جذري إلى

---

(٥١) لدى كـمرلـينج ١٩٩٢ ، ص١٠٤ ، يوجـد تركـيب لمنطوقـات يسـاوي فـيـهـا ڤـيتجنشـتاين المعنى بالاستعمال.

إيضاح أن التفـريق بين الدلالة والبراجماتية ذاتـه لا معنى له. وذلك لسبب بسيط لأن ما هو دلالى - وذلك كدلالة قائمـة على أساس براجماتي أيضًا - بالنسبـة لمسـألة ما اللـغة، لاوزن له علـى الإطلاق. فمـا تفـعل الكلمـة للكلـمـة، والجـمـلة للجـمـلة، والمنطوق للـمنطوق لا يتـأصل بالنسـبـة ڤيتـجنشتاين في حالة أن هذه لها معنى. فالمعـاني ليست سمات للغة على الإطلاق.

بيد أننا نتحدث مع ذلك أينما كنا عن معان. فما المعاني إذن، حين لا تكون خواص للغـتنا؟ إجابة ڤيـتجنشـتاين: إن المعنى لا يرد في اللغة، بل في تفسيـر اللغة >فقط<. هذا/ غرض تأمـلاته في المعنى المستلهـمة بشكل ١٢٣ لغوي نقدي، التي لـم تعد تتقصى عن المعنى على أنه كـيان لغوي، بل عن استـخدام الكلـمة > المعنى<. وهكذا فـالمعاني أوجـه ورود لكلامنا حـول اللغة. ونسـتطيع أن نعبر أيضـا عن حرية المعنى هذه للغة ذاتهـا على النحو الآتي: > المعاني< بالنسـبة لڤيـتجنشـتـاين، مثل >القـواعد<، و> النحو< ظواهر خطابيـة. ولكن اللغـة ذاتهـا ليـست ظاهرة خطابيـة على الإطلاق. وهكذا ليس للمـنطوقات اللـغوية أيضًـا مـعنى. لنشـر على الأقل ببـعض الخطوط إلى هذا الحل المفاجئ والمضاد للحدس أيضًا لمشكلة المعنى.

ابتـداءً: يكون التـعـامل العادي مع الـكلمات عـلى نحو أن مـعـاني الكلمات في ذلك لا تظهـر إطلاقًا. >الكلمات ومعناهـا. معنى الكلمات، ماذا يكـمن خلفها، لا يُـهتَم به في التـعامل اللغـوي العادي. فهي تـنساب

هناك، فتُقَام انتقالات من الكلمات إلى الأفعال، ومن الأفعال إلى الكلمات<.[٥٢] ما المعاني دائمًا أيضًا: في إنجاز الاستعمال اللغوي العادي لا تؤدي دوراً. وما نجده بدلاً من ذلك هو الانتقال من فعل لغوي إلى فعل غير لغوي. وهنا تظهر على كل حال، إلامَ يشير مغزي غير اصطلاحي، >للمعنى<، وأكثر تأثيراً في استعمالنا اللغوي أيضًا: إنه في سياق أفعال خاصة بواقع الحياة يكون شيء ما ذا صلة بفعلنا، أي يكون لشيء ما وزن وقيمة، باختصار: معنى.> في مجرى الحياة< فقط >تكون للكلمات معنى<[٥٣] ويتلقى كلامنا معناه من خلال أفعالنا الأخرى.[٥٤] وبذلك يكون المعنى قد حُرِّك من المركز إلى محيط النظرة اللغوية، إلى حيث ينظر إلى العلاقة بالفعل غير اللغوى. ويصير المغزي والمعنى صفات لا نعزو إليها كيانات لغوية، بل أفعال فقط في مجال الانتقال للغة والحياة.

وبذلك تقوم كل المواقف الخاصة بنظرية المعنى، التي تتصور المعاني وفق نماذج الأشياء، أي بمعنى أوسع تتعلق بمفهوم تمثيلي، على/ سوء فهم. ١٢٤ ويخص سوء الفهم هذا القوة المؤسسة للمعنى، التي لا تبعد عن فعل التسمية. وطبقا للمفهوم الذي ناقشه ڤيتجنشتاين وجعله إشكالاً أساسًا في نهاية البحوث الفلسفية للكلمات معنى، باعتبار أنه من خلال تسمية دالة يربط صوت بشيء. ومشكلة هذا المنهج أنه ثمة تفسيرات إشارية، أي تعريفات ظاهرية تكون مفيدة أحيانًا - وبخاصة عند اكتساب لغات أجنبية

(٥٢) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد٧ (ملحوظات حول فلسفة علم النفس) ، ص٣٢٢.

(٥٣) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد٧ (ملحوظات حول فلسفة علم النفس) ، ص٤٦٨ .

(٥٤) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد٨ (حول اليقين) ، فقرة ٢٢٩.

أو عند ظهـور كلمات جـديدة - ولكنهـا لا يمكن أن تقوم إطلاقًـا أساسًـا لاكـتسـاب اللغـة. وذلك أننا يجب أن نعـرف دائمًا لغـة ونجـيدها لنفـهم حـركات إيداء دال بمفـهوم فـعل مضفٍ مـعنى فـهمًـا صحـيحًـا أساسًـا: >فـالتعـريف الإشـاري يوضح استـعـمال - مـعنى - الكلمـة، حين يكون واضحا أي دور ينبغي أن تؤدي الكلمة فـي اللغة بوجه عام... فالمرء يجب أن يعرف (يجيد) شـيئًا حتى يستطيع أن يسأل عن الاسم (التـسمية)<.[٥٥] ويفتـرق إدراك التسـمية ومن ثم النـهج الموجه إلى الاسم، والمعنى بوصـفه ربطًا للعلامات بأشياء غير لغوية، بوصفه أساسًا للمعاني اللغوية.

هنا يبدو أن ڤـيتـجنشتـاين يقـدم إمكانية بأن يوصي بالتنقـيب عن الاستـعمـال بدلاً من التسـمية. ويعـبر عن ذلك على الـنحو الآتي: >يمكن للمرء أن يفسر بالنسبة لقسم كبـير من حالات استعمال الكلمة >معنى< - حتى إن لم يكـن لكل حالات استـعمالـها - هذه الكلمة علـى هذا النحو: معنى كلمة ما هو استـعملها في اللغة<.[٥٦] ما يهمنا في هذا الموضع ليس التقييد فقط الذي يوضح أنه لـم تُقصَد كل الحالات. الأهم هو - هذا يتوقع أيضًا في البرنامج اللغوي النقدي لڤيتـجنشتـاين - أنه لا يحقق شيـئًا عبر المعنى بوصفـه خاصيـة لعلامات لغـوية، بل عبر إيضـاح الكلمة >معنى<. ولذلك يمكن ألا يُعَـد مـا يشي به هذا الاقتبـاس إمكانية لـنظرية الأسمـاء (بغـض النظر عـن أن الجـمـل ليـسـت على كـل حـال نظـريات)، لأن

(٥٥) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد١ (بحوث فلسفية) ، فقرة ٣٠ .

(٥٦) ڤيتـجنشـتاين ١٩٨٤ ، مجلد١ (بحوث فلسفية) ، فقرة ٤٣ .

ڤيتجنشتاين يقترح هنا تبديلا للموضوع: لم يعد يُسأل عن معنى الكلمات، بل عن الكلمة >معنى<. وفي نهاية بحوثه الفلسفية يؤكد هذا مرة أخرى:/ >معنى الكلمة هو ما يوضحه شرح المعنى(*). بمعنى أنه: إذا ١٢٥ أردت أن تفهم استعمال الكلمة >معنى<، فتحقق مما يطلق عليه شرح المعنى<.(٥٧) نرى إذن: بالنسبة للتعاملات المألوفة للغة تكون المعاني هامشية. وحيث ترد يجب أن تنشأ مشكلة في الفهم، مما يجعل الشروح ضرورية. وما يظهر في هذه الشروح ليس معاني بوصفها نوعا من كيانات تعد مميزة للغة، بل الكلمة >معنى< فقط. وبذلك يكون واضحًا: أن المعاني نطاقات للعب باللغة، ليس كل لعب باللغة، بل ذلك اللعب باللغة الذي له علاقة بشرح اللغة.

ولكن ماذا يشرح حينئذ؟ هو: استعمال كلمة ما، ولكن ماذا يعني شرح استعمال؟ على ذلك أيضا يقدم ڤيتجنشتاين إجابةً جد واضحة: نحن نشرح الاستعمال، بأن نوضح القواعد، كيف نفعل شيئًا.(٥٨) في ذلك لا يركب ڤيتجنشتاين ببساطة الاستعمال والقاعدة - وهذا يصح أن ينتبه له - وذلك بمعنى تساوٍ بين >استعمال< و>اتباع قاعدة<. بل يقول فقط:

(*) تراوح معالجة ڤيتجنشتاين للمعنى بين الاسم Erklärung ويعني (شرح، وإيضاح تفسير، تبيين.....)، والفعل Erklären، ويعني (يشرح، ويُوضح، يُفسر، يُبين) وقد اخترت المعنى الأول غالبًا.

(٥٧) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤، مجلد١ (بحوث فلسفية)، فقرة ٥٦٠.

(٥٨) >لكننا قلنا: ربما فهمنا تحت معنى ما يوضحه شرح المعنى. وشرح المعنى ليس مبدأ معرفيًا، ولاشرحًا سببيًا، بل قاعدةً، اتفاقًا< ڤيتجنشتاين ١٩٨٤، مجلد٤ (نحو فلسفي)، فقرة ٣٢.

بدقـة إذن حين نريد أن نشرح استعـمالاً فـإننا يجب أن تسـتند إلى علاقـة بالقواعد. القواعد - ويعد هذا جـوهرياً لمفهوم القاعدة لدى ڤـيتجـنشـتاين - بذلك ليست ظاهرة الإنجاز، بل الشرح - للإنجاز.

وفي هذا الموضـع يؤدي السـؤال عن المـعنى إلى السـؤال عن وضع القواعد.

٥- القواعد

إن إسهام ڤـيتجـنشـتاين في السـؤال عن دور قواعد اللغـة يمكن أن يتـأكد ابـتداءً بشكل سـلبي: نحن لا نتكلم على نحـو مـا نتكلم لأننا نتـبع قـواعد في الكلام. وهكذا فـالقـواعد ليـست عنصـراً محـدداً لاسـتعـمـال اللغـوي، يمكن أن يقوم في إطار نـظرية لغوية تعـيد بـناء القواعـد بوظيفـة مفسرة (شارحة) للغـة. ولكن ماذا/ تكون القواعد إذن خلاف ذلك؟ رجع ١٢٦ ڤـيتجنشـتاين في سيـاق شرح المعنى من خلال قـواعد الاستعـمال بشكل متكرر إلى القـياس على لعـبة الشطرنج.[٥٩] فمعنى كلـمة ما يمكن إذن أن يقارن بالقاعدة، التي تحـدد نطاقات اللعب الممكنة لقطعة شطرنج[٦٠]. وفي الواقع تشكل فكرة اللغة بوصفها حسابًا عنصرَ ربطٍ مهم بين تصور الجملة

---

(٥٩) حول مدى وحدود القياس : كمرلينج ١٩٩٢.

(٦٠) حول دور عـلامة ما في لعـبة الشطرنج: ڤـيتـجنشـتـاين ١٩٨٤ ، مجلد ١ (بحوث فلسـفـيـة) ، فقـرة ٢١، وحـول النطق بالجملة بـوصفـه حـركـة في لعـبـة الشطرنج: ڤـيتـجـنشـتـاين ١٩٨٤ ، مجلد ١ (بحوث فلسفية) ، فـقرة ٢٢ ، ٤٩، وحول قواعد لعبة الشطرنج ، ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد١ (بحوث فلسفية) ، فقرة ٥٣.

في كتاب >المختصر<، وتصور اللعب باللغة في كتابه >بحوث فلسفية<[٦١] ولكن ڤيتجنشتاين قد تراجع - ذلك منذ الثلاثينيات مع ميل متزايد[٦٢]- عن تعريف اللغة بحساب. ولهذا التراجع علاقة بتقييم متغير لمفهوم القاعدة ذاته. ولذلك تكون أسباب نسبية فكرة الحساب موضحةً أيضًا لتصور ڤيتجنشتاين للقاعدة.

وتتخذ فكرة اللعب باللغة شكلاً في نطاق نسبية تصور لعبة الشطرنج، الذي لم يعد نمطًا أصليًا، بل صار للعب ضمن آخرين. ففي لعبة الشطرنج يكون النظام القاعدي منتهيًا: فقد تقرر بشكل محدد من خلال كون حركة اللعب مسموحًا بها أولا. لقد تحدد بشكل تام مجال كل الحركات الممكنة، وذلك بشكل مستقل عما إذا كانت تمت أولا. بيد أن هذا التمام والكمال لا يسرى على ألعاب حسابية فقط: >وهل لا تُقدِّم الحال أيضًا، حين نلعب، و->نتم القواعد مثلما نتعاون<؟ أجل أيضًا الحال التي نعدلها فيها- >مثلما نتعاون<.[٦٤] وهكذا لا معنى في ألعاب تتشكل فيها ابتداءً القواعد في الفعل أو تتغير، أن ينُطلَق من شيء مثل >التمام<. ففي

---

(٦١) سد ماك ١٩٦٩ ، ص١١٨ وما بعدها.

(٦٢) حول ذلك : سد ماك ١٩٩٤ ، ص١٢٠ وما بعدها.

(٦٣) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد٤ (بحوث فلسفية) ، فقرة ٥٧.

(٦٤) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد١ (بحوث فلسفية) ، فقرة ٨٤. لا يمكن فضلاً عن ذلك أن تنظم القواعد حركةَ لعب بشكل تام إطلاقًا : فلا تفرض قاعدة إلى أي ارتفاع يمكننا أن نقذف الكرة في التنس. ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد ١ (بحوث فلسفية) ، فقردة ٦٨.

تلك الألعاب يكون ما يعد >تابعًا للعب< مفتوحًا. ومثل هذا تمامًا الحال مع لغتنا السائرة أيضًا. فالتمام يتضمن دائمًا: يمكن إقامة حد بين داخل وخارج. بيد أنه بالنسبة/ لما يعد من اللغة أولا، لا يوجد مثل هذا الحد.(٦٥) ١٢٧

هذه الأفكار تؤدي إلى فصل اللغة السائرة > المفتوحة< عن الحساب >المغلق<. ومع ذلك ترمي تأملات ڤيتجنشتاين - حول القاعدة إلى أكثر من الحيلولة دون تحديد الحساب واللغة. على العكس من ذلك: ما يهم ڤيتجنشتاين أن يشرع في مناقشة القاعدة بمنظور يسرى على عمليات شكلية، وكذلك على الاستعمال اللغوي اليومي، منظور، لا يتناقض فيه الحساب والثقافة بالنظر إلى وضع القواعد، التي تؤدي في كليهما دوراً، بل يقرب بينها.

هذا المنظور يكمن في حالة أن القواعد لا يمكن أن تُقَعِّد هى ذاتها تطبيقها. نحن نتحدث عادة عن إتباع القواعد، حين يعد نشاط ما تحقيقًا لقاعد ما. وبذلك قد يوجد، مثل خط يربط بين مكانين، في الواقع ربط ذو خط مستقيم بدرجة أكثر أو أقل بين قاعدة وفعل. ويبين ڤيتجنشتاين أنه لا يوجد مثل هذا الربط ذي الخط المستقيم. وما يوجد بدلاً من ذلك هو فجوة بين القاعدة ونشاطٍ ما.(٦٦)

وتفسر القواعد بشكل مختلف، ويمكن بذلك أن تؤدي إلى أفعال مختلفة. ويسرى هذا على الفعل الرياضي. فحين تكون لدينا سلسلة أعداد

---

(٦٥) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد١ (بحوث فلسفية) ، فقرة ٢٣ .

(٦٦) حول صورة خطوط القضبان: ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد ١ (بحوث فلسفية) ، فقرة ٢١٨.

مثل ٠، ٢، ٤، ٦، ٨، ١٠ ... فإننا نظن أن الإكمال الصحيح وحده يوجد في ١٢ و ,١٤.. ولكن حين يتابع تلميذ، نادرا ما وصل إلى... ١٠٠٠، يتابع ١٠٠٤، ١٠٠٨ ، ١٠١٢ فإننا يجب أن نقر بأنه حين نقدم سلفًا دائمًا سلسلة أعداد من خلال جزء بداية نهائي فإنه يوجد عدد لا نهائي من الطرق لمسألة كيف يمكن أن نكمل السلسلة.(٦٧) أو حين يكون لدينا جدول نرتب فيه كلمات لونية ونماذج لونية ترتيبًا أفقيًا، بحيث يسجل >أحمر< في عمود، ونموذج لوني أحمر في عمود آخر، فإننا سوف نفترض أنه يجب أن تُقرأ كلمات لونية ونماذج لونية في اتجاه أفقي للسهم. ولكن لا يحتاج إلى هذا الفرض الجدول الذي يمكن أن يُقرأ بشكلٍ جيد تمامًا في اتجاهات للسهم متوافقة(٦٨).

١٢٨ / وبشكل واضح في هذا السياق تعد صورة ڤيتجنشتاين عن القاعدة مؤشراً إلى الطريق. >تكون ثمة قاعدة هناك، حين يكون مؤشر الطريق<. وبشكل دقيق – على هذا النحو ربما نجيب وفق فهمنا الحدسي للقاعدة – ماذا يمكن أن يمثل بشكل أوضح من مؤشر الطريق أن القواعد تكون هناك أيضا وأننا نتبعها؟ بيد أن ڤيتجنشتاين يواصل في هذا الموضع؟... >هل يترك دون شك المؤشر مفتوحا حول الطريق، الذي يجب

---

(٦٧) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد١ (بحوث فلسفية) ، فقرة ١٨٥.

(٦٨) >يكفل الجدول تساوي الانتقالات التي لا نجعل فيها. فهو لا يجبرني على استعماله دائمًا بشكل مساوٍ، هو موجود هناك، مثل حقل تتخلله طرق، ولكنني أستطيع أيضًا أن أسير عبر الحقل< ، ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد ٤ (نحو فلسفي) ، ص٩٤.

أن نسير فـيه؟... ولكن أين يقع، بأي معنى يجب أن أتبعـه، سواء في اتجاه اليـد أو (مثـلاً) في الاتجاه المقـابل؟ ولو وُجِـدَت، بدلاً من مؤشـر الطريق، سلسلة مـحـددة من مـؤشرات الطريـق أو توافرت خطـوط طباشـيـر على الأرض - فهل لا يوجد لها إلا تفسير واحد فقط؟<.[٦٩]

ولكن حين يمكن أن تُفسَّـر القواعد بشكل متبـاين، فإنه يصح عكس ذلك أيضًا: فحين توجد قاعدة فإنه يمكن تقريبًا أن يُستعمَل أي فعل أيا كان في تطابق مع هذه القاعدة. >فما أفعله دائمًا يمكـن أن يتحد مع القاعدة من خلال أي تفسير<.[٧٠]

ومن الواضح أن هذا الموضع يعـبر بشكل لا لبسَ فيـه عن أنه يجري رباط موحد، ليس من القاعدة عبر تفـسير القاعدة إلى الفعل ولا من الفعل إلى القـاعـدة. ولكن تدخل هنا فكرة أخـرى، وهى التـفريق بـين القاعـدة والتعـبير عن القـاعدة، باعتبـار أن هذا يقدم مثـالاً للتفريق بين فـعل عملي وتفسيره.[٧١] ولا تخرج التفـسيرات - على نحو مـا يمكن أن نقول بشكل مقتـضب - مطلقًا من دائرة عمليات إحـلال العلامات.[٧٢] وتطبيقًا على

---

(٦٩) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد١ (بحوث فلسفية) ، فقرة ٨٥.

(٧٠) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد١ (بحوث فلسفية) ، فقرة ٨٥.

(٧١) >من خلال ذلك نبين أنه يوجد فـهم للقاعدة ، ليس تفسيراً ، بل يعـبر من حالة إلى حالة للتطبيق فيما نطلق عليه>إتباع القاعدة <، و >مخالفتها< ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد ١ (بحوث فلسفسية) ، فقرة ٢٠١.

(٧٢) >التفـسير هو شيء يوجد فـي العلامة. إنه هذا التفـسير في مـقابل تفسيـر آخر (له مضمـون آخر)... وهكذا حين نريد أن نقول> تفتقـر كل جملة إلى معنى< ، فإن هذا =

القاعدة واتباع القـاعدة: إن القاعدة بوصفها ما يكون له أهمـية في سياقات التطبيق،/ وصـياغة القـاعدة بوصفـها ما يكون مـهمًا في مـوقف التفسـير ١٢٩ والبـحث، ظاهرتان مخـتلفتـان.[٧٣] ويعني تفـسيـر قاعدة إحـلال وصف للقاعدة محل وصـف آخر للقاعدة،[٧٤] وبذلك يؤدي تفسيـر القاعدة إلى ارتداد لا نهـائي فـقط، ولكن لا يمـكن أن يفـضي إلى الفـعل.[٧٥] وهكذا يتعلق الأمر بالنسبة لڤيتجنشتاين حول فهم اتباع القاعدة، لا يكون تفسيراً في الوقت نفسه.[٧٦] ويعبر عنها في قول يستـشهد به كثيرا: > أتبع القاعدة اتباع الأعمى<.[٧٧]

ولكن كيـف يجري هذا؟ لڤـيـتـجنشـتـاين عن ذلك إجابة مـطلقة وكـذلك ثريـة النتـائج بشكـل حـاضـر: >لذلك يعـد >اتبـاع القــاعـدة< تطبـيقًـا<.[٧٨] ويدلل على مـا يعني >التطبـيق< هنا قـول آخر: > يشـترط

= يعني: >لا يمكن أن تفهم جملة دون إضافة < ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد ٨ (ورقة)، ص٢٢٩.

(٧٣) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد١ (بحوث فلسفية) ، فقرة ٢٠١.

(٧٤) ولكن ينبغي أن نذكر >تفسيراً< فقط: إحلال تعبير للقاعدة محل تعبير آخر.

(٧٥) حول ذلك ١٩٨٩، ص١١٤ ، وأيضًا: >يتعلق كل تفسير بـكل ما يفسر في الهواء، فهو لا يستخدم دعامة له<. ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد ١، (بحوث فلسفية) ، فقرة ٢١٩.

(٧٦) > نبين من خلال ذلك أنه يوجد فهم لقاعدة ، ليس تفسيراً< ، ڤيتجنشتاين ١٩٨٤، مجلد١ (بحوث فلسفية) ، فقرة ٢٠١.

(٧٧) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد١ (بحوث فلسفية) ، فقرة ٢١٩.

(٧٨) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد١ (بحوث فلسفية) ، فقرة ٢٠٢.

استعمال مفهوم >اتباع قاعدة < مألوفًا<.[٧٩] ويهمنا هنا المصطلحان >المألوف<، و>الاستعمال<. يتعلق كوننا نتوجه جميعًا على نحو واحد حسب مؤشر الطريق بأننا نتفق في التطبيق، وبأننا، بشكل متنام في هذا التطبيق، نوجه إليه بشكل نهائي. إنه ليس تفسير القواعد واستعمالها، بل التكرير العملي لنماذج متعلمة، الذي ينشأ من خلاله تطابق في السلوك.

أما غرض تحديد إتباع القاعدة والتطبق فهو أن القواعد يمكن أن تتبين فقط في إنجاز هذا المران العملي، ولكن لا يعبر عنها ولا تُصاغ. أو على عكس ذلك: حيث ننتقل - في حالات إشكالية محددة - إلى مناقشة القواعد، فإن هذا هو موقف اختلاف الرأي الذي يجعل خطابًا ما ضروريًا، ولكن في ذلك مرة أخرى شكل للتطبيق، الذي يتغذى من شروط مشتركة، أي قواعد أخرى، نتبعها اتباعا أعمى!، والذي لا يمكن في ذلك أن يقع في الوقت ذاته تحت التصرف./ نريد أن نطلق على هذا> فهمًا للقاعدة وفق ١٣٠ الفعل المنطقي (العملي) < لدى ڤيتجنشتاين. فوفق هذا الفهم لا تُفهَم القواعد اللغوية بشكل معياري، ولا بمفهوم شروط التوفيق الخاصة بنظرية الفعل الكلامي. نحن لا نستعمل اللغة بشكل صحيح أو خاطئ، بل إننا نستطيع أن نستعمل فقط اللغة أو لا نستطيع أن نستعملها. وحين نواجه - في سياقات خاصة باللغة الأم - >بكلام منحرف<، فإن هذا إما ألا يكون كلامًا أساسًا أو أنه لعب جديد باللغة. والمواقف التي، >تتعطل< فيها اللغة

(٧٩) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد ٦، ص٣٢٢.

أيضًا، حين يُضَلل فلاسفة مثلاً من خلال استعمالات اسمية بتجسيد شيء ما بأنه موضوع، وهو ليس كذلك، فإن هذا الاستعمال الخاطئ للغة يظل دائمًا عادتها (الاستعمال المألوف لها).

ونجمل ذلك: ينهي ڤيتجنشتاين التفريق المؤسس لأنطولوجيا - العالمين، بين القاعدة واستعمالها. وفي أفق تصوره للقاعدة الخاص بالفعل المنطقي ليس الأمر أنه توجد قاعدة، يجب أن يعد إنجاز عملي تحقيقًا لها، بل على العكس من ذلك، يكون التطبيق الذي يقدم على نحو ما يكون >اتباع< قاعدة. فلا تشترط القاعدة التطبيق، بل يشترط التطبيق القاعدة. ولذلك لا يمكن أن تُستخدَم أوصاف القاعدة تفسيرات لتطبيق. فإنتاج أوصاف القاعدة أو تفسيرها يعد ألعابًا باللغة، تفترق عن تلك التي نتبع فيها هذه القواعد اتباعًا أعمى. وعندئذ يفتقر هذا إلى قواعد اللعب باللغة الموضح لكل تميز بمفهوم وجهة نظر محافظة متميزة، قد يحاط بناءً عليه بكل ألعاب اللغة الأخرى، وتشرح أو حتى يحكم عليها. ويتجاوز اللعب باللغة الواصف للقاعدة والتابع للقاعدة - على نحو مستوٍ ولا يتوالى - كما في المكان ذي البعد الشديد العمق. فإذا أراد المرء أن يعزو لڤيتجنشتاين رؤية أونطولوجية، فربما كانت هذه تصور،> أونطولوجيا مسطحة <.وبذلك يكون على أية حال قد سحب البساط من تحت أولية القاعدة في مقابل الإنجاز العملي: هذه هي النكتة في إعادة تفسير ڤيتجنشتاين لمفهوم القاعدة.

ولكن كيف يتوافق مع إعادة التفسير هذه لڤيتجنشتاين ميل غير خاف إلى طرائق ملاحظة نحوية للغة؟

٦- النحو

/ استخدم ڤيتجنشتاين غالبا الكلمة >نحو< منذ الثلاثينيات. فقد ١٣١ تقدم تقريبًا إلى الموضع الذي كان يُعَزي من قبل لمصطلح >منطق<. وينطلق، إلى مدى يعد ما هو نحوي أساسيًا له، من أن ڤيتجنشتاين يصف فلسفته بأنها نوع من البحث النحوي(٨٠) ويقترح >نحو فلسفي< في مخطوط له عنوانًا لكتاب أيضًا.(٨١) ما هو إذن البحث النحوي؟ ابتداءً مرة أخرى ثمة حدّ يجب أن تكون له علاقة بذلك، وهو ڤيتجنشتاين >يجرد النحو من علم اللغة<(٨٢) فوظيفة النحو ليس إنجاز >تحليل أخير للشكل اللغوي الخاص بنا<(٨٣). النحو ليس علم الأشكال في اللغة. وهو لا يضم أيضًا صياغات لقواعد لغوية، ولا جملاً عن قواعد لغوية. أخيرًا لا يُعزَي للنحو أي دعوى تفسيرية: فهو يصف فقط ولا يُفسِّر. (٨٤) ويشتمل هذا

---

(٨٠) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد١ (بحوث فلسفية) ، فقرة ٩٠.

(٨١) هوامش للناشر في : ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد٤ (بحوث فلسفية) ، فقرة ٤٨٧.

(٨٢) يرجع هذا المصطلح إلى بيتسل ١٩٩٦ ، ص٤٠.

(*) المصطلح entlinguistisiert . لم أعثر على ترجمة له، ولذا تكون ترجمتي اقتراحًا لفهمي لما يقصد به، وهو تجريد النحو من مجال علم اللغة، وتحديد مهمة أو وظيفة خاصة لديه، أطلق عليها ابستيمية (معرفية) .

(٨٣) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد١ (بحوث فلسفية) ، فقرة ٣٣٧ .

(٨٤) >لا يقول النحو كيف يجب أن تبنى اللغة، للوفاء بالهدف منه.. إنه يصف فقط ولا يفسر بأية حال، استعمال العلامات< ڤيتجنشتاين ١٩٨٤، مجلد١ (بحوث فلسفية)، فقرة ٤٩٦ ، ويؤكد هذه الدعوى _ غير التفسيرية أيضًا كريستيان شتتر ١٩٩٧ ، ص٦٣٧ في تفسيره لڤيتجنشتاين.

على أنه: لا تُعزَي إليه دعوى معيارية، فهو لا يفرض شيئًا، وهو ليس هناك لتصحيح استعمالنا اللغوي[٨٥].

ومع ذلك يمكن أن تصحح الأنحاء شيئًا - ولكن هذا ليس الاستعمال اللغوي ذاته، بل معرفتنا حول الاستعمال اللغوي. وبذلك يفي النحو بوظيفة ابستيمية (معرفية)[*]. وهي في الواقع يجب أن تُخلط بوظيفة إدراكية. لأن المعرفة التي نكتسبها في ألعاب لغوية، تنتج أوصافًا نحوية ليست معرفة يجب أن يمتلكها متكلمون في ألعاب لغوية أخرى حقيقةً بوصفها كفاءة نحوية.

وتكمن الوظيفة الابستيمية (المعرفية) للنحو في أن تكون وسيلة عرض - ولكن ليس إنجاز! - ألعابٍ لغوية. يقدم النحو عرضًا شاملاً/ ١٣٢ لطرق استعمال الكلمات، وذلك بالنسبة لالعاب لغوية معينة.[٨٦] يوفر النحو شيئًا أشبه بسجل لاستعمالات الكلمة. ولذلك توجد صورة مميزة لڤيتجنشتاين في حصافته بلا خلاف: يصف النحو بأنه كتب تجارية للغة، نحصل من خلالها على نظرة في >التعاملات الحقيقية للغة<[٨٧] ويمكن أن يُبرِز >العرض الشامل< الحادث من خلال أوصاف نحوية علاقاتٍ،

---

(٨٥) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد١ (بحوث فلسفية) ، فقرة ١٣٢ .

(*) رأيت أن استخدم وظيفة ابستيمية (معرفية) لترجمة لمصطلح (epistemische Funktion) تمييزاً له عن مصطلح kognitive Funktion (وظيفة إدراكية) ، ولا يصح استعمال الوصف (معرفية) هنا حتى لا يختلط المصطلحان.

(٨٦) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد١ (بحوث فلسفية) ، فقرة ١٢٢ .

(٨٧) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد٤ (نحو فلسفي) ، فقرة ٨٧.

ويصف بذلك الطريقة التي نرى بها الأشياء (٨٨). وهكذا لا يتعلق الأمر بإحلال تصور دلالي للنحو محل تصور نحوي. بل يظفر النحو بوظيفة مستدلة على موضوع. فهو يجعل طريقة الإسقاط لصورنا عن الواقع مفتوحةً، ويبرز شكلية نظرتنا للعالم (٨٩) يقول النحو ما طبيعة الشيء أو : الجوهر بارز في النحو (٩٠).

ويستدل النحو على طرق رؤية الأشياء في وظيفته من معالجة أشكال الوصف والعرض. هذه الأشكال - ومن ثم الأنحاء أيضًا- جزافية. ويعني هذا من جهة أن الأنحاء لا يمكن أن تعلل نظريًا، فلا يكون نحو أصدق من الأنحاء الأخرى. ومن جهة أخرى توجد دائمًا إمكانية أنحاء بديلة (٩١).

وفي الواقع لايجوز أن يساء فهم جزافية النحو بمعنى لا محدوديته، لأن ڤيتجنشتاين قد أكد في أقواله عن قواعد جزافية للغة أنه يراها ملازمة للضرورة (الحتمية) الطبيعية (٩٢)، وأشار إلى النحو ذاته بأنه جزء من التاريخ الطبيعي للبشر. ولفهم هذا العنصر من الضرورة، وهو ما يخص الأنحاء الجزافية ذاتها، يجب أن نقوم بخطوة أخيرة في / إعادة بنائنا ١٣٣

(٨٨) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤، مجلد١ (بحوث فلسفية)، فقرة ١٢٢.

(٨٩) فيشر ١٩٨٧، ص٧٨.

(٩٠) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤، مجلد١ (بحوث فلسفية)، فقرة ٣٧٣، ٣٧١.

(٩١) >إن قواعد النحو جزافية بالمفهوم ذاته لاختيار وحدة قياس< (نحو فلسفي) ص١٨٥، ويسير الأمر ضد إمكانية هذا التسويغ، حين نقول إن قواعد النحو جزافية، (بحوث فلسفية)، ص١٨٦.

(٩٢) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤، مجلد٤ (نحو فلسفي)، ص١٨٤.

(لفلسفة) ڤيتجنشتاين ، وأن نتجه إلى البعد الطبيعي بشكل كامن في فهمه للغة.

٧- نزعة ثقافية طبيعية[*]

إن المعطيات الثقافية – وهذا ما تبناه سيرل مرة أخرى وأكده بتفريقه بين وقائع >خام< ووقائع >مؤسساتية<[٩٣] – مرتبطة بتفسيرات ، وهي المواقف العملية المصاحبة لها: فالوقائع الاجتماعية هي ما تكون، فقط لأنها تعد لهذا أيضًا من قِبَل جماعة ما، ثم تتصرف هذه الجماعة وفقًا لها أيضًا. ويبدو أن هذا يصدق في النادر على ظاهرة أكثر من صدقه على ظواهر لغوية. فاللغة والاستعمال اللغوي ظاهرتان اجتماعيتان، وذلك لأنهما ظاهرتان سيميوطيقتان بكل ما في الكلمة من معنى. فالعمل بالقدرة الرمزية مثل فن الفهم الخاص بنا. ولكن ڤيتجنشتاين يُظهر ارتيابًا تجاه أحد هذه التحديدات السيميوطيقية المرتبطة بإيضاحات وتفسيرات وفهم، الخاصة بظواهر لغوية. فهو يجعل في ذلك على نحو مضطرب غالبًا الحد بين الطبيعة والثقافة غائمًا ، الذي يقام في الفهم اليومي تحديدًا من خلال العلامات الجزافية.

(*) يعني بمصطلح Kulturalismus اتجاهات فكرية ، تؤكد التصنيف الأنثروبولوجي للإنسان بأنه كائن ثقافي واعٍ بالهدف، ويعمل وفق هدف. ويعد العلم أحد هذه الإنجازات الثقافية ويطلق مصطلح >نزعة ثقافية منهجية< في ذلك على التأمل الفلسفي ، الذي انطلاقًا من هذه النظرة ، يعني بشكل منهجي ومنظم بإنجازات ثقافية متقدمة بوصفها أساسًا للبحث العلمي وبناء النظرية.

(٩٣) سيرل ١٩٩٧ ، ص٣٧ وما بعدها.

ويفـرق في تصوره للقـاعـدة الخاص بالفـعل المنطقي بين واقع اتبـاع القاعـدة- الأعمى- وتفسيـر القاعدة كظاهرة سـيميوطيـقية ، تُنقَل معـها- وحدها- أوصاف القاعدة بعضها داخل بعض. وفي مجرى الكلام أيضًا لا يؤدي التفسـير عادةً أي دور على الإطلاق. فلو فُسِّرت جـمل لأعقبت كل جملة إضـافة [٩٤]. وما يبـقى الألعاب اللغـوية في حركـة هي نماذج حادة، وتقاليـد أقيمت على الممارسـة، وطرائق فعلية مُـورست دون إنعام النظر- وكذلـك استعـمالات اجـتمـاعيـة. وحيث إن الفـعل الكلامي اسـتعـمال اجتماعي، ولكن الاستعمالات الاجتماعـية هي ما تكون شبه ملزمة طبيعيًا بثقافـة ما، فـإن الكلام أولاً وأخيـراً ظاهرة طبيـعيـة: >فالأمـر، والسؤال، والحكي، والدردشــة تدخل فـي تاريخنا الطبـيــعي، مـثـل المشي والأكل والشرب واللعب<[٩٥]./ وهكذا ينتـقل ڤـيـتجنشـتـاين بين >الكلام< ، ١٣٤
و>شكل الحياة<، و >الطبيـعة<: فما نقـدم هو في الواقع ملحوظات حول التاريخ الطبيعي [٩٦].

ولكن أليس موجودًا في كل مكان لدى ڤيتجنشتاين أن للغة علاقة بالعلامات؟ بل مثلما هي الحال مع مفاهيم تقليدية كثيرة يتخذ في مناقشاته مفهوم العلامة ملامح جديدة >ويسأل ڤيتجنشتاين< في مرحلة مبكرة< : كيف تكون عـلاماتنا غير مـحددة، مثل العالم الذي تعكسـه؟ يمكن أن تُعد

(٩٤) ڤيـتجنشـتاين ١٩٨٤ ، مجلد٨ (ورقة) ، فقرة ٢٢٩.

(٩٥) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد١ (بحوث فلسفية) ، فقرة ٢٥.

(٩٦) ڤيتجنشـتاين ١٩٨٤ ، مجلد١ (بحوث فلسفية) ، فقرة ٤١٥.

النزعة الطبيعية التي تتجلى في نظرية الثقافة لدى ڤيتجنشتاين >في مرحلة متأخرة< إجابةً عن ذلك. فالعلامات لم تعد حداً فاصلاً بين الثقافة والطبيعة، بين اللغة وعالم غير لغوي، بل تؤسس سلسلة متصلة، تكون دائمًا في الوقت نفسه اجتماعية وطبيعية وعقلية وفيزيائية : أي ثقافة ذات نزعة طبيعة.

إن لهذا نتائج مهمة للفهم اللغوي؛ فقد يتقوض ما يمكن أن يعد شرفة الصورة اللغوية العقلية: قد يُفرق بشكل لا غبار عليه بين اللغة وغير اللغة، وبين فعل اتصالي وفعل غير اتصالي . وقد اتسعت فضلاً عن ذلك الطبيعة العلاماتية للغة ذاتها من خلال ذلك، حيث لا تختزل استعمالات لغوية في استعمالات للكلمة، بل تنبثق من تضافر بين حركات اليد وتعبيرات الوجه، والنظرة والنبرة واللغة.

>على هذا النحو نفكر، على هذا النحو نفعل. على هذا النحو نتكلم<[٩٨]. ليس ثمة استعمال كلامي آخر أكثر إيضاحًا لطموح ڤيتجنشتاين إلى إمكان إبراز ما هو طبيعي في اللغة والثقافة بوصفه المتلقي والمعطي لشكل الحياة المعين أكثر من هذا التعبير >على هذا النحو< ، الذي يظهر باستمرار في استعمالات كثيرة، هذا التعبير >على هذا النحو< يتجاوز اللغة إلى ما يتجلى. وفيما يتجلى لا يتبين العقل بل فعلنا العملي. وذلك بشكل أقل من أن نفعل شيئًا، بل كيف نفعل شيئًا. لمَ تعد اللغة ذات نفع للفيلسوف ڤيتجنشتاين هو ما يقدم صورة عن هذه > الكيفية< لاستعمالاتنا.

---

(٩٧) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد١ (يوميات) ، فقرة ١٠٦ .

(٩٨) ڤيتجنشتاين ١٩٨٤ ، مجلد٨ (ورقة) ، فقرة ٣٠٩ .

٨- جون ل. أوستن

منطوقات أدائية وإخبارية

لماذا يُقوض أوستن هذا التفريق؟

جون ل. أوستن

منطوقات أدائية وإخبارية

لماذا يُقوّض أوستن هذا التفريق؟(*)

«لقد بحثنا المنطوق الأدائي وحالات الإخفاق المستبعة ...

وبذلك نحصل على . منزلقين جديدين كل الجدة تحت

الإقدام الميتافيزيقية . السؤال هو أيًا منهما نستعمل»[١]

١- لماذا جاء أوستن في هذا الموضع - وليس قبل ذلك ؟/ ١٣٥

يعد جون لانجشو أوستن إلى جانب ڤيجنشتاين رائداً في الاستدلال على بُعد الفعل في الكلام . ولكن على نحو آخر غير ڤيجنشتاين يُعد أوستن مؤسسًا لنظرية في الفعل الكلامي: ففي إرث أوستن تُعرف نظرية سيرل في الفعل الكلامي ، بل وتعرف نظرية هابرماس في الاتصال أيضًا إنجازات تنظيمها . ولكن لماذا لم يظهر أوستن إلا في هذا الموضع ؟ لماذا لم يعرض رائداً لسيرل وهابرماس ، بل يوجد في سلسلة أولئك المؤلفين ، الذين يضعون الصورة اللغوية العقلية – على نحو أو آخر– موضعَ تساؤل؟

من المعتاد أن يُعاد بناء الانتقال من أوستن إلى سيرل على أنه تاريخ

(*) هذا هو الفصل الثامن ، وهو بعنوان "Performative and Konstatierende Äußerungen : Warum läßt Austin diese Unterscheidung zusammenbrechen" لجون أوستن، من كتاب زيبيله كريمر: (Sprache, Sprechakt, Kommunikation) «اللغة والفعل الكلامي والاتصال» الذي نشرته دار النشر سور كامب سنة ٢٠٠١م.

تقدم ، تحل فيه >نظرية أحسن < محل > نظرية أسوأ< ، ولقد كان أوستن نفسه الذى مهد لهذا الانتقال فى عمله : تنطلق نظرته إلى الخاصية الفعلية للكلام من اكتشاف >المنطوقات الأدائية< التي فُهم تحتها نوع من الكلام، يُنجَز أيضًا فى الوقت نفسه ما يفيده ، يحقق أيضًا فى الوقت نفسه ما يشير إليه . ولكن التفريق المقولى المتضمن فى ذلك بين المنطوقات الأدائية والإخبارية لا يمكن – من منظور دقيق – / أن يُحافَظ عليه . لذا أحل ١٣٦ أوستن محل مخططه الثنائى إخبارى / أدائى ، الذى يتعلق بقسمين يفرق بينهما من أفعال كلامية من الثالوث قولى (نطقى) ، وإنجازى ، وتأثيرى، الذى وصف الجوانب الثلاثة لكل استعمال لغوى .

وهكذا فقد حُرِّك الرقى التصورى المرتبط بالتحديد اللغوى التحليلى والبراجماتى الشامل لأفكار أوستن من خلال إحلال >الطاقة الإنجازية للمنطوقات<محل> المنطوقات الأدائية< ، التى لا تشكل المنطوقات الأدائية فى إطارها بمفهوم أفعال كلامية مؤسساتية إلا قسمًا خاصًا . ونتيجة لهذا التحول فى البناء التصورى ترك المنطوق الأدائى كمصطلح >تقنى<.[٢] ولم يبق ما هو أدائى فى الجدل اللغوى الفلسفى إلا فى صياغة مخففة: بوصفه إشارة عامة للبعد البراجماتى للكلام أى فى مفهوم البنية المزدوجة الأدائية – القضائية للمنطوقات.

إن افتراضنا هو أن التقدم المرتبط بإنشاء النظرية الكلامية من روح إحلال ما هو > إنجازى <محل ما هو> أدائى < يمكن أن يُفسَّر بأنه خسارة . فُقِدت فيها نظرات لغوية فلسفية مرتبطة باكتشاف أوستن لمنطوقات أدائية فى التصور اللغوى التحليلى والبراجماتى الشامل الملحق بذلك [٣]. وإذا

---

(١) أوستن ١٩٨٦ (منطوقات أدائية)، ص٣١٤ (بالإنجليزية : ١٩٦١ ، ص٢٢٨).

(٢) في الأفعال الكلامية لسيرل لم يعد يظهر المصطلح، ولكنه يكتسب معنى مرة أخرى في شكل> الإخباريات < في عمل سيرل سنة ١٩٨٩ .

كان أوستن قـد حرّك أيضًا ترس تصنيـفات خاصة بنـظرية الفعل الكلامى بدفـعة فـإنه توجد فى عـمله فى الوقت نفـسه عنـاصر، ينثـر بها رمـلاً فى تعشيـقَة التروس (يحدث اضطرابًا فى الحـركة أوالعمل) . وبشكل أدق : يوجد باعث فلسـفى لأوستن يقوده إلى اكتشاف المنـطوقات الأدائية ، ولم يُعطِّل بأية حال فى الوقت نفســه تبعثر إمكانية تفـريق حدِّى بين المنطوقات الأدائية والإخبارية، بل يُقوى ويُؤكد تمامًا.

ويعد هذا الباعث مـوقفًا متشككًا لأوستن تجاه فكرة إمكانيـة العقلنة التـامة للغـة والكلام في وسط أبنيـة مفـهـوميـة ثنائيـة . نريد أن نتتـبع هذا البـاعث الذي يدفـعنا إلى إشـراك أوستن مع المفكرين اللغـويين الناقـدين للعـقل، في الخيـوط المرشدة للفـرضيـة/ الآتية: مع مـحاولة تحـديد قـيود ١٣٧ التحقق لما هو أدائي يسـتمر أوستن فى العمل بصورة التميـز العقلى للغة : هذا هو <أوستن المقبول>. فإن أوستن يبين فى الوقـت نفسه مع حـفر على تقويض لهـذه المعايير فى نصـوصه الحدودَ وقـدرةَ التقويض لهـذه الصورة للغوية أيضًـا : هذا هو " أوستن الشيطانى " .وهكذا يُعبِّـر فى عمل أوستن عن صـوت العقل وصـوت الشك كليـهمـا ، اللذين يظهـران داخل تاريخ الفكر الفلسفى عادةً فى أدوار موزعة . فالأمر لا يتعلق بالإيقاع بين أوستن الشـيطانى وأوستن المقبـول ، بل بإدراك الازدواج الصـوتى فى نصوصـه . وفى الواقع لا يعنى لهـذا الإنصـات فقط لما يقـول أوستن ، بل النظر أيضًـا فيـما يفعل أوستن أيضًـا وهو يقول شيئًـا أيضًا [٤] وهكذا يصح أن تُراعَى الدرجات الصوتيـة المتباينة بين ما يصف نصه - بشكل إخبارى ، وما يبين نصه أيضًا - بشكل أدائى- من خلال الكيفية التى يصف بها .

---

(٣) أشير إلى هذه الفكرة للمرة الأولى لدى: كريمر ١٩٩٨أ.

ويجرى إعادة بنائنا لعمل أوستن فى ثلاث خطوات (١) أولاً بيان ماذا يعنى بأن أوستن باكتشاف المنطوقات الأدائية يكشف عن بُعد فعلى للكلام، وكيف يُتخلى بعد ذلك عن تصور >المنطوقات الادائية< لصالح فكرة >الأفعال الإنجازية<(٢) وبعد هذا يتعلق الامر بأن الادائيات لا تقع فى علاقة إحلال مع >الإنجازات <، بل يتعلق الامر بظواهر لغوية متباينة.(٣) أخيراً ينبغى أن يُوضَّح أن أفكار أوستن تقدم شرحًا متشككًا لفكرة إمكانية عقلنة ظواهر لغوية من خلال تقابلات مفهومية ، وتصنيفات تنميطية .

٢- "الأدائيات" : اكتشافها ورفضها

ترتبط إعادة توجهين جوهريين فى النظرية اللغوية باسم أوستن .

(١) يُجَعل مبدأ الجزم ، الذى وقع منذ أفكار أرسطو حول الكلام المزعوم في قلب أفكار لغوية فلسفية، نسبيًا فى/ دعوى التمثيل المطلق ١٣٨ الخاصة به بوصفها النمط الأصلى للاستعمال اللغوى. حتى صدق جملة خبرية ما أو كذبها لايمكن- كما يقول أوستن - أن يُقَّرر إلا حين نعد الجملة فى الوقت نفسه منطوقًا - فى - موقف ، ومن ثم فعل إخبار (إفهام). وبالتغلب على وصف > صادق/ كاذب- المتعبد به [٥]< يُوجِد أوستن أساسًا مشتركًا يمكن أن تتفق فيه - على نحو مغاير للحال مع العمل المتأخر لڤيتجنشتاين- كل النظريات اللغوية الملهمة براجماتيًا تقريبًا، بشكل مستقل عن مناهجها المختلفة . (٢) منذ الإيضاح اليونانى وكذلك

---

(٥) أوستن ١٩٧٩ ، ص١٦٨ (بالإنجليزية ١٩٦٢: ص١٥٠).

الحديث المتغلب على طرق تحديد سحرى للكلمة والشئ تُعَد اللغة نظام تمثيل يقوم على أن الجملة ليست هى ما تَصِف فى الوقت نفسه أيضًا . ولكن أوستن يجعل >بمنطوقاته الأدائية< ظواهر لغوية موضوعًا ، تلك التى تلزم المقدمات بهذا التفريق الرمزى بين كلمة وشئ : لايصف منطوق أدائى ببساطة فعلاً ، بل ينجز بدقة ما يُوصَف به ، وذلك من خلال فعل النطق نفسه . ويعنى هذا فى منظور أعم : اللغة لا تتعلق ببساطة بالعالم ، بل بحدث فى العالم . وفى هذا يتبين الكلام كفعل فى الوقت نفسه .

لنحاول إذن أن نوضح إعادة التوجيه هذه بمساعدة مناقشة أوستن >للمنطوقات الأدائية< فى خطوط أساسية (٦) .

إن التفريق المحورى ، الذى يتعلق به الأمر أولاً ، هو التفريق بين منطوقات إخبارية ومنطوقات أدائية ، فالمنطوق الخبرى هو قول وصفى ، يقع به تقرير يكون صادقًا أو كاذبًا ، وعلى العكس من ذلك لا يقرر منطوق أدائى أى شئ بل هو الإنجاز الحقيقى لذلك الفعل الذى يصفه لغويًا. ويهتم أوستن بسمتين للمنطوقات الأدائية :> فهي لا تصف ، ولا تخبر، ولا تزعم شيئًا على الإطلاق ، وهى ليست صادقة أو كاذبة ، ونطق الجملة هو الى حد ما على كل حال إنجاز فعل ، ربما لا يصفه المرء من جهتها عادة بـ >قول شيء< (٧) ويعد أوستن من أمثلة تلك المنطوقات الإيجابُ بـ>نعم < بوصفه منطوقًا في / احتفال عقد زواج رسمى ، ومنطوق> أدشن هذه السفينة باسم > الملكة اليزابث < . وهكذا يُكِّون منطوق أدائى ما يخبر به : >يعنى النطق بجملة : أن تفعل (٨)<. وإذا كان

١٣٩

---

(٦) أوستن ١٩٦٨، وأوستن ١٩٧٩، وأوستن ١٩٨٦ .

(٧) أوستن ١٩٧٩ ، ٢٨ (بالإنجليزية ١٩٦٢: ص٥).

(٨) أوستن ١٩٧٩ ، ص٢٩ (بالإنجليزية : ١٩٦٢ ، ص٦).

من الممكن ألا تكون الأدائيات أيضًا صادقة أو كاذبة ، فإنها تُظهر قياسًا بهذا التفريق . وهذا هو نجاحها أو إخفاقها ، توفيقها أو فشلها. ويحلل أوستن بعناية شروط التوفيق لمنطوقات أدائية - وذلك بشغف من خلال مناقشة مسألة ما الشروط التى يمكن أن تخفق من خلالها أدائيات [٩] ويقرر فى ذلك أن شروط النجاح والإخفاق لا يمكن أن تسرى على الأدائيات فقط ، بل تسرى على الإخباريات أيضًا[١٠] ومن جانب آخر ليس للتفريق بين صادق/ كاذب وزن بالنسبة للمنطوقات الأدائية أيضًا. وعلى هذا النحو يُسحَب البساط من تحت الحد التعريفى بين منطوقات إخبارية ومنطوقات أدائية الذى يكمن فى أن المحمولات تعد صادقة/ كاذبة بالنسبة للمنطوقات الإخبارية ، وأن المحمولات تعد موفقة/ غير موفقة بالنسبة للمنطوقات الأدائية . ويتقوض التفريق الثنائى . وفى هذا الموضع يقرر أن ينسى مخطط التفريق الذى أدخله [١١] ، وأن يبدأ المسألة من جديد تمامًا. نريد أن نبحث بشكل أعم على أى نحو مختلف يمكن أن يعنى قولُ شئ فعلَ شئ ، وعلى نحو مختلف نفعل شيئًا ، ونحن نقول شيئًا [١٢] ، وعلى هذا لم يعد يتعلق الامر بالنسبة له بانتقاء قصم معين لمنطوقات أدائية، بل بما يسرى على الأقوال الأدائية والأخبارية أيضًا، أى بما يمكن أن يُوصَف به

(٩) أنماط الخطأ الستة التي يقسم أوستن وفقًا لها أدائيات غير موقفة أعاد سفيناي بناءها بصورة مثالية ١٩٧٤ ، ص١٣٨ وما بعدها.

(١٠) > تبعًا لذلك يبدو لي منطوق إخباري بشكل مطلق فيه استعداد الأشكال الإخفاق مثل المنطوق الأدائي تمامًا، وتقريبًا لما يماثله< أوستن ١٩٦٨، ص, ١٤٩

(١١) أوستن ١٩٧٩ ، ص١٣٧ (بالإنجليزية ١٩٦٢ ، ص١٢٠).

(١٢) أوستن١٩٧٩ ، ص١١٠ (بالإنجليزية ١٩٦٢ ، ص٩١).

كل منطوق. ويعيد أوستن بناء هذا الوصف باعتباره تنميطًا لثلاثة أفعال ، تُنجَز مع كل كلام، بل تؤدى فى الكلام فى كلٍّ دوراً آخر : أن نقول شيئًا، يعنى بذلك الفعلَ القولى (النطقى)، وأن نفعل شيئًا ونحن نقول شيئًا يتعلق بذلك/ الفعلَ الإنجازى، وتأثر السامع بأن نقول شيئًا هو وظيفة ١٤٠ الفعل التأثيرى .

وهكذا لا تنشأ فكرة نظرية بفعل كلامى لدى أوستن ببساطة مع الاكتشاف ، بل مع رفض >المنطوقات الادائية < نتيجة لنظرته إلى أن الحد بين منطوقات أدائية وغير أدائية لا يمكن أن يُحافَظ عليه .

٣- > منطوقات أدائية < و>إنجازات< بوصفها ظواهر لغوية يُفرَّق بينها

٣-١ لماذا لا يكون > لأدائيات أصلية < بُعد صدق؟

لكن هل يستغنى فرض قسم خاص لمنطوقات أدائية حقيقيةً عن كل أساس ؟ بحث أوستن عن معيار نحوى ، أى لغوى داخلى للتفريق بين ما هو إخبارى وما هو أدائى: هذا البحث يفشل [١٣] . ولكن ماذا لو وجد بوجه عام معيار ، أيكون هذا المعيار ذا طبيعة لغوية غير محضة فقط؟[١٤].

ويورد أوستن فى كتابه (كيف نفعل "ننجز" أشياء بكلمات) أمثلة للأدائيات – يتعلق الأمر بالزواج ، وتدشين سفينة ، ورِهان ، وإدلاء بشهادة

---

(١٢) أوستن١٩٧٩ ، ص١١٠ (بالإنجليزية ١٩٦٢ ، ص٩١).

(١٣) >لم نوفق في الاهتداء إلى معيار نحوي للمنطوقات الأدائية < ، أوستن ١٩٧٩، ص١٠٩ (بالإنجليزية ١٩٦٢ / ص٩١).

(١٤) ينبه فوربرج ١٩٦٩ ، ص٤٥٢ إلى هذه الطبيعة غير اللغوية للأدائيات، ويقر سيرل بهذا الإرساء غير اللغوي في إطار بحثه الإخباريات، التي يفرق فيها بين إخباريات

- التى نريد أن نطلق عليها هنا > أدائيات نمطيـة أساسيـة أو أصلية [١٥]<، وتُوصَف غالبًا بأفعال كلامية مؤسساتية . وفى اختيار الأمـثلة تتأكد نظرة تُمهِّد وتُخفِّف فى المنطوقات الإخبارية لأوستن عبر هذه الأمثلة.

وقد تعلق ضمن ما يتعلق بُعـد إمكان الإبقاء على التقابل إخبارى / أدائى بحالة أنه حتى بالنسبة للأدائيات الأصلية يصير السؤال عن صادقة أو كاذبة غيرَ مـجدٍ بأية حال . لننظر بشكل أدق فى مسألة : فـيمَ تكمن علاقة الصدق لهـذه الأدائيات ./ ويمثل منطوق أدائى موفق بشكل براجـماتي ما ١٤١ يعنى دلاليًا : تستتر معـها حالة العالم ومـحتوى الإخبـار - حين تُجاز هنا طريقة الكلام هذه البسيطة . ومع ذلك هذا المنطوق غيـر جمل متحقق منها ذاتهـا مثلاً ، مـثل > أتكلم الالمانية< (أو) >هذه الجملة تتـكون من خمس كلمـات< . لأن صـدق هذه الجـمل مـرتبط بشكلهـا اللغـوى . ولكن هذا لايسرى تمامًا على أدائيات نمطية أساسية ، مثل: > أعلنكما زوجًا وزوجة<. فالاتفاق المنشـأ للجملة مع العالم لا يدين لشكلها الـلغوى، بل يتأصل فى تضـمنها فى استـعـمـالات مؤسـساتيـة غيـر لغـوية . وبمعنى دقيق ليـست الأدائيات الأصلـية أحداثًا لغـوية محـضة، بل أفـعالاً اجتـماعـية . ويشـير أوستن على نحو مؤكد إلى هذا الإرساء فيما هو غير لغوى داخليًا محضًا: يكون ذلك حيث ضُمِّنت فى تعريف منطوق أدائى سمة أن الأدائيات تنجز فعلاً" لا يمكن أن يوصف من جـهته عادةً > بقول شئ< [١٦] ، ويكون ذلك

غير لغوية، وإخباريات لغوية: سيرل ١٩٨٩ ، ص٥٤٩ .

(١٥) يستخدم فوربرج ١٩٦٩ ، ص٤٥٢ الوصف، أدائيات نمطية أساسية د.

بأن يساوى أوستن منطوقًا أدائيًا > بطقس أو باحتفال ما <(١٧) .ويعنى هذا البعد الاجتماعى المتجلى فى الأدائيات الاصلية : إنه يجب أن يُوجَد بناء لعلاقات قوى اجتماعية، وفى ذلك أيضًا تدرج للسلطة التى تخول للمتكلم بوصفه > مالك< فعل كلامى ادائى . ويجب على الجمهور الذى يتوجه إليه دائمًا قول أدائى أن يتخذ فى سلوكه الحاضر وفى سلوكه المستقبلى موقفًا تجاه العالم ، يُعَد فيه العالم بدقه مستمراً بحيث يتطابق مع محتوى المنطوق الأدائى .

وكون العالم على نحو ما ينظر إليه الشركاء يعين خصوصيةَ واقعة اجتماعية. (١٨) وهكذا لا يثبت منطوق أدائى بأنه صادق إلا حين توجد طرائق اجتماعية فى ثقافة ما ، تقر مثل هذا المنطوق، و > تنجزه < حيث تتوافق معه .

١٤٢ / وهكذا إذا أخفق عن معايير نحوية للحد بين ما هو أدائى وما هو وضعى فإن المشكلة ترجع إلى إتجاه هذا البحث المركز على اللغة . وبينما تكون القوة الإنجازية التى تكمن فى قدرة الربط الذاتية الداخلية بين متكلم وسامع ، متضمنة فى كل فعل كلامى ، وذلك على أساس خصوصية فقط، أى ورود لغوى، فإنه لا يُعَزى لفعل كلامى قوة أدائية إلا باعتباره جزءًا من إجراء غير لغوى احتفالى، مؤسساتى .

---

(١٧) أوستن ١٩٦٨ ، ص١٤١ .

(١٨) هذه سمة رئيسية لوقائع مؤسساتية ، لدى سيرل ١٩٩٧، ص٤١ وما بعدها.

٣-٢ تخليص ما هو إنجازى فى الأدائيات الأصلية

فى فهم بدهى لأوستن يحل مفهومه لما هو إنجازى محل مفهومه لما هو أدائى بوصفه مفهومًا مفتاحًا فى نظرية للفعل الكلامى : فقد صارت الأدائيات والإخباريات - إلى جانب أنماط أخرى للمنطوقات أقسامًا خاصة للإنجازات. ولكن إذا كانت الأفكار السابقة عن الأدائيات الأصلية متماسكة فإنه يتميز استنتاج آخر : يتعلق ما هو أدائى ، وما هو إنجازى بظاهرتين مختلفتين ، ولذلك لا تقعان فى علاقة إحلال بعضهما محل بعض أيضًا (١٩) .

وأكثر من ذلك : لايفرق بين الادائيات الأصلية عن الإنجازات فحسب ، بل لا تستعمل تقريبًا خواص ، نربطها فى أفق نظرية الفعل الكلامى بالجوانب الإنجازية للكلام (٢٠) . أما ما يعنى تخليص ما هو إنجازى فإننا يمكننا أن نوضحه بمساعدة ثلاثة أسئلة : (أ) إلى من يُتكلَّم؟(ب) عمَّ يُتكلَّم ؟(ج) وأخيراً : من يتكلم ؟

(أ) إلى من يُتكلَّم ؟ - يشكل الحوار بين أشخاص ، يتفاهمون بعضهم مع بعض وجهًا لوجه بلغتهم ، المظهر الأصل " للاستعمال اللغوى. وفى كلام متبادل بين الآخر والأنا تُبسَط طاقة البناء للفعل الكلامى الموصوفة بمفهوم ما هو إنجازى . ولكن هذه طاقة مؤثرة بين

(١٩) هذا مسار حجاج اتبعه جرهام ١٩٧٧ للمرة الأولى، وفي الواقع يتجاوز ما طور هنا أفكاره.

(٢٠) حول ذلك فوربرج، ص٤٥٢ وما بعدها.

أشخاص،/ تتضمن أيضًا التزامات متبادلة للمشاركين فى الحديث فى ١٤٣ المستقبل . هل تتبع الأدائيات الأصلية هذا الكلام المتبادل الحوارى بين أشخاص؟، وهل تؤسس فى ذلك علاقة بين متكلم وسامع، تتضمن التزامات متبادلة ؟ هل يتعهد المأذون الشرعى الذى يُزوِّج ، والكاهن الذى يُعمِّد ، والقاضى الذى ينطق بالحكم برباطات والتزامات اجتماعية لأولئك الذين يزوجونهم ويعمدونهم ويحكمون عليهم ؟ وسبب أننا نتردد فى الإجابة عن هذه الأسئلة بـ >نعم < يكمن فى مستقبل الكلام الأدائى - بمعنى دقيق- ليس الحاضرين بشكل مباشر على الإطلاق، بل > المجتمع<. فالأدائيات الأصلية تتجه دائمًا أيضًا إلى الملأ - فى محيط الكلام الاحتفالى غالبًا ما يُمثَّل من خلال شهود . وأكثر من ذلك : هم لا يخاطبون ببساطة مستمعين ، بل منصتين . ومستقبل الكلام الاحتفالى مجموع المستمعين . ولذلك تكون الأدائيات الأصلية في المظهر الأصل لكلام متبادل حوارى بدرجة أقل مما هو في تمثيل[٢١] مع ممثلين ومشاهدين . وفى الأدائيات الأصلية لا يُتحدَّث ببساطة بل يُحفَّز شئ فى الكلام.

(ب)عمَّ يُتحدَّث (يُتكلَّم)؟ أن نتكلم يعنى أن نتكلم عن شئ . وحيث نتفاهم لغويًا فإن نفعل هذا فى منطوقات مفيدة . ولكن ما الشأن مع الأدائيات الأصلية التى لا تُتضمَّن بوصفها كلامًا شكليًا إلا فى طرائق مؤسساتية ، بل تمثل ذاتها طريقة جماعية (عرفية) ؟ نبه جاك جودى فى مناقشاته للكلام التكرارى والشكلى إلى أن التشكيل الجماعى (العرفى)

---

(٢٠) حول ذلك فوربرج، ص٤٥٢ وما بعدها.

يدور عادة مع تفريغ للمعنى ومع تحرير معنى الفعل[٢٢] وترتبط الأدائيات الأصلية غالبًا بتكرير صارم : فما يقال لا يجوز أن يحل محله تعبير مساوٍ فى المعنى ، بل تعبير ذو مضمون آخر ، وربما تخبو فى هذا الحال القوة > شبه - السحرية<[٢٣] لما هو أدائى. ومظهر ذلك أن الدلالية تُعلَّق فى الكلام . وبتعبير أدق:لاترد الكلمة المفيدة / إلا بوصفها صورة تكرير لسلسلة ١٤٤ كلامية . وما يعنى هذا الكلام ويؤسس لم يعد يُعلَّل بمعناه ، ولم يعد يتعلق بالفهم المتبادل . وكذلك لم يعد يُهتَم أيضًا بتصورات مشتركة ، وبرغبات متوافقة ، وبأوجه اقتناع للمشاركين . وتقع قوة ما هو أدائى فى علاقة بتكرير نمط كلامى متكرر - بشكل مستقر أساسًا عما يفكر كل واحد عندئذ[٢٤] ما يهم فى ذلك هو إذن شكل الكلام وليس مضمونه . وما يعد هو كيف يُقال شئ، وليس ما يُقصَد بذلك .

(ج) من يتكلم ؟ تتغذى نظرية الفعل الكلامى من تصورات الذات المتكلمة التى يُعَزى إليها كلامهما بوصفها فاعلاً مستقلاً . ولذلك يمكن أن يُنظَر إلى الحدث الكلامى على أنه فعل ، لأن وباعتبار أن المتكلم يعد بمقاصده ونواياه مسببًا ، ومن ثم مثالاً مسئولاً عن فعله أيضًا .

ولكن ماذا عن الأدائيات الأصلية التى تقتصر بوصفها إستعمالات كلامية جماعية (عرفية) على صورة كلامية متكررة وغالبًا على اقتباس ؟

---

(٢١) حول طبيعة التمثيل : جباور ١٩٩٥ .

(٢٢) جودي ١٩٧٧ ، ص٢٠ ، ٣٢ .

(٢٣) تعبير سيرل ١٩٨٩ ، ص٥٤٩ .

(٢٤) أكد أوستن بشكل متكرر على هذا الاستقلال لعمل الأدائيات عن أحوال عقلية

لا تتغذى طاقة ما هو أدائى من المقاصد وإرادة الفرد المتكلم بوصفه المنشأ الأصلى والشخصي للمنطوق ، بل تتأصل فى إمكانية التكرير المترسبة ، التى تعمل فى كل منطوق أدائى - كما يفترض على أية حال دريدا وبتلر (٢٥) . وتعد القوة التى يشارك فيها المتكلم المستقل لمنطوق أدائى قوةً شكَّلها ودعَّمها واستحوذ عليها إرث طرائق لغوية وغير لغوية سابقة غير فردية (جماعية) .

نرى إذن : أنه فى الأدائيات الأصلية يُنجَز نوع من الكلام يعطل ملامح مألوفة للكلام العادى . وليس لشروط براجماتية شاملة ، مثل ذلك الإسهام المتبادل ، والفرص المتكافئة لكل المتكلمين فى رفع دعاوى صلاحية وردها / مع الأدائيات ذات النمط الاساسى معنى كزعم مضاد للحقيقة . ١٤٥ فما يُنشأَ ويُؤسَّس هو مشاركة خارج الإتصال ، تشارك ليس من خلال التفاهم، بل من خلال الحفاظ على شكل . ويشترك فعل كلامى أدائى . بمعنى نمطى أساسى فى القليل مع اتصال متبادل ، ولذلك يشترك الكثير مع طقس (عرف) ما - وفيما هو أدائى أصلى تستخدم اللغة وسيطًا لتعليق الحوار والتفاهم . ويتحتم السؤال هل ما نعرفه فى ضوء هذا الاستعمال اللغوى الجماعى ، يمكن أن يوضح أيضًا ملامح كلامنا اليومى . إن الامرإذن يتعلق بإضعاف إقامة الحد الذى اتخذ من قبل بين ما هو أدائى وما هو إنجازى مرة أخرى ، باعتبار أن ما يُتضمَّن مع ما هو إنجازى ليس بعدُ

---

(٢٥) بتلر ١٩٩٣ ، ص١٢٤ في إثر دريدا (توقيع حدث سياق) ١٩٧٦، ص٢٩١ وما بعدها.

هو الحـال فى الاسـتـعـمـال اللغوى اليـومى على نحو بديهى مـثل ما تـوعز التشكيلات الأسلوبيـة الخاصة بنظرية الفعل الكلامى وببراجمـاتية شاملة. ولا نستطيع هنا أن نتبع هذه الأفكار .

٤- ماذا يفعل أوستن ، وهو يتحدث عما هو أدائى ؟

إن> ردنا لاعتبار< الأدائيات الأصلية بوصفها أشكال استعمال لغوى جماعية (عـرفية) ، وفصلها عن البعد الإنجـازى للكلام القائم على التفاهم الذى يعطل شـروطه أحيـانًا، ينسج فى تعـبيـره التـصنيفى بإسـتمـرار دون انقطاع من خلال نموذج التمييز العـقلى للاستعمالات اللغوية . وفى الواقع نريد أن ننـظر فى شئ فى نصـوص أوسـتن ، لم يفِ بهـذا النـمـوذج ، بل يشرحه بشكل متشكك .

ونكشف عن هذا الشـرح حين نطبق التـفـريق إخبـارى/ أدائى على نصـوص أوستن ذاتها.التى نسـتطيع أن نفرق فـيهـا بين درجتين صـوتين : هناك من جهة ما يقوله نص أوستن - بشكل إخـبارى-ومن جهة أخرى ما يبينه نصه من خلال الطريقة التى يقول بها شيئًا- بشكل أدائى . الـ > شئ<، والـ >طريقة < ، القول والبيان ، ماهو زعم وما هو بلاغى - على هذا النحو فـرضنا على أية حـال - يشكل لدى أوستن عـلاقة تـوتر . فكلا المنظورين لايقع فى علاقة توكيد متبادل - كما هى الحال لدى ڤيجنشتاين أو دريدا ، / بل يقعان بشكل مـتصاعد موقع شك. ومـا يعنيه هذا يمكن أن يُوضَّح من جهة بدور أمثلة أوستن - الشيطانية إلى حد مـا - ومن جهة أخرى بالتعبير المحفز للتقويض التفريق بين أدائى وإخبارى .

١٤٦

٤-١ ماذا يتبين فى أمثلة أوستن ؟

إن السمة المميزة فى كتابة أوستن هى للإستعمال غير العادى للأمثلة. فطابع أمثلة كثيرة أنه تبدو فيهـا بشكل مستمر رغبة فى إنجاز خاطئ وفى لا معقوليـة (عبثية) فى العمل . وبشكل دائم ، حين يُدخَل مفـهوم أو قاعدة ، يتصور أوستن بدقـة وخيال وحكمة مواقف ، تقدم مـثالاً لأوضاع تخالف هذا المفهوم ، أو تنحرف عن هـذه القاعدة . أى سيناريوهات > يجرى فيها شئ بشكل غير مستوٍ<[٢٦] • يُقدَّم فيها شئ غير عادى أو خاطئ[٢٧]. هناك يظهر زواج بحمـار ، أو تدشين طيور البطريق ، أو تعيين حـصان قنصلاً أو ببسـاطة جمل عبثـية ، مثل : القطة على الحصـيرة ، ولكننى لا أظن ذلك ، وأبناء هانزن لديهم صلع، ولكن هانز ليس له أولاد[٢٨] .

وبدعابة سوداء ، وأحيانًا أيضًا حـالكة السواد يصير أوستن فى أمثلته نفسـها الفاعل الشـيطانى : فهو يـنسج خيوطًا حـول الأدراج بحيث تتعـثر العمـة الوارثة الهرمة وتسقط وتمـوت ، ويدوس - لأنه متعجل - بسـيارته على حـجالة طفل طبـاخه الـتى يحافظ عليـها بشـدة.[٢٩] ويأخـذ لنفسـه قطعتين ، حين تُقَدم قنبلة دندورمة مقطعة تبـعًا لعدد الأشخاص على مائدة

(٢٦) أوستن ١٩٧٩ ، ص٣٦ (بالإنجليزية ١٩٦٢ : ص١٤).
(٢٧) أوستن ١٩٨٦ ، ص٢٣٥ (بالإنجليزية ١٩٦٢ : ص١٢٧/ ١٢٨).
(٢٨) أوستن ١٩٧٩ ، ص٤٥ ، ٥٤، ٦٦ (بـالإنجليـــزية ١٩٦٢ :ص٢٣/ ٢٤، ص٣٤ ، ص٤٩).
(٢٩) أوستن ١٩٨٦ ، ص٣٥٤ (بالإنجليزية ١٩٦٢ : ص١٤٦).

عليا فى كلية أوكسفورد [٣٠] ويمتلك حمارًا لم يعد يستطيع فى يوم ما تحمله ، ويقرر إطلاق الرصاص عليه ، ولكنه يُردى برصاصته خطًا حمار صديقه الذى يبدو على نحو مماثل والواقف فى المرعى ذاته [٣١] ولكنه يجب لذلك أيضًا فى حفل مع لعبة رهونات ألزمت ضيفًا أن يحاكى ضبعًا، / وهو يفعل هذا أيضًا - وهو يهبط على الأربع - فى حال ضحك ١٤٧ بشع، أن يعض قطعة من بطن الساق [٣٢] .

إلامَ يرجع عدم قرار هذه الأمثلة ؟ فيها ينفرج «يكون وينبغى» بعضهما عن بعض ، وتُخدَع فى فعلة التوقعات المرتبطة عادة بفعل . سواء تعلق هذا باحترام تجاه العمة الوارثة، ومراعاة جانب المرءوس ، وسواء أدار الأمر حول اللياقة على طاولة طعام الأساتذة أو صواب في التعامل مع حيوانات أو الحفاظ على قواعد اللعبة: دائمًا ما تُخرَق أعراف، وقواعد، وتقاليد، ومعايير، ويُسخَر منها، ولا يُلتزَم بها في أثناء إنجاز فعل، أي كل ما يمكن أن يعد> روحنا المدنية<.

ما يتبين في هذه الأمثلة له لدى أوستن بلا شك منهج: يتخذ بشكل معروف منظور صور الفشل [٣٣]> مذهبه عن حالات الفشل

(٣٠) أوستن ١٩٨٦ ، ص٢٥٩ (بالإنجليزية ١٩٦٢ :ص١٣٣).

(٣١) أوستن ١٩٨٦ ، ص٢٤٢ (بالإنجليزية ١٩٦٢ ، ص٢٠٤).

(٣٢) أوستن ١٩٨٦ ، ص٣٢٢ .

(٣٣) حول هذا المنظور لصور الفشل: سفيناي / شولتس ١٩٩٦ ، ص٨٦٨ وما بعدها ، وأيضًا سفيناي ١٩٧٤ ، ص١٤٠ وما بعدها.

(الإخفاق) <[٣٤] الذي يظهر فيه ما يمكن أن يصاب بالفشل كلية في فعل ما . إنه منظور الإخفاق هذا، الذي يكتسب تصور أوستن عن الفعل ابتداءً المعالم المميزة له: لأنه يريد أن يصنف أفعالاً > تبعًا للنقائص المميزة في كل، التي تميل إليها <.[٣٥] ويطمح إلى > إيضاح كل الأشكال الممكنة وأنواع اللعب لفعل ما غير منتظم تمامًا<، من أجل فهم ماذا يعني حقيقةً فعل شيء[٣٦].

وفي نص يرسم فيه - وهذا ليس مصادفة أيضًا - آراءه الخاصة بنظرية الفعل بمناقشة اعتذارات ، يحدد ملامح هذا البرنامج:> ... وكما يحدث هذا غالبًا يلقى ضوء ما هو غير عادي على ما هو عادي، ويساعدنا في النفاذ من خلال الحجاب الباهر للاعناء وما هو جلي، الذي يخفي آلية الفعل الطبيعي والموفق<[٣٧]. ويثبت كون الانحراف يصير بالنسبة لأوستن وسيطًا لمناقشة الفعل العادي، إلى أن مدى يكون بالنسبة له الإخفاق تابعًا للفعل والخطأ ملازمًا للفعل الإنساني.

وفي الواقع لا يمكن أن ينظر إلى هذا البعد لإنجاز إلا بوصفه / ١٤٨ خصيصة للفعل كظاهرة إنسانية، إذن ظاهرة نهائية، حين يبقى بصر الفيلسوف لا يستقر على المجالات الفردوسية للفعل الممكن، بل للفعل الحقيقي .

---

(٣٤) أوستن ١٩٧٩ ، ص٣٦ (بالإنجليزية ١٩٦٢ ، ص١٤).

(٣٥) أوستن ١٩٨٦ ، ص٢٣٥ (بالإنجليزية ١٩٦٢ ، ص١٢٨).

(٣٦) أوستن ١٩٨٦ ، ص٣٥٠ (بالإنجليزية ١٩٦٢ ، ص٢١٩).

(٣٧) أوستن ١٩٨٦ ، ص٢٣٥ (بالإنجليزية ١٩٦٢ ، ص١٢٨).

وبشكل أدق: حين نتـجه في >ترس العمل< بدقـة إلى تلك المرحلة التي يجب فـيـها أن ننجـز (carry out) حقـيـقـةً (actually) فـعلاً، أقـدمنا عليه[٣٨]. ويبـرز أوستن هذه المرحلة الخـاصـة في حدث الفـعل، مـرحلة الإنجاز (executive stage) ، بدقة بوصـفها تلك التـي يمكن للمرء فيـها أن يفسـد شيـئًا [٣٩]. هنا لدينا مـوضع مفـتاح يوضح لماذا لا يحـسب أوستن حـسابًـا للفلسـفة اللغـوية القـائمـة على أسـاس الكفـاءة: لا يُعَني أوستن بالاستعمال اللغوي الممكن، بل بالكلام الفعلي ، ولا يرى الفعل كما ينبغي أن يكون ، بل كما يكون حقيـقةً، ولا يركز على الميل لفعل شيء، بل على الفـعل ذاته. هذا الإبعـاد للأحـوال العـقليـة للمـشـاركين، الموصـوف في مناقشاته الخاصة بنظرية الفـعل الكلامي والتوجه إلى الإنجاز الفعلي للكلام يرتبط بشكل وثيق بالاهتـمام بالإنجاز الخـاطئ بوصفه ظـاهرة، لا تتبين في الفعل الممكن ، بل في الفعل الحقيقي . ولكن هل هذا الربط بين إنجاز فعل وتفسـير هذا الفعل بوصـفه شيـئًا محرفًـا ومشوهًا، وناقـصًا، ليس عقـيـدة نموذج العالمين لخـاصية اللغة؟ إن أوستن يسـتخلص من التجـربة أن الفعل اللغوي المحدد موقفيًا مكانيًا- وزمـانيًا على استعداد لانحرافات عن النظام القاعدي المثالي، مع ذلك نتيجةً مغايرة تمامًا عن المنظرين اللغويين العقليين. فـالنسبـة لتـشومـسكي ومـعه بالنسـبـة لكل المفكرين اللغـويين أصحـاب الأفضلية للكفاءة يكون الموضوع المفضل هو اللغـة في حالتها الخالصة، أي اللغة الممكنة خارج أو حتى خلف أوجه تحقيـقها المهددة بالإخفاق دائمًا في

(٣٨) أوستن ١٩٨٦ ، ص٢٥٣ (بالإنجليزية ١٩٦٢ ، ص١٤١).

(٣٩) أوستن ١٩٨٦ ، ص٢٣٥ (بالإنجليزية ١٩٦٢ ، ص١٤١).

الكلام. ولكن الفضول الفلسفي لأوستن واهتمامه النظري يجري على تلك الانقطاعات (الانكسارات) في أثناء الإنجاز الفعلي لفعل ما ، التي يخالف فيها الإنجاز القصدَ، ويقوض التحقيق النظامَ، وتُفسِر الظواهر التنظيمَ، ويعطل التحقيق القاعدةَ، وينحرف الواقع عن المفهوم ، باختصار: ليس أن يُفَرق ببساطة فقط الوجود عن الوجوب، بل/ أن يَخفِق ١٤٩ (to muff)[٤٠] تقريبًا وجودُ هذا الوجوب، ذلك باستعمال تعبير مصدره أوستن. وبذلك توضع الأسس لتوجهنا إلى التعبير الحفزي لنصوص أوستن.

٤-٢ ماذا يحفز أوستن لتقويض تفريقه المفهومي؟

هذه غرابة: في محاضرة أوستن «كيف نفعل (ننجز) الأشياء بالكلمات» يدخل التفريق الذي ابتدعه، والمعقول ابتداءً، بين المنطوقات الأدائية والإخبارية، ثم يُقوِّض في مناقشاته الدقيقة التالية ليعمل بعد ذلك في النصف الثاني من المحاضرات بأوجه تفريق مختلفة. واللافت للنظر أن هذا النموذج بإقامة اختلاف بين أدائي/ وإخباري لبيان عدم إمكان الحفاظ عليه، لا يرد فقط في المحاضرة عن نظرية الفعل الكلامي، بل في النصين الآخرين اللذين لهما صلة بنظرية الفعل الكلامي، هذا التكرير يستلزم افتراض: أن هذا الإخفاق لمخطط مفهومي ثنائي لا يحدث عرضًا، بل له نظام. ويؤكد أوستن بوجه خاص أيضًا بالنسبة لأوجه تفريقه الجديدة،

(٤٠) أوستن ١٩٨٦ ، ص٢٥٣ (بالإنجليزية ١٩٦٢ ، ص١٤١).

وبخاصة عند تنميطه للأفعال الإنجازية أن هذه أيضًا يمكن أن تخفق، ويصير تصويب جديد ضروريًا:> يجب أن نكون من البداية على بينةٍ من أنه يمكن أن تُقدَّم حالات غير واضحة لا حصر لها، حالات خاصة وتداخلات لا تحصى... <لا أريد هنا أن أضع أية اقتراحات نهائية، وتبعًا لتمحيص المشكلات التي ترتبط بمقدمته يكتب: > يمكن للمرء أن يزعم بسبب مفرد أن كل أقسامي تعاني من كل هذه الأخطاء<[٤١].

ويستلزم الافتراض أن تقويض التصنيف بين أدائي / وإخباري يُجرَي بشكل منتظم. فهل نصوص أوستن المهمة من ناحية نظرية الفعل الكلامي هي أيضًا مسرح يعرض عليه شيئًا لقرائه؟ إن فكرة أن أوستن يحفز شيئًا غير معقولة. على أية حال إنه هو نفسه يستند إلى القراء وتوقعاتهم. ويكتب بعد أن عالج عددًا كبيرًا من حالات إخفاق لمنطوقات أدائية:> حتى الآن نحن/ لم نتقدم بإصرار إلى الإمام، ونحس كيف تنزلق الأرضية الثابتة للأحكام من تحت أقدامنا، ماذا يطرب حقًا، ولكن ماذا يأتي بعد ذلك؟ بالتأكيد ينتظر القارئ الجزءَ، حيث نغوص في الطين؛ الجزءَ، حيث نتراجع عن كل شيء- ويأتي هذا بالتأكيد أيضًا، ولكن في الواقع ليس إلا فيما بعد<[٤٢]. لقد تحدثت شوشانا فِلمان في دراستها الأصيلة عن أوستن، ولكن لا يُكتَرث بها تقريبًا في الفلسفة اللغوية، عن دون خوانية أوستن الكامنة[٤٣]. وتعني بذلك أن أوستن يقدم شيئًا أشبه بوعد

١٥٠

(٤٠) أوستن ١٩٨٦ ، ص٢٥٣ (بالإنجليزية ١٩٦٢ ، ص١٤١).

(٤١) أوستن ١٩٧٩ ، ص١٧٠ (بالإنجليزية ١٩٦٢ ، ص١٥١).

(٤٢) أوستن ١٩٨٦ ، ص٣١٤ (بالإنجليزية ١٩٦٢ ، ص٢٢٨).

بنظرية لما هو أدائي، ولكنه يقود القراء في طريق جدلية، يبين فيها أن التوقع الذي أحـدثه الوعد لا يمكن أن يوفي بـه، وأنه من الأفضل أن يُنسَى أيضًـا. على هذا النحو يستلزم تشـابه بين ما يفعل دون جوان الخيالي بـوصفه غويًا (زير نساء) وما يفعله جون ل. أوستن الواقعي بوصفه مؤلفًا.

فدون جـوان يتعـامل بوعد (الزواج) الذي لا يُحـافظ عليه. وتُـبسَط البنية الدرامية لمسرحية موليير في علاقة التوتر بين صيغتين للكلام: فبالنسبة لدون جوان اللغة أداة أدائية، يمكن أن يؤثر بها في حالات العالم، وبخاصة النساء، بـحيث ينزلن على رغـباته وأطمـاعه. وفي الواقع هو يتـحدث في رداء ما هو مؤكد، كما أنه يدلي بأقوال تمثل بصدق مقاصدَه، إنه يفعل حين يتكلم في تعبير ما هو أدائي. وفي الواقع يفهم الضحايا والغرماء كلام دون خوان على نحو إخـباري ، بوصفه وسيطًـا لمعلومة ومعرفة، بوصـفه أقوالاً صادقة عن مقاصـده، وهكذا يظهر دون جوان في موضع >الصدق< متعته و> نجاحه< وفي الواقع لا يقل أوستن- كـما ترى فِلمـان- عنه في ذلك إلا بالكاد: فهو يحاول أن يُحِل محل> الصدق< الرضي أو المناسبة أو النجاح.

لقـد قرأ التلقـي الكلاسيكي لأوستن وفـسـر نصوصَـه في الصـيغـة الإخبارية، ولكن ماذا لو قُرِئ أوستن في الصيغة الأدائية أيضًا؟

يعني أن تقـرأ أوستن في هذا المنظور الأدائي ألا تُفسِّـر نصه بوصـفه نظامًا خبـريًا فقط، بل بوصفه إخراجًـا وتمثيلاً أيضًا. فمـا يحفز في ذلك له علاقـة بإعطاء وعد والإقلاع عنه بشـكل أقل/ مما له بعرض إخفـاق عمل مفهومي فلسفي. ويختم أوستن محاضرته عن الأفعال الكلامية بقول نادر: ١٥١

>لا يمتع الأمرُ بحق إلا حين يطبق على الفلسفة<. وبمفهوم ضيق يستند بذلك إلى التخلي المدون من قبل باختصار عن أن تشتبك نظريته عن الأفعال الكلامية في نزاع مع مشكلات فلسفية. وفي الواقع في قراءة أوسع يمكن أن تُفسَّر هذه المتعة التي يؤملها أوستن أيضًا بوصفها المتعة في تطبيق مذهب صور الفشل على فعل الفلاسفة ذاته.

ويؤكد أوستن أن تأملاته الخاصة بنظرية الفعل الكلامي تجري على المناقشة النقدية لنظريات محددة للفلسفة، التي يطلق عليها > مغالطة وصفية<، وتوصف بشيئين مقدسين، مقدس صادق/ كاذب، ومقدس وجود/ وجوب[٤٤]. ومما له دلالة أيضًا أنه يستخدم لإنكار هذه الاستنتاجات الخاطئة تعبيراً اصطلاحيًا يفقد قوته التصويرية في الترجمة الألمانية . يصف أوستن قصده تحديداً> لعب هاري العجوز بشيئين مقدسين[*] >to play Old Harry with two fetishes<، وهو ما يعني إلى حد بعيد: ملاعبة الشيطان.

---

(٤٣) فلمان ١٩٨٣ ، ص٦١ وما بعدها.

(٤٤) يوجد عدد كبير من الأقوال والجمل والصور ، يعد بها أوستن ــ في سلوك دعابة غالبًا- عن مواقف ترتبط بالنغمة العليا للفلسفة . هنا كارثتان:

- بدلاً مما في علو الفكر المحض يتجه أوستن بنظره مع الفلسفة إلى الأقدام، ويكتشف في ذلك أن التفريق بين منطوق إخباري ومنطوق أدائي ، له طبيعة منزلقين جديدين كل الجدة تحت الأقدام الميتافزيقية.
- يهاجم الولع بما هو عميق المعنى، حين يصدر مقالته (المنطوقات الأدائية) بملاحظة أن لا تثريب في عدم معرفة ما تعني الكلمة >أدائي < باعتبار أنها كلمة جديدة وشنيعة، وأنه مع ذلك يشير شيء إلى هذه الكلمة، وهو: أنها ليس صدى عميق. أوستن. ١٩٧٩ ، ص١٦٨ .

(*) يعني هنا الوصف fetisch غالبًا التقديس الأعمى أو الولع أو التعلق الشديد بشيء ما ، وهو تهكم من الشغف بشي أو فكرة أو مقولة.... إلى حد التقديس وهو سمة عامة للغة أوستن تتجلى في أوصاف أخرى مثل mephistophelisch،

الافتراض هو أن هذه الرغبة في كشف كـذب موقف فلسفي بالنسبة لأوستن لا تمهد فـقط الأرضية للحـصول من ذلك على مـوقع أفضل ، بل تنم عن حافز متشكك، ليمكن أن يصـير نشاط الفلاسفة والدعاوي المرتبطة بعمله المفهومي المشكلةَ. ولنبقَ في صورة> لعب هاري العجوز<: يؤثر في أوستن باعث شـيطاني، ينكـر في مشـروع الفلسـفـة مـا / يعـرف بملامح ١٥٢ فاوستية (*) محددة. ولهذا الباعث الفاوستي علاقة بالدعوى الأدائية بشكل كامن، التي ترفعـها الفلسفة- ويسري هذا أيضًا على الفلسـفة اللغوية- مع أقوالهـا الإخبارية وفيـها. إن الأمر يتعلق بدعـوى الإطلاق، وهي أن أوجه تفريق مفهـومية لا تصف العالم فقط، بل إن العالم يكون حقـيقةً على نحو ما تقول المفـاهيم- هنا ابتداءً يتميـز غرض الفكرة المتعلقة بالفـعل الفلسفي ذاته عن الكلام بوصفه فـعلاً: تفشل الدعوى الأدائيـة بأن العالم يُترك على نحو مـا تصف الفلسفـة لسبب بسـيط، لأن المفاهيم والأوصـاف ذاتها هي جزء من العـالم. فالفلاسفـة يتحدثون (ويكتبـون) ، أي أن فعلهم الكلامي مثل كل الأفعال الكلامية يكون عرضه للفشل والإخفاق. وعلى هذا النحو يتـجلى هذا العـالم كـعـالم لا تكون الأدائيـات فـقط بوجـه عـام عُـرضَـة للإخفـاق، بل حتى التـفريق الفلـسفي بين مـا هو أدائي وما هو غـير أدائي يمكن أن يخفـق، ويخفق في الحقـيقـة أيضًا- كما يعـرض أوستن: إن فشل مخطط مـفهـومي محدد ليس فـقط السبب في ابتكار شـيء جديد، بل هو تمثيل للإخفاق المحتمل لكل تصنيف.

(*) نسبة إلى بطل أعمال جوته المشهورة Faust.

وربما كـانت الصورة الذاتيـة للفلسفـة أن فكرتها حـول إمكان وضع معايير لا يرقى إليـها الشك يكفلها أنها لا تعالج ما هو حـقيقي ، بل ما هو ممكن، ولا تعالج أوجه ورود مادية، بل أشكالاً مثالية، ولا تعالج الفعل، بل القصـد أو الميل لفـعل شيء. ولكن حين يدور الكلام الفلسفـي مع دعوى أدائية خـفية، يكون العـالم معهـا على نحو ما ينبـغي أن يكون في صياغـته المفهـومية، ويمكن أيضًـا أن يفلت بالكاد العمل الفلسـفي من الخطر الدائم للإنجاز الخـاطئ. ويكون جعل هذا الخطر الدائم واضحًا أيضًـا دور الأمثلة التي واجه بها أوسـتن بين ما هو إشكالي وأوجه تعقد الحـياة الحقيـقية وبين أوجه التـبسيط في عـالم المفاهيم، التي يصفـها >بنظرة سكولاستـية< (٤٥) وهذا أيضًـا هو مـا تعرضـه نصـوص أوستن عن نظرية الفـعل الكلامي./ ١٥٣ ويصيـر إخفاق تفـريق مقولي رمـزَ الاستعـداد لكل المعاييـر، وتُعَرض كل المفاهيم المحـدِّدة لصور الغـموض التي تُربَط بـالحيـاة الحقيقيـة: حتى حين تُوفَّى >شروط معيارية لاستعمال الكلمات< (٤٦).

يحدث أن العالم يكون غـير ما يقول لنا المفهـوم. هذا التطبيق الذاتي للنظر إلى الأدائيـة المنتـهيـة إلى الفشل على الفلـسفـة، وبخاصـة الفلسفـة اللغـوية - هذه هي الدعـابة السيـئة، التي تـهيئ لأوستن تطبـيق >النظرات المكتسبة< لفكرته أن الكلام فعل، على الفلسفة.

---

(٤٥) أوستن ١٩٧٥ ، ص١٣ (بالإنجليزية ١٩٦٢ ، ص٣).

(٤٦) أوستن ١٩٨٦ ، ص٣٦٩ .



٩- نيكلاس لوهمان

اتصال بلا دعاوى عقلية

نيكلاس لوهمان

الاتصال بلا دعاوى عقلية [1](*)

>على نحو مختلف لما تفترض نظرية
الفعل الاتصالي ليورجن هابرماس
نتجنب تركيب دعاوي العقلانية في
مفهوم الاتصال<. [2]

١- رؤية خاصة بنظرية المجتمع «للدور اللغوي»

١٥٤ / إن ما يرتبط داخل العلوم الإنسانية والثقافية بالوصف> دور لغوي< يجد في نيكلاس لوهمان مناسبة اجتماعية له[3]. وعلى نحو ما يوجب على التركيز على ظواهر الوعي في القرن العشرين أن يخلي الأولوية لظواهر لغوية يفصل لوهمان الوعي عن الاتصال، ويُعاد الوعي إلى البيئة ليظهر الاتصال وحده فاعلاً على مسرح خاص بنظرية النظام. وفي الواقع بقى الاتصال بوصفه طريقة عمل أنظمة اجتماعية، والوعي توصفه طريقة عمل أنظمة نفسية يشير بعضهَ إلى بعض، بمعنى أنه حيث يكون الاتصال دائمًا يجب أن يرد الوعي أيضًا[4]. ومع ذلك لا يحتاج إيضاح إنجاز الاتصال إلى الرجوع إلى الوعي.

(*) هذا هو الفصل التاسع ، وهو بعنوان "Kommunikation ohne Rationälitätspratene-tionen" من كتاب زيبيله كريمر: (Sprache, Sprechakt, Kommunikation) «اللغة والفعل الكلامي والاتصال» الذي نشرته دار النشر سور كامب سنة ٢٠٠١م.

(١) هذا النص ينبثق عن الأفكار التي طورت لدى كريمر ١٩٩٨جـ.

(٢) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٢٠٠ .

(٣) لوهمان ١٩٩٧، ص٢١٩ .

(٤) طبيعة النظام الأول بيئة ضرورية للآخر ، لوهمان ١٩٨٤ ، ص٩٢ .

وفي الواقع لا يستغني بديل لوهمان النظري الاجتماعي الخاص بالدور الاجتماعي إلى حد بعيد عن الاقتراض من الأفكار اللغوية. ويعني عادةً بحث الاتصال بداهة أيضًا: بحثَ الاستعمال اللغوي ، إذ تصير خاصية اللغة شرط إمكانية الاتصال. / وليس الأمر هكذا لدى لوهمان: ١٥٥
تكمن نكتة مفهومه للاتصال في أنه يعطل ابتداءً سبقَ الامتلاك من خلال اللغة الذي صار ملكًا مشاعًا بالنسبة للعصر الحديث، بوصفه نموذج تفسير شاملاً وأساسيًا أيضًا. ويصف هذا نفسه بأنه نقل لنظرية اللغة إلى نظرية الاتصال[٥]. بل إن هذا النقل الخاص بنظرية الاتصال يستبطن شيئًا في اللغة، يظل خافيًا عادة في نظريات اللغة والاتصال القائمة على أساس عقلي. فما يظهر في ذلك هو الوسائطية[*] التكوينية للغة [٦]. وليست اللغة ابتداءً بالنسبة للوهمان شيئًا سوى وسيط. وفي الواقع هي >وسيط الاتصال الأساسي< [٧]. وفي منظور الوسائط هذا تكتسب اللغة في مقابل الطرائق الملهمة من نموذج العالمين معالمَ مختلفة تمامًا.

---

(٥) لوهمان ١٩٨٧ ، ص٤٦٧ .

(*) يلاحظ هنا أني أترجم مصطلحات مثل Medialität إلى وسائطية من Medium (وسيط) وجمعها Medien (وسائط) على نحو ما يشيع في المجال الإعلامي والمعلوماتي.

(٦) وفي الواقع ليس نادراً ما أخذ على لوهمان تهميش غير مبرر للغة: على سبيل المثال: >اللغة تجول في الخاطر كجسم أجنبي من خلال النظرية العليا، نظرية النظام ونظرياتها الجزئية... ويُحس بشكل واضح تمامًا كأنها عنصر مضطرب، ولكن هذا لا يمكن أن يحذف أيضًا<. كونتسلر ١٩٨٧ ، ص٣٣١ .

(٧) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٢٠٥ .

ويبدو أن فكرة أن اللغة وسيط من البساطة التي لا مزيد عليها بالكاد. فمن ينعم النظر دائمًا في اللغة فإنه سوف يعزو أهميةً- على نحو ما- إلى جوانب وسيطة لخاصية اللغة. ولكن ثمة شيء غير عادي في هذه الفكرة. وهذا يلاحظ حين نفهم لماذا تُستبعَد حالة أن اللغة وسيط تمامًا أن اللغة تحقق من خلال وسائط. لنتذكر بالمخطط الذي يعد أساسًا لنموذج العالمين: فشأن اللغة من الكلام شأن قاعدة من تطبيقها أو شأن نموذج من تحقيقه، حيث ينجز التطبيق والتحقيق بشروط قاصرة في كُلٍّ، بحيث تصير كفاءة اللغة والاتصال الشكلَ، وممارستها في الكلام الحقيقي مع ذلك التشويهَ. ويرجع إلى منطق هذا النهج أن اللغة أو الاتصال تُخطَّط بشكل غير متحيز للوسائط في جانبها الشكلي الشامل وغير الزمني. وتعد الوسائط من الشروط المحدودة، / التي يُنجَز من خلالها الاستعمال اللغوي الحقيقي [٨]. ١٥٦ وهي متمركزة في نموذج العالمين على مستوى التطبيق: الوسائط ظواهر تحقيق. ونريد أن نطلق على هذا> الوسائطية الهامشية للغة <. وعلى العكس من ذلك يصير لوهمان النصير لوسائطية تكوينية للغة. وهكذا لا يستغنى عرض تصوره اللغوي عن إعادة بناء لمفهومه عن الوسائط. لقد أدخل مفهوم الوسائط هذا لوهمان في التفريق بين الوسيط/ والشكل وأكد عليه.

لقد تحدثنا عن أنه في منظور الوسائط هذا تكتسب اللغة- قياسًا بتصور اللغة المركز على العقل- معالم مختلفة تمامًا. وفي المركز يتعلق

---

(٨) يعبر جون ليونز عن هذا بوضوح على نحو مستحب : >للغة خاصية ألا تُربَط بوسيط<. لونز ١٩٨٣ ، ص١٩.

الأمر هذا > الاختلاف< بإعادة تخطيط (تـصور) لمفهـوم الشكل الذي يعد أساسًا لكل نظريات اللغة والاتصال. فلم يعد الشكل بالنسبة للوهمان بنية مـقاومـة للزمن، بل إنجـازًا مـسـتعـمـلاً للزمن. وهذا تفـريق لوهمـان بين الوسيط/ والشكل الذي يُعلَّل في سياقه لماذا تعـد الوسائط حتمية، ومن ثم يمكن أن يحـدث هذا الفهم للشكل- على أنـه إنجاز- إن **نظرية الوسائط للوهمان ثرية النتائج فلسفيًا بوصفها نظرية للشكل.**

٢- نظرية الوسائط بوصفها نظرية جديدة للشكل

بادئ ذي بدء تعـد عـلاقـة الوسـيـط بالشكل [٩] ظاهرة تأليـفـيـة (تكوينيـة)، لعبـة تأليف لربط غـير مـحكم وصارم للعناصـر [١٠] ويشكل الوسيط في ذلك مخزنًـا لعناصر غير محكمة، ينشأ مـنها من خلال تركيب ثابت الشكلُ: على نحو ما تتركب كلمـات من أصوات لغوية، وجمل من كلمات، وأحاديث من جمل، أو على نحو ما يمكن أن تتكثف ذرات الرمل غير الممتزجة إلى أثر للقدم.

وتعد السمات الثلاث لاختلاف الوسيط/ الشكل مهمة:

١- يستلزم الوسيط والشكل كل منهما الآخـر (بشكل متبادل): «فلا شكلَ دون وسيط، ولا وسيط دون شكل» [١١] ولكن/ العلاقة بينهـما غير

١٥٧

(٩) حول ذلك: لوهمـان ١٩٩٥ ، ص١٦٥ وما بعدها، ولوهمـان ١٩٩٧ ، ص١٩٠ وما بعدها.

(١٠) لوهمان ١٩٩٧ ، ص١٩٨ .

(١١) لوهمان ١٩٩٧ ، ص١٩٩ .

متناسـقة: فالشكل يستـقر، ولكن يحتاج لذلك إلى الوقت، ويُسـتهلَك هو نفسه أيضًا في ذلك[١٢]. وعلى عكس ذلك يظل الوسيط سلبيًـا، فهو دقرة لا تُستـهلَك من خلال تشكيل ، بل تتجـدد. وهكذا تكون الأشكال مكينة، ومع ذلك هي مؤقـتة وعـابرة: ولكن الوسائط- قـياسًا بالشك- مـستـمرة. ويعد الشكل فضـلاً عن ذلك شفافًا _ وعلى العكس من ذلك الوسيط غير شفاف.

٢- تتيح الوسائط حـيز إمكانات تأليفية، أبنيـة شكلية للممكن. وفي أفق هذه المشروطيـة لمفهوم الوسائط- تقـدم الوسائط إمكانات، إذ يمكن أن يتشكل موضـوعيًا كل شكل متحقـق في صياغتين دائمًا: من جهـةٍ بوصفه شكلاً في الربط المحدد بدقة، الذي يكون هو ذاته، ومن جهة أخرى بوصفه شكلاً يرجع الفضل في استقراره إلى استبعاد كل الأشكال الأخرى الممكنة أيضًا. وبذلك تكون الأشكال متـعلقة دائمًا >باحتمـالات مبعدة<، [١٣] أي بصياغات شكلية غـائبة، غير متحققة: ويتـأصل سحر الشكل- وهذا حافز يخترق عمل لوهمان _ في جعل ما هو غير شفاف شفافًا ويتحرك معه.

٣- الوسائط والأشكال ليـست كيانات بل اختـلافات[١٤]، أي أنها فروق لا تقـدم ببساطة، بل يصنعهـا ملاحظ . فما يكون في منظـور محدد وسيط يمكن أن يصير شكلاً في منظور آخر. إنه هذا التبادل في الموقع الذي

---

(١٢) لوهمان ١٩٩٧ ، ص١٩٧ .

(١٣) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٣٥٢

(١٤) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٦٠ .

يوضح أن تفريق لوهمان وسيط/ شكل لا يتطابق مع التفريق التقليدي مادة/ شكل [15].

وتبعًا لهذا التفريق وبين وسيط/ وشكل يكون الشكل شفافًا دائمًا، ولكن الوسيط، الذي لا ينشأ شكلٌ إلا بربطٍ به، يظل البقعة العمياء. فالوسائط مخزن للأشكال يظل غير شفاف.

وهكذا إلى هذا الحد تفريق الوسيط عن الشكل . وغرض هذا التفريق تحريك مراجعة لمفهوم الشكل، فلم يعد الشكل نتيجة لها يتصور على أنه بنية متحققة أو أداة قاعدية منجزة،/ بل يجب أن يُتفكَّر فيه- لممارسة مفهوم مؤثر ربما بشكل غير مناسب هنا في سياق نظرية لوهمان- بشكل أدائي ، ومن ثم بوصفه إنجازًا. وفي الواقع بوصفه إنجازًا لا يتصور دون وسائط. ١٥٨

وفي الإرث الفلسفي عرَف مفهوم الشكل صياغةً، يمكن وصفها من خلال خمسة جوانب مترابطة بعضها ببعض، ويمكن- دون أي ادعاء بالدقة والتهذيب والكمال- أن تكثف في خمسة نماذج فلسفية. فما يعد شكلاً يكون (١) بلا زمن، أي مايزال ثابتًا في مقابل التغير في الزمن: هذا هو النموذج الأفلاطوني. الشكل (٢) شامل (كلي)، أي شيء عام، يُعزَى دائمًا إلى عدة أشياء: هذا هو نموذج أرسطو. ويعزى للشكل (٣) طاقة توليدية، ويعد مبدأ فاعلاً توليديًا للظواهر: هذا هو نموذج ليبنتس .

---

(١٥) حول ذلك: سيل ١٩٩٦ ، الريش ١٩٩٧ ، ص, ٢٠٥

والشكل فضلاً عن ذلك (٤) متعال أو بدهية سابقة بمعنى مفهوم تأملي، يتعلق بشرط الإمكان، وليس بحقيقة شيء ما: هذا نموذج كانط. وأخيراً الشكل (٥) مثالي ، ويعد نهجًا منهجيًا، لا ينتج بوجه عام إلا موضوعات : هذا نموذج هوسرل.

ومع لوهمان لا يُبدَى صوت آخر في هذا التتابع لتصور شكلي شامل، وغير متحيز لزمن، وخاص ببدهية سابقة، ومثالي. ففكرته عن الشكل يقوض على الأرجح طرق التفكير الكلاسيكية. وحيث لا يوجد شكل دائمًا إلا كشكل- في ـ وسيط، لم يعد الشكل حالة مشابهة، ذلك للصورة الأصل أو للبنية أو للأداة القاعدية، بل يكتسب الشكل وضع عملية محددة موفقيًا مكانيًا وزمانيًا: يصير التحقيق الزمني ، غير الثابت ، العابر، العارض لتلك القدرة على بناء الشكل، الذي يقوم بإعداد وظيفة الشكل.وفهمه على أنه تحقيق اختياري لوسيط لا يجعل إذن أي معنى للانطلاق من شيء أشبه بشكل أولى، أصلي.

وهكذا نلاحظ كيف يقع لدى لوهمان شيء أشبه بتبادل موقعي بين شكل ووسيط، على أية حال قياسًا بالأدوار التي تنسب إليهما في إطار نموذج- العالمين. ولكن إلامَ تفضي إعادة التوزيع هذه للمهام؟ يجب لذلك أن نعاين بشكل أدق دور الوسائط في الاتصال.

٣- حول الاتصال ودور وسائط الاتصال

١٥٩ / خلافًا لطاقة الربط للاتصال التي أُبرزت في نظريات الاتصال

البـراجـمـاتيـة يمكن أن يؤدي الاتصـال في منـظور لوهمـان دوره المشكل للمجتمع بوجه عام فقط، لأنه فيه تحدث >معلومة على بعد<[١٦] فالمجتمع والثـقافة يـرتكزان على إنجازات البـعد، ولا تبطل الوسـائط هذا البعـر بل تنقله، وذلك بحيث إنه يُتغلَّب في ذلك على عدم احتمال الاتصال . فكيف يفهم هذا؟

توجـد بوجه خـاص سـمتـان لمفـهوم الاتصـال لدى لوهمـان، يُعين إيضاحـهما في إجابة عن هذا السـؤال. هذا من جهة توجيـه الفهم الذي لا يعد الاتـصال تبعًـا له فعلَ إخـبار، بل عـمليةَ فـهم، وهذا من جهـة أخرى الحدوث: فالاتصال حدث يختفي في الوقت نفسه مع وروده.

وتنطلق الطرائق الخاصة بنظرية الكفاءة التي عولجت إلى الآن من أن الكفاءة اللغـوية والاتصاليـة تستهـدف إنتاج جمـل أو منطوقات . وتُدرَك هذه المقـدرة الاتصالية- علـى نحو أو آخر- بوصـفهـا مقـدرة لتوليد أبـنية رمزية. إن الإبداعـية اللغـوية هي الإبداعية في إنتـاج شيء. ومع ذلك على نحو آخـر تعد القدرة على الاتصـال قدرة على التلقي. فـما يتلقى في ذلك هو التفريق بين >معلومة < و >إخبار< . فحين يقول الآخر للأنا: >تُسْقِط الثلج<، فتـسمع الأنا هذا، فتـشكل الأنا إدراكًا: تتلقى مـعلومة- ولا شيء غير ذلك. ولا يصيـر نطق هذه الجملة اتصالاً، إلا حين تدرك الأنا في ذلك الاختـلاف بين معلومـة وإخبـار. وهكذا حين تدرك الأنا لماذا تعد المعـلومة

(١٦) لوهمان ١٩٩٧، ص١٩٣ .

>تسقط الثلج< إخباراً، فإنه يكون ثمة إنـذار بواقعة كرات الثلج أو أمر بإغلاق النافـذة أو شكل لتملك الحق، لأن الأنا أكدت من قـبل أنها تمطر . وعندئذ يكون الفهم عمـلية، لا وزنَ بالنسبة لها أفـهمت فهمًا صحـيحًا أو خطأ، / أو وجـد إجـمـاع أو اخـتـلاف في الرأي ، أو قُـبِل الإخـبـار أو رُفِض[١٧]. وعلى نحو مغاير لما في نظرية الفعل الكلامي لا يوجد توفيق أو إخفاق للاتصال، بل فقط: الاتصال قد وقع أو لا. ١٦٠

ومن خلال كـون المنطوق وحده لا يولـد الاتصال، بل الفهـم ابتداءً. يظهر هـذا بنية زمانيـة جديدة بالملاحظة: فكل اتصـال يتعلق بفـعل متـقدم عليه، يكون في مـقابله متـأخراً، ولا يمكن أن يكون الاتصال من جـانبه إلا حين يُتبَّع في فـعل مسـتقبلي، ويكون توفـر الاتصال مـقتصـراً على إلحاق إرجاعي ومستقبـلي. ولا تكون الخطوة إلى وقوع الاتصال بعيدة: لا يكون الاتصال بأيـة حال من الأحوال السلسـلة الكاملة وغيـر المنقطعة لعـمليات اتصال مـتراصـة ، متـلاحقة، بل الاتـصال ليس سوى الـواقعة المعـينة التي يحدث فيها فهم من خلال التـفريق بين المعلومة والإخبار. وفي لحظة تبادله تختفي هذه الواقعة: وهكذا لا يستمر الاتصال.

إن الاتصـال ليس آلية، تنـتج فهـمًا، إذا وُفِّي بـشروط مـحددة فـقط. فالاتصـال يفضي إضافـةً لذلك إلى أوجه عدم احـتمال كثـيرة معـه، سواء أأخـتيـرت تلك المعلومة لإخـبار، أو ذلك الإخـبار من بين أوجـه الإخـبـار

(١٧) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٩٠ .

الممكنة الكثيرة، وأخيراً أيضًا أن يكون المرء مـستعداً بوجه عام ليس لإدراك سلوك آخر فقط، بل لملاحظة _ نتيجـة لذلك- هل يتجلى في هذا السلوك الاختلاف بين المعلومة والإخبار: كل هذا يضـاعف عدم احتمال الاتصال. كيف ينشأ الاتصـال- برغم ذلك؟ إن جعل الاتصال محـتملاً يصير مـهمة الوسائط _ التي تحفـز في الواقع أيضًا أوجه عـدم احتمـال جديدة. وبذلك يهتم لوهمان بالوسـائط بوصفهما وسائط اتـصال، يجب أن تُعنَي بإمكانية استمرار حدث الاتصال، الذي يتولد ويتجدد من خلاله المجتمع والثقافة .

وتوجد ثلاثـة أنماط من هذه العناية الظاهرة بالوسائط ، هذا الـتشكل الروتيني لأوجه عدم الاحـتمال[١٨]: اللغة، والوسائط التمـهيدية، ووسائط النجاح، المـعروفة بشكل أفـضل تحت/ مصطلح «وسـائط اتصال مـعمـمة بشكل رمزي». وتشترك جميعها في عدم نقل معلومات [١٩]. ولذلك تهيئ مجالات لتفريق الوسيط عن الشكل. ويحدد تنوع الوسائط كيف يُنجَز هذا التفريق.

١٦١

٥- اللغة: إمكانية الاختلاف

إن اللغة بالنسبـة للوهمان وسيط الاتصال الأساسي: فـبدون اللغة لا تشريح للاتـصال، وبدونها إذن لا مـجتـمع أيضًا [٢٠]. بيد أن هذه الـطاقة

---

(١٨) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٤٦٨ .

(١٩) لوهمان ١٩٩٧ ص١٩٤ ، ص٢٠١ .

(٢٠) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٢٢٤ .

المشكلة للمجتمع لا تقوم على أساس دعاوى العقلانية المركبة الخاصة بها[٢١]، أو >غرض التفاهم<[٢٢]. بل تكمن خصوصية اللغة في قدرتها على الرد: >...توفر اللغة لكل ما يقال صياغة إيجابية وصياغة سلبية<[٢٣]. فكل قول مترابط مع قول مضاد، وكل علاقة تحيل إلى نفيها. وهكذا لا تؤسس اللغة إجماعًا، بل تقدم دائمًا أيضًا إمكانية الاختلاف. ولذلك يُستبعَد >أن يُستنبَط من اللغة ذاتها معيار مثالي للسعي إلى التفاهم<[٢٤]. وهكذا ترتفع من خلال اللغة الهشاشةَ، وإمكان الانكسار والاستعداد للاتصال . كيف تكون اللغة برغم ذلك وسيطًا ، يزيد احتمال الفهم، ومن ثم الاتصال؟

تتيح اللغة إنجازَ أوجه بُعد، والتعاملَ مع ما هو بعيد، حيث تتجاوز أساسًا مجال ما هو مدرك. وهذا من عدة وجوه: فحين نفرق في سلوك غير لغوي بين معلومة وإخبار، فإن هذا التفريق يظل دائمًا غير حاد (غائمًا): لا شيء > يقول< لنا ما إذا كان نظر/ شريك المحادثة في الساعة يشير إلى ١٦٢ اهتمام بإنهاء المحادثة أو بمسألة وقت مطلقًا. وعلى العكس من ذلك تكون الأصوات اللغوية بوصفها ورودًا غيرَ محتملة، ولا يمكن تعرفها في الوقت نفسه بحيث تكفل بورودها تقريبًا أن ما يصل دائمًا إلى السمع يكون خبرًا، ومن ثم اتصالاً.

---

(٢١) >على نحو معايير لما تفترض نظرية الفعل الاتصالي ليورجن هابرماس نتجنب تركيب دوعاوي العقلانية في مفهوم الاتصال< . لوهمان ١٩٩٧ ، ص٢٠٠ .

(٢٢) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٢٢٩ .

(٢٣) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٢٢١ .

(٢٤) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٢٢٩ .

بيد أنه بوجه خاص تجيز اللغة التواصل حول ما يكون غائبًا ، ما يكون خياليًا أو ممكنًا فقط. وبه يمكن أن يتواصل حول موضوعات مجردة غير حسية، وبه يمكن أن تُقطَع> مقدمات التزامن < السارية على الإدراك، التي يجب أن تكون الملاحظة والعالم الملاحظ تبعًا لها متزامنين[٢٥]. وفضلاً عن ذلك تحفز اللغة إمكان قول >ما لم يقل مطلقًا بعد< [٢٦]. لأننا نفهم جملاً أيضًا، لم نكن قد سمعناها مطلقًا من قبل. وعلى هذا النحو تخفف اللغة العبء عن الذاكرة، وتسهل النسيان: فلا يجب أن نحتفظ باستعمالات ماضية للكلمة وسياقاتها في الذاكرة حتى يمكن أن نفهم استعمالاً لغويًا حاضرًا. وفضلاً عن ذلك تفيد اللغة من التفريق بين الكلمة والشيء، بين واقع حقيقي ، وواقع سيميوطيقي [٢٧]، وأخيرًا تخلق وتثبت مساحة خيالية من المعاني. وبينما يُعنَي ڤيتجنشتاين بأن اللغة تعمل ولا تعطل، يهتم لوهمان بالقدرة الخيالية للغة: اللغة بالنسبة له تصير >إلهة المجتمع< [٢٨]. ولا نريد هنا أن نوضح هذه المقدرة بشكل أدق، لأن ما يهمنا شيء آخر:

كل شيء تنجزه اللغة بوصفها شكلاً مميزًا يُربَط بالطبقة التحتية الوسائطية للصوت. و>هكذا يكون الاتصال اللغوي ابتداءً : إجراء عملية

(٢٥) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٢١٥ .

(٢٦) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٢١٥ .

(٢٧) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٢١٩ .

(٢٨) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٢٢٥ .

المعنى وفي وسيط الخاصية الصوتية<[٢٩]. وبينما تقر نظريات الاتصال الفلسفية للحديث بأنه المظهر الأصل للاتصال فإنه تتصور شفاهية الاستعمال اللغوي إلى حد بعيد دون خاصية صوتية، ويطور لوهمان رفاهة حسية مؤثرة للخواص الظاهرتية للغة الصوتية: فالكلام والسماع يصيران التدفق الإيقاعي الإيقاعي / والنابض ، والمتسارع ، والمتهادي ، الذي تؤدي فيه أيضًا ارتفاعات طبقة الصوت، وحركات اليدين، والوقفات دورها[٣٠]: يُذكِّر هذا السحر التركيبي لاتصال شفوي ـ على أية حال من بعيد- بموسيقية اتصال مرتبط بأصوات؛ بالبعد الموسيقى، الصوتي لخاصيتنا اللغوية، التي لم تتفكك إلا من خلال تقنية الكتابة للأبجدية الصوتية للغة وفقد تقريبًا الخطاب الخاص بالنظرية اللغوية بوصفه إشكاليةً وموضوعًا.

١٦٣

ويهتم لوهمان بهذا الفرق بين الشكل الصوتي للغة وشكل الكتابة: ثمة اقتناع يمكن أن نطلق عليه >دجمة (عقيدة) صوتية خطية <، ويقدم تقريبًا حيزاً مشتركًا للتفكير اللغوي. إن الأمر يتعلق باقتناع بأن اللغة الشفوية تنقل من خلال الكتابة الصوتية إلى وسيط النصوص. أما لوهمان الذي يظل مرهف الحس لظاهرية كلام مرتبط بأصوات فلا يشارك في هذا الاقتناع: >ليس من الممكن أن نأتي باتصال شفوي في شكل نص كتابي<[٣١].

(٢٩) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٢١٣ .

(٣٠) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٢٥٤ .

(٣١) >التضمن المتزامن للخطيب والسامع، وادعاء الاستعمال المتزامن لعدة وسائط إدراك، وبخاصة السمع والرؤية، واستخدام تغيرات طبقة الصوت وحركات اليدين والوقفات، وكذلك الإمكانية المستمرة لتدخل السامعين أو أخذ- الدور، لا يمكن أن تنتقل في شكل نص كتابي< . لوهمان ١٩٩٧ ، ص٢٥٤ .

وهكذا نرى أن: اللغة ليست شكلاً يمكن أن يتحقق بشكل اختياري كلغة شفوية أو لغة مكتوبة، بل اللغة أصلاً هي اللغة المنطوقة، ويرتبط شكلها، اختلاف الصوت عن المعنى، من ناحية تكوينية بوسيط الخاصية الصوتية. أي دور إذن تؤديه الكتابة؟ بهذا السؤال نصل إلى وسائط النشر.

٦- وسائط النشر: معلومة أكثر وقبول أقل

/ توسع وسائط النشر مثل الكتابة، والطباعة، والوسائط الجماهيرية، ١٦٤ بل تتخفى أيضًا عن دائرة مستقبلي الاتصال [٣٢]. وترد عمليات الإعلام والإخبار والفهم منفصلةً بعضها عن بعض زمنيًا. ولا يغير هذا شيئًا من حقيقة أن فهم اختلاف للمعلومة عن الإخبار ابتداءً يعد اتصالاً. وهكذا ليس فعل الكتابة ذاته بل القراءة تولد اتصالاً كتابيًا. ومع الورود المنفصل الزمني للمكونات الثلاثة للاتصال يحال دون كل >ردور الفعل الفورية<[٣٣]. وفي هذا الإبعاد بين الآخر والأنا الذي يظل من الممكن أن يستمر معه- برغم ذلك- الاتصالُ تنشأ أحوال (كيفيات) جديدة للاتصال. وهكذا لا تُعوِّض وسائط النشر ببساطة القربَ المفقود لاتصال شفوي ، بل تخلق شيئًا جديدًا، لا توجد ولا يمكن أن توجد له صورة مثلى في الربط بما هو شفوي. ويكمن في ذلك أيضًا الإنجاز المؤسس للثقافة للاتصال عن بعد. ويمكن أن تُبحَث هذه المجالات الجديدة المستنتجة من الاتصال عن بعد بأمثلة في الكتابة.

---

(٣٢) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٢٠٢ وما بعدها.

(٣٣) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٢٥٨ .

١ - لا تمثل حروف الكتابة الصوتية الأصوات، بل تحدد فروقًا بين الأصوات. فالكتابة ترمز إلى شكل اللغة، وتشكل بذلك ابتداءً الاختلاف بين صوت ومعنى تحديداً، الذي يتغذى عليه مفهومنا للغة(٣٤). وعلى هذا النحو تبرز الكتابة من خلال تعليم الشكل اللغوي بوصفها موضوعًا يمكن عقلنته(*) بوجه عام. هذه هي صياغة لوهمان الخاصة لقول دريدا لأولية الكتابة في مقابل اللغة.

٢- يوقف النص التدفق الحماسي للكلام الشفوي . ويُحال بذلك دون التأكيد بحكم العادة لأخلاق ومواقف اجتماعية، تتم بشكل تلقائي تقريبًا في كل مكان حيث يشتبك الخطيب والسامع وجهًا لوجه في مواقف كلامية(٣٥). بيد أن هذه ليست ساعة ميلاد أوجه الجدل وثقافة الخلاف من روح تناص نزعي (•). / ويتيح نص متحد، متداول بوجه عام فضاءً، يوفر مكانًا لتفسيرات منحرفة، وتساؤلات نقدية، واختبارات التماسك، وتنوع المنظورات دون حتمية الاتفاق (٣٦). وتحاكي الكتابة تشكل المعلومة، أي العلاقة الموضوعية للاتصال، بل في الوقت نفسه أيضًا استعداد المشاركين في الاتصال للخلاف: يمكن في نقطة التقاء بينهما أن ينشأ شيء أشبه بالعلم بوجه عام.

١٦٥

(٣٤) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٢٥٥ .

(*) يقصد بذلك rationalisierbar أي جعل الشيء عقليًا أو موافقًا للعقل أو معقولاً.

(٣٥) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٢٧٥ .

(•) يقصد بذلك التعبير agonale Intertextualität.

(٣٦) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٢٨٢ .

٣- الانفـصال الزمني للإخـبـار والفهم من خـلال الكتـابة، التأخـر الأساسي لاتصـال لا يحدث إلا في القـراءة ، ويُدخِل نظامًا زمنيًـا جديدًا. وينتهي إلى قطيـعة للحياة مع الزمن، إلى طريقـة وصف للزمن التي تعالج الزمن كأنه يمكن أن يُـشار إليه كـما يُشار إلى شيء أو حـركة [٣٧]. وهكذا يثبت الاختـلاف المألوف لنا لمقولتـي المكان والزمان بوصـفه تأثيـرًا طويل المدى للكتابة.

١-٥ وسائط اتصال معممة بشكل رمزي، جرأة الاتصال

يمكن أن تُكثَّف وسائط النشـر في صياغة مخـتصرة: معلومـات أكثر وقبول أقل. ويـبدو أن تماسك المجتمع يُقـصِي فيما هو غيـر عادي في إطار هذه الشروط. ويبـدو مختلطًا باحـتمال الاخـتلاف التي تهيـئها اللغـة ذاتها إنتاجُ الاتفـاق والحفاظ عليـه دائمًا غـير محـتمل بدرجة أكـبر، فهـو يظفر بملامح مفرطـة تقريبًا [٣٨]. وتُشَجَّع مـهمة وسـائط الاتصال المعمـمة برغم عدم الاحـتمـال المتجـذر من خلال وسائط الـنشر من اتصال إلـى اتصال. كيف تفـعل هذا؟ على أية حال على نحو آخر غـير ما يعمل مـثلاً ربط من خلال الحـالة المعنوية، تعد وسائـط الاتصال المعمـمة بشكل رمزي بالنسـبة للوهمان المكافيء الوظيفي له. وتحاول الحـالة المعنوية من خلال المعيارية أن توحد الاخـتلافات، غـير أن الوسائط المعـممة بشكل رمـزي لا تعرف أي

(٣٧) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٢٦٥ .

(٣٨) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٣٥٩ .

وسيط علوي (غير عادي) متجانس/ شمولي (كلي)[٣٩]، بل لا تظهر ١٦٦ دائمًا إلا في عدد كبير، ومن ثم تعمل بشفرات شديدة التنوع: يتعلق الأمر بوسائط ، مثل الصدق، والحب، والمال، والفن، والقوة، والقانون. وتكون خصوصيتها أن الازدواج في صياغة إيجابية/ سلبية، التي تهيئها كل شفرة، يرتبط في حالة وسائط الاتصال المعممة بشكل رمزي بأفضليات واضحة للصياغة الإيجابية: ولذلك تسمى أيضًا >وسائط النجاح< وبينما تظل اللغة محايدة تجاه الإيجاب والنفي، لأنه أيضًا يمكن أن يقال ما هو مقبول كنفيٍ (>لا تمطر>) ، تؤثر وسائط الاتصال المعممة بشكل رمزي الصياغة الموجبة: وتصير مقاصد مفرطة وخصوصيات بالغة على هذا النحو مقبول، باعتبار أنها لا تُنجَز إلا من أجل الصدق أو الحب أو لأنها يمكن أن تعد فنًا، أو ببساطة أيضًا لأنه يوفي بها.

ويدعم هذا التحفيز للصياغة الموجبة استنادٌ إلى خاصية جسدية خاص بوسائط الاتصال المعممة بشكل رمزي فقط. ويطلق لوهمان على الاستناد > التعايش<[٤٠]. ويتوافق كل وسيط من وسائط النجاح مع آلية تعايشية[٤١]، تفضي إلى تكيف اجتماعي ورمزي للجسد، ولكن على العكس من ذلك أيضًا، تجعل الوسيط من خلال أجساد المشاركين في

---

(٣٩) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٣٥٩ .

(٤٠) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٣٧٨ . يقصد بذلك Symbiosis.

(٤١) حول ذلك : لوهمان ١٩٨١ ، ولوهمان ١٩٨٢ ، ص١٣٧ ، وما بعدها ، ولوهمان ١٩٨٤ ، ص٣٣٧ وما بعدها.

الاتصال مضطربًا، ومع وسيط الصدق يتعلق الأمر باستقرار الإدراك ومع الحب بالإحالة إلى الجنسية (النشاط الجنسي). وفي كلتا الحالتين يجرى مع اختلاف هذه الوسائط إعلاء قيمة الأساليب الرمزية المناسبة لهما، التي لم تعد مقدرة متدينة للشهوائية[٤٢]. ويتعلق وسيط المال بالحاجات، ووسيط القانون والقوة يعمل بالعنف النفسي.

وتصير وسائط معممة بشكل رمزي عوامل اختلاف أنظمة وظيفية للمجتمع، وبذلك تتضح أنها وسائط لتكوين العوالم: فهي تذكر تقريبًا بالوظائف المولدة للعالم خاصة بالأشكال الرمزية لدى ارنست كاسيرر. وفي الواقع بهذا الفرق المهم/ ربما ليس لوهمان هو نيكلاس لوهمان حين ١٦٧ لا تؤثر وسائطه، باعتبار أنها تؤثر بشكل رمزي من خلال إنشاء موافقات غير محتملة، بشكل شيطاني في الوقت نفسه أيضًا من خلال إنتاج أوجه اختلاف دائمًا، وليس أخيراً من خلال تضمن الخاصية الجسدية للمتواصلين التي لا يمكن ضبطها دائمًا أيضًا[٤٣].

٦- لماذا تعد اللغة بالنسبة للوهمان منظر النظام ليس نظامًا؟

إذن إلى هذا الحد ملامح نظرية الوسائط لنيكلاس لوهمان التي تحدد في إطارها أفكاره، الخاصة بالنظرية اللغوية. وقد قيل عن لوهمان[٤٤]-

(٤٢) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٣٧٩ .

(٤٣) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٣٢٠ .

(٤٤) كونتسلر ١٩٨٧، ص٣٣١ ، حول النقد الفلسفي- اللغوي والخاص بالذاتية- الداخلية بين الأشخاص لمعالجة لوهمان >للغة<، انظر هابرماس ١٩٨٥، ص٤٣٧ وما بعدها.

وقد قيل هذا بوجـه عام وأكثره [٤٥]- أن النظرية اللغوية تشكل أمنية جلية لنظريته حول الاتصال. وفرضيـته هي أنه تبرز في زاوية الرؤية لتصوره عن الوسيط- الشكل مـلامح في اللغة، تختلف على نحـو جدير بالملاحظة عن تلك الطرائق التي تتبع مسارات نموذج _ العالمين.

وفي كل تأمل لغـوي يُستخـدَم على نحو أو آخـر مـفهـوم الشكل، ونادرًا مـسـألة أنه تُعَـد في الفكر اللغـوي المرتبط بأسـمـاء مـثل سوسيـر وتشومـسكي وسيرل وهابـرماس مصطلحـات مثل > بنية<، أو >نظام< أو > قاعدة< و> كفاءة< بوجه خـاص صور إرث لتـصور الشكل التـقليدي. ويمكننا أن نقول حول ذلك بوجه خاص: إن الكفاءة صياغة خاصة بالنظرية اللغوية لفكرة شكل _ دون- وسيط.

وهنا أيضًا تقيم وسائطية الشكل تأكيـدًا مغايرًا تمامًا. فالشكل لم يعد يتصور وفق نموذج> المطابقة المستمرة زمنيًا< [٤٦]، ولـم يعد >مثالية منفصلة عن واقع المعـايشة الحـقـيقـية والتـواصل< [٤٧]. ويوجـد ما هو مـحـتـمل وشمـولي / وغير مـتحيـز للزمن، وبديهي قبلي ، كل هذه الصـفات، التي ١٦٨ تُعزَى في النظرية اللغوية ونظرية الاتصال المعاصرتين إلى اللغة غير الشفافة خلف الاستعمال اللغوي الشفاف. يوجد- وإن كان بوجه عام- في جانب الوسـيط مرة أخـرى، ويُجعَل بذلك نسـبـيًا في الوقت نفـسه، باعـتبـار أن

---

(٤٥) لوهمان ١٩٨٧، ص٤٦٨ .

(٤٦) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٤٥ .

(٤٧) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٤٤ .

الوسائط يمكن أن تُعالَج أساسًا بوصفها أشكالاً أيضًا. وعلى العكس من ذلك يصير الشكل الإنجاز العملي، التحقيق الخاص والمحتمل أيضًا لعملية من تلك العمليات التي تهيئ الوسيط، والذي يعالج فيه الشكل حسب كثافته وحسب استهلاكه مرة أخرى أيضًا. فالوسيط يصير < نحو> الشكل، ولكن الشكل يصير تحقيقًا للوسيط. وبذلك سُحِب البساط من تحت فكرة نظام لغوي غير متحيزة للوسائط.

وبذلك يتميز توجيه تاريخي جدير بالملاحظة لمفهوم الكفاءة واللغة: فتلك السمات التي تُعزَى إلى الكفاءة اللغوية تثبت في هذا المنظور بأنها تشكلات أسلوبية واستخلاصات استقرائية لصفات وسيط مميز، أي الكتابة الصوتية. وتتبين فكرة لغة، تعد أساسًا لكل كلام بوصفها بنية عميقة شاملة، ونظامًا معرفيًا يمكن أن يُعقلَن، بأنها إسقاط ونتاج شكل تاريخي ثقافي لعرضه ومعالجته الخاصة بلغة الكتابة. وفي ضوء مفهوم الشكل للوهمان تُستخدَم الكتابة في نظرية اللغوية _ في الواقع بشكل كامن- بوصفه نموذجًا للغة.

وينبغي أن يُوضَح أن هذا، الذي تختلف فيه التأملات اللغوية للوهمان عن المسارات التي وُضِعَت من خلال نموذج- العالمين، له علاقة بمنظور الوسائطية الأساسي لأفكاره. وحيث يعيد لوهمان بناء اللغة بوصفها وسيطًا، يأتي نهج باستنتاج مهم ومفاجئ أيضًا: بالنسبة للوهمان، منظر النظام- اللغة ليست نظامًا. بل تستخدم بوصفها وسيطًا للتنظيم

الذاتي- يقول لوهمان حول ذلك في إثر ماتورنا : خلقًا ذاتيًا (٤٨)- لأنظمة اجتماعية ونفسية، تبني عملياتها الخاصة بمساعدة اللغة. ويعني هذا: أن الاتصال نفسه هو عملية، تختص بنظامية داخلية، وليس اللغة. ويثبت نهج لوهمان/ ١٦٩ أنه عملية نسبية لبدهية لغوية سابقة سارية دون خلاف تقريبًا على الخطاب الفلسفي- ومع ذلك فإنه لم يحصل بمنهجه أوصافًا دقيقة لظاهرة خاصيتنا اللغوية، بل أوصافًا جديدة مضافةً لمفاهيم تقليدية خاصة بالنظرية اللغوية. أما ماذا يعني هذا الوصف الجديد من منظور الوسائطية فيمكن أن يوضح بمفهوم >المعنى<.

٧- تصور غير هرمينوطيقي للمعنى

باديءَ ذي بدء، > المعنى < مقولة هرمينوطيقية، نتاج التفسير، الذي ينشأ في مجال توتر (جذب) بين، > فكر < ، و >حرف < وفي الموقف الهرمينوطيقي يكون المعنى شفافًا ما دام يتغير نص ما إلى نافذة شفافة ، يمكن من خلال النفاذ منها أن تدرك بصيرتنا المعنى. وعلى نحو مستقر في عمق النص يصير المعنى كيانًا متشكلاً موضوعيًا. ويكون لدينا ابتداءً المعنى، ويكون الوسيط مهجوراً.

ويتفاعل جدل الوسائط مع هذا المفهوم الموضوعي للمعنى بجعل الوسيط موضوعًا. ويتجاوز في ذلك الدور الذي يؤديه معنى مكثف في

---

(٤٨) لوهمان ١٩٨٧ ، لوهمان ١٩٩٠ ، ص١٢٨، وما بعدها، ولوهمان ١٩٩٧، ص٦٥ وما بعدها. والمصطلح المستخدم هو Autopoiesis وهو يوناني مكون auto- avi ذاتي / مستقل و poiesis- Moińsis = خلق أو إنتاج.

موضوع محدد، الوسيطَ. ويرتبط بذلك الفصل بين مفاهيم، مثل> معنى< ، و> دلالة< . وعلى نحو ما تشجع هرمينوطيقا تشكل وجودي للمعنى تواجهنا المناقشة الهرمينوطيقية النقدية للوسائط بتشكل وجودي للوسيط.

ويَعرِض مدخل لوهمان الملاحظ النسبي عن طرائق مجسدة للمعنى أو الوسيط؛ فماذا يعني هذا بالنسبة لمفهوم المعنى؟

إن هذا المفهوم للمعنى ليس شيئًا غير التفريق بين وسيط/ شكل ذاته، ولكن يشكل موضوعًا من ناحية محددة تمامًا. وتُفتَتح هذه الناحية من خلال إنعام النظر في كيف يمكن أن يصير >عالم ما< معطىً بوجه عام . إنه مفهوم المعنى الذي يتوسع من خلال ن ظرية الوسائط للوهمان إلى ما أشبه بـ >فينومينولوجيا العالم< (٤٩) .

لنشر إلى مراحل هذا >التوسيع< على الأقل:

١٧٠ (أ)-لا توجد اختلافات في ذاتها، بل تُشكَّل فروق/ في نطاق أوجه تفريق. واتخاذ تفريق هو عملية - مثل كل العمليات لدى لوهمان- طارئة وتاريخية، وهكذا يمكن أن تقع على نحو آخر أيضًا دائمًا. ويطلق لوهمان على >شكل العملية التاريخي< هذا< المعنى< (٥٠). ولكن على نحو آخر

---

(٤٩) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٤٩ .

(*) يُقصَد بالفينومينولوجيا أو الظاهرية Phanomenologie البَحث في وصف الظواهر وتصنيفها، أو الوصف العلمي للظاهرات الواقعية مع احتساب كل تأويل أو شرح أو تقييم .

(٥٠) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٤٧ .

غير ما يوهم >التحديد<، المعنى ليس كيانًا مستمرًا زمنيًا، بل عملية نسبية للملاحظ ولحظية في الوقت نفسه: المعنى ينشأ ، ويمضي في لحظة عملية ما.

(ب)- في محور كل تفريق توجد علاقة بين الواقع والاحتمال . فما هو واقعي يشير دائمًا إلى ما هو محتمل : >هذا التفريق وليس تفريقًا آخر يُكوِّن المعنى<[٥١]. اللحظة- هنا يتبع لوهمان هوسرل- هي ما تكون من خلال احتفاظ وترجيح فقط [*]، أي من خلال استناد إلى ما هو ماض، وما هو مستقبلي. وما هو حاضر لا يكون موجودًا إلا، حيث يكون ما هو غير حاضر غير موجود. وما هو حقيقي هو واقعي فقط في أفق الإمكانات المستبعدة التي تشير إليها بوصفها أوجه احتمال في الوقت نفسه. باختصار: فكل تجلٍ هو صورة؛ يدين الفضل في معالمها إلى خلفية ما هو كامن. وهكذا ينشأ المعنى من خلال وجود ما يكون غير موجود، ومستبعد فيما هو واقعي- كما يلاحظ لوهمان بالرجوع إلى جيلس ديلوزه [٥٢].

(ج)- بيد أن هذا التصور لواقع لا يحصل على توقيعه إلا في أفق أوجه احتمال غير واقعية، هو ما يُعلِّم أيضًا محور التفريق بين وسيط/

---

(٥١) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٥٠ .

(*) تبعًا لهوسرل للإدراك الحسي ثلاثة جوانب زمنية retention (إدراك حسي للحظة الحاضرة / الحالية)، وprotenteion (إدراك حسي للحظة القادمة)، وتدفق من خلاله تصير كل لحظة للإدراك القادم إدراكًا حسيًا حاضرًا للقادم.

(٥٢) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٥٢ .

وشكل. ولكن يوجد فرق بين >معنى< و> وسيط/ شكل< . يكمن في أن المعنى يرد عادةً في المفرد، ولكن >الوسائط< ترد في أفق التفريق بين وسيط/ وشكل في الأكثر. ويبين مفهوم المعنى بوضوح أن أنظمة نفسية واجتماعية يجب أن تعمل في وسيط، كيف تفعل هذا وأي وسائط يمكن أن تستخدمها في ذلك، وهل مثلاً اللغة الصوتية أو الكتابة، هل وسيط الحب أو وسيط الصدق...إلخ، كل هذا يبقى متغيراً. يرمى مصطلح>المعنى< إلى إخفاء (ظاهرية)[*] الوسائط. ويثبت من ذلك أن الوسائط تعد أساسية لكل العمليات النفسية والاجتماعية. وبدون المعنى ليس ثمة وعي/ واتصال. وهكذا يصير شكل المعنى الوسيط المطلق له ذاته[٥٣]. ويصير المعنى وسيطًا شاملاً[٥٤]. ١٧١

(د)- هذا الظهور لما هو مطلق، وشامل وغير خفي (ظاهر) بالذات لدى لوهمان يضطرب. فكيف يجب أن نفهم هذا؟ ربما نجد إجابة حين نتساءل لماذا يعد المعنى لا ارتجاعيًا. لقد سرى على التفريق بين الوسيط- والشكل أن ما يكون وسيطًا من ناحية، يمكن أن يعد شكلاً من ناحية أخرى، وهذا إلى ما لا نهاية، دون إمكان الاصطدام >بعناصر أخيرة<

(*) يقصد بذلك المصطلح الشائع في فلسفة هوسرل ، ربما يعني عدم خفاء الدليل أو ظاهرية الماهية انظر عمله:

Die unhintergehbarkeit der Evidenz : Das Schauen, als letztes Mass allen Wissens.

(٥٣) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٥٧ .

(٥٤) لوهمان ١٩٩٧ ، ص٥١ .

تشكل منها كل الوسائط الأخرى والأشكال الممكنة[٥٥]. وبالنظر إلى المعنى يسير الأمر مع ذلك على نحو مخالف. فمقولة المعنى لها جانب آخر، يمكن أن نوفق إليه حقًا من خلال تبديل للمنظور- هذا الجانب الآخر هو >العالم<.

(هـ)- إذن يتعلق المعنى بصياغة علاقتنا بالعالم، ويظهر أننا ليس لدينا مدخل مباشر إلى العالم. لأن تناول كل منظور يعني دائمًا العمل كملاحظ، من ثم من جهة المعنى، وحيث يواجهنا >العالم< حيث ندرك شيئًا ما على أنه شيء، نفكر أو نتواصل، لأننا نستعمل وسيط المعنى. ولكن العالم ذاته، إذا أجيز هذا المجاز الإقليمي غير المناسب- يصير المنطقة الخالية من الملاحظ، يصير جوهر ما لا يتضح في كل تفريق وتقرير لنا: >ويظل العالم نفسه غير ملاحظ دائمًا بوصفه جانبًا مرافقًا لكل أشكال المعنى<[٥٦].

إن المعنى عالم- في - وسيط. وتثبت حتمية مقولة المعنى أن العالم دون وسيط لا يتجلى لنا. ويصير بذلك التحقق من هذا الأفق الأخير الغريب تقريبًا الذي يُضمَّن بمفهوم لوهمان للعالم فعلَ التكوين للنظرة الأساسية في وسائطية، لا تُعطَّل بالنسبة لأنظمة نفسية أو اجتماعية. ليس لدينا العالم، بل صياغة محتملة تاريخيًا للعالم. غير أن هذه الصياغة تحمل بشكل لا مفر منه أثر الوسائط التي تنشأ في استعمالها ومن خلاله. / ١٧٢

---

(٥٥) سيل ١٩٩٨ ، ص ٢٤٧ .

وينص لوهمان على علاقة بالعـالم على أساس نظرية الملاحظة. بل يُقِر في رداء نظرية الملاحظة أننا لا نرى العالم على الإطلاق.

ويقدم لنا استخدام مصطلح> معنى< لدى نيكلاس لوهمان أن نظرية الوسائط النـسبيـة للملاحظ- حين تفـسر كفـينومينولوجـيا للعـالـم- تقبل ملامح فينومينولوجيا ما لا يمكن ملاحظته.

١٠ - دونالد ديفيدسُن

لمَ ليس ثمة لغة مشتركة

أمراً ضرورياً للاتصال؟

لمَ ليس ثمة لغة مشتركة أمرًا ضروريًا للتواصل؟

>استنتج أنه لا يوجد مطلقًا ما أشبه بلغة، إذا ما طابقت لغة ما التصور الذي شكّله منها كثير من الفلاسفة واللغويين<[1].

١ - (هل ثمة) اتصال دون لغة مشتركة؟

١٧٣ / عُنيت النتائج التي توصل إليها دونالد ديفيدسُن في سياق أفكاره في النظرية اللغوية بالقلق، نعم بالاستغراب[2]. هذا الاضطراب قد سببه أن ديفيدسُن يتشكك فيما يبدو أنه يمهد الأرض لكل تأمل لغوي فلسفي وبحث لغوي. هذا افتراض أنه يوجد ما أشبه> باللغة<. ولكن ديفيدسُن يرفض هذا الافتراض: إن وجود لغة مشتركة ليس ضروريًا لنجاح الاتصال. >فيمكن للمتكلمين بشكل متبادل أن يفسرا منطوقاتهما دون أن تكون ثمة لغة مشتركة بالمعنى المألوف موجودة[3]. وما له> أهمية< دائمًا

(*) هذا هو الفصل العاشر ،وهو بعنوان "Warum eine gemeinsame Sprache nicht notwendig ist um zu kommunizieren" من كتاب زيبيله كريمر: «اللغة والفعل الكلامي والاتصال» (Sprache,Sprechakt, Kommunikation) الذي نشرته دار النشر سور كامب سنة ٢٠٠١م.

(١) ديفيدسن ١٩٩٠ ب، ٢٢٧ (بالإنجليزية : ١٩٨٦ ، ص٤٤٦).

(٢) على هذا النحو لدى هيكنج ١٩٨٦ ، ص٤٤٧ ، كونه ١٩٩٠ ، ص٢٣٤، وسيل ١٩٩٠ ، ص٢٦٦، ودومت ١٩٨٦ ، ص٤٦٤ .

(٣) ديفيدسن ١٩٩٠ أ (الفكر والكلام) ص ٢٢٧ (بالإنجليزية ١٩٨٤، ص١٥٧). أيضًا : >ليس من الضروري أساسًا للاتصال أن يتحدث شخصان اللغة ذاتها<. ديفيدسن ١٩٩٠ب، ص٢١٢ (بالإنجليزية : ١٩٨٦ ، ص٤٣٨).

حين يتفاهم فردان لا يرجع بالنسبة لديفيدسن على أية حال إلى أن كليهما يشترك في لغة واحدة بمعنى نحو ومعجم متطابقين. ويأخذ ديفيدسُن من التأمل اللغوي على أساس عقلي مهمة إدراك أفكار خاصة بنظرية لغوية بوصفها تفسيراً (إيضاحًا) للكفاءة اللغوية [٤]. ولكن/ تفسيره يؤدي إلى ١٧٤ إقصاء أسسه المفهومية المستعملة حتى ذلك الحين عن الطرائق القائمة على أساس الكفاءة، وترك الفروض السابقة التي تدخل في أونطولوجيا- العالمين عن اللغة والاتصال، لأنه مع التخلي عن افتراض أن لغة مشتركة شرط لإمكان الاتصال، يودع ديفيدسُن سلسلة كاملة من بدهيات الفلسفة اللغوية، التي صارت مفهومة. هنا قائمة _ غير كاملة بلا شك- لتلك الآراء، التي إن يعدها ديفيدسُن خاطئة، فإنها لا أهمية لها على الأقل بالنسبة للفلسفة اللغوية، لأنه يعدها ليست بذات قيمة نظريًا:

أ- الظاهرة الجوهرية للاستعمال اللغوي الكلام، ومن ثم يتجلى الإبداع اللغوي في توليد متكلم منطوقات [٥].

ب- اللغة مؤسسة، تقوم على أعراف لا يجوز أن ينحرف عنها الكلام المكرر إلا بدرجة معينة، حين ينبغي أن يظل مفهومًا [٦].

---

(٤) >تكمن مشكلتي في كيف يلزم أن أصف ما يتوارى حقيقةً في فكرة أن المرء يمتلك لغة (having a language) أو يتضلَّع في شأن الاتصال اللغوي< . ديفيدسن ١٩٩٠ب، ص ٢١٧ (بالإنجليزية : ١٩٨٦ ، ص٤٤١).

(٥) حول ذلك: ديفيدسن ١٩٩٠ أ (الفكر والكلام) ص ٢٢٧.

(٦) حول ذلك: ديفيدسن ١٩٩٠ أ (الاتصال والعرف) ص٣٧٢ وما بعدها.

ج- مع المقدرة الكلامية نمتلك - بشكل ضمني على الأقل - معرفة عن الأداة القاعدية اللغوية. هذه المعرفة القاعدية يمكن أن يعيد المنظر اللغوي بناءها بوصفها معرفة قضوية (معرفة أن) [٧].

(د) المعاني هي إما خواص ثابتة للكلمات والجمل، وإما أنها يمكن أن ترجع إلى قواعد بالنسبة لاستعمال كلمات وجمل في مواقف كلامية. وفي هذه الحال يستنتج معنى منطوق ما من القوة الإنجازية للمنطوق المقعَّدة بشكل عرفي ، سواء استخدمت جملة ما أمرًا أو زعمًا أو وعدًا بشكل اتصالي [٨].

(هـ) اللغة يمكن أن توصف قياسًا على اللعب [٩].

(و) اللغات وسائط للإدراك وأدوات لتكوين العالم. ولذلك تطابق لغات مختلفة/ رؤى مختلفة للعالم وأونطولوجيات متباينة أيضًا [١٠] . ١٧٥

لماذا تعد كل هذه الافتراضات التي تشكل ما أشبه> بأبجدية فكرية< للفلسفة اللغوية الحديثة، ليست بذات صلة من ناحية فلسفية لغوية بالنسبة لديفيدسن؟ تؤدي حججه بالنسبة لعدم الصلة هذه -- في استنتاج أخير - إلى أنه لا يمكن الإبقاء في العالم على إمكان التفريق بين اللغة والعالم، وبين المعرفة اللغوية ومعرفة العالم، وبين المقدرة اللغوية والكفاءة. ولا

---

(٧) حول ذلك: ديفيدسن ١٩٩٠ أ (الفكر والكلام) ص٤٤٢ وما بعدها.

(٨) حول ذلك: ديفيدسن ١٩٩٠ أ (تفسير راديكالي) ص٤٩١ وما بعدها.

(٩) حول ذلك: ديفيدسن ١٩٩٠ أ (الاتصال والعرف) ص, ٣٧٥

(١٠) حول ذلك: ديفيدسن ١٩٩٠ أ (ما المخطط المفهومي حقيقةً؟) ص٢٦١ وما بعدها.

نستطيع هنا أن نبحث بالتفصيل اعتراضات ديفيدسن على افتراضات فلسفية لغوية تقليدية. ولكن نريد أن نركز على مسألة لماذا يتخلى ديفيدسن عن شرط لغة مشتركة بين المتواصلين، ومع ذلك يستطيع أن يفسر نجاح الاتصال.

ومع تفريقين مبدأين لديفيدسن لهما وضع المقدمات يمكننا أن نبدأ عرضنا لأفكاره ذات الصلة بنظرية الاتصال : (١) إن العملية البراديجماتية للواقع اللغوي ليست الكلام مطلقًا، بل التفسير. (٢) ما يعد أساسيًا للتفسير ليس الصلة بالمعاني ، بل بالصدق.

٢- المقدمتان

٢-١- التفسير بدلاً من الكلام

يوجد موقف لين يتبعه التأمل اللغوي مدة طويلة، وهو أن هذا الرأي يبدو أنه يقدم الأساس الطبيعي لكل اشتغال باللغة، وفي هذه الخاصية يبدو أيضًا أنه ابتذال مجاوز بالكاد: إن استعمال اللغة يعني التكلم بها. ويفهم الكلام هنا على أنه عملية منتجة، تنتج فيها تعبيرات علامات مفهومة. ولا يربط التوجه إلى الكلام بوصفه حالة براديجماتية للخاصية اللغوية بين هومبولت وتشومسكي ، اللذين يرغبان في تفسير ماذا يعني أن يستعمل استعمال غير محدود من وسائل لغوية محدودة، / بل تربط نظرية ١٧٦ الفعل الكلامي لسيرل أيضًا بنظريات الاتصال البراجماتية الشاملة باعتبار أنه في الفعل الكلامي لا تنتج منطوقات لغوية فقط، بل يؤسَّس بذلك في

الوقت نفسه ربط اجتماعي بين الأنا والآخر. ويغير ديفيدسُن المنظور: فما يهمه ليس أن ينطق، بل أن يفهم، ويعني أن يفهم بالنسبة له: أن يفسر. وهكذا فالمهم في المتكلم أن يكون مفسر منطوقات آخر (ين) . فالمفسر ، ولم يعد المتكلم، يصير الشخصية المحورية في الحدث الكلامي . >عادةً ما نفكر في أن نتمكن من لغة، ويكمن في ذلك إلى حد كبير أن نكون قادرين على الكلام. ولكن ما يكون جوهريًا بالنسبة لحجته هو مفهوم مفسر، شخص يفهم منطوقات آخر< [١١].

وهكذا يتخذ ديفيدسُن منظوراً هرمينوطيقيًا ، يكون فيه الفهم جوهريًا للتواصل ، وفيه يكون التفسير بدوره جوهريًا للفهم. ولكن هل هذا المنظور الخاص بنظرية التفسير ليس غريبًا- على أية حال ما دام الاهتمام ليس موجهًا إلى نظرية النص، بل إلى النظرية اللغوية؟ في الكلام اليومي نتفاهم عادةً لأول وهلة، وفوراً، وبشكل مباشر ، في حين أن نشاط التفسير ضروري في مواقف لا يوفق فيها إلى تفاهم بشكل فوري أو تظهر أشكال سوء فهم أو يثير وسيط النص مشكلات نقل وتفاهم.

ونستطيع أن نصف ديفيدسُن بأنه هرمينوطيقي (مؤول) الكلام اليومي [١٢]. غير أنه يصح أن يتفكر في ذلك أن موقفه الهرمينوطيقي يحفزه لافتراض أن المظهر الأصل للاتصال لا يكمن في الألفة دون عوائق

(١١) حول ذلك: ديفيدسن ١٩٩٠ أ (الفكر والكلام) ص٢٢٧ (بالإنجليزية : ١٩٨٤ ، ص١٥٧).

(١٢) جلور ١٩٩٣ ، ص١٤ يتحدث عن «هرمينوطيقي الكلام الحرفي».

بين أعضاء ثقافة مشتركة، بل في الغربة المبعدة بين أشخاص يشتركون بالكاد بعضهم مع بعض في شيء. ولذلك إن لغوي المجال هو الذي يجب أن يحل لغة غير معروفة له كليةً، والذي يجسد الظاهرة الأصل لفهم منطوق بوصفه تفسيراً، ويترقى إلى النمط الأصل، الذي يحصل ويفسر فيه ديفيدسُن نظريته في التفسير. هذا التشكيل الاثنولوجي للموقف الكلامي، الذي يمهد من خلال لغوي [كوين[*] (Quine) في الغابة]، يريد أن ينشئ مدخلاً للنقل، / هو إذن أكثر من تجربة فكرية فحسب[١٣]: لأننا يجب أن نحل في الاتصال شيئًا، لم يصل من قبل إلى الأسماع مطلقًا، ولذلك لا يمكن أن يستنتج هذا أيضًا من خلال قدرات تنشأ في نطاق تدريب عن طريق تقليد وعادة وتكرير- هذا هو الموقف الذي يدفع به لغوي المجال إلى الصدارة، ولكنه _ مع ذلك بالنسبة لديفيدسن- يصوغ كل موقف تفاهم بين أشخاص. ١٧٧

وبذلك يكون من الواضح أيضًا أن انتقال الأهمية من الكلام إلى الفهم لا يُعلِّم فقط الانتقال من نظرة لغوية > توليدية< إلى نظرة لغوية > استقبالية< ولأن الفهم تفسير، يؤكد جانب النشاط لهذه العملية: ففي التفسير لا يُتلقى أو يُعرف (مرة أخرى) شيء ما ببساطة، بل يُنتج . وفي

(*) هو الفيلسوف ويلاردفان أورمان (١٩٠٨- ٢٠٠٠) الذي قام بدراسة موسعة للإحالة الذاتية المباشرة وفي الحاسوب تعني كوين (برنامجًا حاسوبيًا) ، ينتج نسخة من شفرة مصدرنا بوصفها المخرج الوحيد.

(١٣) كوين ١٩٦٠، ص٢٩ وما بعدها.

الواقع ـ وهذا مظهر يبرز بوضوح لأنه لم يعد الكلام، بل الفهم يصير واسمًا للواقع اللغوي ـ ليس هذا الإنتاج عملية خلق غير محددة، مستقلة، بل يولد شيئًا يجب أن يثبت كفاءته في الوقت نفسه فيما لم ينجزه المفسر نفسه. وحين تكون المقدرة الكلامية مقدرة تفسيرية فإن الكلام يكون دائمًا >إجابة< عن فعل شخص آخر. ويهمنا هنا هذا الفعل. لأنه يقع تحت ذلك الكلام مثلما يقع باقي الفعل بأكمله. وفي نظرية التفسير لديفيدسُن- ويشكل هذا ما يشبه المحور- تتشابك النظرية اللغوية ونظرية الفعل، وموضوعها- بمعنى دقيق- ليس منطوقًا بمعنى بنية العلامة، بل شخص(١٤). ففهم المنطوق هو فهم للأشخاص.

ولكن ماذا يتولد مع التفسير؟ الإجابة المنطقية : مع التفسير نؤلف، بل نولد المعنى، الذي يه منطوق. وهكذا لا يري ديفيدسُن في حقيقة الأمر الواقع، ومن ثم نصل إلى التفريق الأساس الثاني.

٢-٢ الصدق بدلاً من المعنى

١٧٨ / >ماذا يعني أن تعني كلمات ما تعني؟< (١٥) هذا هو السؤال الأساسي الذي يحوم فكر ديفيدسُن الفلسفي اللغوي حول الإجابة عنه. وقد وفق في فترات مختلفة إلى إجابات ذات فرق دقيقة متباينة، ولكن يظل مركز الجاذبية ثابتًا. فمن الناحية المنهجية يمكن أن يوصف المركز بأن

---

(١٤) يشير إلى ذلك لويس ١٩٧٤ ، وشولتس ١٩٩٩، ص ١٠٥

(١٥) ديفيدسن ١٩٩٠ أ، ص ٩ (بالإنجليزية : ١٩٨٤ ، ١٣).

ديفيدسُن يريد تخطيط نظرية للمعنى، تستغنى عنه > معان < بوصفها موضوعات لغوية. وهكذا لم يعد للمعنى شيء يقدم باللغة ذاتها، بحيث يمكن بذلك أن يُتخلى عن المصطلحات التقليدية للنظرية اللغوية، مثل إحالة أو توافق أو قضية أو عرف أو سياق وقواعد الاستعمال عند تفسير المعنى. هل يمكن أن توضح دلالة دون مفهومات دلالية؟ إن المناورة التي ينبغي أن تتيح هذا هي أنه بالنسبة لديفيدسُن لم يعد يرتقى>المعنى < بل الصدق إلى المفهوم الأساسي الدلالي، وحين نوضح علاقة الصدق هذه فقط ،يمكن أيضًا أن يفسر ماذا يعني> معنى<. [١٦] هذا التسلسل : أولاً الصدق، ثم المعنى، يصير أيضًا مانحًا لعنوان المقالة المتعلقة بالموضوع Truth and Meaning (الصدق والمعنى) [١٧]. ويبدو أن تأسيس السؤال عن المعنى في السؤال عن الصدق ليس مثيرًا كليةً، ولكن آثر الاشتغال الفلسفي باللغة دائمًا الكلام المزعوم، أي الكلام الجاري مع دعاوي الصدق بوصفه شكلاً براديجماتيًا للاستعمال اللغوي: نحن نفهم جملةً، حين نعرف ما الشروط التي تكون في إطارها صادقة. ولكن هذا ليس تمامًا ما يهم ديفيدسن. فالصدق يعد في الفلسفة بوجه عام تصورًا ابستمولوجيًا، ومن ثم له أهمية في سياق اللغة، لأن الجمل الصادقة تقدم ما يشبه الحل الذي نفتح به نظرة إلى أحوال العالم. وفي الجملة الصادقة تتشكل اللغة بشكل شفاف بالنسبة للعالم، تصير نافذة على العالم. ولكن ديفيدسُن يقلع عن هذا الرأي ،

---

(١٦) ديفيدسن ١٩٩٠ أ ، (الصدق والمعنى).

(١٧) ديفيدسن ١٩٨٤ (الصدق والمعنى) ، ص١٧ وما بعدها.

حيث إنه لم يعد يورد > الصدق < بوصفه مفهومًا ابستمولوجيا، بل مفهومًا دلاليًا. والدلالة بالمعنى الموسع، وليس القاصر على استعمالات رمزية، هي التي يمنحها ديفيدسن هذا المصطلح، / الذي لم يعد مفهوم التحليل اللغوي بل تحليل الفهم، الذي يعد مجال نجاحه الأصلي فهم الأشخاص. والجمل الصادقة في المنظور الذي يهتم به ديفيدسن ليست أدوات لمعرفة العالم[١٨]، وهي لا توجد نافذة على العالم، بل تمهد إلى الطريق إلى أشخاص وإلى فهم الشخص. وحيث لا تكون جمل صادقة صالحة لمعرفة العالم، بل لفهم اللغة وفهم الأشخاص، يكتسب تصور الصدق ملامح جديدة: ولما كان صدق الجمل لم تعد تدعمه وتكفله ملاحظة العالم، بل جمل صادق أخرى فقط، فإن الصدق يصير ظاهرة لغوية داخلية. ولا يوجد الصدق جسرًا بين اللغة والعالم، بل ـ إذا ما أراد المرء أن يتشبث بصورة الجسر- على كل حال جسرًا بين الأشخاص. ولكن حين لا يوجد انتقال من الجمل الصادقة إلى الحقائق فإنه يجب بوصفنا مستعملين للغة أن نعرف دائمًا بشكل حدسي ما الصدق. وعلى هذا النحو يتحول في إطار زاوية الرؤية الدلالية لديفيدسُن الصدق إلى ظاهرة ما قبل تأملية: الصدق لا يحدد، بل هو ما يطرز الفهم في حدث الاتصال اليومي بكل صورة بدءًا من قص الحكايات الخرافية عبر التهكم حتى الكذب، ويجعله جاريًا: فكل هذه الصور لخاصيتنا اللغوية، تعمل فقط حين يكون لدينا في الوقت نفسه

١٧٩

(١٨) >اللغة ليست ستارًا أو مصفاة، يجب أن تنفذ من خلاله ابتداءً معرفتنا بالعالم< (ديفيدسن ١٩٩٠أ، ص١٦) (بالإنجليزية ١٩٨٤ ، ١٨).

حدس حول ما الجملة الصادقة. ولكن كيف يمكن أن تحصل نظرية للمعنى في شكل نظرية للصدق، يقوم فيها الصدق بوظيفة مفهوم ما قبل نظري في الوقت نفسه؟ و: كيف يمكن بوجه عام أن تكون نظرية للصدق ذات صلة على أساس نظرية المعنى؟ هذه هي المسألة التي نريد أن نتوجه إليها.

٣- كيف يقلب ديفيدسن تارسكي على رأسه؟

ليست فكرة نظرية للصدق قائمة على أساس دلالي فكرة جديدة. فقد حاول تارسكي أن يفسر الصدق في إطار لغة- شكلية في الواقع [١٩]. ويتبع ديفيدسُن هذه النظرية ، وينقلها من لغات شكلية إلى لغات طبيعية./ ١٨٠ وفي الواقع لا يكون هذا النقل ممكنًا إلا من خلال مراجعتين مهمتين لتصور تارسكي، يقلب بهما ديفيدسُن تارسكي على رأسه تقريبًا [٢٠]:

(١)- بينما يشترط تارسكي لإيضاح الصدق تحديد ما المعنى يحول ديفيدسن - بمعنى مقدمتيه تمامًا- الاتجاه، حيث يشترط الصدق لتفسير المعاني.

(٢)- بينما تكون القضايا التي شرحها تارسكي شكلية، يجب أن يعدها أقوالاً حكمية، أي جملاً، تحتاج إلى تأكيد إمبريقي. ويوجد هذان التغيران اللذان يوفق ديفيدسُن من خلالهما إلى تحويل نظرية الصدق لتارسكي إلى نظرية للتفسير. لنحدد باختصار في خطوط عامة على الأقل مراحل هذا التحويل.

---

(١٩) تارسكي ١٩٣٥ .

(٢٠) يستخدم هذا التعبير شتوبر ١٩٩٣ ، ص٤٨ .

١ - ماذا يعني أن تارسكي يشترط المعنى لتفسير الصدق؟

ينطلق تارسكي من فهم للصدق خاص بنظرية التوافق، يكون قول ما تبعًا له صادقًا، حين تطابقه حال موجودة[٢١]. >الثلج أبيض< إذن يكون صادقًا بدقة حين يكون الثلج أبيض، ويكون كاذبًا حين يكون رماديًا. وعلى هدى من هذا الفهم للصدق يشرح تارسكي الآن تعريفًا للمصطلح، >قول صادق < ولا يتعلق بالنسبة له في ذلك بتعريف مطلق للصدق، بل بالصدق لقول ما داخل لغة معينة فقط. ولتقديم هذا التعريف للصدق النسبي لغويًا يستعمل تارسكي خاصية توفّي بها كل اللغات الشكلية: أننا نستطيع أن نفرق بين تعبير لغوي موصوف وتعبير لغوي ما وراء لغوي (واصف). ويجيز هذا لتارسكي أن يقيد تصوره الصدق الخاص بنظرية التوافق في شكل مخطط يقوم على التكافؤ بين تعبير لغوي موصوف وتعبير ما وراء لغوي (واصف): >(س) يكون صادقًا بدقة حين يعني (م) أن المرء يستعمل للرمز> س< الإشارة إلى أية جملة لغوية موصوفة، وللرمز، >م< (نقل هذه الجملة إلى لغة واصفة. وبالنظر إلى جملة _ الثلج:) الجملة ، >الثلج أبيض< تكون صادقة بدقة حين يكون الثلج أبيض<. [٢٢] أو بالنظر إلى الجملة الرياضية : <الجملة >٢+ ٣ = ٣ + ٢ <تكون صادقة بدقة حين / يعد أ+ب= ب+ أ< . وقد طرح تارسكي بمخططه عرفًا، يجب أن يكفي لكل الأقوال التي تعد صادقة- في- ل. (لغة

١٨١

---

(٢١) تارسكي ١٩٧٧ ، ص ١٤٩ .

(٢٢) حول ذلك: كونه ١٩٨٥ ، ص١٤٩ .

ما). وعلى هذا النحو يستطيع تارسكي أن يشير بالنسبة لأية جملة كانت في لغة شكلية- تظهر في الجانب الأيسر من عُرفه- إلى ما الشروط التي تكون هذه الجملة في إطارها صادقة، إذ إن الجانب الأيمن- أي نقل التعبير اللغوي الموصوف- يشير إلى هذه الشروط نفسها. وفي الواقع يجب أن يستعمل هذا النقل فكرة التكافؤ الدلالي، لأن شيئًا آخر يجعل> النقل < إلى لغة شكلية لا معنى له. ولذلك يشترط تعريف تارسكي للصدق حقيقةً مفهومَ المعنى.

٢- فيمَ يراجع ديفيدسُن تارسكي؟

بيد أنه لما كان ديفيد يأمل ان يضع بنظرية الصدق لتارسكي أساسًا لنظرية في التفسير والمعنى، فإن الأخذ بالشرط الكامن لمفهوم المعنى لتارسكي الذي سبق توضيحه يعني مواجهة مغالطة منطقية. > فالحال التي لا تتضح لي إلا شيئًا فشيئًا هي حال أن يحاول تارسكي تحليل مفهوم الصدق بأن يرتكز على مفهوم المعنى (في رداء المساواة الدلالية أو النقل)، في حين يطوف بذهني العكس. إذ إنني عددت الصدق المفهوم المحوري غير المحدد، وأملت أن أتقدم إلى المعنى من خلال تفسيرات مفصلة حول بنية الصدق<(٢٣).

ويكمن هذا التقدم ابتداءً في مراجعة المخطط الذي طرحه تارسكي بحيث لا يجب أن يُفترَض تكافؤ دلالي، بل تكافؤ الصدق بين لغة

(٢٣) ديفيدسن ١٩٩٠ أ، ص١٠ (بالإنجليزية ١٩٨٤، ١٤).

موصوفة ولغة واصفة. وفي المخطط >يكون س صادقًا بدقة حين يكون (م) كذلك >يشير س إلى وسم جملة لغوية موصوفة، و> ح< إلى جملة لغوية واصفة، لا تكون صادقة إلا حين تكون > س < كذلك . ويكمن تكافؤ الصدق في أن كلتا الجملتين المترابطتين في كل الأحوال قيمة الصدق ذاتها. وبذلك يشترط ديفيدسن فهمًا متداولاً لمفهوم الصدق، ولكنه يأمل أن يؤكد على هذا النحو أن الجانب الواصف (ما وراء لغوي) يمكن أن يشير في كلٍّ إلى معنى الجانب اللغوي الموصوف. ولكن هل يُفضي هذا إلى مأزق؟ لأن تعبيرًا مثل التعبير الآتي يكون صادقًا حقًا، ولكنه بوصفه تفسيرًا لجملة اللغة الموصوفة غير مفيد / وعقيم: لا يكون >الثلج الأبيض< صادقًا بدقة ١٨٢ إلا حين تكون الحشائش خضراء [٢٤].

٣- شمولية المعنى

تُعنَي شمولية المعنى لدى ديفيدسُن بكون هذه المآزق لا تُتَجاوز . لقد عالج كوين، >المعنى< ليس بوصفه صفة لجملة مفردة، بل لشبكة من جمل على نحو ما تشكل نظريات مثلاً. ويمد ديفيدسن شمولية المعنى هذه إلى اللغة كلها: فنحن نستطيع أن نشير فقط إلى >معنى جملة ما (أو كلمة ما)<، حيث نشير إلى معنى كل جملة (كلمة) في اللغة المعنية. وقد قال فريجه: فقط في سياق الجملة يكون لكلمة معنى، وفي إطار الموقف ذاته ربما كان من الممكن أن يضيف: >في سياق اللغة فقط يكون لجملة (ومن ثم لكلمة) معنى< [٢٥].

---

(٢٤) حول ذلك : كونه ١٩٩٠ ، ص٢١٨ .

(٢٥) ديفيدسن ١٩٩٠ أ (الصدق والمعنى) ، ص١٤٧ (بالإنجليزية : ١٩٨٤ ، ص٢٢).

وهكذا لا يكون تكافؤ مفرد للصدق ، في أفق هذا المعيار الشمولي ، صادقًا إلا حين يكون كل تكافؤ مفرد للصدق صادقًا في الوقت نفسه.

٤- تحول من نظريات الصدق إلى فرضيات القوانين

ثمة مشكلة آتية تبرز: حين يلزم أن تنقل نظرية الصدق لتارسكي إلى لغات طبيعية، فإن قيمة الصدق لقول ما تصير متعلقة بالسياق. فالجملة >تمطر< لا تكون صادقة إلا حين تمطر حقيقةً وقت النطق في محيط المتكلم. وعلى هذا النحو يدخل ديفيدسُن تعديلاً آخر، يكمن في أن محمول الصدق يصير ثلاثي المواقع، أي يهيئ موقعًا للجملة، وموقعًا للمتكلم وموقعًا لزمن المنطوق. ونص المخطط هو: تكون > س< التي ينطقها متكلم م في زمن ز في موقف ق، صادقة بدقة حين تكون ح (كذلك) <.

ويتضح في هذا الموضع أن وضع نظرية الصدق قد تغير أساسًا في نطاق أوجه القلب والتعديل لديفيدسُن . وبفهمها على أنها نظرية تفسير لمنطوقات لغوية طبيعية لم يعد الأمر يتعلق بنظرية شكلية، بل بنظرية إمبريقية: لأن التفسيرات التي ينبغي بذلك أن تُولَّد تتعلق بمنطوقات محددة مكانًا- وزمانًا لمتكلمين حقيقيين في مواقف حقيقية. وبذلك تكون لنظريات الصدق مرتبة فرضيات القوانين، التي تخضع لاختبار إمبريقي./ ١٨٣ وها هي هذه الدعوى إلى مضمون إمبريقي ، يوصل إلى تصور> التفسير الراديكالي<.

٤- تفسير راديكالي

يقترح ديفـيدسُن أن يقدم لنا لغويًا يعمل بشكل إمـبريقي، وينبغي أن يفـسر لغـةً غريبـة عنه تمامًـا، وذلك كله بناءً على ملحـوظات، لا يمكن أن تكمن في شيء آخـر غـير أن تـكون في سمـاع منطوقـات في وقت مـعين وترقـب الفرص التي يعـبر عنها فيـها [٢٦]. هذه الفرص تتركب من سلوك غير لغـوي للمتكلم وأحوال الموقف الكلامي. ويتبنى ديفـيدسُن هنا مظهر لغوي المجال لكوين الذي يريد أن ينشئ مدخلاً للنقل. وفي الواقع: لا يريد ديفـيدسُـن اللغوي الاثنـى نقلاً، لأن إلحـاقًـا مجـرداً بين منطوقـات اللغـة الأجنبـية واللغـة الخاصـة لا يجب أن يتـضمن فـهم المنطوقـات الأجنبيـة. وهكذا يريد ديفيدسُن اللغوي أن يفهم من خلال أنه يفسر. إذن يعد موقف التـفسـير الخـاص به راديكاليًا، لأنه في عـملية التـفسـير هذه لا يـجوز أن يفترض أي شيء مما ينبـغي أن يستبطن التفسيـر. وكل ما يمكن أن يعمل به هو معطيات مدركة، أي متاحة بشكل علني. ولا يستطيع المفسر الراديكالي مثلاً أن يحـسب حسابًا لأحوال داخلية، وأوجه نقـل وأمنيات للمتكلمين، لأن ما يعد أحوالاً قصدية لا يحدد إلا بالنظر إلى لغة مفسرة [٢٧].

ولكن كـيف يمكن أن تكون أفـعال التـفسـيـر في إطار هذه الظروف ممكنة، لأن مـا يعد منطوقًـا لا يمكن أن يُستـنبَط إلا بالنظر إلى أوجه اقـتناع

---

(٢٦) ديفيدسن ١٩٩٠ أ (تفسير راديكالي) ص١٨٣- ٢٠٣ .

(٢٧) > (لا يمكن) أن يكون لكائن أفكـار، حين يكون مفـسـراً للغة آخـر < (ديفيـدسن ١٩٩٠أ، ص٢٢٧) (بالإنجليزية: ١٩٨٤ ، ص١٥٧).

المتكلمين، وكيف على العكس من ذلك لا يمكن أن تُستنتَج أوجه اقتناع إلا منه خلال الاستناد إلى معنى المنطوقات[٢٨]؟ وكيف يمكن أن يقتحم المفسر هذه الدائرة؟

١٨٤ / مع هذا السؤال نكون قد وصلنا إلى موضع مفصلي في نظرية التفسير لديفيدسُن. نحن نعرف سلفًا أنه بالنسبة لديفيدسُن يعني تفسير لغة ما بناءَ نظرية للصدق. هل لا يوجد المفسر الراديكالي بذلك في موقف مطابق لموقف تارسكي الذي افترض أن الصدق لا يُحدَّد دائمًا إلا نسبيًا داخل لغة محددة تمامًا؟ ومع هذا الاستنتاج المضاد للحدس حقًا أننا يجب أن نعزو >الثلج الأبيض<، و >snow is white< إلى محمولي صدق مختلفين، لأنه لا يوجد المحمول> صادق< على الإطلاق ، بل المحمول فقط، >صادق< في لغة معينة . يحاول تصور ديفيدسُن للصدق بوصفه مفهوم الأسس لنظرية التفسير الخاصة به على عكس ذلك أن يلبى مقاصدنا حول الصدق باعتبار أن الأمر لم يعد يتعلق بفهم نسبي لغويًا، بل بفهم مطلق للصدق[٢٩].

وتعني >مطلق< هنا ابتداءً أنه: برغم أن المفسر الراديكالي لا يعرف اللغة الغريبة عنه فإنه يمسك في يده بمفتاح حتى يمكن مع ذلك أن يولد نظرية للصدق. ويرجع وجود ذلك المفتاح لفتح ما هو غريب عنا إلى أن

(٢٨) في هذا السياق حول التوقف المتبادل بين الاعتقاد والمعنى أيضًا: ديفيدسن ١٩٩٠ أ (مفهوم الاعتقاد وأساس المعنى) ، ص٢٠٤ - ٢٢٣ .

(٢٩) يشير إلى ذلك بشكل مؤكد رمبرج ١٩٨٩ ، ص٧٦ .

كل المتكلمين - أيةَ لغـة يتكلمون دائمًـا أيضًا- يتكلمونهـا ببسـاطة بحيث يمتلكون فهمًا سابقًا للصدق. ولا يعـد هذا الفهم السابق المتضمن كل كلام معرفة قضوية، لا يحدد فيها الصدق، وأنها مع ذلك مؤثرة كتلك الصفحة، التي تتيح تحديدًا وفـهمًا لحكايات خرافية واسـتعارات وتهكم، بل للكذب والخـداع أيضًا بوجـه عام. ولذلـك يعد الصـدق القلب النابض لخـاصيـتنا اللغوية. لنحدد بكلمات ليست كتلـك التي لديفيدسن: ليست اللغة وسيط علاقة الصدق، بل على العكس من ذلك علاقة الصدق هي وسيط اللغة.

رجوعًا إلى موقف المفسر الراديكالي بما أنه يوجد هذه الفهم للصدق فإنه يمتلـك- بمقتضى خـاصية أن يكـون كائنًا متكلمًـا- مسـجلاً للزلازل، مثلمـا يستطيع برغم أنه لا سبـيل للمتكلمين الغرباء عن أحـوال داخلية أن >يقرأ< مع ذلك أثر إحدى حالاته العقلية بدقة: وهذا هو اقتناع المتكلم بأن جملة ما تكون صـادقة أيضًا في زمن معين هذا الموقف/ لعـدها صادقة هو ١٨٥ ما يكون للمفسر مدخل إليه حقيقةً[٣٠].

---

(٣٠) >إنه موقف يمكن أن يـفترض منه على نحـو مقبـول أن المفسـر يكون قادرًا على أن يعرفه في ذاته قبل أن يستطيع تفسيره، لأننا نسـتطيع أن نعرف أن شخصًا ما يقصد من خلال نطق جـملة ما أن يعبر عـن صدق دون أن تكون لديه معرفـة، أي صدق هو. إن الأمر ليس هكذا كما لو أن الزعم الصحيح هو السبب الوحـيد لافتراض أن شخصًا ما يعـد جملة مـا صـادقة. ويمكن لأوجـه كـذب وأوامر وحكايات خـرافـية ومنطوقـات تهكمية أيضًا، حين توجـد بوصفها موقفًا، أن توضـح هل يعـد المتكلم جملة صادقة<. ديفيدسن ١٩٩٠أ، ص١٩٦ (بالإنجليزية : ١٩٨٤ ، ص١٣٥).

بيد أنه تتميز صعوبة جديدة بأنه: باستعمال حالة إمكان ملاحظة ما تعد صادقة فكيف يمكن أن ينتهي مفسر لمنطوق ما عد صادقًا من قِبَل متكلم ما إلى حقيقة هذا المنطوق ذاته؟ واستنتاج حقيقة منطوقات هو ما يكون للمفسر الراديكالي علاقة به، حين يشكل نظرية للصدق: لأن ما يفعله عندئذ ليس شيئًا آخر غير إدراك نظريات تُقيِّم مع جمل الشروط التي تعد في إطارها صادقة، على أنها في الوقت نفسه الشروط التي تكون في إطارها صادقة حقًا. ويتوارى في هذه المشكلة للانتهاء من عدها صادقة إلى الحقيقة، التي هي الحل في الوقت نفسه: لا توجد في نظرية التفسير لديفيدسُن طريق أخرى غير فعل هذا نفسه. وعلى هذا النحو يرفع ديفيدسُن هذا المعيار بوصفه مبدأ التسامح (principle of charity) إلى العنصر لا يستغنى عنه لكل تفسير. ونستطيع أن نصوغ هذا المبدأ على النحو الآتي : كون متكلم ما يعد جملة ما صادقة في إطار أحوال يمكن ملاحظتها، يمكن أن يُقيِّم بوصفه شاهدًا كافيًا لأن تكون هذه الجملة صادقة أيضًا (٣١).

لقد أضفى على زعم الصدق والاتساق المستقر في هذا المبدأ تعبيرًا على نحو مختلف، وقدم فضلاً عن ذلك كمًا من التوسعات والمراجعات والتصويبات بحيث نستطيع أن ننطلق من أشرة متشعبة للغاية من مبادئ التفسير (٣٢) غير أننا لا نعني هنا بتتبع هذه التفريعات.

---

(٣١) ديفيدسن ١٩٩٠ أ (مفهوم الاعتقاد وأسس المعنى) ، ص٢٢٠ (بالإنجليزية: ١٩٨٤، ص١٥٢).

(٣٢) شولتس ١٩٩٩ ، ص,١١٨ حول إكمالات ومراجعات لهذا المبدأ، شولتس ١٩٩٩ ، ص١١٥ .

/ نتساءل كثيرًا ماذا يُقال حقيقةً بهذا المبدأ . بادئ ذي بدء يتعلق ١٨٦ الأمر بشيء جوهري جدًا: حين أقف في ريح ماطرة فإني أعد القول ، >تمطر< صادقًا. وما يعبر عنه في عدها صادقة هو بالنسبة لديفيدسن ما يعد بالنسبة لكل البشر شيئًا لغويًا بوجه عام: نحن مقتنعون أيضًا بما يكون واضحًا [٣٣]. أو بالنظر إلى العلاقة بين مفسر وما يفسر: نستطيع أن ننطلق من أن آخرين يجدون هذا واضحًا، وهم مقتنعون أيضًا بما يجده المفسر ذاته واضحًا، وبما هو مقتنع به أيضًا [٣٤].

ولا يعني ، >واضح< هنا فقط أن ما هو متضارب منطقيًا لا يمكن أن يقنعنا، بل يعني: نحن مقتنعون أيضًا بشبكة كاملة بأوجه صدق غير منطقية: كل البشر- دون مساس باختلافاتهم الثقافية - يشتركون في جزء كبير من أوجه الاقتناع بطبيعة العالم. وهكذا تكون نكتة نظرية التفسير أن الشرط الذي يجب أن يُوفَّى به حتمًا، ومن ثم يكون التفسير والاتصال ممكنًا، لا يكمن مطلقًا في لغة مشتركة، بل في عالم مشترك، يتجلى في مرآة عَدِّنا المشترك لشيء ما صادقًا.

ولا يعني هذا استبعاد الأخطاء والتناقضات، بل يعني فقط: أن فروقًا

---

(٣٣) ايفنينه ١٩٩١ ، ص١٠٣ .

(٣٤) يوفق التفسير الراديكالي حيث يلحق المرء بالجمل اللغوية الأجنبية شروط صدق يكون تبعًا لها للمتكلمين الفطريين الحق حين يكون ممكنًا على نحو مقبول، بلاشك حسب ما نعده الصحيح وفق فهمنا الخاص . ديفيدسن ١٩٩٠أ، (تفسير راديكالي) ص١٩٩ (بالإنجليزية : ١٩٨٤ ، ص١٣٦).

في الآراء لا يمكن أن تظهر أساسًا إلا على أساس آراء متطابقة. لو لم يكن لدينا بوصفنا مفسرين إمكانية لأن نشارك أولئك الذين يتكلمون لغة غربية عنا، ثروةً من أوجه الاقتناع فإننا لا يمكننا أساسًا أن نفسرها بأنها أشياء لغوية: >حين لا نجد إمكانية لتفسير المنطوقات والسلوك الآخر لمخلوق ما بحيث يظهر عندئذ كمٌ من أوجه الاقتناع، يكون في جزء كبير منه خاليًا من التناقض وصادقًا وفق مقاييسنا الخاصة، فإنه لا يكون لدينا سبب لأن يرى هذا المخلوق كائنًا. / المنطقي هو أن يمثل أوجه اقتناع أو يقول شيئًا بوجه ١٨٧ عام< (الإبراز من ز. ك) (٣٥).

وفي هذا الموضع ننهي عرضنا لنظرية التفسير، ونتوجه _ أخيرًا- إلى السؤال الذي يشكل بؤرة هذه الدراسة : ما نتائج نهج ديفيدسُن للتفسير الراديكالي بالنسبة لتصوره عن اللغة؟

٥- نظرة بينية

إن هم ديفيدسن هو العثور على مفتاح لوصف الكفاءة اللغوية، دون أن يستعمل في ذلك مصطلحات لغوية. ومنطلقه يصير الدلالة الشكلية، المدركة على أنها استراتيجية، أي كيف يمكن أن يفسر المعنى، من خلال الصدق. وقد وفق إلى نظرية فهم قائمة على أساس هرمينوطيقي، مفصلها هو أننا، حيث نفهم يجب أن نفترض أن ما نفهمه هو شيء عقلي. كل هذا يمكن أن يتوقع ، أي أن ديفيدسن سوف يقدم لنا أيضًا كفاءة لغوية متشربة

(٣٥) ديفيدسن (تفسير راديكالي) ، ص١٩٩ (بالإنجليزية : ١٩٨٤، ص١٣٦).

العقلانيـة . هذا التوقع يمكننا أن نبينه من موقف مـفسر، >ساذج< للتفسير الراديكالي على النحو الآتي: **يجـمع المفسر الراديكالي قدر الإمـكان جملاً كثـيرة تعد صـادقة، ويكون خطوة نظرية للصـدق، تسري على هذه اللغة. ولما كان المعيار الوحيد لتحـديد لغة ما هو الاستعمال لنظرية صدق، فقـد تأتى له من خـلال مدخله الخـاص بنظرية الصدق، الذي يحـدد رطانةً غريـبة عنه بأنهـا لغة. ومـادام المفسـر الراديكالي قد كـون نظريته للـصدق بشكل تام بدرجـة أكثـر أو أقل، فإنه يمتلك بذلك أيضًـا بنية اللـغة الغريـبة (الأجنبيـة) ومعناها. لقـد تعلـم اللغة، إنه يفـهمهـا الآن. وبذلك لا يشارك المفسـر الراديكالي تلك التي فسرها، في مجـموعة من أوجه الاقـتناع حول العالم فـقط ، بل يشاركـها في اللغـة ذاتها. ويعني أنه قـد اكتسـب الكفاءة لفهم هذه اللغة، ومن ثم فهو يعرف ويتسيد الأعراف التي يتوجه المتكلمون في سلوكهم الكلامي تبعًا لها.**

/ ونعرف من مـقدمة فـصلنا عن ديفيدسُن أن هذا التـفسيـر الساذج ١٨٨ للتفـسير الراديكالي يفشل. فـما تفضي إليه نظرية التـفسير لديفـيدسُن هو فـهم- وليس امتـلاكًا مـشتـركًـا للغة، لأن فـهم متكـلم لا يرتبط بالنسبـة لديفيدسن بمعرفة القواعد والأعـراف، التي يتبعها المتكـلم في كلامه. ولكن على نحو مـغاير لما في بداية هذا الفصل تتمـيز مسألة لماذا رفض ديـفيدسن هذا الفرض.

ويكمن سـبب الفصل بين إنجـاز الفهم وامـتلاك اللغـة في التـفسـير الخاص بنظرية الصـدق للتفسـير. وغرض هذا التـفسيـر هو أن يستبـعد أن

نظرية الصدق ذاتها يمكن أن تُطبَق على متكلمين أو على المتكلم هو نفسه في زمنين مختلفين [٣٦]. ولكن من ناحية أخرى >نظرية الصدق ذاتها< بالنسبة لديفيدسُن هي المعيار الوحيد للحديث عن> اللغة ذاتها< أيضًا. وعدم التمام وعدم التحديد اللتان تختصان بالعملية الإمبريقية لإنتاج نظرية للصدق في فعل التفسير، ينتقلان قبولاً أو رفضًا إلى تصور اللغة ذاته، ويقودان ديفيدسن إلى رفض افتراض أن تكون لغة مشتركة في شكل أعراف مشتركة فرضًا ضروريًا للفهم.

٦- لماذا يرفض ديفيدسُن فروض تصور لغوي عقلي ؟

لنحاول أن نستوضح هذه العلاقة العجيبة بين تأسيس لخاصية اللغة خاص بنظرية الصدق من جهة، والرفض الناتج عن ذلك لكل مقدمات التصور العقلي للغة تقريبًا من جهة أخرى. وفي خطوتين نريد أن نفعل هذا. في الأولى يُبحَث لماذا لا تعد المعاني موضوعات ثابتة مرتبطة باللغة أصلاً؟ وفي الثانية يُوضَّح لماذا لا تقوم المقدرة الكلامية على التمكن من أعراف أو قواعد؟

٦-١ لماذا لا توجد إحالة وكيانات للمعنى

١٨٩ / قد جعل كوين ماذا >يعني< المعنى بالنسبة لتصور للغة نسبيًا إلى حد بعيد. وسبب ذلك أننا لا يجب أن نشير إلى إمكانية ، تحيل إليها المصطلحات المفردة للغة ما حقيقةً، حتى حين جمع مترجمون راديكاليون

(٣٦) حول ذلك: زمبرج ١٩٨٩ ، ص١٠٠ .

لدى كوين في الغابة Dschungel بدقة المواد ذاتها في السلوك اللغوي للسكان الأصليين فإنهم سوف يصدرون بمداخل نقل مختلفة عن الغابة. وهذا أيضًا لو توفر لهم مجموع كل المواد الكلامية الممكنة. ولا يعود مفسرون راديكاليون لدى ديفيدسن بمداخل نقل، بل بنظريات الصدق. ولكن نظريات الصدق هذه أيضًا تفترق، ولكنها تفسيران جائزان إلى حد ما للسلوك الكلامي: فهي متكافئة إمبريقيًا[٣٧]. وتظل التفسيرات وهذه عبرة الحكاية- غير محددة. ويوجد بوجه خاص نوعان[٣٨] من عدم التحديد، لهما أهمية هنا.

فمن جهة يتعلق الأمر بعدم تحديد الإحالة : بأي شيء تتعلق كلمة ما، هل يعني اللفظ الجملة لدى كوين >Gavagai< إلى كل أرنب بري ، أو جزء فقط من الأرانب البرية أو نوعية من الأرانب البرية خلافية لنوعية الأرانب، لا يمكن أن يُحسَم. فدائمًا حين يكون أرنب بري موجوداً يعد المتكلمون >Gavagai< صادقة. وعلى هذا النحو يمكن أن تُبنَى للغة أجنبية بلا شك معاجم متباينة، تلحق بالكلمات أشياء مختلفة، ويتطابق حقًا كل معجم مع ملاحظة السلوك اللغوي. ونتيجة ذلك: أن الإحالة، أي استناد كلمة ما إلى شيء أو استناد جملة ما إلى واقعة ، ليست مفهومًا مفيدًا من ناحية نظرية المعنى. فالمعاني لا يمكن أن تحدد من خلال أن يلحق بها أشياء في العالم.

---

(٣٧) حول ذلك ديفيدسن ١٩٩٠ أ (غموض العلاقة) ، ص٣٢١-٣٤٠ .

(٣٨) يشير ديفيدسن بمعنى دقيق إلى ثلاثة أنواع من عدم التحديد، وهكذا يحسب أيضًا >عدم تحديد الشكل المنطقي< . حول ذلك ديفيدسن ١٩٩٠أ، ص٣٢٢ .

ويرتسم عدم تحديد آخر. هذا هو عـدم تحديد الصدق ذاته: هل يمكن للجملة ذاتهـا/ داخل نظريات صدق مختلفـة أن تحصل على قيـمة صدق ١٩٠ مختلفـة أيضًا، كيف ذلك؟ إنها الإجـابة عن هذا السؤال الذي يوضح لماذا يلزمنا النـهج الخاص بـنظرية الصـدق التـخلي عن فكرة لغـة واحـدة. لأن جملة ما يمكن تحديدًا أن تقبل قيم صدق متباينة، حين لا تعد مطلقًا منطوقًا للغة واحدة، بل يمكـن أن تُفسَّر بوصفهـا منطوقًا للغات مخـتلفة. وحسب مسـألة كيـف يمكن أن تطرح نظريات صدق عـاملة كثـيرة يمكننا أيـضًا أن نُسقِط لغات مـختلفة كثيرة، تقـدم هذه الجملة داخلها منطوقًا مفـهومًا. أي شيء تكون اللغة الـتي تكون فيهـا الجملة> في المنزل< منطوقًا حـقيـقةً، لا يمكن أن يُقرَّر على الإطلاق من خلال ما نرى ونسمع.

وهكذا لا تقـدم نظريات الصدق مـفتـاحًا لإمكان إنشـاء علاقـة بين اللغة والعـالم، لأنها لا تُسهم بشيء في تحـديد الإحالة. ولكن لا يعني هذا أنها لـذلك تعدو في فراغ مـن ناحية نظـرية المعنى. على العكس من ذلك: هذا هو حقًـا ما يريد ديفيدسُن أن يـحدده: المعنى بمساعدة الصـدق. لأن ما تفعلـه نظريات الصدق هو عـزو مكان لكل جملة في تكوين لكل الجـملة الأخرى، تشـغله هذه الجملـة بدقة وليس جمـلة أخرى[٣٩] . وحتى حين تكون شـروط الصدق لمنطوق مـا مخـتلفـة، لأن الجملة تظهـر في نظريات صدق مـختلفة، فـإنه يبقى المكان الذي تتمـركز فيه هـذه الجملة في تكوين

(٣٩) حول ذلك: ديفيدسن ١٩٩٠ أ، (واقع دون استناد) ص٣٠٦-٣٢٠ .

كلي ، غير متغير: >يشار إلى معنى (تفسير) جملة ما من خلال أن المرء يعزو للجملة مكانًا دلاليًا، في نموذج الجمل التي تتبع اللغة<[٤٠].

وبذلك يكون واضحًا أن حجاج ديفيدسُن- المرتكز هنا على كوين- لا يسحب البساط من تحت فكرة الإحالة فقط، بل من تحت الرأي القائل أيضًا إن المعاني نوع من الكيانات التي يجب أن يتوافر لها الكلمات والجمل حتى تكون كلمات أو جملاً.

ولكن مرة أخرى بالنسبة لنظريات الصدق: تتصرف نظريات صدق مختلفة تصرف طرائق مختلفة لقياس درجة الحرارة: فالدرجة المئوية أو درجة فهرنهايت تقيس بشكل متباين، ويمكن مع ذلك أن ينقل بعضها إلى بعض. ولذلك لا يجوز أن تُستخلَص من عدم تحديد الإحالة والصدق أية نتائج تشاؤمية: فنظريات الصدق صالحة لأن تقدم لنا مجالات تفسيرات بديلة، وفي الوقت نفسه- هذه صياغة أخرى لمبدأ التسامح- أن توفر لنا الضمان بأن- نقرر دائمًا أيضًا أي بديل- هذا البديل يمكن أساسًا أن ينقل إلى آخر. أما ماذا يعني >إمكان أن ينقل هذا<، فنريد الآن أن نوضحه، بحيث ننتقل من المفسر الراديكالي إلى المشاركين في اتصال يومي. وسوف نرى كيف توجد في الاتصال اليومي لحظة- ولكنها أيضًا لحظة واحدة فقط- يمكن أن تنقل فيها نظريات الصدق، التي >يمارسها< المتكلمون

١٩١

(٤٠) يكمل ديفيدسن ١٩٩٠أ، ص٣١٩ : >يمكن أن تعزو نظريات صدق مختلفة للجملة ذاتها شروط صدق مختلفة، في حين أنها تتطابق إلى حد بعيد بالنظر إلى أدوار الجمل في اللغة<. (بالإنجليزية : ١٩٨٤ ، ص٢٢٥).

بعضهم مع بعض، بعضها إلى بعض، ومن ثم تتوافق: هذه هي لحظة الفهم. وعملية الفهم هذه، التي تقوم على أساس توافق نظريتي صدق، تقدم أيضًا السبب لئلا يقوم التواصل بالنسبة لديفيدسُن على الحفاظ على أعراف ولا أن يكون من الممكن أن تفسر كفاءة المتكلمين من خلال وصف القواعد التي تتبعها عند الكلام.

٦- ٢ لماذا لا تقوم كفاءة الفهم اللغوي على تمكن من قواعد اللغة

انطلقت الأفكار المقدمة حول عدم التحديد من أن مفسرين راديكاليين يبنون نظريات الصدق، وفي النهاية يجب أن يقرروا أن نظرياتهم المتطابقة إلى حد ما مع المواد الإمبريقية تقع على نحو مختلف. ولكن هذه الصورة ما تزال لها طبيعة النقش على الخشب، لأنها تجري تبسيطين: فهي تبسط من خلال افتراض أن نظريات الصدق أشبه بأبنية تامة، جاهزة في أي وقت. ولكن بالنسبة له ليس الأمر على هذا النحو: فنظريات الصدق في ذاتها غير تامة. ولا توجد بوصفها نتاجات، بل فقط بوصفها العملية العابرة والمرنة أيضًا لتكوينها وتعديلها المستمر، إن >امتلاك< نظرية صدق ليس حالة، بل حدثًا، أي مرتبط بشكل جذري بزمن محدد تمامًا داخل موقف اتصالي محدد تمامًا. / وحين يتبادل الزمن ١٩٢ والموقف تتغير أيضًا نظرية الصدق. وهذا أيضًا تبسط عام يفترض أنه توجد لغة (أو لغتان أو ثلاثة) ، تُطرَح لها نظرية الصدق. وفي الواقع لا تسري نظريات الصدق دائمًا إلا على منطوق خاص، وبالنسبة للمنطوق اللاحق

يحتـاج المفسر إلى نظرية صدق أخـرى أيضًا. ولا علاقـة للكفاءة على هذا التوليد غـير المستقر مطلقًـا وتحويل نظريات الصدق بمعرفة بقـواعد لغوية، وله علاقـة بشكل كبـير بدلاً من ذلك بعـملية فنـية، على الأقل بفن الحـياة بوجـه عـام. ولذلك لا مـعنى أيضًـا لأن يُنطـلَق من أننا نتـبع قـواعـد عند اكتشاف نظريات صدق.

وللتحقيق من ذلك يجب أن نلخص رأي ديفـيدسُن حول ما يحدث في الاتصال اليومي. وعلى هذا يبدل ديفيـدسُن ابتداءً لغوي المجال بمشترك في الأحاديث اليومية في نصه الطريف والمتهكم > لا انتظام جميل لنقوش الأضرحة< (٤١).

وبعد أن ثَـبُت أن فكرة أن المعنى قار في الإحـالة فكرة لا فائدة منها، فإنه من المنطقي ـ ويتـبع هذا اليوم النغـمة الجـديرة لعلم الدلالة الفلسـفي تقريبًا – أن يحـدد المعنى بقواعد الاستـعمال للكلمات. ويعني إذن مـعرفة معنى كلمة مـا التمكن من قواعد استعـمال الكلمة. ولكن هذا الرأي الذي يحدد فهمنا بأنه معرفة بالقواعد والأعـراف الموجهة للغة، غير منتج فلسفيًا بالنسبة لديفيدسُن (٤٢).

ينطلق ديفـيـدسُن من ظاهرة استـعـمـال خاطئ للكـلمة، من إسـاءة اسـتـعـمـال للكلمـة Malapropismus (٤٣). فنحن نفـهـم> الارتبـاك يصنع لصوصًا<، و >نحن جميعًا مـتساوون أمام خالقنا<، بلا شك دون مجهود،

---

(٤١) ديفيدسن ١٩٩٠ ب، ص٢٠٣-٢٢٨.

(٤٢) حول ذلك أيضًا،> الاتصال والعرف <في : ديفيدسن ١٩٩٠أ، ص٣٧٢-٣٩٣ .

(٤٣) بالإنجليزية malapropism تساوي بالألمانية verfehlte Wortverwendung .

وعادة ما لا تنطوي استعمالات معدولة للكلمة في الحياة اليومية على مشكلات تفسير. والحق أننا لا نتحدث باستعمالات خاطئة للكلمات، ولكن يعد كل كلام مفتوح أساسًا على هذه الظاهرة: >لا توجد كلمة أو تركيب، لا يمكن أن يغُيَّر إلى استعمال جديد عن طريق متكلم صادق أو غير عارف<(٤٤). / نحن نفهم لغة أيضًا حين يُتَعامل- بها على نحو لم ١٩٣ يُسمَع حتى الآن. إن الأمر يتعلق بالنسبة لديفيدسُن بشكل أقل بتشويه فكرة اتباع القاعدة عند الكلام أساسًا، وحجته بالأحرى هي أن ما يهم فلسفيًا في الفهم لا يوضح من خلال العلاقة القاعدية، لأن خصوصية الفهم تتجلى في القدرة على فهم أوجه العدول (الانحراف) . فما يخص الفهم يبدو أنه لا يؤدي دورًا، فمن يصنع خطأ، وهل يوجد خطأ أساسًا<. وبذلك يصير مفهوم الاستعمال اللغوي الصحيح غير مهم فلسفيًا (٤٥). ولكن ما الذي له أهمية فلسفيًا في الاتصال اللغوي اليومي؟

في> لا انتظام جميل في نقوش الأضرحة <يشرح ديفيدسن نموذج عملية الاتصال التي تُدخِل في تفسير المدخل الخاص بنظرية الصدق إلى التفسير تفريقًا جديدًا. فهي تفرق بين نظرية المنطلق، التي تدخل المتكلم والسامع في موقف الاتصال، وتعد مختلفة بالنسبة لكليهما، ونظرية الانتقال التي يكتسبها المتكلم والسامع من خلال إعادة بناء نظريات المنطلق الخاصة بهما، والتي تتعلق بمنطوق واحد تحديدًا وتسري عليه، ويدور الأمر

(٤٤) ديفيدسن ١٩٩٠ ب، ص٢١٦ (بالإنجليزية : ١٩٨٦ ، ص٤٤١).

(٤٥) ديفيدسن ١٩٩٠ ب، ص٢٠٤ ، (بالإنجليزية : ١٩٨٦: ص٤٣٢).

حول فهمه. وما أنجزه هذا التفريق بين نظرية المنطلق ونظرية الانتقال هو أنه يقدم تفسيرًا لمسألة، ما المشترك- فقط- أساسًا، ويُحتَاج له، حين يتكلم شخصان بعضهما مع بعض. ويكمن الاشتراك في أن نظريات الانتقال بين متكلمين إلى سامعين (يمكن) أن تتداعى بالنسبة لمنطوق مفرد. فالفهم هو الحدث المتعلق بزمن ومتكلمين ، الذي تحتمي به نظريات الانتقال بين المتواصلين [٤٦].

وتعد معرفة مشتركة بالنظر إلى أعراف لغوية عندئذ غير ضرورية. >ويجب أن نقلع عن تصور أنه توجد بنية مشتركة محددة بوضوح، الذي يتقبلها مستعملو اللغة، وتطبق على حالات خاصة< [٤٧].

١٩٤ / يتحدث كل متكلم- على نحو محدد- لغته >الخاصة< بمعنى لهجة خاصة، تُصاغ من خلال الشروط المفردة لوجود إنساني فردي . ولكن النقطة التي تهم ديفيدسُن لا تقع مطلقا في الفرق بين >لغة< بوصفها مؤسسة عامة، و> لهجة خاصة < بوصفها ميلاً فرديًا لشخص ما ، النقطة هي شيء آخر: يوجد الفرق بين >لغة< من جهة، و>منطوق - في - موقف< من جهة أخرى. وتنطلق كل نظريات اللغة والاتصال القائمة على أساس عقلي تقريبًا من أن معرفة اللغة شرط ضروري لفهم منطوق في هذه

---

(٤٦) >ما يجب أن يكون مشتركًا بين المشاركين ، ومن ثم يمكن أن يوفق الاتصال هو نظرية الانتقال. فقط حين يتوافق هذان كلاهما يوفق التفاهم تمامًا<. ديفيدسن ١٩٩٠ب، ص٢١٩ (بالإنجليزية : ١٩٨٦ ، ص٤٢٢).

(٤٧) ديفيدسن ١٩٩٠ب، ص٢٢٧ (بالإنجليزية : ١٩٨٦ ، ص٤٤٦).

اللغـة. ولكن هذا الرباط تحديدًا بين مـعرفـة لغوية مـتداولة وفـهم المنطوق يقطعه ديفيدسن. ففي أفق فهمه الخاص بنظرية الصدق وكذلك تفريقه بين نظرية المنطلق ونظرية الانتقال يتضح أن الوحيد الذي يمكن أن يُفهَم بشكل مفيـد أساسًا ليس شيئًا أشـبه باللغة كلها، بل هو دائمًا منطوق مـفرد فقط. والوحيد الذي يتجلى فيه اشتراك هو استراتيجـيات التفسير التي تتبدل فيما بينها في لحظة مـعينة من جانب المتكلمين والسـامعين- فيمـا يتعلق في كلٍّ بمنطوق مفـرد. وبذلك يقبل الاعتـراف بطبيعة الفـعل للكلام، الذي يشكل نقطة اتفـاق لنظريات لغـوية معـاصـرة، لدى ديفيـدسن شكلاً غـير عـادي ودقيـقًا أيضًـا: فما يفـرق المنطوق عن اللغـة هو أن فقط في المنطوق المميـز موقفيًا _ وليس في اللغة بوصفـها بنية متجاوزة للأفـراد- يتجلى شخص، وهو يفعل شـيئًـا. والحق يعد >المنطوق< هنا حدثًا، لا يجب أن يعـد تمثيلاً لنموذج لغـوي شامل غيـر متمـيز لموقف، بل لتـفرد شخـصي . ويجد كل تفسير في هذا الفهم لفعل مفرد بوصفـه ما يصير فيه شخص ما سهلُ المنال لنا، مـوضـوعَـه الأصل. ويمكن أن يكون الفـهم اللغـوي بوصـفـه فهـمًـا للأشخاص دائمًا فهمًا لمنطوق فقط، وليس فهمًا لقاعدة متعلقًا دائمًا بذلك أيضًا. ومن ثم تتميـز نتائج نهج ديفيدسن الخاصة بنظريـة التكافؤ: فالقدرة الحاسـمة لكـلامنا وتفسـيرنا لا توصف بأنهـا معـرفة بالقـواعد التي تـوجه الاستعمال اللغوي. ويفصل ديفيدسُن تفـسير الكفاءة عن التفسير اللغوي. ١٩٥ فـالأمـر يدور حـول قـدرة عـلى فـهم الاشـخـاص، تتـجلى فـي أننا نولد كمستـمعين نظرية انتقال لمنطوق مفرد، يتوافق مع مـنطوقات المتكلم نفسه.

وهكذا ليس أيضًا، >امتلاك< نظرية انتقال، وهو ما يعين الكفاءة، بل القدرة على بناء نظرية انتقال جديدة في كل موقف منطوق مفرد. وتكمن الكفاءة في القدرة على إنتاج نظريات انتقال جديدة باستمرار، وإمكان تبادل هذه النظريات أيضًا. وليست القواعد اللغوية ذاتها فقط، بل تصير قواعد بوجه عام لا فائدة منها في تفسير تلك القدرة المولدة للنظريات ، لأن العملية الإبداعية لاكتشاف نظريات جديدة هي عملية لا يمكن لذلك أن تُتعلَّم أيضًا. بل «يَهم العقل، والتوفيق، والحكمة» (wit, luck, wisdom) [٤٨]، و«الحدس ، والتوفيق ،والمهارة »intuition, luck, skill) [٤٩]، وليس أخيرًا يؤدي في ذلك أيضًا> التذوق والمشاركة الوجدانية< (taste, sympathy)[٥٠] دورَهما، وكون المرء يستطيع أن ينظم ويعلم هذه العملية لا أمل فيه، مثل محاولة تنظيم أو تعليم العملية التي يوفق المرء من خلالها إلى وضع نظريات جديدة، تُنجَز في أي مجال كان بمعطيات جديدة- لأن الأمر في هذه العملية حقًا يتعلق بذلك [٥١]. وعلى هذا النحو يؤدي تصور ديفيدسن للكفاءة إلى أننا لم نترك المفهوم اللغوي المألوف فحسب، بل بناءً على ذلك قد تغلبنا على الحد بين القدرة على لغة ما ، والكفاءة في العالم إجمالاً [٥٢].

هذا هو محور تفسير الكفاءة اللغوية بمصطلحات غير لغوية.

(٤٨) ديفيدسن ١٩٩٠ ب، ص٢٢٦ (بالإنجليزية : ١٩٨٦ ، ص٤٤٦).

(٤٩) ديفيدسن ١٩٩٠ ب، ص٣٩٣ (بالإنجليزية : ١٩٨٦ ، ص٢٧٩).

(٥٠) ديفيدسن ١٩٩٠ ب، ص٣٩٣ (بالإنجليزية : ١٩٨٦ ، ص٢٧٩).

(٥١) ديفيدسن ١٩٩٠ ب، ص٢٢٦ (بالإنجليزية : ١٩٨٦ ، ص٤٤٦).

(٥٢) ديفيدسن ١٩٩٠ ب، ص٢٢٦ (بالإنجليزية : ١٩٨٦ ، ص٤٤٥).

١١- جاك لاكان

من يتكلم؟ حول ما هو لاشعوري في الكلام

جاك لاكان من يتكلم ؟

حول ما هو لا شعوري في الكلام

>ما هو لا شعوري

بُنى مثل لغة< [1].

١- لماذا لاكان؟

١٩٦ / يطيب أن يُوصف> الاتجاه النقدي اللغوي< بأنه انفصال لنموذج الوعي السائد في القرن التاسع عشر[2] . ومع ذلك تتوارث في تلك الطرائق التي تظل ملتزمة بالصورة اللغوية العقلانية ، عناصر علاقة للوعي (Bewuβtsein) سواء كانت اللغة مع سوسير تشكل الأفكار من خلال النطق، أو مع تشومسكي يعاد بناء المقدرة الكلامية بوصفها معرفة قاعدية، أو مع سيرل كل ما نقصده يمكن أن يُعبر عنه، أو مع هابرماس يسلك المتواصلون مثل كائنات متجادلة تجادلاً عقليًا: هذه الأفكار تقترب من تصور أن المتكلمين في كلامهم يشكلون من اللغة استعمالاً مقصودًا، وخلاقًا، وموجهًا قاعديًا، ومؤسسًا للمعرفة. هذا النوع من الكلام يتآخى بشكل لا رجعة فيه مع وجود الوعي.

بيد أن هذا التوجه للوعي يصح أيضًا بمعنى جد أساسي: فمنذ أن جعل ديكارت الوعي > conscientia < الموضوع الفلسفي، يُعزى للوعي

---

(١) لاكان ١٩٧٨ (الحلقة الدراسية ، الكتاب ١١) ، ٢٦ (بالفرنسية : ٢٣، ص١٩٧٣ وما بعدها).

(٢) هِكنج ١٩٧٥ .

مهمـة أن يكفل تجانسًا حيث نُواجَـه بظواهر غير متجـانسة. يكون ذلك في التبديل العابر لأحوالنا العقلية أو في التبـديل لقدراتنا ومهاراتنا الشخصية: إن الوعي يؤسس وحـــدةً، ويكفل مطابقـــةً، هذا الإنجـاز الشـامـل المشكل للوحدة الخـاص بالوعي ينتقل ـ بشكل مبـدئي على كل حال- مع >الدور اللغوي< لوعي إلى اللغـة، وفي هذا الانتـقال يحـافظ إلى حـد بعيـد على الوظيفة المؤسسية للوحدة.

ويهـتم بجـاك لاكـان بوصـفـه منظراً للغـة ، لأنه يـقطع ربط الوعي بخاصيـة اللغة، وذلك بشكل كامل. والفكرة المحـورية هي أن منطوقات / ١٩٧ اللاوعي تُبنَى لـغـويًا، وعلى العكس من ذلك أن مـا يُكـوِّن اللغـة يمكن أن يتشكل بالقياس إلى ما هو لا شعوري. ويحفز ترك لاكان علاقة الوعي في النظرية اللغوية طمـوحه إلى تحرير نظرية فـرويد في الشكل الذي افترضـته في تلك الأثناء في الوسائل المقـوية للأنا للمعالجـة النفسية، من كل البـقايا الخاصة بنظرية الوعي. فما هو لا شعـوري لـم يعد بالنسبة له الجانب الآخر وبدروم الجهـاز الروحي، ولـم يعـد يدور الأمر حول مـا يحدث في منـطقة العمق لـلنفس، التي تنقل الأنا إليهـا مسـرحًا مدركًـا للوعي. وحين يكون الوعي وسيطًا لـبناء الوحدة والمطابقة، فـإن ما هو لا شعـوري يعد بالنسـبة للاكان وسيطًا للثنائية والاختلاف. إنهـا هذه القدرة الخالقة للاختلاف التي يشارك فيهـا ما لا شعوري اللغةَ، وتستتـر عن كل مدخل قائم على الوعي، وإن كـانت لا تُردَم على الإطلاق، ولا تدخل هذه الـقدرة الخـالقـة لأوجـه

عدم التجانس فـي التحيد، بل في الخلاص، وهكذا فإن ظـواهر لها علاقة باختـلاف وانقسام وتصدعـات لا يتغلب عليهـا، وتُعالج بوصفـها ظواهر تغريب ومتـلازمات نقص، بل يُقر بها بوصـفها خصائص القـيد الإنساني. ولهذا الرأي نتائج بالنسبة للنظريات حول النفس واللغة.

إذن ينتظم التوجه إلى> الاختلاف < بدلاً من المطابقة، على الأقل منذ أن وجدت> مـا بعد البنيـوية < المرتبطة بأسـمـاء ديلوز ، وبارت، ودريدا، وفوكو، وليوتـار، في طريق مطروق كثيراً داخل الفلسفة القـارية المعاصرة. فقط: جاك لاكان ليس ما بعد بنيوي، ويبدو هذا حكمًا غريبًا، فهل هو حقًا لا كان الذي يتبنى نظرية اللغة والعلامات البنيـوية لسوسير وحولها بشكل حاسم- سـوف نعود إلى ذلك. ويشارك لاكـان فضلاً عن ذلك مـؤلفي ما بعد البنيوية في نظرية جـوهرية، كتلك التي عن أسبقيـة وسائل خطابية في مقابل أنظمـة من كل نوع، والتأخر التكويني للمعنى، ومع ذلك فـما يفرق لاكـان عن ما بعـد البنيـويين> العاديين< ـ وعـرّضه لنقـد مرير أيضًـا من دريدا[٣] ـ تشبثه القوي بمفاهيم ، / تُنكَر في منظور ما بعد البنيوية بوصفها ١٩٨ بقايا تفكير متيافزيقي، وتُفكَّك على الأقل، ويدور الأمر في ذلك من ناحية فلسفية لغوية بمفاهيم، مثل >الصدق< و>الذات< و>الكلام<.

---

(٣) في نقد دريدا للاكان تظهـر كل الصفات، التي يعد دريدا إعادة بنائهـا همًّه: ذو توجه للذكـر، وذو توجه للعـقل، وذو توجه للصـوت، وذو توجه للحـاضر. دريدا. البطـاقة البريدية ٢ ، ص ١٨٣ ـ ٢٨١ حول مناقشة دريدا للاكان: ويلش ١٩٩٦ ، ص٢٨٥ ـ ٢٨٨.

وهكذا يقطع لاكان الخيط الذي يربط خاصية اللغة بإنجازات الوعي، ولكنه يفعل هذا على نحو، لا يستبعد صلة الصدق بالكلام والذات المتكلمة، بل ـ في الواقع من منظور متغير- يرد الاعتبار لها. فما يعني >يتكلم< يكتسب في ذلك شكلاً جديداً تمامًا في مقابل كل الطرائق التي تبرز الكلام من تحقيق كفاءة لغوية.

ولكن قبل أن نخوض في فكر لاكان ثمة ملحوظة أخرى ضرورية. يمكن أن تؤدي قراءات لاكان إلى رَدَّىْ فعل متطرفين: إما إلى افتنان، ليس نادرًا أن يتشكل من قراء صغار أو- وهذا هو رد الفعل الأكثر احتمالاً من جانب أولئك الذين يلمون بعلم اللغة والفلسفة اللغوية- إلى إحباط، يمكن أن يتمه لاكان بسرعة بوصفه مؤلفًا لنظرية لغوية. فماذا يُصعِّب قراءة لاكان؟ ربما بدرجة أقل أنه لا يوجد له مؤلَّف معيار، أي أن طريقة تفكير لاكان مثل لغز من عدد كبير من مقالات ومحاضرات وتعليقات، جُمعَت، وشُكِّلت في عمل له بعنوان Ecrits (كتابات) (٤).

لا يختلف لاكان في ذلك أساسًا عن ديفيدسُن. وتقع خبرة الإحباط في علاقة بخصوصية في أسلوب كتاب لاكان، يمكن أن نطلق عليها هنا- بكل حذر- >أسلوبه الأدائي<. المقصود بذلك كتابة، تحفز في الوقت نفسه

---

(٤) انظر: طبعة كتاباته ١ ، ٢ ، ٣ : لاكان ١٩٧٣ ، ١٩٧٥ ، ١٩٨٠ ، وكذلك طبعة حلقاته الدراسية الكتاب ١ ، والكتاب ٢، والكتاب ١١، والكتاب ٢٠: لاكان ١٩٧٨ أ، ١٩٨٠، ١٩٧٨ ب ، ١٩٨٦.

أيضًا ما يصف، أي في الكتابة تحديدًا يستعمل، ويتم ما يوصف [٥]. إذن يوجد هذا الأسلوب بشكل مبدئي لدى ڤيتجنشتاين، فكلماته لا تقول شيئًا فقط، بل/ تبين أيضًا، بل بوجه خاص لدى أوستن الذي لم يزعم قط ١٩٩ تقويض ثنائيات مفهومية، بل عرضها أيضًا.غير أن لاكان- على نحو مخالف لڤيتجنشتاين وأوستن- يكتب عن ما هو لاشعوري . ولكن ما هو لاشعوري يتصور منه على صفحة استعمال لغوي معدول (منحرف) : إنه خطاب لا يخبر ببساطة، بل يستدعى [٦]. ويصاغ بشكل أقل من فك التشفير من انحراف المعنى، الذي تقوم فيه العلامات بوظيفة ظاهرة، ونادرًا بوظيفة تمثيل، والذي يُقسم فيه القول والقصد، وينطق فيه ما لا يمكن وله- باختصار نوع من الاستعمال اللغوي ، الذي تكون حالته البراديجماتية الوعد السهو، الذي يند عنا خطأ، وليس الوعد المقصود. استعمال لغوي، ربما تعكس خصوصيته السابقة الألمانية ver (تعني السلب في الأغلب)، حين يشير هذا المقطع في verschreiben (أخطأ في الكتابة) ، و verneinen (نفى) ،و verstellen (غيرَّ الموضع) وverleugnen (أنكر) إلى أنه من خلال الانحراف يُغير شيء [٧].

---

(٥) >بهذا المعنى يكون الخطاب النظري للاكان خطابًا عمليًا> دال عمليًا <، حيث يعبر عن المضمون النظري من خلال واقع أدبي، لا يصف فقط قوانين الدلالة _ وبخاصة الدال- بل يحفزها مباشرة. فيبر ١٩٧٨، ص٨.

(٦) >لا تكمن وظيفة اللغة هنا حقًا في الإخبار، بل في الاستدعاء< لاكان ١٩٧٣ (كتابات ١) ، ص١٤٣ (بالفرنسية : ١٩٦٦ ، مجلد ١، ص١٨١).

(٧) هذا على كل حال يخمنه ڤيبر ١٩٧٨ ، ص٥.

وهكذا تتجذر الصعوبة في قراءة لاكان وفهمه في أن لاكان يبنى رأيه، ما هو لا شعوري مثل لغة، ويصف في وسيط، افترض في الوقت نفسه ملامح مميزة لهذه اللغة الخاصة بما هو لا شعوري. ورأي لاكان المستشهد به[8] غالبًا وليس أصليًا بوجه خاص أنه لا توجد لغة واصفة، بل تحصل على نكتة لها من خلال هذه الخصوصية الذاتية لأسلوبه الأدائي. ولكن هذا يجعل من الصعوبة بمكان قراءة لاكان وفهمه.

٢- الحديث التحليلي النفسي بوصفه معرفةً بالثنائية اللغوية

/ تعد الأفكار ما وراء النفسية للمحلل النفسي لاكان دائمًا أيضًا ٢٠٠ تأملات لواقع التحليل النفسي، ويعني هذا: للحديث. فليس للتحليل النفسي إلا وسيط واحد هو: كلام المريض[9]. هذا الشكل من >المعالجة< أنجزه ابتداءً سيجموند فرويد، حيث أحلَّ الاستدعاء الحر محل تقنية التنويم المغناطيسي لزميله بروير، وبذلك جعل الكلام- صاغت مريضة لذلك الوصف (talking cure)[10] (العلاج بالكلام) _ الوسيط المتفرد للتحليل والعلاج. وظل فرويد واعيًا بغرابة علاج، لا يحدث إلا من خلال

---

(٨) يقتبس دوز ١٩٩٢ ، ص١٧٨ مقولة لاكان أن كل لغة شكلية تقتصر على وسيط اللغة اليومية. لاكان ١٩٧٢ ، ص١٨٨ : >لا يستطيع المرء أن يدرس دورة دراسية في الرياضيات باستعمال علامات السبورة فقط. إنه من الضروري دائمًا التحدث بلغة مفهومه بشكل عادي< الاقتباس نقلاً عن دوز ص١٧٨ .

(٩) لاكان ١٩٧٣ (كتابات ١) ، ص٨٤ ، (بالفرنسية ١٩٦٦ ، مجلد١ ، ص١٢٣).

(١٠) حول ذلك: هايزه ١٩٩٢ ، ص٦٢.

كلمات : >سوف يجد< البسيط من الصعوبة فهم أن اضطرابات مرضية للجسد والروح ينبغي أن يُتغلَّب عليها ، بكلمات مجردة <... وسوف يعني أن المرء يكلفه أن يعتقد في السحر. [١١] ولكن كيف يُفسر التأثير الشافي برغم أنه- هنا يتكلم فرويد مرة أخرى- بين المحلل والمريض لا يجري> شيء آخر< غير أنهما يتكلمان بعضهما مع بعض؟ علامَ ترتكز تلك القوة للكلام؟

يقدم >نموذج هرمينوطيقا الأعماق< لفرويد إجابة أولى عن هذا: فكلام المريض يهيىء تدخلاً إلى لاشعوره، باعتبار- مثلاً مع الحكم المحكى- أن المريض يعبر لغويًا عما يوجد لديه فى شكل علامات غير خطابية، فى حالة الحلم مثلاً صور الحلم. وهكذا تكون الوظائف النفسية بالنسبة لفرويد عمليات خالقة لدلالة، تثبت في شكل علامات غير لغوية، يمكن من جهتها أن تُنقَلَ إلى علامات لغوية. إنها وظيفة المحلل أن يفسر لغة المريض إما بأنها ترجمة (نقل) لهذا الإنتاج ما قبل اللغوي للعلامات، وإما تشفيره المشوه، ومن خلال ذلك أيضًا تشفير موضح مرة أخرى أيضًا. ولكن يظل ما هو لاشعوري بالنسبة لفرويد شيئًا مستقرًا خارج اللغة.

وعلى العكس من ذلك إنه قدرة تمثيل للغة بالنسبة لما هو غير لغوي- يمكن أن تصير الكلمة اسمًا لشيء- تقدم لفرويد / السبب لمسألة أن ما هو روحي يمكن أن يصير متاحًا بوجه عام في الكلام[١٢].

٢٠١

(١١) فرويد ١٩٤٠- ١٩٥٢ ، مجلد ٥، ص٢٨٩.

(١٢) حول ذلك: هايزه ١٩٨٩ .

إذن سوف يستمر لاكـان في تعب الأثر الذي وضعه فرويد، وهو أن مـا هو لا شعـوري يمكن أن يعبـر عنه فى عـلامات ، دون أن يأخـذ بذلك بنموذجه الخاص بهرمينوطيقا الأعماق. وبشكل مخلص لفكرة سوسير أنه >لاشيء يُحـدَّد قبل أن تظهر الـلغة< (١٣)، وأن اللغـة بذلك ليست تمثـيلاً لمعطيات منظمة بشكل سابق لها، ولا أنه يوجـد تفكير خارج اللغة، يجعل فرويد مـتطرفًا، حيث يجـعل من المناهج المرتبط بالعلامات لما هو شـعوري مناهج لغـوية. لقد ترك فـوريد الوضع السيـميولـوجي لنتاجـات ما هو لا شـعوري دون تفـسـير ، ولـم يسـتـخلص أية >نتـائج لنظرية اللغـة ونظرية الرموز< (١٤).

بيـد أن هذا بدقـة هو مطلب لاكـان. لنحاول إدراك هـذه النقطة التي تتمـيز بأن تلقيًا مـتشكلاً> لغويًا< لما هو لا شعوري يؤدي أيـضًا إلى تصور لغوي مراجع.

ولدى فـرويد يشغل المحلل مـوقفًـا هرمـينوطيقـيًا في مـقابل كـلام المريض: هذا الكلام، هناك حيث يتعثر، وحـيث يزل، وحيث يحذف شيئًا، يصح أن يجعل شـفافًا بالنسـبة لشيء يقع مـختفـيًا خلفه.. ولكن بالنسـبة للاكان لا يوجد هذا الشيء خارج الكلام الذاتي (١٥). ولا يقع ما يجب أن يوجه إليه انتباه الطبـيب المعالج خلف الكلام، بل فيه(١٦). وما تعد بالنسبة

---

(١٣) سوسير ١٩٦٧ ، ص١٣٣.

(١٤) هايزه ١٩٩٢ ، ص٦٣.

(١٥) لاكان ١٩٧٣ (كتابات ١) ص٩١ (بالفرنسية ١٩٦٦ ، مجلد ١، ص١٣٠).

(١٦) >لأن من الجوهري معرفة إلام يوجد هـذا الانتباه .من المؤكد ليس (يريد عملنا كله أن يثبـت هذا) إلى شيء خـارج الكلام الذاتي، على نـحو مـا لا يفـقـده مطلقًـا أناس =

لفرويد أمنيات أو خيالات أو تأثيرات لاشعورية هو بالنسبة للاكان دائمًا ظواهر لغوية، أي أمنيات منطوقة، وخيالات محكية، وتأثيرات معبر عنها[١٧]. ولكن هل يشكل هذا فرقًا جوهريًا؟ مع محاولة العثور على إجابة عن هذا السؤال نصل إلى مفصل اهتمامنا بلاكان: هذا الفرق في ٢٠٢ الحقيقة جوهري- حين يفكر المرء في نتائجه بالنسبة لتصور / اللغة والكلام. لأن الاختلاف الذي يهم لاكان خلافًا لفوريد أو الفرويدية، لم يَعُد ذلك الذي بين كلام المريض وما هو لاشعوري غير لغوي ممثل في ذلك، بل اختلاف داخل الكلام ذاته. وفي كل كلام تتجلى أجزاء من حوار غير خطابي، وقد أطل لاكان على هذا الكلام غير الخطابي >اللغة الأولى< أو> لغة الرغبة< ، وأيضًا : >كلامًا تامًا <، ويختلف عن الكلام الخطابي بوصفه >اللغة الثانية< أو >الكلام الشاغر< [١٨].

وما ينطق في >اللغة الأولى< هو رغبة (désir) ، ويفهم لاكان تحت ذلك طموح إلى اعتراف من الآخرين (مع حرف >A< كبير، أي جمع) لا يرتكز على الوفاء الخطابي بدعاوي الصلاحية. وثمة زوج مفهومي آخر يعين الاختلاف الذي يهتم به هنا: يفرق لاكان في عملية الكلام بين نطق (énonciation)، ومنطوق (énoncé). وعلى الرغم من أن كل هذه المصطلحات ما تزال تحتاج إلى إيضاح ، يبرز على الأقل المخطط الثنائي

= معينون ذوو اجتهاد تام< لاكان ١٩٧٣ (كتابات ١) ، ص٩١ (بالفرنسية ١٩٦٦ ، مجلد ١ ، ص١٣٠).

(١٧) حول ذلك : پاجل ١٩٨٩ ، ص١١٨.

(١٨) لاكان ١٩٧٣ (كتابات ١) ، ص١٣٦.

الذي تنقـاد له. ويلقى اسـتكمالاً له فـي ثنائية في جـانب الذات المتكلمـة، وكذلك ما يتحدث إليه ذاته: ويصف لاكان ذات اللغة الأولى بـje (الأنا) ، وذات اللغة الثانية بـ Moi (الآخر) _ سنعود مرة أخـرى إلى هذا التفريق . وتتجـه الـ je (الأنا) في كـلامه إلى الآخـرين _ المكتوبين بـ >A< كبـير _ وعلى العكـس من ذلك تتـجـه الـ Moi (الآخـر) إلى الآخـرين _ المدونين بـ >a< صغير.

وينبـغي أن يوضح تصـريف كل هذه المفـاهيم شيـئًـا فقط: بـالنسبـة للتصور اللغـوي للاكان تعد >الثنائية اللغوية< صفة مميـزة بشكل أساسي لخاصـيتنا اللغوية. ويعـد هذا التشخـيص لثنائية أسـاسية تطبع اللغـة، يعاد بناؤها بوصفهـا ازدواجية إجابة لاكان على الـسؤال، كيف يمكن أن يوضح أن التحليل في وسـيط الكلمة فقط يمكن أن يُبرىء، لأن مـا يجب أن يُبرئَ يختص بدينامية وشكل جريان هذين الصوتين تحديداً في كلام الفرد. وربما يلاحظ أن: الكلام لا يعد بالنسـبة للاكان تعبيـراً وظاهرة ونقلاً لاضطراب قار> خلف الكلام < للروح التي أنقذت مـن الهاوية. وما أنقـذ من الهاوية هو العلاقة بين هذيـن الجانبين لخاصيتنا اللغـوية في الكلام ذاته. فالكلام لا يشير إلى هذا الاضطراب ، / ولا يعرضه أيضًا بل هو الاضطراب. ٢٠٣

ومن خـلال ذلك يمكن أن يُفسـر على نحـو غيـر سحـري أين تكمن تطلعات العلاج من خلال تحليل الحديث ، لأن مهمة الحديث المحلل حمل المريض على نوع آخـر من الـكلام. ويكمن فن المحلل في تقـديم أرضـيـة

استجابة لمسألة أنه في كلام مريضه يرد الـ je (الأنا) _ وليس الـ Moi (الآخر) _ في اللغة، أي تنطق اللغة الأولى، وليست اللغة الثانية : >ولتحرير كلام الذات، ندخله في لغة رغبتها، ويعني هذا في اللغة الأولى< [١٩].

وحيث لا يستند المحلل إلى ما هو لاشعوري خفي خلف الكلام، بل يستجيب لشكل الكلام ذاته- ويكون هذا أيضًا فقط، حيث يصمت حين تحاول الـ>Moi < الخاصة باللغة الثانية أن تزعم سيطرتهما فى الكلام يكون من الواضح أيضًا أن الأمر يهم هذا الكلام بوصفه إنجازًا عاملاً. وعلى نحو آخر غير ما ربما يوعز المخطط باختلاف لغوي داخلي _ صير بالنسبة لسوسير موجهًا للتحليل اللغوي _ ترجع الفعالية إلى أن فكرة لاكان عن الاختلاف اللغوي لم تُقدَّم إلا بوصفها دينامية لتفاعل ، وحركة، وعملية ما، لا توجد إلا في إنجاز الكلام، ومن ثم يمكن هناك فقط أيضًا أن يُعالج.

٣- لماذا لم يقدم لاكان صياغة تحليلية نفسية لنظرية في الفعل الكلامي

ثمة سؤال منطقي يلح، وهو: هل لا يعد فرض لاكان عن الثنائية اللغوية في كل مظاهرها، التي تتضمن الثنائية القطبية من جانب الذات وكذلك المتحدث إليه مثل الاختلاف الوظيفي بين معلومة واستدعاء، وما هو خطابي وما هو غير خطابي، لا يعد صياغة خاصة بنظرية الاختلاف

---

(١٩) لاكان ١٩٧٣ (كتابات ١)، ص١٣٦ (بالفرنسية : ١٩٦٦ ، مجلد١ ، ص١٧٥).

للتفريق الخاص بنظرية الفعل الكلامي بين ما هو إنجازي وما هو غير إنجازي، بين جوانب متعلقة بالشيء وجوانب متعلقة بالأشخاص في خاصيتنا اللغوية؟

لماذا لا يعد نشاط الكلام بالنسبة للاكان فعلاً؟ لأن ذاتية المتكلم بالنسبة للاكان لا ترجع إلى أن / المتكلمين فاعلون واعوون بكلامهم، ٢٠٤ قادرون على المحاسبة وملتزمون بها بالنسبة لما يفعلون بشكل كلامي. لأن الثنائية اللغوية تقع من خلال أن ما هو لا شعوري يتحدث، أي : حيث نقول شيئًا آخر غير ما نقصد، وما نريد قوله . الكلام ليس حديثًا نوجهه، بل حدثاً، نتوارى فيه. هذا جميعه ليس أصيلاً، فقد قال جادامر بشكل موضح عن الحديث أنه حدث لا نكون فيه دائمًا الآمر الناهي [٢٠]. ومع ذلك- وما يهمنا هنا: لا يعني حل عقدة هذا التوارى بالنسبة للاكان بأية حال من الأحوال طبقًا لقول فرويد >حيث كان ينبغي أن أصير< [٢١] ، هو أن تؤدي الذات إلى وعي بما تفعل >حقيقةً<، وهي تتكلم . فهدف التحليل النفسي ليس إرجاع الكلام الذي يفلت باستمرار من مقاصدنا إلى مجال تأثير نوايانا(*) بحيث يستتر القول والقصد. بل يريد لاكان أن يجعل ما هو لاشعوري يتكلم، حيث يستمع المحلل إلى ما >يتكلم<، ويقر بهذا النوع

(٢٠) جادامر ١٩٧٥ ، ص٣٦١ : نقول أننا نوجه (نجري) حديثًا، ولكن كلما كان حديثًا حقًا، قل رجوع توجيهه إلى إرادة شريك أو آخر، وعلى هذا النحو لا يكون الحديث الحقيقي إطلاقًا ما نريد أن نوجهه، بل الأصح بوجه عام أن يقال إننا نوفق في حديث ، حين لا يكون بحال أننا نتورط في حديث<.

(٢١) فرويد ١٩٤٠ _ ١٩٥٢ ، مجلد ١٥ ، ص٨٦.

(*) يفرق هنا بين المقصد (Intention) ، والنية أو القصد (Absicht)، وإن كان بينهما تداخل كبير.

من الكلام في مقابل >أنا أتكلم<، ويترك له مكانًا للعمل.

ولكن ما جدوى هذا؟ متى نتبع نهج لاكان أن الاضطرابات الروحية هي اضرابات في إنجاز الكلام، كيف يكون لحديث ما هو لاشعوري تأثير شاف (مداو) ؟ إن إجابة لاكان غير المتوقعة على هذا السؤال هي: لأنه فقط في نطق (تلفظ) ما هو لاشعوري يُحقق> صدق<. وفي الواقع هو صدق، ليس صدق منطوق، بل >صدق الذات<[٢٢]. ويفصل لاكان هذا التشبث بدعوى الصدق عن مؤلفي ما بعد البنيوية الواقعين في إرصث نقض نيتشه للصدق./ ولكن هذا يفصله أيضًا عن تأسيس هابرماس للصدق في الفصل الخطابي عن دعاوي الصلاحية.

٢٠٥

وفي الواقع يشارك لاكان نظريات الصدق الشاملة- البراجماتية في أن الصدق لا يتجذر في المعرفة، بل في الإقرار . ولكن هذا الإقرار من قبل آخرين (بحرف كبير> A< أي جمع) لا يتحقق في وسيط دعاوي الصلاحية ، بل في وسيط >الرغبة<[٢٣]. وسواء أرفعت دعاوي الصلاحية بحق أو بدون حق فإن هذا- على نحو أو آخر- مرتبط دائمًا بمعرفة

---

(٢٢) >أتمسك بنقطة أن فرويد يستشكف اتجاهًا للبحث، لا يوصف بالأسلوب ذاته مثل العلوم الأخرى. ومجاله هو مجال صدق الذات. والبحث عن الصدق لا يمكن أن يختزل بشكل تام في البحث الموضوعي، وأحيانًا في البحث الموضوعي للمناهج العلمية المألوفة<. لاكان، السيمينار ١٩٧٨ ، ص٢٩.

(٢٣) هذا ما يراه أيضًا يورجن هابرماس: >لا يجوز أن تستبدل بدعاوي المطابقة المقتصرة على إقرار ذاتى داخلي دعاوي الصلاحية، التي يرفعها الفاعل بأفعاله الكلامية< هابرماس ١٩٨٨ ، ص٢٣٠.

مشتركة .ومع ذلك يفصل لاكان مسألة _ الصدق عن مسألة- المعرفة [٢٤].
ويربطه بالسؤال عن وجودنا ككائن محتاج إلى آخر. وما نشترك فيه ويصير مهمًا لفهم كلامنا هو الرغبة- الموجهة من بعضهم إلى بعض. وهكذا يوجد الصدق في الكلام اللاشعوري لأنه فيه فقط يُقبَل هذا الاقتصار للذات على الآخر شكلاً- على كل حال من منظور لاكان- يتجنب مأزقي استنادٍ ذاتيين داخليين. فلا يُحوِّل الآخر إلى الشيء المجرد لسد خاص للحاجة بحيث تُشبَع الرغبة، ومن ثم تسكن، ولا يصير الآخر الخصم المحض في منافشة حول دعاوى الصلاحية ، التي يجب أن يستبعد بشكل صارم إطارُها الشكلي _ العقلي أية رغبة. >فرغبة الإنسان< ليس ببساطة الآخر، بل >رغبة الآخر< (الإبراز من ز. ك) [٢٥].

ليس الموضوع هنا جدل لاكان في الرغبة، ولكن ربما أبرزت الإشارات القليلة لماذا يعني تفريق لاكان بين >منطوق< و >نطق< ، وبين > عرض< و > استدعاء< شيئًا آخر غير التفريق الخاص بنظرية الفعل الكلامي بين الجانب المادي >القولي< والجانب العلاقي، الإنجازي للكلام. فمن هذه الناحية يعد تصور لاكان للكلام >أحادي الجانب< : فما يهمه في اللغة وما يهمه فقط ليس وظيفتها الموضوعية، بل وظيفتها العلاقية. ولكنه يرى هذه الوظيفة العلاقية بدورها / متعددة الجوانب: بوصفها تضافراً ٢٠٦

(٢٤) دوز ١٩٩٢ ، ص١٩٠.

(٢٥) لاكان ١٩٧٥ (كتابات ٢)، ص١٩٠ (بالفرنسية ١٩٦٦ ، مجلد ٢، ص١٧٥).

دقيقًا لمظهرين لخاصية اللغة> للغة الرغبة< التي ينطق بها الـ je (الأنا)، وكذلك> للغة الخطابية< للذات الخاصة بمنطق الأنا، التي ينطق بها الـ >Moi< (الآخر) ولكن يظل السؤال بذلك مهمًا: متى تحديدًا تفهم الذاتية الداخلية في بُعد الرغبة: لماذا يكون هذا بالذات التشكيل اللغوي لما هو لاشعوري، يمكن أن يتحقق من خلاله اعتماد موفق على الآخرين؟

نستطيع أن نطرح هذا السؤال على نحو آخر: متى تتوجه رغبتنا إلى رغبة آخر، وهكذا يزداد الأصل الذي نتلاقى فيه بشكل متبادل بالدر الذي نتعلق فيه عندئذ بنظام يشترك فيه الآخر، وهذا بالنسبة للاكان هو النظام الرمزي الذي يتساوى مع نظام اللغة. وكون قدرة الربط بين الأنا والآخر خاصة >بلغة مشتركة< تزيد فرص وفاء متبادل بالحاجات يعد أمرًا مقبولاً وعاديًا، أما الأقل مقبولية ، وغير عادي حقًا فهو أن لا كان يحدد هذا النظام الرمزي المتجاوز الفرد إلى الآخر بالذات بطرق نطق ما هو لاشعوري . لماذا يسحب لاكان ما هو رمزي من مسرح الوعي الذي يبدو أنه يجري عليه عادة، وهو ما له علاقة بإنتاج علامات لغوية وتفسيرها؟ هذه الاستعارة لـ >مسرح الوعي< تدل على اتجاه : لأن _ كل ما يحدث على هذا المسرح، يوضع مكانيًا ، ومن ثم يتبع النظام البصري لما هو محسوس (مُصَّور). بيد أن النظام الرمزي الذي يهم لاكان، هو نظام في الزمن، وهو في الوقت نفسه بمقتضى بعد الزمانية هذا نظام للغة. ويعد برنارد تاورك أحد مفسري لاكان القلائل ، الذي فكروا في الزمانية

التأسيسية بالنسبة للتصور اللغوي للكان: >ما هو لاشعوري كلغة لدى لاكان هو أيضًا أُسُّ الزمن والزمانية< (٢٦).

لنحاول أن نتحقق من مسألة لماذا يربط لاكان الوعي، والمكانية، والتجسيم، والخداع من جهة، وما هو لا شعوري ، والزمانية ، والكلام (وليس اللغة) ، والصدق من جهة أخرى.

٤- الوعي والمكانية والصورة والخداع، نظام ما تخيُّلي

/ يظهر عمل لاكان التحليلي النفسي الأول >مرحلة المرآة بوصفها مصوراً لوظيفة الأنا< (٢٧). نقداً جذريًا لمثالية الذات بوصفها خداعًا قائمًا على وهم. ويطلق على هذه المثالية- الذي يعد مظهرها الأصل الإمَجية(*) (Imago) المجسمة المنعكسة- ما هو تخيلي (مُتَخَيَّل) . ومنطلق أفكاره ظاهرة: من بين كل الحيوانات يوفق فقط إلى الشيمبانزي، وتُحدَّد صورته المنعكسة بأنها صورة له ذاته. ولكن إذا وقع هذا التحديد فإن الشيمبانزي يفقد كل اهتمام بالصورة . وعلى نحو مخالف تمامًا الطفل الذي يعرف نفسه في المرآة ـ في عمر ما بين ٦ شهور و١٨ شهراً، ويستجيب لذلك ٢٠٧

---

(٢٦) تاورك ١٩٩٢ ، ص١٩ يتابع : >وترجع فرصة الذاتية< الصادقة< بشكل مناسب إلى أنها تقبل وجودها كزمن وتترك المكانية غير الموفقة.

(٢٧) في لاكان ١٩٧٣ (كتابات ١)، ص٦١-٧٠ (بالفرنسية ١٩٦٦، مجلد ٢، ص١٦٨).

(*) الإمَجية (Imago) صورة ذهنية متميزة بالتقديس والإعجاب عن شخص ما أو النفس أحيانًا، وربما تعني Imago صورة الخالق.

بالتهليل والاهتمام المستمر. ويسـعي لاكان إلى تفسير لرد الفعل هذا: على نحـو مخـالف للقرد الطـفل من ناحيـة جسـدية لا حـيلة له وغيـر منتظم. ويدرك وحدة صـورته في مرحلة، يفتقـر فيها هو نفـسه إلى وحدة حركـية دينامية جسدية خاصة .به وتختص الإمَـجية المجسدة المنعكسة بكليةٍ وثبات وقدرة كلية، تنفصل عن الجسد أمام المرآة.

وتقـوم صـورة _ الأنا بدور تعـويض أوجـه قـصـور وجـود- الأنا. والنتـيجـة هي أنه في >مرحلة المرآة< هوية- للأنا تخـيـيليـة، تجد نموذجًـا ومرساة في الإسـقاط التخيلي لصـورة المرآة . ويتصور الإنسان نفـسه على نحو آخـر غير ما هو حـقيقةً، ويرى نفـسه في منظور>الأنا _ المثال<[٢٨] . وتتم معـرفة الذات بوصـفها جـهلاً (أو إنكارًا)[٢٩].ومع ريمباوند يـستطيع لذلك أن يقول: > أنا-آخر<[٣٠]. هذه الأنا> الموجهـة إلى خط تخيـيلي< يطلق لاكان عليها >الآخر< خلافًا> للأنا<[٣١].

ولا يجوز أن يسـاء فهم نظرية لاكان عن مرحلة المرآة بأنهـا جزء من

---

(٢٨) لاكان ١٩٧٣ (كتابات ١)، ص٦٤ (بالفرنسـية : مجلد ١، ص٩٠).

(٢٩) >هنا يتـسلل تعـدد قيـمة الجـهل (الإنكار) (meconnaitre) الذي يعد جـوهريًا لمعرفـة الذات (me.connaitre)، لأن الذات يمكن أن تنسى نفـسهـا في هذا التذكـر لصورة فـقط، في اللحظة التي تواجهها: الصورة المتوقـعة، التي تتشكل منه نفـسه في المرآة< لاكان ١٩٧٥ (كتابات ٢) ص١٨٣ (بالفرنسية ١٩٩٦ ، مجلد ٢، ص١٦٨).

(٣٠) لاكان ١٩٦٦ (كتابات)، ص١١٨ اقتباس نقلاً عن ڤيـر١٩، ص١٦، هامش ١٢.

(٣١) لاكان ١٩٧٣ (كتابات١) ، ص٦٤ (بالفرنسـية: ١٩٦٦ ، مجلد١ ، ص٩١).

علم نفس التطور، بل بوصفها تأملاً وتفسيراً للشرط الإنساني الخاص بنا، ويتفهم / في الوقت نفسه بوصفه إسهامًا نقديًا في تصورات فلسفية حول ٢٠٨ > الذاتية< و >الذاتية الداخلية< (بين عدة ذوات)[*] ويُتم مفهوم الذات الحديث الراجع إلى حجة- أنا أفكر لديكارت[**] ، الذي يؤسس ذاتية في فعل تأمل متاح للوعي، بالنسبة للاكان على سبيل المثال ذلك الجهل (الإنكار) المثالي في المعرفة الذي يصير الموضوع في مرحلة المرآة[٣٢]. ولكن _ وهو ما يهم لاكان بوجه خاص- يطابق جهل الآخر هذا الجهل للذات، إذًا شكل خاطئ للذاتية الداخلية بين عدة ذوات. ومن الناحية الأدبية يروى لنا هذا الشكل في أسطورة النرجسية[٣٣]. ومن الناحية الفلسفية قدم لنا هيجل بالإضافة إلى ذلك في جدله حول الوعي بالذات تفسيراً [٣٤]: إن الأمر يتعلق بعلاقة بين الأنا والآخر، تكمن تربتها الخصبة

(*) يعني هنا مصطلح (Subjektivität) ، وهو مذهب فلسفي يقيم المعرفة على أساس خبرة ذاتية في العالم ، و (Intersubjektivität) وهو مذهب فلسفي يقيم المعرفة في العالم على أساس خبرة ليست للذات ، بل للآخر أيضًا، فهي جسر بين الذات والآخر (ين) بين شخص ومشاركه ، ويعني أيضًا حالة بين الذاتية والموضوعية، وخبرة شخصية لأكثر من ذات.

(**) يقصد مبدأ دريكات وهو: cogito _ ergo sum (أنا أفكر- إذن أنا موجود).

(٣٢) إلا أن المبدأ الفلسفي أنا أفكر يكون في بؤرة ذلك الإحباط الذي يجعل الشخص المعاصر بشكل مؤكد أنه هو نفسه بجهل ذاته >لاكان، ١٩٧٥ (كتابات ٢) ، ص٤٢ (بالفرنسية: ١٩٦٦ ، مجلد١ ، ص٩٣).

(٣٣) أوفيد : المسخ، الكتاب ٣ ، أبيات ص٣٤٠ ما بعدها.

(٣٤) هيجل ١٩٧٠ (الفينومينولوجيا)، ص١٣٧ - ١٥٥.

في معضلة[٣٥]. وعلى هذا الأساس لا يمكن الوفاء بطموح الأنا إلى الآخر. وبالنسبة للاكان يعد لعدم إمكان الوفاء هذا علاقة أيضًا بمكانية وُضِعَت بشكل مطلق. ويتعلق الإنكار للصورة الموصوف في تصوره لما هو تخيلي بوصفه وسيلة لعدم المعرفة صراحةً بالتشكل المكاني لتناسق صورة المرآة[٣٦]، ويتحدث لاكان عن >الذات المتشبثة بالخداع المغري للتحديد المكاني< [٣٧]. (الإبراز من ز.ك) . من ناحية مكانية أنا >هنا< والآخر >هناك<. هذه العلاقة المكانية يعاد إنتاجها في صورة المرآة، التي تنشأ من خلال الوهم، بأن الشيء المنعكس يوجد خلف سطح المرآة . ومع ذلك يتواجه الآخر والأنا في الدمج غير الممكن تبديله/ للجسمانية[٣٨]، وهما ٢٠٩ يتعالقان بعضهما ببعض بعلاقة هنا- هناك. فالآخر يشغل مكانًا، لا أستطيع أن أشغله، والعكس صحيح أيضًا، ويكسب هذا العلاقة بين الذات والآخر خاصيةَ علاقة تنافس عدائية، وعلاقة ازدواجية: أنت وأنا نكون الشعار.

---

(٣٥) وصف هيجل هذه المعضلة في اصطلاح> الوعي بالذات < بشكل لا يساء فهمه: إنه بالنسبة للوعي بالذات وعي بالذات آخر، إنه يحدث خارجه، ولهذا معنى مزدوج: أولاً فقد فَقَدَ نفسه لأنه يوجد ككائن آخر، وثانيًا إنه ألغى بذلك الآخر، لأنه لا يرى أيضًا الآخر كائنًا، لأنه هو نفسًا في الآخر. هيجل ١٩٧٠ (الفينومينولوجيا) ، ص١٤٦.

(٣٦) لاكان ١٩٦٦ (كتابات)، ص١٢٢ وما بعدها ، وأيضًا: ص١٠١- ١٢٥.

(٣٧) لاكان ١٩٧٣ (كتابات ١) ، ص٦٧.

(٣٨) تاورك ١٩٩٢ ، ص١٨ في إثر أفكار هوسرل عن الذاتية الداخلية بين عدة ذوات في تأملات ديكارتية ، فقرة ٤٩ وما بعدها.

٥- ما هو لا شعوري، والزمانية، والكلام، والصدق: نظام ما هو رمزي

لا يجب هنا أن يعمق تصور لاكـان عن ذاتية منكرة، وشكل لا يمكن الوفاء به لـذاتية داخلية بين عـدة ذوات لأن الأفكار الخاصـة بنظرية الذات والهـوية ليست مـوضوعنا. ولكـن لماذا من الأهميـة بمكان عرض تأمـلات لاكـان حـول مرحلة المرآة، حـين يكون للأمـر بالنسـبة لنا عـلاقـة بنظريتـه اللغـوية؟ إن الإجـابة عن ذلك جـد واضـحـة: فـعلى الرغم من أن مـا هو تخيلي، تضمنيـات الإحباط الذاتي الخاصة به، وكذلك عـلاقة الأنا بالآخر العدائية الخـاصة به تشكل جانبًا لا يمكن استبـعاده بخبرة وجودية ومـعرفية إنسانية، فـإن هذا ليس إلا بعدًا لصيـرورة ذاتنا. ولأنه يوجد ما يجيـز كسر الدائرة غـير المثـمرة لعـلاقة الذات بالـعالم القـائمة على خـداع، وهذا هو النظام الرمزي للغة. بيد أنه هنا لا يعد >النظام الرمزي للغة< بنية ثابتة، بل عملية بـناء للاختلاف تتم في الزمن. ويهيىء وضع الاخـتلاف هذا المتلفظ في الكلام القدرةَ على تشكيل المسـافة (التفاوت)، التي تتـيح إمكان دخول الإقرار بعدم مطابقـة الذات والآخر محَل مطابقة مـتخيلة، ومن ثم لا يمكن الوفاء بهـا لهما. وبشكل مـجاوز للأفـراد، ومن ثم بين عدة ذوات- تكون اللغة بالنسبة للاكان إذن بمعنى حصيلة لفظية مشتركة أو أداة قاعدية عرفية، وليست وسيلة لتأسيس الإجمـاع، بل وسيطًا للإنتاج والإقرار بالاختلاف، الذي يشكل محوره التفريق بين الأنا والآخر.

ويمكن أن تُستخدم اللغة لذلك فقط لأن قدرتها على العرض (الوصف) تقوم على آلية اختلاف: أن يُعني شيء آخر/ غير ما يقال 210 حقيقةً، هو قرة ملازمة للغة[39]. وقد كان فرويد قد فسر نطق ما يقال، الانحراف عن معنى ما يقال بأنه خاصية لنشاط سيميوطيقي لما هو لا شعوري. ويزعم لاكان تشاكلاً (Homologie) بين اللغة وما هو لاشعوري باعتبار أن كليهما يعد أماكن إنتاج اختلاف سيميوطيقي . وتتبع مقبولية هذا التشاكل ابتداءً مقبولية التصور اللغوي الخاص بنظرية الاختلاف ذاته. وإليه يجب أن نتجه الآن. ويظفر لاكان بهذا التصور في الانطلاق علم اللغة البنيوي القائم على دي سوسير [40]، الذي يحوله في الحقيقة بشكل جذري.

يمكن لكان أن يربط بسوسير، باعتبار أنه لم يفهم اللغة على أنها تمثيل لما هو غير لغوي، بل هي نطق (تلفظ). ولا ينشأ المعنى _ الذي فهم على أنه علامة- بالنسبة لسوسير من خلال إحالة، بل من خلال اختلافات بين العلامات. وفي الواقع يجب أن يفترض سوسير، وبذلك يمكن أن تؤثر آلية الاختلاف في اللغة، اللغة بوصفها نظامًا تامًا للعلامات، وهكذا يجردها من حركتها في الزمن.

ويرمى تحويل لاكان لسوسير في الأساس إلى تجريد من الزمن تُشكَّل من خلاله بشكل انسيابي بنية ثابتة اختلافية، وتُوضَع في حركة، وتُعدَّل إلى

(39) لاكان 1975 (كتابات 2)، ص29 (بالفرنسية: 1966 ، مجلد1 ، ص262).

(40) حول ذلك: لانج 1973 ، وفيبر 1978 ، وتايشمان 1983.

حدث اختلاف. وبذلك يفقد تفريق سوسير بين> اللغة< خارج الزمن، و>الكلام < داخل الزمن أساسَه.

ويمكن في خمس خطوات أن يعاد بناء تحويل لاكان للتصور اللغوي البنيوي:

(١) يضع سوسير التفريق بين علامة ومعنى في العلامة ذاتها ، التي تصير إلى الربط بين دال ومدلول، ويتضمن هذا الربط أسبقية الدال، بحيث إنه يعاد إنشاء نوع من علاقة التمثيل بين ما هو فكري وما هو مادي، ولكن هذه المرة داخل العلامة: فالمدلول يمثل الدال. ويتلقى لاكان هذا الربط المتدرج لسوسير بين د/ م (دال عبر مدلول) ، ولكنه يقلبه على رأسه: م/ د (مدلول عبر دال). في الأعلى يكون المدلول الآن، وفي الأسفل الدال، / ولا يكون بينهما ببساطة ربط، بل حاجز يستخدم كعائق.بمَ يظفر لاكان ٢١١ بهذا القلب؟ الآن لم يعد المدلول يمثل الدال . وكل الآليات اللغوية تستند إلى المدلول الممكن تمركزه مكانيًا ـ وزمانيًا. ويشير إلى ذلك الحاجز بين المدلول والدال. وبذلك لا يصير المعنى مجهوراً، بل يعاد تحديده: باستعمال مجازي لجردا باجل: >المعنى هو ما يحسب، ولا يحكي، ما يجعل الذات متكلمة، وليس ما يقصد لغويًا< (٤١). كيف يجب أن نتصور هذا؟

(٢) متى لا يمثل المدلول الدال، وإلامَ يشير إذن؟ هنا يرد الحديث عن إعادة التفسير الآتي لسوسير، دينامية بنيته للعلامات. لأن المدلول لا يقدم

---

(٤١) باجل ١٩٨٩ ، ص٤٥.

دائمًا إلا بوصفه سلسلة مدلولية. وصورة لاكان لهذه السلسلة هي >حلقات، تُكيَّف في سلسلة مع حلقة سلسلة أخرى، تتكون تارة أخرى من حلقات< (٤٢). وفي الواقع ليست هذه الصورة من خلال خصائصها المتشكلة مكانيًا كافية: فالعلاقة بين المدلولات في تدفق، ويدرك بوصفه > انزلاقًا <(٤٣)، بحيث إنه يكون لاحقًا من خلال أن ما يدل ينزلق تحت المدلول، وينشأ الدال بوصفه > معنى< . ويتعلق هذا بأن المعنى لا يولد إلا من خلال أن يشير مدلول إلى آخر، بحيث يقع موقعه. وبذلك ينشأ مجال تأثيره، >يُكوِّن المدلول، وبذلك يكون للمعنى موضع فيه<. (٤٤) فكل دال كان في البداية مدلولاً. ويكون الدال مدلولاً في موقع الدال.

ما طبيعة مجال التأثير هذا؟ لقد فرق سوسير بين محورين لخاصية اللغة: فعلى المحور الأفقي (النحوي) يدور الأمر حول تسلسل أفقي للكلمات إلى جمل: التأليف المنشأ> في حال حضور <للعلامات . وعلى المحور الرأسي (الصرفي) يدور الأمر حول اختيار كلمة من عدد كبير من كلمات ممكنة أخرى: الاختيار المنجز >في حال غياب< من بين علامات. ويفسر رومان ياكوبسون هذا التفريق تفسيراً بلاغيًا، وبذلك بوصفه فرقًا بين نهجين لغويين أسلوبيين، الكناية، والاستعارة: / ففي البعد الأفقي ٢١٢ تستقر الكناية. وتقوم على التأليف بمعنى ربط كلمة بكلمة، حين يشير جزء

(٤٢) لاكان ١٩٧٥ (كتابات ٢)، ص٢٩ (بالفرنسية: ١٩٦٦ ، مجلد١ ، ص٢٦٢).

(٤٣) لاكان ١٩٧٥ (كتابات ٢)، ص٢٦ (بالفرنسية: ١٩٦٦ ، مجلد١ ، ص٢٦٠).

(٤٤) لاكان ١٩٧٥ (كتابات ٢)، ص٣١ (بالفرنسية: ١٩٦٦ ، مجلد١ ، ص٢٦٤).

إلى كل. >٣٠ شراعًـا< لـ >٣٠سفـينة شراعـية.< وعلى المسـتوى الرأسي يمكن أن تتمركـز الاستعارات : فهي تستخـدم الاستبدال تبعًا للمـبدأ كلمة بدلاً من أخـرى. وهكذا نرى أن: السلسـلة المدلوليـة تتـحقـق في شكل عمليتين: الكناية والاستعارة.

وفي كلتـا الحـالتين يـدور الأمـر حـول حـركـة للمـدلولات مـولدة للمعنى، نكتـها- وهو ما يهـمنا هنا- أنه عندئذ ينشأ اخـتلاف بين >قول< و>معنى< . ويختصر لاكان: >ما تكشف عنه هذه البنيـة للسلسلة المدلولية هو إمكانيتي، وبدقة بالقدر الذي تكون فيه لغـتها مشتركة بيني وبين ذوات أخرى، ويعني هذا كيف توجـد هذه اللغة لإمكان استخـدامها لوصف كل شيء آخر بأنه من ثم ما تقوله< [٤٥].

(٣) بذلك ليس للمدلول ـ بمعنى دقـيق- هوية مرتبطة بشكل مـعين بل هو عمليـة تُولد الهوية أسـاسًا- إلى هذا نبَّه صـمويل ڤيـبر بحق [٤٦]. فـالمدلول شكلي. ولذلك أيضًا يـصيـر الحرف بالنسـبة للاكـان التجـسيـد للمدلول، وعـلى نحو مغـاير لسوسيـر وياكوبسـون اللذين جعـلا الفونيم العنصر الأسـاسي للغة، لا يكون بالنسـبة للاكـان- سبق إلى ذلك دريدا- الصوت أو الصورة الصوتية، بل الحرف> الطبقة التـحتية < لطرائق لغوية. وهذا فقط نتيـجة أن لاكان يطلق على نموذجه للبنية الداخليـة للعلامة م/ د > النمـوذج الخوارزمي<. ويفهم تحت >النمـوذج الخوارزمي< عادةً حكم

(٤٥) لاكان ١٩٧٥ (كتابات ٢)، ص٢٩ (بالفرنسية: ١٩٦٦ ، مجلد١ ، ص٢٦٢).
(٤٦) ڤيبر ١٩٧٨ ، ص٥٧.

واضح لا يُعـرَض إلا في وسيط الحـروف. ومن ثم يحول لاكـان م/ د إلى ص (ج١)/ د ، ويطور من هذه الصياغة مرة أخـرى عروضًا شكلية للكناية والاستعارة(٤٧). لا نريد هنا أن نستمـر في تتبع هذا ، من المهم فقط هنا أن نؤكد أن تراجع لاكـان عن التصـور اللغوي البنيوي يسـتقـر تحديداً في أنه بالنسبة للاكان يقدم الحرف النمط الأصل لمدلول(٤٨).

(٤) يكتـشف لاكـان (أو من الأفـضل : يُكوِّن؟) تشـابهًـا/ بين العـمليتـين اللغويتين الكـناية والاستـعـارة وعمليـتي مـا هو لا شعـوري، >التكثيف< و > التغير<، اللذين عالجهـما فرويد في تفسيـر الحلم. ففرويد يحلل النشاط السيميـوطيقي لما هو لاشعوري بأنه خط الصور(٤٩)، والحلم بأنه لغز الصـور، ويضع في ذلك ـ على كل حـال تفسـير لاكـان ـ صور الحلم >في قيـمة مدلولهـا فقط< ، أي من ناحية شكليـة ، حيث يعرض أن >هذه القيـمة لمدلول الصورة لا علاقة لـها بمعناها، و(يرتكز) في ذلك على الهيروغليفية المصرية<(٥٠)، ويعد التكثيف والتغييـر تجليان لعمليات ما هو لا شعوري، التي لا تعمل بالنسبة لفرويد في الحلم فقط، بل في النكتة وفي الإنجـازات الخاطئـة اللغـوية، مـثل زلة اللسـان أيضًا: ويفـهم فـرويد تحت

٢١٣

---

(٤٧) لاكان ١٩٧٥ (كتابات ٢)، ص٤٠ (بالفرنسية: ١٩٦٦ ، مجلد١ ، ص٢٧٣).

(٤٨) لاكان ١٩٧٥ (كتابات ٢)، ص١٥-٥٥ (بالفرنسية: ١٩٦٦ ، مجلد١ ، ص٢٤٧-٢٨٩).

(٤٩) فرويد ، تفسير الحلم في GW 11/111 ، ص٢٨٣.

(٥٠) لاكان ١٩٧٥ (كتابات ٢)، ص٢٩ (بالفرنسية: ١٩٦٦ ، مجلد١ ، ص٢٨٣).

>التكثيف< التداخل ، التوالي للمدلولات بعضها فوق بعض، حيث ـ في قراءة لاكان- يبعد المدلول الأول إلى موقع الدال: هنا يتعلق الأمر بعملية مطابقة لبناء الاستعارة- ويقصد فرويد ، بالتعيير زحزحة، تغيير المعنى، النهج الأثير لما هو لا شعوري ،الإفلات من الرقابة [٥١]. إن عمل الحلم- هكذا يلخص لاكان ـ يتبع >قواعد المدلول< [٥٢]. فما هو لا شعوري >يعمل< مثل اللغة.

(٥) لكن هل لا يقف هذا الفرض لتوازٍ بين عمليات اللغة وما هو لا شعوري على أقدام فخارية كليةً؟ تتبع الاستعارة والكناية- على كل حال حسب الفهم اللغوي اليومي- الكلامَ الشعري ـ التصويري . وفي الحقيقة يبدو أنه من غير المعقول العثور على مطابقة بين لغة الحلم، وتلك الصور ، >لكلام غير حقيقي< . ولكن أليس هذا بالأحرى- في رؤية / ٢١٤ ڤيتجنشتاين ـ منظوراً ـ يقتفى أثر >تعطيل اللغة< وليس >عملها< ؟

---

(٥١) >يعني التكثيف، بالفرنسية condensation، بنية التحميل الزائد للمدلولات ، التي تشغل فيها الاستعارة مجالها، حيث يشير مصطلح > التكثيف<إلى أن هذه الآلية لها طبيعة الشعر، وذلك بقدر ما يتضمن وظيفته التراثي حقيقةً. أما التغيير، وهو في الفرنسية déplacemet يقترب من المصطلح الألماني، فهو هذا التغيير للمعنى الذي تبينه الكناية، وينظر إليه منذ ظهور لدى فرويد على أنه تلك الوسيلة لما هو لا شعوري التي تعد مناسبة على أفضل وجه للالتفاف حول الرقابة (الإفلات منها) > لاكان ١٩٧٥ (كتابات٢) ، ص٣٦ (بالفرنسية :١٩٦٦ ، مجلد ١ ، ص٢٦٩).

(٥٢) لاكان ١٩٧٥ (كتابات ٢)، ص٢٩ (بالفرنسية: ١٩٦٦ ، مجلد١ ، ص٢٧٠).

كيف يستطيع لاكان ، وهو يطابق الاستعارة ببناء الظاهرة، والكناية بالرغبة [٥٣]، أن يستخلص استنتاجًا بعيد المدى مثل أن ما هو شعوي يتكون مثل اللغة، بحيث يصير التحليل النفسي والنظرية اللغوية بالنسبة للاكان إجراءين عقليين مقترنين؟ ويقدم لاكان إجابة عن هذا السؤال كتابات متأخرة، يحاول فيها أن يبين أن الخواص التي حللها لحركة المدلول لا تسري على اللغة الشعرية فقط، بل على اللغة الشكلية، والرياضية أيضًا[٥٤]. هذا نوع من اللغة التي تنتج من تأليف علامات مكتوبة[٥٥] و-كنظام وصف- تبلغ أوجها في أبجدية ثنائية، يمكن أن تُنقَل إليها كل علامات الأعداد ، وكل علامات اللغة أيضًا. ولكنها أبجدية لا تتركب إلا من علامتين، حيث تُبنى على الاختلاف بين >فارغ< و>مملوء< ، بين <o> و>I<، بين غياب ووجود. وفي المنظور الخاص بنظرية الرمز يكون بالنسبة للاكان ما هو مكاني موجوداً فقط بوصفه مكانًا شاغراً[٥٦]، يفتح حركة تبادل مكاني. يُحدَّد بوصفه إحلالاً للمدلولات الحياة الخاصة لما هو رمزي. والإيقاع الأساسي لهذه الحركة هو جعل مكان ما خاليًا، وشغله مرة

---

(٥٣) لاكان ١٩٧٥ (كتابات ٢)، ص٥٥ (بالفرنسية: ١٩٦٦ ، مجلد١ ، ص٢٨٨).

(٥٤) حول هذا الانتقال >لعالم ما هو رمزي إلى عالم الآلة< من خلال التشكل: كيتلر ١٩٩٣ ، تولن ١٩٩٤.

(٥٥) لاكان ١٩٧٥ (كتابات ٢)، ص٣٨٠ يتحدث هنا عن >علم تكوين الأمكنة في ذاته< ، ويصفه بأنه علم حدسي.

(٥٦) لاكان ١٩٧٥ (الحلقة الدراسية كتاب ٢)، ص٣٧٩ (بالفرنسية: ١٩٧٣ وما بعدها، مجلد٢ ، ص٣٤٤).

أخرى، ولكن هذا إيقاع ، يمكن أن يدمج لآلة أيضًا. ويتحول التأليف اللغوي في هذا الموضع إلى آلة كوبرنيكية، حيث تحاكي التتابعات O/ ١ اللغة الثنائية بفتح وإغلاق دوائر كهربائية، ومن ثم تُحقَّق فيزيائيًا بوصفها عمليات آلية.

٦- الإبداع من خلال إحلال وتبديل مكاني، ونيابة

/ انطلاقاً من هذه العلاقة بين آلية الأرواح والآلية اللغوية والآلية ٢١٥ الكوبرنيكية يسقط مرة أخرى ضوء، يكسب فكرة لاكان عن اللغة ملمحًا. وذلك أنه بالنسبة للاكان تقدم اللغة بوصفها كلامًا فقط، وما يعني هذا الكلام يحصل عليه في نموذج الحديث التحليلي النفسي. ومع ذلك يبين لاكان انجذابًا إلى الكتابة، وذلك بدقة أيضًا إلى الكتابة الشكلية، التي لا تنبثق عن نقل اللغة المنطوقة[٥٧]. فالحرف أشبه بالمدلول بوجه عام. ولهذا سببه في أن الحرف يتجسد، وهو يحدد ما هو رمزي أساسًا: بالنظر إلى المكان الذي يشغله شيء يمكن استبداله. فالرمز بالنسبة للاكان هو ذلك الذي يُستبدَل، وهو نفسه يحل محل: فالنيابة ليست بالنظر إلى المحتوى ، بل إلى المكان. ولا يمكن أن يفهم هذا > الإحلال< على أنه بنية مجردة _

(٥٧) حول الأولوية للحروف المقال> إزاحة الحرف فيما هو لا شعوري أو العقل منذ فرويد< في : لاكان ١٩٧٥ (كتابات ٢) ، ص١٥-٥٥ ، حول الأولوية للغة الشكلية والآلية الكوبرنيكية: >التحليل النفسي والكوبرنيكية أو عن طبيعة اللغة< ، في : لاكان ١٩٨٠ (الحلقة الدراسية ، كتاب٢)، ص٣٧٣- ٣٩١ (بالفرنسية: ١: ١٩٦٦ ، ص٢٤٧- ٢٨٩ ، ٢: ١٩٧٣ وما بعدها، مجلد ٢، ص٣٣٩ _ ٣٥٤).

في- مكان، بل بأنه عملية محددة _ في _ الزمن. فالكلام هو الإنجاز المرتبط زمنيًا بهذا الشيء الذي يمكن أن يرد في موضع شيء آخر. وبذلك ينشئ التصور اللغوي للاكان تعايشًا بين فكرتين معروفتين، ومتواليتين تاريخيًا ومتعارضتين في الوقت نفسه: هناك من جهة تصور التمثيل >كلمة تحيل إلى شيء< الذي يفهم بأنه علاقة اعتماد بين عالم ورمز، وهناك من جهة أخرى تصور الاختلاف ، الذي يفسر بأنه علامة اعتماد بين العلامات ذاتها فقط. ولا يتأخر لاكان بمراعاته لمبدأ النائب خلف سوسير، بل يتجاوزه ، حيث ينقل الـ >كلمة تحيل إلى شيء< إلى الاختلاف، ويطبقها عليه، ويعمل من خلال ذلك تشكل دينامي وزمني لما هو رمزي : فما هو رمزي- سواء أكان طريقة عمل لما هو لاشعوري أو للآلة أو اللغة- هو عملية مستمرة، يتزحزح معها شي إلى موضع شيء آخر أو تمثل أو تقصي علامة علامة أخرى، / تقدم كلمة ما الأخرى، نقول شيئًا ، ومن ثم نعني شيئًا ٢١٦ آخر. هذا ليس مبدأ الاستعارة والكناية في الكلام، والتغيير والتكثيف في الجهاز الروحي، والإغلاق والتوقف في الدورة الكوبرنيكية ، بل هذا مبدأ الإبداع بوجه عام، ولا ينم هذا النشاط المتواصل للإحلال عن نقص تكويني في الوجود الإنساني، بل هو مبدأ تطور ثقافة إنسانية مطلقًا. فكلامنا يجسد هذا الإنجاز المؤسس للثقافة، وذلك- وهذا مرام لاكان- في تلك الأبعاد، التي يتلفظ فيها العقل أو الفكر أو الوعي.

١٢- جاك دريدا

الكتابة شرط لإمكان اللغة وعدم إمكانها

جاك دريدا

الكتابة شرط لإمكان اللغة وعدم إمكانها

>سوف نحاول أن نبين أنه لا توجد

علامة لغوية، تتقدم على الكتابة<[1].

١- تجاوز اللغة كعلامة

٢١٧ / حين يصير التفريق المتدرج بين القاعدة وتطبيق القاعدة خلافيًا بالنسبة لڤيتجنشتاين ، أو حين يعدل ديفيدسُن في تفسير الفهم عن شرط لغة مشتركة، فإننا يمكن أن نقول أيضًا: هؤلاء المؤلفون يحرمون اللغة أسبقيتها المنطقية- النسبية في مقابل الكلام، باعتبار أنه بالنسبة لهم يصير التفريق بين اللغة والكلام- لسببٍ أو لآخر _ باطلاً. ويسري هذا على كل المفكرين اللغويين تقريبًا الذين ألحقوا هنا بالمجموعة الناقدة للعقل.

وحين نصل إلى جاك دريدا نصطدم بفارق واضح: فدريدا لا ينبذ ببساطة التفريق بين اللغة والكلام، ومن ثم كمًا كبيراً من تفريقات أخرى خاصة بالنظرية اللغوية، بل يحاول أن يفكر في هذه المفاهيم على نحو ممكن بالغ الإخلاص ...[2] لا ينتقد دريدا المصطلحات الموروثة الخاصة

---

(١) دريدا ١٩٧٤ (علم النحو) ، ص ٢٩ (بالفرنسية : ١٩٧٦ب ، ص٢٦).

(٢) دريدا ١٩٨٦ (مواقف) ، ص٣٨.

بالنظرية اللغوية، وعلاقـاتها بعضها ببعض، بل يقول بهـا ويعمل بها. وقد أدخل لهذا العمل مفهوم> التفكيك< Dékonstruktion (٣) .

وينشأ نتيجة لهذا التـفكيك تحويل، ويتسم بأنه معضلة (إشكالية) (*) ويؤدي التحـويلَ بأنه من اللغة بوصـفهـا نظامًا اعتـباطيًـا للعلامـات تُفهَم >الكتابة< لدى دريدا بأنها أثر، ولـم تعد اللغة بـالنسبة له شرطًا للكلام ، بل تصيـر الكتابة شرطَ اللغـة. ومع ذلك يصب هذا التحويل في الوقت نفـسه في معـضلة (إشكالية جدليـة) ، يمكن أن يتضح منهـا أنه لا يجب أن يساء فهم دريـدًا بأنه فيلسـوف تعالٍ Transzendental للكتابة , لأن / الكتابة لا ٢١٨ تشهد بالنسبة له بشرط الإمكان فقط، بل بعدم إمكان اللغة أيضًا.

وبذلك يُعني بصـعـوبات الفـهم: كيف يمكـن أن يصيـر مـقبـولاً أن الكتـابة تسـبق اللغـة، حين ينطق اللغـة ، حين ينطق- في العـادة- أولاً ثم يكتب، وتحدد الكتابة تقـريبًا بأنها >لغة مكتوبة< ؟ (٤) يمكن أن تستلزم هذه المقبولية حجاجًـا حسن السير: تفهم أسبقية الكتابة في مـقابل اللغة بمفهوم تكوين كتابي، وليس خاصـيتنا اللغوية لذاتها، بل اللغة بوصفهـا موضوعًا

---

(٣) حول ذلك : كلر ١٩٨٨، تـيما ١٩٩٤.

(*) يعني المصطلح اليوناني الأصل Aporie و (Aporizität) مسألة جـدلية أو إشكالية جدلية أو معضلة لا حل لها. ولكنها تعني لدى دريدا تقابلاً مفهوميًا، أي مسألة ضدية، تجمع بين الشيء ونقيضه. مثلاً: الكتـابة شرط لإمكان التفريق بين اللغة والكلام، وعدم إمكانه.

(٤) تعد الكتابة >كم علامات خطية، تثبت بها اللغة المنطوقة<. جونتر / لودفيج ١٩٩٤ .

نظريًا لعلم اللغـة. وفي أفق > مبـدأ النسبـية اللغـوية [٥]< تصوغ صـفات وسيلةَ العـرض (الكتابية) مـا يمكن أن يظهر كمـوضوع لغوي بوجـه عام. فقط: هذا ليس ما يقصد إليـه دريدا. فدريدا ليس مُنَظِّر وسائط للكتابة، بل فيـلسوف الكتـابة. ويعني أن تتفلـسف بالنسبـة له أن يستـبكن المعضـلات (الإشكاليـة الجـدلية) وأن تجيـزها [٦]. وباسم تأمله اللغـوي القـائم على الكتابة يبرز معـضلات في فكرنا، لها علاقة كافيـة بأن إنعام النظر في اللغة يجب أن يتـجاوز دائمًـا أيضًا حدود الـلغة. هذا التـجاوز للحـدود يحقـقه دريدا بشكل أدائي حيث لا يتـأمل في هذه الحدود فقط، بل يضعـها نصب عينيه من خـلال طرائق غير خطابية، وغير لـغوية. ومن اللافت للنظر أيضًا لدى لاكان الملامح الأدائية لكتابته، وتعمل الـ >ماهية< والـ > كيفية< معًا، باعتبـار أن أسلوب الكتابة لدى لا كان يحاكي في الوقت نفـسه طرائق لغة ما هو لاشـعوري التي يجعلهـا موضوعًـا. بيد أن ما هو لا شـعوري ظل ـ وهذا هو غرض لاكان- باسـتمرار شكلاً للغة. وما يقـول لا كان دائمًا عن اللغة يتبع النـظام الرمزي لما هو خطابي... ومع ذلك يريد دريدا أن يبين أن اللغـة شكل للكتـابة، ولكن الكتـابة نفـسـها لم تعـد تعـمل وفق >منطق< العلامات. يحل دريدا ـ وهذه النقطة البارزة ـ الربط بين اللغة والعـلامة. فحين تكون الكتابة شـرط إمكان اللغة وعدم إمكانها فـإن هذا بمقتضى دور

---

(٥) شتيتر ١٩٩٧ ، ص١٣١.

(٦) دريدا ١٩٩٦ (معـضلات) ، ص١٣ وما بعـدها ، اقتبـاس نقلاً عن كيـمرله ١٩٩٧، ص١٧٩.

٢١٩ مزدوج: فهي في الوقت نفسه تجسيد وقلب/ لمفهومنا للعلامة. إن تصور الكتابة لدى دريدا يشرح بُعد ما هو غير سيميوطيقي وما هو غير خطابي في اللغة ذاتها، يفعل هذا، وهو يتبنى الفكرة التقليدية التي جعلها دي سوسير مرة أخرى محكًا عن اللغة بأنها نظام علامات اعتباطي ، ولا ينتقدها ببساطة، بل يفككها . يجب أن نتجه الآن إلى هذا النهج >للتفكيك<.

٢- ماذا يعني >التفكيك<؟

لننطلق من ظاهرة مميزة لدريدا : فنصوصه كلها تقريبًا وضعت كمراجعات لنصوص أخرى: لأفلاطون، وروسو، وكانط، وهيجل ، ونيتشه، وفرويد، وهوسرل، وسوسير، وهايدجر، وأوستن ، وليفينا. ولا تقع قراءة كتابات آخرين، والتفلسف الذاتي في واحد على هذا النحو لدى أي فيلسوف آخر.

فلماذا الأمر كذلك؟ توجد عن ذلك إجابة بسيطة، ولكنها متسرعة: فدريدا يختار نصوصًا ذات طراوة لصورته عن ما وراء الطبيعة الغربية. ففي هذه الصورة يكون ما وراء الطبيعة دائمًا ما وراء طبيعة- حضور أو ما وراء طبيعة- المطابقة. وربما يكمن مسلكه في نقد نصوص ما وراء الطبيعة في إثر نيتشه وهايدجر، حيث يجعل الحضور بدلاً من الغياب، والاختلاف بدلاً من المطابقة المعرفةَ الفكرية الأساسية والأساس النظري ، فقط: على هذا النحو لا يسلك دريدا. فهدفه ليس على الإطلاق نقض مفاهيم ما وراء

طبيعية، ومن ثم التغلب عليها، مثل >الحضور< أو >المطابقة<. على العكس من ذلك: نحن ندين بالفضل لدريدا في تصور بالغ الدقة للحضور، بوصفه النقطة التي يمكن يفترق فيها الماضي والمستقبل، وللمطابقة، بوصفها شيئًا لا يتقدم على التكرير ، بل لا تُولَّد وتثُبَت إلا من خلال التكرير. ولا يُفسَّر التفكيك- هذا ما أكده بشدة برترم آخر الأمر- بأية حالة بأنه نقد للطبيعة(٧).

٢٢٠ لنفكر لماذا الأمر كذلك. فكل النصوص ، التي اهتم بها دريدا ، فيها شيء مشترك: فهي تدخل مفاهيم تقابلية : / الروح/ الجسد، والوضوح/ الحسية، والثقافة/ الطبيعة، والدال/ المدلول، واللغة/ الكتابة، والشيء/ الظاهرة، ومتعالٍ/ إمبيريقي ، بحيث تحُدَّد هذه التقابلات بأنها تدرجات ، يفرق من خلالها بين ما هو أساسي وما هو ثانوي، وما هو جوهري وما هو مستنبط، وما هو دال وما هو هامشي. وما يهم دريدا في هذه الثنائيات المفهومية المتدرجة ليس ببساطة علاقة التبعية لجانب ضمن الآخر المتضمنة فيها، بل ألا يُبرز ويحدد في نطاق علاقة التبعية هذه المفهوم الأساسي فقط، بل ـ سواء أكان مقبولاً أو مرفوضًا- المفهوم الثاني أيضًا. ولذلك يكون كل نص يحاول أن يؤسس أولوية مفهوم فى تجاه آخر، نصًا في الوقت نفسه أيضًا، يرجع إليه المفهوم الاشتقاقي الفضل في تكوين وطابعه. ويعني وضعُ جانب تابعًا للجانب الآخر باستمرار أيضًا الإقرار لكلا المفهومين

(٧) احتج برترم ١٩٩٩،ص٢٢٢ بشكل مقنع بأن >التفكيك لا يمكن أن يفهم في سياق نقد الطبيعة<.

باختلافهما. وهذه النظرة في الدور المزدوج الأرضية لنصوص ما وراء طبيعة هي> اكتشاف< دريدا . والتفكيك هو نهج يستبطن دور النصوص في إبراز، من خلال تدرجات مفهومية، ليس المفهوم الأساسي فقط، بل المفهوم الثانوي أيضًا ، ومن ثم تأسيس اختلاف مفهومي مندمج بشكل غير تام في علاقة التبعية.

الآن يمكننا أن نفهم أيضًا لماذا لا ينبغي أن يُوصف التفكيك بأن التبعية الموضوعة في مخطط مفهومسي ثنائي تغير ببساطة أقطابها: فبالنسبة لدريدا يتعلق الأمر ببيان أن تقابلاً اصطلاحيًا يعني أكثر من أن يعبر عنه في نطاق ثباته المتدرج- سواء أكان وفق هذا الجانب أو ذاك. وبذلك تخفي نصوص ما وراء طبيعية، تستهدف نظامًا لمفاهيم متضادة، في الوقت نفسه قدرة على إمكان هدم هذا النظام أيضًا. ويكون هذا النص نفسه الذي يمتلك هذه الطاقة للهدم- يطلق عليه دريداً انتشاراً [٨]. وفى مراجعاته يبسط دريدا هذه القدرة على الهدم.

وفي الواقع يشترط هذا تعاملاً مع النصوص منحرفًا عن القراءة والتفسير العاديين. فالأمر لا يتعلق بالنسبة لدريدا بفهم مؤلف بمعنى المقاصد/ التي تربط هذا بكتابته . وليس أيضًا بتحديد موقفي لنصوص في ٢٢١ سياق تاريخي حتى يوضح معناها من خلال ذلك. ولا يضع دريدا نصًا على الإطلاق في علاقة بشيء خارج النص- يكون هذا مقاصد المؤلف أو سياقات تاريخية. بل يدور الأمر حول شيء يكون >داخل< النص ذاته، وفي الواقع لا يتجلى هذا إلا حين يفهم النص بأنه ظاهر في الوقت نفسه،

---

(٨) دريدا ١٩٩٥ (تناثر).

بوصـفه نسـيـجًا: وكنسـيج[٩] يعـد النصوص مـادة، يمكن أن يُصنع بهـا >شيء<، مثلاً من خلال أساليب كتـابة، كالاقتباس ، والكتابة المائلة، ونقل الفقـرات، وحذف كلمات، وإبراز العناصـر البلاغيـة ، وتغييـر الحروف.. إلخ. ولذلك يمكن لدى دريدًا أن تتـداخل القـراءة والكتابيـة بعضـهمـا في بعض: تغيـر قراءة دريدا حـقـيـقةً النصـوص المقـروءة، وذلك بحـيث إنه بوسائـل النص يُحَرِّك شيء. وهو مـا يمكن أن يُظهر مـا لـم يقل في النص. ويظهـر الـتـفكيك نصًّا مــا بمظهـر ـ مـثل الصـورة المـعكوسـة لأحـرف مطبوعة[١٠]- أن يرد أمام العين> مسودته المضاد-< أي ما تقع بين أسطره.

ومع هذا الإعداد لنصوص يمكن أن يُفرق بين ثلاثة أبعاد إستراتيجية. وفي الواقع لا يجوز أن يساء فهمها على أنهـا خطوات متوالية . (١) تحييد تدرجات مفـهومية تأسيـسية من خلال إعـلاء شأن (قيمة) مـفهوم ثانوي . ونريد أن نطلق على هذا >استراتيجـية الثانوية<. (٢) إعادة خلق تعـبيرات لغوية بواسطة تحويل لكلمـات، لم تعد تقوم بوظيفة مفـهوم بمعنى تقليدي. ونريد أن نطلق على هذا >استراتيجية التطعيم<. (٣) إثبات تعدد القيمة أو عدم إمكان حسم، يتـجلى حين تُفتح وتُتجاوز حـدود النظام المفهومي من خلال تطعيم. ونريد أن نطلق على هذا > استراتيـجية الإشكاليـة الجدلية<.

---

(٩) حول المفهوم >نسيج<: >للكتابة دائمًا شكل بناء نص، ويكمن هذا في ربط عناصر- كلمـات، وجـمل، وعلامـات أخـرى- بنسـيج نصي . فالـنص هو ذلك الذي يكتب، ويفهم، والنسـيج النصي هو ما يكون مكتوبًا، ويقرأ < . شتيتر ١٩٩٧، ص٢٩٤.

(١٠) كيمرله ١٩٩٧و ص٢٤.

ويمكن أن تعاد تأملات دريدا اللغوية في تضافر مع هذه الاستراتيجيات الثلاث.

٣- تذييل ١: حول التضارب في النصوص الكلاسيكية حول الكتابة

/ يتعلق التفكيك الذي نُعني به هنا بالعلاقة بين اللغة والكتابة. وفي ٢٢٢ ذلك يقِّرب دريدا الكتابة إلى ذلك الموضع، الذي كان _ في التأمل الغربي- محتفظًا به للغة: >فمع حركة حذرة، نادراً ما تدرك حتميتها، يبدأ كل ما سعى إلى جمعه لفترة قرنين تقريبًا تحت مصطلح اللغة، ومن ثم حقق أيضًا آخر الأمر نجاحًا للانتقال إلى مصطلح الكتابة ، على الأقل أن يُجمَل تحت ذلك... يبدو أن الكتابة ربما تشتمل على اللغة (في كل معاني هذه الكلمة)< [(١١)] . فما تعني >اللغة< ،أو يُشمَل عليه فى نموذج الكتابة، هو قصد جدير بالاعتبار. لأنه منذ القدم حتى سوسير يتبين الرباط المشترك لاقتناع بأن الكتابة معه تكون ظاهرة مستنبطة في مقابل اللغة. وتعد الكتابة >علامة العلامات<، ترميزًا ثانويًا للغة الصوتية، التي تشكل من جهتها نظام التمثيل الأساسي. فكل حركة ما وراء طبيعية، تكمن في خلق تقابل مفهومي وفي الالتصاق بالمخطط > أساسي _ ثانوي < تبعًا له بوصفه تدرجًا مفهومياً، توصل في علاقة اللغة بالكتابة إلى تشكيل نمطي أصلي. وفضلاً عن ذلك تسير مع أولوية اللغة وثانوية الكتابة نظرية اللغة والفهم اليومي للغة يدًا بيد: فنحن نتكلم، قبل أن نتعلم الكتابة. فلا توجد ثقافة

---

(١١) دريدا ١٩٧٤ (علم النحو) ، ص ١٧ (بالفرنسية : ١٩٦٧، ص١٤).

بدون لغة، ولكن توجد ثقافات كثيرة دون كتابة. وكيف يمكن أن يوصف الاختراع اليوناني للأبجدية حين لا تُوصَف من خلال اختراع الحروف التي تنقل أصواتًا؟

وهكذا تبدو إعادة تفسير دريدا للعلاقة بين اللغة والكتابة تسير في تضاد مع النظريات السائرة، ومع حدوسنا اليومية أيضًا. ولكن هل تصح هذه الصورة التي تقدم لنا حدسًا ونظرية؟ يرى دريدا على الأقل ما هو خلاف ذلك: لأن التقابلات لا يراها تعمل إلا في اللحظة ، التي يضع فيها هو نفسه إتباع الكتابة في مقابل اللغة موضع تساؤل، بل قد فُسِّر وعُلِّل بوصفه هذه الفكرة لثانوية الكتابة./ ولا تعد النصوص التي صارت معياراً ٢٢٣ لاستبدال الكتابة باللغة- في منظور دريدا _ بأية حال متماسكة، بل تتضارب هي ذاتها بعضها مع بعض، ويسري هذا على نقد أفلاطون للكتابة، وكذلك على تحديد روسو للكتابة بأنها مكملة، وأخيراً على اختزال سوسير للكتابة في تمثيل اللغة.

لنشر إلى أوضاع التعارض داخل هذه النصوص الكلاسيكية على الأقل.

لدى أفلاطون تؤدي الكتابة دوراً مزدوجًا، فبوصفها اللغة التي جعلت وسيلة تخزين، ومُثِّلت خطيًا، التي انفصلت عن المتكلم ويمكن أن تدور بشكل غير مقيد، تُجرَّد في فيدروس، وتُجَاز على كل حال بوصفها دعامة خارجية للذاكرة(١٢). وبوصفها استعارة لأثر مكتوب، يمكن أيضًا أن

(١٢) أفلاطون ، فيدروس ، ص٢٥٧ ب- ٢٧٦ب.

تقيد في الروح، تصير المخزون الصوري لكتابة جيدة، وتظهر في هذا البعد في عدد كبير من أفكار أونطولوجية، وسياسية، ونظرية لغوية أيضًا لدى أفلاطون. وتبلغ هذه الازدواجية القمة بالنسبة لدريدا في >مادة سحرية العلامة<(١٣) التي استخدمها أفلاطون عند تصوير أساطيره عن اختراع الكتابة (١٤). لأن هذه الكلمة اليونانية pharmakon تعني أمرين: دواء وسمًا. وتورد فيدروس، وثيقة تأسيس إنكار الكتابة، في الوقت نفسه تعددًا في المعنى، تناقضًا معلقًا في الحكم على الكتابة، وتتغذى ـ في بعض المواضع من عدم الحسم هذا أيضًا(١٥).

ونقابل هذا التعدد في المعنى مرة أخرى لدى جان ـ جاك روسو ويستخدم دريدا لبيان ذلك لعبة لفظية (١٦): بالنسبة لروسو تعد الكتابة أولاً وآخرًا ذيلَ (مكمَل) الكلام، وبهذه الخاصية ـ مثل كل علامة ميتة- ترد بالنسبة لروسو باستمرار بدلاً من لغة حية- تكون بديلاً شيئًا ومظهر أزمة. ومع ذلك تعد هذه الكتابة ، الميتة بالنسبة لجان- جاك الكاتب- كما يقر في

---

(١٣) دريدا ١٩٩٥ (تناثر) ، ص١١٢ (بالفرنسية : ١٩٧٢، ص١١٥).

(١٤) حول ذلك: برترام ١٩٩٩، ص٢٣٠، وما بعدها.

(١٥) هكذا يتحدث كلاهما، مخترع الكتابة، نصف الإله ثوث، وكذلك حكم الكتابة الملك ثاموس عن >مادة سحرية< ،يفعلان هذا مع ذلك بمواقف متناقضة .> فالمادة السحرية إذن< متعددة المعنى، لأنها تشكل بدقة المنتصف الذي يمكن أن تتقابل فيه التناقضات <.دريدا ١٩٩٥ (تناثر) ، ص١٤٣ (بالفرنسية : ١٩٧٢، ص١٧٥).

(١٦) دريدا ١٩٧٤ (علم النحو)، ص٢٤٤ وما بعدها (بالفرنسية : ١٩٧٦ب ، ص٢٠٣).

يومياته وشهاداته _ إكسير الحياة، وتصير حقيقة حياته. >مكمل خطير<[١٧]
/ يتضح أنه وسيلة إنقـاذ، وما يعد ابتداءً فقط بديلاً ناقـصًا لشيء يتضح أنه ٢٢٤
حقيقة الشيء ذاته. وما يُظَن أنه مجرد إكمال يكون أساسًا المكمل. هذا هو
>منطق< الإكـمال الذي يوفق في أفـقـه دريد إلى تفسـيـر أصلي ومشـوق
للعمل الكلي لروسو.

ويعمل سـوسير أيضًا ،الذي يدعـو ويحتج لثانوية الكتابة في مـقابل
اللغـة، في ذلك بتحـديدات مـتناقضـة[١٨]. فمن جـهة لا يتـشكك في أن
غرض الكتابة هـو عرض اللغة[١٩]. هنا تحدد الكتـابة من خلال اختلافـها
عن الصوت اللغوي ، الذي تمـثله. ومن جهة أخرى ليست كـتابة الحروف
كـثـل أي نظام علامـاتي آخر تجـسيـداً لمبدأ الاحـتلاف (> أ < ليس _ ب ،
وليس _ ج.... إلخ) ، وهكذا تجسـد هي ذاتها تلك السـمة التركـيبـية التي
يريد سوسـير من خلالهـا أن يُسحَب البـساط من تحت >التمـثيل< بوصفه
تصوراً خـاصًا بالنظرية الـلغوية. بل أكثـر من ذلك: في منظور الاخـتلاف
اللغـوي يفرق سـوسير بين الـصوت >المحض< الذي يطلق عليه > صورة
صوتية< والصوت الفيـزيائي ، الذي بوصفه عنصراً مـاديًا لا يمكن أن يتبع

---

(١٧) دريدا ١٩٧٤ (علم النحو) ، ص٢٦٨ (بالفرنسية : ١٩٧٦ب: ص٢٢٣).

(١٨) دريدا ١٩٧٤ (علم النحـو) ص٤٩ وما بعدها (بالفـرنسيـة ١٩٧٦ ب، ص٤٢ وما بعدها).

(١٩) >اللغة والكتابة نظامان مختلفان للعلامات, ولا يوجد الأخير إلا بغرض أن يعرض الأول< سوسير ١٩٦٧، ص٢٨.

<اللغة>، بل هو شيء ثانوي فقط>[20] وهكذا لا تسري الثانوية بأية حال على الكتابة فقط، بل على الصوت أيضًا. ولكن هذا يعني أيضًا العكس: فحين يفرق سوسير بين صوت غير مادي بوصفه جزءًا من <اللغة> ، وصوت اكوستيكي بوصفه جزءاً من <الكلام>، فهل يسري هذا التقسيم الاصطلاحي في مفهوم الفونيم أيضًا بشكل غير حازم على الجرافيم (الوحدة الخطية)، بحيث يمكن أن يفرق من جهة الكتابة أيضًا بين الكتابة، <الخالصة> بوصفها اختلافًا، والكتابة الزمانية- المكانية بوصفها وسيطًا؟ هل وضع لدى سوسير إذن، حيث يحدد في أسلوب تقليدي الكتابة بأنها دال المدلول ، جوانبَ تصور للكتابة غير وسائطي في الوقت نفسه؟

يهم هنا تعبير <في الوقت نفسه> هذا: يعني إنعام النظر في الكتابة في وضعها / الخاص بالثانوية بشكل منطقي الاصطدام بحالات تضع هذا الوضع الاشتقاقي أيضًا موضعَ تساؤل . هذا هو البرنامج، الذي يكتسب شكلاً له في مراجعات دريدا لنصوص كلاسيكية لأفلاطون ورسو وسوسير حول إكمال (ثانوية) الكتابة، وإن كان بالأحرى في معالم تخطيطية . ونريد أن يستوعب النظر بشكل أدق كيف يفهم دريدا نفسه هذه الثانوية المقوضة للكتابة.

٢٢٥

٤- تذييل ٢ : لماذا تثبت خواص الكتابة بأنها خواص لكل علامة

إن الحجة- التي يدور الأمر حولها الآن- وبرغم أن قوة فلسفة دريدا

(٢٠) سوسير ١٩٦٧، ص١٤١.

لا ترجع إلى فيمَ و كيف يحاجج، بل يمكننا في هذه الحال مع ذلك أن نتحدث عن >حجة< بُنِيَت على النحو الآتي: يُحلل دريدا صفات يُعلَّل بها الوضع الاشتقاقي للكتابة في مقابل اللغة. وفي هذا التحليل يتجلى أن هذه الصفات تعين خواص، يجب أن تُعزَى لكل الأشياء ما دمنا نستطيع أن نقدرها بوجه عام بأنها علامات. وبذلك تُفرَّق من خلال تلك الخواص بدقة الكتابة عن اللغة ، التي يبين دريدا بخصوصها أن هذه الخواص يجب أن تمتلك ذلك الكيان حتى يمكن أن تعد علامة لغوية. وفي الواقع- وهذا هو البعد الذي يتخطى فيه دريدا طرائق جدل أكاديمية- يتحرك مفهوم الكتابة في نطاق هذا الإثبات. وتتراجع الدلالة الحرفية بمعنى>الكتابة لغة مكتوبة) أمام الدلالة المجازية بمعنى >الكتابة أثر< وحين ترقى آخر الأمر كتابة متصورة على أنها أثر إلى شرط للغة فلا يعني هذا شيئًا آخر غيَر أن مسألة ما اللغة لم يعد من الممكن أن تُصورَّ وفق نموذج النظام العلاماتي .

وتؤكد أربع صفات عادة الوضع الثانوي للكتابة : (أ) الغياب، و(ب) إمكانية التكرير، و(ج) تبدل السياق، و(د) التشكل المكاني . لنحاول الآن فهم بما تتعلق هذه المحمولات في ملامح أساسية.

(أ) الغياب

٢٢٦ حيث يُكتب يكون المتلقي غائبًا، وحيث يُقرأ يكون/ المؤلف غائبًا . وينتج >فقد توجيه< [٢١] للنصوص، سجله أفلاطون في نقده للكتابة،

---

(٢١) دريدا ١٩٨٨ ب (دليل حدث سياق) ، ص٢٩٩ (بالفرنسية : ص٣٧٦).

ويُبرز أساسًا المشكلة الهرمينوطيقية لتفسير النص. وفضلاً عن ذلك تحيا النصوص مدة أطول من المؤلفين والقراء. >وربما كانت كتابة لا يمكن أن تقرأ- أن تُكرر- بنيويًا متجاوزة موت المتلقى ليست بكتابة< [٢٢].و>:هكذا يجب لكل كتابة حتى تكون ما هي، إمكان أن تعمل بوجه عام في غياب جذري لمتلق يمكن أن يحدد إمبيريقيًا< [٢٣] . ويؤكد دريدا بـ >غياب جذري< أن هذا الغياب لا يعد عابراً فحسب، وليس حضوراً مؤجلاً فقط، بل يشتمل بشكل أساسي على موت المؤلف والمتلقى. ويهم هنا هذه الخاصية الموصى بها لكل علامة كتابية. لأنه بذلك يكون واضحًا أن ما تنجز الكتابة لم يعد من الممكن أن يُستنَبط من تعديل لتلك الإنجازات التي تحدث في الحديث تحت ما هو حاضر.

(ب) إمكانية التكرير

تكون إمكانية إنتاج وقراءة الكتابة في غياب المستقبل والمرسل ممكنة من خلال بنيتها المتكررة، لأن المرة الأولى هي سر ما لا تمتلك إمكانية القراءة...<. [٢٤] وتجد أفكار فتجنشتاين حول عدم إمكانية لغة خاصة لدى دريدا ملحقًا في افتراض عدم إمكان كتابة سرية. فلا يمكن أن توجد شفرة سرية مجردة. وكل شفرة _ في الأساس- يمكن أن تقرأ. وفي الواقع: يعد ضمان المطابقة في ذلك مستبعداً. فلا يوجد معيار لمطابقة ما يكرر:

---

(٢٢) دريدا ١٩٨٨ ب (دليل حدث سياق) ، ص٢٩٨ (بالفرنسية : ص٣٧٥).

(٢٣) دريدا ١٩٨٨ ب (دليل حدث سياق) ، ص٢٩٨ (بالفرنسية : ص٣٧٥).

(٢٤) دريدا ١٩٧٦ (الكتابة والاختلاف) ، ص٣٧٤ (بالفرنسية : ص٣٦٣).

لذلك لا تستنفد إمكانية التكرير في إعادة الإنتاج [٢٥]. بل يرتبط كل تكرير في الوقت نفسه باختلاف، ويُظهِر هذا الاختلاف إمكانيَة التغيير والابتكار.

(ج) تبدل السياق

٢٢٧ / ما يكون علامة مكتوبة دائمًا يجب أن يكون قابلاً للنقل. ويعني هذا أمرين: فمن جهة تجُعَل دلالة السياقات نسبية- يتحدث دريدا أيضًا عن >عدم أهلية< السياق [٢٦]. فليست مقاصد المؤلف فقط، بل السياق في كُلّ أيضًا لا يمكن أن يُحدَّد بشكل تام حياةَ علامات مكتوبة. ومن جهة أخرى يعني هذا أن العلامة المنفصلة عن سياقها يمكن أن تُوضَع في سياق آخر وتُطعَّم [٢٧] بسلاسل علاماتية أجنبية. فلا يمكن لأي سياق أن يشتمل عليها[٢٨] (على العلامة المكتوبة- ز.ك). وفي الواقع لا يجوز أن يُساء فهم هذا على أنه دفاع عن عدم وثاقة صلة السياقات، بل عن عدم تمامها فقط: فكل علامة يمكن... أن تُقتبَس وأن تُوضَع بين علامات تنصيص، ويمكن من خلال ذلك أن يُقلَع مع كل سياق معطي عن توليد سياقات جديدة كثيرة بشكل لا نهائي على نحو غير مرضٍ مطلقًا. ولا يشترط هذا أن تصح

---

(٢٥) >تشكل إمكانية التكرير هذه (iter > من جديد< من الكلمة itare مختلف في السنسكريتية، ويمكن أن يُقرأ كل ما هو تال على أنه استفادة من ذلك المنطق الذي يربط التكرير بالاختلاف) علامةَ الكتابة ذاتها... (دريدا ١٩٨٨ ب (دليل حدث سياق) ص٢٩٨ (بالفرنسية : ص٣٧٥).

(٢٦) دريدا ١٩٨٨ ب (دليل حدث سياق) ، ص٢٩٩ (بالفرنسية ، ص: ٣٧٦).

(٢٧) دريدا ١٩٨٨ ب (دليل حدث سياق) ، ص٣٠٠ (بالفرنسية ، ص: ٣٧٧).

(٢٨) دريدا ١٩٨٨ ب (دليل حدث سياق) ، ص٣٠٠ (بالفرنسية ، ص: ٣٧٧).

العلامـة خارج سيـاقات، بل على العكس من ذلـك ألا توجد إلا سيـاقات دون محور إرساء مجرد[٢٩].

(د) التشكل المكاني:

تـجذر إمكانيـة التكرير، وكـذلك تبديل السـياق في الوجـود المادي الخطي للكتابة، في خارجيتـها . ويتبع هذا نظام التشكل المكاني. ويمكن أن يبرز مـثلاً الوجودُ الخـارجي للوحدات الخطية الثـابت والمتحقق في مـقابل الصـوت الخافت، في الكتـابة الخـارجيـة الحـاسمـة لكل المدلولات . وفي الواقع يتجاوز تصـور التشكل المكاني لدى دريدا خاصية الكتـابة بأن يتخذ تعليم مـرئي مكانًا مـعينًا، ويصـير من المـكن بهذه الخـاصيـة أن تُختـزَن، وتُنقَل، وتُعالَج، ويتعلق الأمر بالمكان ـ البيني ، بالفاصل ، بالإحجام. ولا تعني المكانيـة البينيـة ببسـاطة الفراغـات ، والفضـاءات التي تفـرق صورة الكتابة المتفردة عن التدفق الكلامى المتواصل، بل اتـخاذ المسافة المتجسد في الكتابة والمتكون من خـلالها: >...لا يتعلق الأمـر فقط/ بالفاصل، بالمسـافة بين اثنين (حـيـث يتـعلق بذلك أيضًـا التـشكل المكاني بمعـنى سـائر)، بل بالتشكل المكاني، أو بالحركة أو على كل حال بحركة الإحجام. وهو يتميز عمـا يبعـد من تلقاء نفـسه، ما يحـول دون كل مطابقة مـع ذاتها، دون كل تركـيـز لحظي على ذلك، دون كل تجـانس مع ذاته، دون كل كـيـان داخلي ذاتي [٣٠].

٢٢٨

(٢٩) دريدا ١٩٨٨ ب (دليل حدث سياق) ، ص٣٠٤ (بالفرنسية ، ص: ٣٨١).
(٣٠) دريدا ١٩٨٦ (مواقف) ، ص١٥٤.

الغياب، وإمكـانية التكرير، وتبديل السيـاق، والتشكيل المكاني: حين يصف دريدا النظام الرمزي للكتابة بهـذه المصطلحات فإننا سوف يمكننا أن نتبـعه في ذلك- إلـى حد مـا- دون إشكال . ولا تنشـأ مـشكلات إلا في النطاق الآتي للحجاج الذي يكمن في أن دريدا يعمم تلك الخواص المميزة للكتابة: فـهو يريد... أن يبين أن السـمات التي يمكن أن تعرف في المفـهوم الكلاسيكي والمؤلف بشكل ضـيق للكتابة، يمكن أن تُعمَّم . فـربما لا تسري على كلمة أنظمة >العلامات< وعلى كل اللغات بوجه عام فقط، بل حتى، متجاوزة الاتصال السـيميو- لغوي، على الحقل كله لما قد تسـميه الفلسفة معرفةً، أي حتى معرفة الوجود: ما يُسمى >الحضور< [٣١].

هذا إذن هو المحور في أفـكار دريدا: فتلك الخواص التـي تُعزَى إلى نظام العلامات الثـانوي تعد في الوقت نفسه جوهرية لما يُعد أسـاسيًا وبناءً على ذلك لكل شكل للمـعرفـة. أما إلى أي مـدى يمكن هذا الادعـاء، وما الصعوبات التي يطـرحها، فيوضـحه استناد دريدا إلى> الحضور< في هذا الزمن. وترتبط الكتابة بالغياب بقدر ما يكون معقولاً، ولكن هذا الغياب لا يكتـسب طابعـه إلا من خـلال تفـريق عن ذلك الحـضور الذي يشـار إليـه بالصـوت (دون تسجيـل) ليُسمَـع أساسًا، أي يمكـن أن يصير مـؤثرًا. وفي حال الكتابـة/ القراءة يكون المستقـبلون أو المرسلون في كُلٍّ غائبين، ولكن في الحديث اليومي يكون المرسلون حاضـرين، فأى معنى يشكل هذا حيث

---

(٣١) دريدا ١٩٨٨ ب (دليل حدث سياق) ، ص٢٩٩ (بالفرنسية ٣٧٦).

يمكن في هذا الحضور الذي لا يرقى إليه شك للمتكلمين أن يكسره> غياب< في الكلام المقيد بالأصوات؟

ويشترط اكتشاف هذا المعنى أن يتحقق من تغير مفهومي، يسري على استعمال دريدا >للصوت <، وكذلك على >الحضور<، وعلى كل الكلمات التي يستعملها تقريبًا./ ويمكننا بدافع البساطة- وفي ذلك يتجاوز ٢٢٩ هذا التبسيط تقريبًا حدود ما هو مسموح به- أن نصف هذا التغيير بأنه انتقال من استعمال حرفي إلى استعمال مجازى لكلمة ما. ففي المعنى الحرفي يكون الصوت وسيط الكلام، ومرتبطًا بحضور المتكلمين. هذا لا يُشَك فيه- بالنسبة لدريدا أيضًا. وفي المعنى المجازى يصير > الصوت< كيفية لمعرفة ذاتية، بوصفه جسمًا صوتيًا، >غير مادي،> و >غائب< يتركب فيه _ وفيه فقط- مقصد ذاتي ومعنى الكلمة، بحيث يمكن أن تفسر كلمات بالنظر إلى ماديتها الصوتية العابرة حقيقةً بأنها> معنى محض<- وبالنسبة للمتكلمين أنفسهم _> تعبير ذاتي محض<. هذا الشكل للمعرفة شرط لإمكان الوعي _ بالذات. وهكذا يصير >الصوت< و > الحضور< مجازين لنوع من الوعي بالذات الذي لم يعد يتخذ الطريق عبر صورة المرآة للاكان، ولم يعد يتخذ بحق طريق هيجل عبر الإقرار من قبل شخص آخر، بل يرتكز على استحضار ذاتي بلا مسافة ولا اختلاف.

أما النص الذي يبسط فيه دريدا هذا التغير المفهومي المتعلق بالصوت والحضور فهو نقاشه لهوسرل في >الصوت والظاهرة< . فهوسرل يعلق

هذه الفكرة باستحضار ذاتي صوتي . ولكنه أظهر في الوقت نفسه بمبدأ الزمانية الخاص به استبقاء أن كل لا مباشرة وحاضر- مع الإدراك مثلاً- متشرب بماض مترسب، ومقتصر على آليات التذكر. بيد أن هذا يسري أيضًا على الاستحضار الذي يعد أساسًا لإدراك الذات في الكلام. والاستبقاء لدى هوسرل هو هوبط ما هو غائب فيما هو حاضر.

وينم نص هوسرل ذاته عن وساطة ما هو حاضر من خلال ما هو غائب، وهكذا يتغذى عليه. وبشكل أدق: على أثر الماضي في الحاضر. وفي هذا الموضع- نحن لا نقتبس الآن دريدا، بل نحاكيه _ سوف يترجم دريدا بلا تكلف الجملة >أثر الماضي في الحاضر< بـ : >الكتابة في الصوت<. وفي هذا الموضع بدقة يتضح أن >الكتابة< ، ويتعلق الأمر لدى دريدا بتمييزها بوصفها شرطًا للغة والمعرفة، ليست الكتابة الصوتية، الكتابة >الدارجة< بمفهوم ضيق، بل تقوم هنا- مثل/ الكلمتين >الصوت< ٢٣٠ و> الحضور< بوظيفة مجازية، وذلك بمفهوم أثر. وبذلك نكون قد وصلنا إلى حيث يستهدف إعادة بنائنا لدريدا في هذا الموضع.

وليس من الصعب كليةً بالنسبة للسمات الثلاث الباقية، إمكانية التكرير، وتبديل السياق، والتشكل المكاني أن يبين كيف يحدث تعميم دريدا لهذه السمات بواسطة انتقالها من الكتابة إلى اللغة، إلى العلامات إلى المعرفة بوجه عام. بيد أننا لا نريد أن نفعل هذا هنا، بل نوجه انتباهنا إلى النهج ذاته الذي تعلمناه من خلال علاقة> الغياب > <بالحضور<.

فحين تكمن <استراتيجية الثانوية> في فتح الحد بين ما هو أساسي وما هو ثانوي ، باعتبار أن سمات ما هو ثانوي تظهر بالنسبة لما هو أساسي ذاته بأنها جوهرية، فإنه يتضح أن هذا لا يكون مقنعًا إلا حين يحق في ذلك في الوقت نفسه أن الكلمات يمكن أن تَقَبل في نطاق تأمل <مضامين> أخرى ، وأن المفاهيم يمكن أن تَقَبل وضعًا آخر. ومع ذلك يكون الحديث فقط- وكمن في ذلك ما هو <غير مبرر> في تفسيرنا السابق- عن تغير مضامين الكلمة، عن التفريق بين معنى حرفي ومعنى مجازى؛ غريبًا عن دريدا بشكل بارز، لأن دريدا يريد حقًا أن يبطل الفصل بين الكلمة والمضمون، والتفريق بين معنى حقيقي ومعنى غير حقيقي ، أن يقوضهما. وبذلك نقف عند نقطة دقيقة يصعب عرضها. إنها النقطة التي لا يمكن أن تفهم منها استراتيجية الثانوية بشكل مناسب إلا حين تحرك في الوقت نفسه إلى منظور< استراتيجية التطعيم>.

٥- أوجه تطعيم١: أساليب نحوية وتَشكُلها المتناهي الصغر

يجب الآن أن نتراجع عن تبسيطنا : لدى دريدا لا تغير الكلمات مضامينها، ولا تنتقل معان حرفية ببساطة إلى معان مجازية، لأن ما ينجز دائمًا على ما يحتج دريدا، ليس مستقرًا على الإطلاق على مستوى غير عادي للمعنى خلف الكلمات التي يستعملها، فالأمر ليس أن< الكتابة> تظهر في الجانب النصي الأول في معنى <لغة مكتوبة، / ثم في جانب نصي ٢٣١ تُقرأ في معنى أثر ما هو غائب فيما هو حاضر >. بل حين ترد< الكتابة> في

الجانب النصي الأول، تكون في سياق معين لكلمات تظهر بشكل محدد، مرتبطة بسلسلة محددة تمامًا من محمولات مثبتة، في حين تُقيَّد بالنسبة للكتابة في الجانب النصي الآخر >الكتابة _ الأصل< مثلاً، متضمنة في سياق مغاير تمامًا لكلمات محددة ، مرتبطة بسلسلة مختلفة تمامًا من المحمولات.

ويختص التحويل، الذي يتعلق به الأمر هنا، بهيئات لشكل النص ذاته دائمًا، ومن ثم يتبع نسيج النص، وليس تفسيره. وما وصفنا حتى الآن- بشكل مبسط- بأنه انتقال من معنى حرفي إلى معنى مجازي، يثبت بمعنى أساسى للغاية بأنه حركة على مستوى المدلولات ذاتها. دريدا الذي يكتب عن الكتابة، ينجز ما يصف، في نوع من صورة خاصة بذاتها في شكل أساليب كتابة خاصة (٣٢): وبألفاظ ماريان هوبسُن: >الكتابة هى الموضوع، ولكنها إذن ما تكون فى حال فعل- وهذا نفسه قد جعله دريدا موضوعًا< (٣٣).

وهذه هي تقنية التطعيم (٣٤) الذي يمكن أن يستخدم اسمًا جامعًا لعدد كبير من أساليب الكتابة هذه، التي تولد من خلال إجراءات نحوية تأثيرات دلالية . كيف يجب أن نتصور هذا الإبداع بواسطة> التطعيم<؟

---

(٣٢) إلى جانب رورتي ١٩٨٧ وكلر ١٩٨٨ وجَّه هوبسُن ١٩٩٨ بشكل حاد الانتباه إلى هذا الجانب .

(٣٣) هوبسُن ١٩٩٨ ، ص٥.

(٣٤) بحث كلر ١٩٨٨، ص١٤٩ وما بعدها هذه التقنيات _ في الواقع في إطار جانب دلالي أكثر من كونها إجراءات نحوية.

يشير دريدا في (صور تناثر) إلى الجذر المشترك لـ greffe (تطعيم، طعم) و graphe (علامة كتابية) في graphion (أداة كتابة) ، وينشئ مطابقة بين أشكال تطعيم نباتي، و >تطعيم نصي<[٣٥] وما يفهم في ذلك أن التطعيم لا يعني ببساطة أن يُغرَس في اسم قديم معنى جديد، بل إن الأمر يتعلق> بتطبيق شكلي أو نحوي >يركب (composé كلمات وجمل، وفقرات نصية، وأحيانًا خطابات كاملة، ويُفككها (décomposé) ، بحيث إنه من خلال هذه العملية النحوية تُمنَح الكلمات/ أو قطعًا نصية موقعًا جديدًا داخل نسيج نصي[٣٦]. ٢٣٢

ومن هذه التقنية إضافة نص إلى آخر: ففي عمله (لوحة الجبهة) [٣٧] يطرح دريدا تأملاته حول حدود الفلسفة إلى جانب آراء ميشل ليرى حول الكلمة (إلهة العالم الفلسفي). وفي العمل (زجاج) توجد إيضاحات هيجل حول الأسرة والملكية مؤتلفة مع مناقشات لكتابات الشاذ واللص انطلاقًا من إقناع جان جنيت وإلى جانب هذا التداخل للنصوص توجد ردود متداخلة لتناقضات مفهومية.

وعلى نحو مغاير للنهج الديكالكيتي (الجدلي) الذي يرمى إلى إزالة

---

(٣٥) دريدا ١٩٩٥ ، ص٢٣٠.

(٣٦) >يحدث التأثير في المقام الأول بالنحو....< بحيث إن التشويق لا يتعلق إلا بالموقع وليس بالمضمون ... < دريدا (١٩٩٥) ، ص٢٥٠.

(٣٧) دريدا ١٩٨٨ ا (حواف) ، ص١٣-٢٧ (بالفرنسية : ١-١٥).

(*) تعني كلمة persephone إلهة أو ملكة العالم السفلي , إلهة الربيع...إلخ

التناقضات في وحدة عـليا، يتبع دريدا مع تناقضات مفهـومية نهج نوع من رجوع غير متناسق: يؤكد تناقض لكي يبين في تحليل للكلمة من جانب أن هذا التناقض يتكرر. وعلى هـذا النحو يبين دريدا أن الفـرق التقليـدي بين اللغة والكتابة الذي تشـكل فيه اللغة ما هو أسـاسي، والكتابة ما هو ثانوي يظهـر مرة أخـرى في جانب الكتـابة. ويؤدي ـ لدى أفـلاطون مثـلاً- إلى الفـرق بين كتـابة جـيدة لأنهـا كـتابة داخليـة، وكـتابة سـيئـة لأنهـا كـتـابة ظاهرية[٣٩]. وتوجد الكتـابة الظاهرية أيضًا- لدى سوسيـر مثلاً- منقـسمة من خلال التفـريق بين تجسيد نموذجي مـثالي لمبدأ الاختلاف، وافـتراقه عن الصوت الذي تجعله الكتابة مجرد إعادة إنتاج لعلامة متقدمة عليها.

وهكذا يصير الانعكاس بالنسبة لدريدا إلى تضعيف من خلال تقسيم ثنائي. >لأن ما يُعكـس ينقسم في ذاته قـسمين<[٤٠]. وما يهم هنا أن هذا التـقسيـم الثنائي في ذاته يمكن أن يُتابع غـالبًا بوصـفه نهـجًا سـائدًا- وربما النهج السائد - / للتطعيم النصي >في حسـاب بلا نهاية<[٤١] . لا توجد ٢٣٣ محطة لهـذا السلوك الارتدادي ، الذي لا يرجع إذن إلى أوجـه مطابقة ولا

---

(٣٨) دريدا ١٩٧٤ (زجاج).

(٣٩)> توجد إذن كـتابة ،كتـابة جيدة وكـتابة سيئـة: فهي جيـدة وطبيعـية الكتابة الإلهـية المدونة في القلب وفي الروح، واصطناعية التقنيـة التي تقيد في ظاهر الجسد..<. دريدا ١٩٧٤ (علم النحو) ص٣٤ (بالفرنسية : ١٩٦٧ ب ، ص٣٠).

(٤٠) ودريدا ١٩٧٤ (علم الـنحـو) ص٦٠ يتـابع :>لا يضـاف إلـيـه صـورته فـقط. فالانعكاس ،الصورة، الضعف يقسم قسمين ما يضعف < (بالفرنسية : ص٥٥).

(٤١) دريدا ١٩٨٨ ا (التخالف) ص٣٣.

فـروق ثابتة- إعـادة اسـتعـمـال إلى ما نـهاية لمخطط مـا راجع إلى النتـاج المكتـسب في كُلٍّ: ويمكن أن نطلق على هذا أيضًـا تقنيـة التـشكل المتناهي الصغر لمخططات الكلمـة. وفي هذا السياق تندرج أيضًا خصـوصية دريدا سلاسـل لفظية كـاملة دائمًا بدلاً من كلمـات مفـردة. ويُعبـر عن ذلك من خلال أنه من جـهة تكون الكلمات الواقـعة في سلسلة متـبادلة بعضـها مع بعض، وأنه من جهة أخرى يمكن أن يُتـابع هذا التبادل المكاني الاصطلاحي باستمرار عبر كل كلمة أخيرة في السلسلة.

٦- أوجه تطعيم ٢: >التخالف<

لقد حصلنا على انطبـاع أولي عن العمليات النحوية المتعلقـة بهيئات النص والكلمـة. ولكن فيمَ تكمن إبداعهـا الدلالي؟ وبوجه خـاص: كيف نصل في نطاق مراعـاة التأثيرات الدلاليـة لأساليب الكتابة هذه إلى تفسـير تصور دريدا للكتابة ذاته أيضًا؟

توجد هيئـة للكلمة، تجيز أن تعالج في نطاق السؤالين. فـالأمر يتعلق باللفظ >تخالف<. [٤٢] لأن هذه الكلمة أدخلها دريدا مثلاً كبنية لا تنتج إلا فعل الكـتابة فقط، ويمكن أيـضًا أن تظهر كـوحدة خطيـة، بل تُستـخدم في الوقت نفـسـه ذيلاً لذلك النوع من الكتـابة الذي يُعلّم شـرط إمكان اللغـة وعدم إمكانها . كيف يجب أن نفسهم هذا؟

(٤٢) دريدا ١٩٨٨ جـ (التخالف) ، ص٢٩-٥٢ (بالفرنسية : ص١-٢٩).

(*) تعني كلمة >différence< في الفرنسية: الفارق والفـرق ، الاختلاف ، التفاوت... إلخ .وقد صارت في مصطلح دريدا، différance حيث وضع (a) محل (e).

نعرف أن الأمر مع دريدا يتعلق بفكر التخالف دون أن يصير >التخالف< في ذلك البديل المطلق للمطابقة. فبالنسبة لهذا التخالف الذي لم يعد يُشرح داخل التقابل بين >تخالف< و >مطابقة< أوجد المصطلح dif-férancee (تخالف / تفارق) الذي تحل فيه <a> محل <e> في الكلمة الفرنسية différence [٤٣]. هذه الإضافة الثانوية النحوية / ليست مسموعة في الفرنسية المنطوقة، أي يمكن أن تظهر للعين في علامة مكتوبة فقط. وكون الأمر يتعلق بالحرف <a> له أهمية. ويؤدي صمته بالنسبة لدريدا دورًا، وأنه أيضًا يُذكِّره كحرفٍ كبير بهَرَم، قارنَ هيجل شكله بدروه في الحفاظ على المعنى المجاوز ما هو فردي. ويصيب هابرماس- الذي لا يذكر عنه خلاف ذلك جهد متواصل للفهم، ولا مراجعة دقيقة لدريدا إطلاقًا- نقطةً، حين يتذكر المعنى الرائع للألف العبرية ( ) في إرث الأساطير العبرية[٤٤]. وكان فرويد قد قرر [٤٥] أن الكلمات مادة مجسمة يمكن أن يُبدأ بها بكل الوجوه، وحاكي استعداد دريدا للعب بالصورة الكتابية لـ difference (فرق) استعمالات الحروف للقَبالة. (*) لمَ هذا اللعب؟

٢٣٤

---

(٤٣) دريدا ١٩٨٨ ج (التخالف)، ص٣١ (بالفرنسية: ص٥).

(٤٤) للألف لدى الربيّ مندل قرابة بـ <a> غير المصوتة، المميزة كتابيًا فقط في différance من جهة أنه في عدم تحديد هذه العلامة (الرمز) الضعيفة والمتعددة المعنى يتركز الكم الكامل من الاستبشار (الوعد). هابرماس ١٩٨٥، ص٢١٦.

(٤٥) فرويد ١٩٨٥،ص٢٧.

(*) القبالة أو القبلانية فلسفة دينية سرية عند أحبار اليهود وبعض نصارى العصر الوسيط، مبنية على تفسير الكتاب المقدس تفسيراً صوفيًا.

يعني différence >معجميًا> الفرق <، وتغفل بذلك تعدد المعنى الذي يريد أن يعيد دريدا إنشاءه في طريقـة كتابته différance: فالفعل> diférer< (اختلف) له معنيان: يعني >أرجأ< و (تشكل في الزمن) مثل >غير مطابق< و > مخالف< ويعني> différend< (خلاف) فضـلاً عن ذلك تنازعًا، وحربًا جدلية. وينبغي أيضًا أن يظهر تأثير فـعالية صيغة الفعل différer مرة أخرى بشكل أقـوى، باعتـبار أن الـ <a> تنحـدر من مشـتق الحضور (الـوجود) . ولكن في الوقت نفسه تشغل> différance< أيضًا موقعًا وسطًا بين الفاعلية والمفعولية: فـفي الفرنسية تتشبث كلمـات ترد فيها الـ >a< كما هي الحال مع mouvance (تحرك) أو vesonance (رنين) بعدم حسم بين >ما هو فاعل، وما هو مـفعول<[٤٦]،بين الفعل والتـحمل، ولذلك لا تلتـزم بمصطلحات الفاعل والمفعول.

ونلاحظ أنه : لا يطابق تبـديلَ الحـروف تبـديلُ المعانى، بـل تنوعهـا، الذي ينتج من خـلاله في الوقت نفـسـه عدم تحـديد دلالي. وبمعنى دقـيق: >التـخـالف< لم يعـد الكلمـة/ في لـغـة معـينة، بل أكـثـر من هذا ليس مفهومًا[٤٧]، فهو لا يقوم أساسًا بوظيفة علامة، بل هو أثر خطى.

٢٣٥

ومع ذلك أثر لأي شيء؟ «يؤدي> التخالف <إلى أن حركة الدلالة لا تكون ممكنة إلا حين يتعلق كل عنصر مسمى>حالى< بشىء آخر مثله، فى

(٤٦) دريدا ١٩٨٨جـ (التخالف) ، ص٣٤ (بالفرنسية: ٩).

(٤٧) دريدا ١٩٨٨ جـ (التخالف)، ص٣٧ (بالفرنسية : ص١١).

حين تُستبقَى سمة العلاقة الماضـية فى ذاتها، ويمكن أن تفرغ من خلال سمة علاقـاتها بعلامـة مستقـبلية ». ويقتـرح دريدا أن يطلق على هذا> التشكل المكاني < صيرورة المكان للزمان أو صـيرورة- الزمان للمكان<، ثم يتابع : >واقتـرح أن أطلق على هذا التكوين للحاضر تأليـفًا> Synthese<... لآثار، الأوجه إدراك حسي للحـظة الحالية وأوجه إدراك حسي للحـظة القادمة... الكتـابة الأصل، الأثر الأصل < (٤٨) . وبذلك يتـصـور الحـاضـر في أفق التشكل المكاني للزمن، ويهدف أيضًا استخدام دريدا لتصور الأثر إلى هذه الإضافة للزمن إلى المكان.

ويورد دريدا في هذا الموضع لبحث > التخالف< تفريق سـوسير بين > اللغة< بوصفـها نظامًـا لغويًا،> والكلام < بوصفـه حديثًـا متكرراً (٤٩). ونؤكد في بداية عرضنـا لدريدا أن دريدا، بخلاف زملائه> ناقدي العقل< >لا يلغى ببسـاطة التـفريق بين الـلغة/ والكلام ، ولا يـريد أن يعكس بأية

---

(٤٨) دريدا ١٩٨٨جـ (التـخـالف) ، ص٣٩ . يرى دريـدا أن هذه الفكـرة، أي ربط التخـالف بالتشكل المكاني للزمن، مـوجودة لدى هيجل: فـقد حدد هذا (الأخـير) في عمله في يينا مخطط النظام للمنطق، والميتافزيقا، والفلسفة الطبيعية (١٨٠٤- ١٨٠٥) أن الحاضر هو حد بين الماضي والمستقبل، بحيث إنه إذن في نقطة الآن غير المطولة في الحاضر يصطدم الماضي والمسـتقبل ويفرق بعضهما عن بعض أيضًـا. ولكن هذا التميز يفكر فـيـه وفق نموذج التـفـريـق، أي علاقـة المكان والحـاضـر هو الجـمع بين الماضي والمسـتقـبل، والفاصل بينهمـا أيضًا. ويصفه هيجـل فضلاً عن ذلك بأنه العلاقـة المميزة بشكل مطلق لما هو بسيـط. هذه العلاقة الميـزة لدى هيجل _ كما يؤكد دريدا- يمكن أن تـسجل بمصطلحه المخترع >différance <(التخالف) (بالفرنسية ص١٤).

(٤٩) دريدا ١٩٨٨ جـ (التخالف) ، ص٣٧ وما بعدها (بالفرنـسية : ص١١ وما بعدها).

حال أيضًا علاقة التبعـية بينهما. بل يفسر دريدا> التقابل بين الكلام واللغة بأنه مطلق<، ثم يتابع: >.... ليس التخالف فقط لعـبة الاختلاف في اللغة، بل هو علاقة الكلام باللغة < ، تسري على >كل علاقات الاسـتعمالات / ٢٣٦ بالمخطط< [٥٠] . وهكذا تكون صـيـرورة المكان للزمـان المرتـبطة بالكلمـة > تخالف< المفتـاح الذي يزودنا بإجابة دريدا عن السـؤال عن علاقـة اللغة بالكلام بوصفهـا مثالاً للعلاقة بين مخطط وتحقـيقه. ومن الواضح هنا إلى حد كبير أنه: حين تقدم الكتابة بالنسبة لدريدا شرط اللغة، فإنه بهذا المعنى، أن التشكل المكاني للزمن، ولعـبة تبادل إدراك حسي للحظـة الحالية وإدراك حسي للحظة القادمة زيادة لكل كلام: يكون الكلام بـوصفه حدثًا حاليًا أثر أحداث ماضـية، كما أنه يُعلِّم من جهتـه بوصفه أثرًا الأحداثَ المستـقبلية ، والمخطط أثر استـعمـالات ماضـية في استـعمـال حالي (فعلـي)، ويجعل الاستعـمال الحالي حدثًا، يتـبين بوصفه أثرًا في الاسـتعمال المستـقبلي.ولا تتوقف هذه العلاقة بوجه خاص، بل تستمر ـ بلا حد أساسًا.

ويطلق دريدا على هذا الأثر للغـة في الكلام، على ما هو غائب فيـما حاضر هذا الكتابَة >كتابةً قبل الحرف< [٥١] ، و بـ> قبل الحرف< هذه يمنع دريدا أي فهم سـيمـيولوجي للكتـابة . لأن الكتابة ، بمفـهوم الأثر، بمفـهوم التخـالف، ما تزال ليـست اللغة، ليست الكلـمة، ليست العـلامة [٥٢]. إنها

---

(٥٠) دريدا ١٩٨٨ جـ (التخالف) ، ص٤١ (بالفرنـسية : ص١٦).

(٥١) دريدا ١٩٨٨ جـ (التخالف) ، ص٤١ (بالفرنـسية : ص١٦).

(٥٢) الفلسفـة . أحاديث مع فوكو، ودريدا، وليـوتار ، وريكور، وليفينا... فـيينا ١٩٨٥، ص٥٤،الاقتباس نقلاً عن جاول ١٩٨٩ ، ص٢٨٦.

>عكس شرطها... إمكانيتها<، وهي تتقدم بحق على كل ما يطلق عليه علامة... [٥٣] وهكذا يصير الفهم المضاد للحدس، وهو أن الكتابة تسبق اللغة، وأنها تصير شرط إمكان اللغة، معقولاً من خلال أن الكتابة _ بوصفها >الكتابة الأصل< تصير شرط الإمكان والتفريق بين اللغة والكلام.

إذن هل يعد دريدا فيلسوفًا متعاليًا (ترانسنداليًا) للكتابة؟ يمكن أن يجاب عن السؤال على أية حال بمفهوم>، فلسفة متعالية سلبية <. فحين يكون الكلام دائمًا عن> شرط الإمكان< يضيف دريدا في نفس واحد> وشرط عدم الإمكان<. وعلى هذا النحو تكون الكتابة التي تفهم على أنها> تخالف< من جهة إمكان التفريق بين اللغة والكلام، ولكن أيضًا- وهو ما يتصل الآن بهذه الصورة الجدلية- عدم إمكانه.

٧- إشكالية جدلية: اللاانتظام شرط للنظام

٢٣٧ / يؤكد دريدا أن التقابل بين اللغة والكلام يعد بالنسبة له مطلقًا. ولكن >مطلقًا < هذه إشارة إلى أنه حين نفرق بين اللغة والكلام لا نستطيع أن نحسم بينهما بمعنى أساسي وثانوي. ويتشبث دريدا بعدم إمكان التفريق بين اللغة والكلام، لأنه يمكن فقط أن يتكشف إمكان التفريق بينهما أيضًا.

وقد توجه دريدا بقوة في كتاباته في التسعينيات إلى الإشكالية الجدلية. وتفهم الإشكالية الجدلية على أنها تقابل مفهومي، ليس لحله، بل لإقراره بوصفه معرفة فكرية. ويبين بمساعدة ظاهرتين، الحق، والهبة، كيف

(٥٣) دريدا ١٩٧٤ (علم النحو) ص١٠٩ (بالفرنسية : ١٩٧٦ب، ص٩٢).

يؤدي إنعام النظر فيهما إلى أوضاع حرجة (جدلية) ويمكن أن تُتبع الظاهرتين من خلال نظرة فلسفية لغوية أيضًا.

ففي قوة القانون [٥٤] يبين دريدا أن حكم القاضي يجب أن يخضع القاعدة، ويستغنى عن قاعدة أيضًا [٥٥]، وليست معرفة القاضي على الإطلاق من نوع أن حكمه يمكن أن يستنبط من ذلك شكليًا . والسبب هنا أيضًا بنية الزمانية. وربما كانت معلومات لا نهائية ضرورية لهذا الاستدلال، ولكن قول القاضي يجب أن يقع في >لحظة نهائية للتعجل< ، ومن ثم يجتاز >عتمه عدم المعرفة، واللاانتظام<. والنظام الذي وضعه القاضي بحكمه، والذي أكمله، يوجب اللانظام شرطًا له.

ويصطدم دريدا بتناقض مماثل عند إنعام النظر في الهبة أيضًا. فالهبة كهبة لا يمكن أن تقدم إلا حين لا يوجد تبادل ولا إعادة ولا مبادلة، ولا هبة مقابلة ، ولا دين أيضًا [٥٦]. وبمجرد أن تنتقل الهبة إلى علاقات تبادل/ ٢٣٨ فإنها تبطل كهبة. ولا يحدث هذا الإبطال إلا مع إعادتها فقط، بل بمعنى صارم في اللحظة، التي تظهر وتحدد فيها الهبة كهبة: >لا يجوز للهبة كهبة

---

(٥٤) ترد هنا ثلاث إشكاليات جدلية (حرجة): ١- إشكالية : عصر القاعدة، و٢- إشكالية: النكبة من خلال ما لا يمكن الحكم فيه، و٣- إشكالية: التعجل الذي يحجب أفق المعرفة. دريدا ١٩٩١ (قوة القانون)، ص٤٧ (بالفرنسية: ١٩٩٠، ص٩٦٠).

(٥٥) حكم القاضي يجب >في اللحظة التي يتخذ فيها... أن يخضع لقاعدة، وأن يستغني عن قاعدة< . دريدا ١٩٩١ (قوة القانون) ، ص٤٧ (بالفرنسية: ١٩٩٠، ص٩٦٠).

(٥٦) دريدا ١٩٩٣ (نقود مزيفة) ، ص٢٢ (بالفرنسية: ١٩٩١، ص٢٤).

أن تظهر آخر الأمر كهبة: ليس لمتلقى الهبة، ولا الواهب< [٥٧]. وعلى هذا النحو تصير الهبة لا شيء (non-chose) [٥٨].

وفي معضلة الحق مثل معضلة الهبة نواجه تصويراً يصير مهمًا أيضًا لإنعام النظر في اللغة، وله علاقة بما هو غير منظم (مقعد) ، الذي يصير شرط إمكان استعمال القاعدة، ويصير ما هو غير معقد البطارية- حين تجاز هنا هذه اللغة الواقعية بشكل غير مناسب- التي تحرك أساسًا الدورة المستمرة للقاعدة واستعمالها، ويمكن أن تبقيها في حركة.

أما ماذا يعني هذا من جانب فلسفي لغوي فقد بسطه أوڤه درايشولتكامب في مقالته: إعطاء الهبة والوعد[٥٩]، وفيها يجمع بين أفكار دريدا عن الهبة وشرح دريدا لنظرية سيرل حول الفعل الكلامي. ويطرح درايشولتكامب تناظراً بين إعطاء الهبة، وإعطاء الوعد، ويكشف بشكل مناسب أن الوعد لا يكون ممكنًا إلا حين تجتاز القواعد السارية على الفعل الكلامي >الوعد< في إعطاء الوعد في الوقت نفسه. فقط حين يكون للوعد ملامح هبة، وبذلك أيضًا يرث الإشكاليات الجدلية في فكر الهبة، فإنه يكون ممكنًا بوصفه وعداً [٦٠]. أما أية ملامح هي فيمكن أن يشار إليها بشكل مستمر فقط:

---

(٥٧) دريدا ١٩٩٣ (نقود مزيفة) ، ص٢٦/ ٢٧ (بالفرنسية: ص٢٧).

(٥٨) دريدا ١٩٩٣ (نقود مزيفة) ، ص٦١/ ٦٠ (بالفرنسية: ص٦١).

(٥٩) درايشولتكامب ١٩٩٧.

(٦٠) درايشولتكامب ١٩٩٧ ، ص٢٩٦.

إن قلب معيار سيرل القاعدي الذي يجب أن يحقق، وبذلك يعد منطوق ما مثلاً وعداً هو أن ما يُوعَد به لا يصير الحال بشكل آلي. لأنه ربما في غير ذلك لا يكون المنطوق وعداً، بل زعمًا أو خبراً. وهكذا يجب ، وبذلك يعد الكلام وعداً، أن يُنجَز من خلال هذا المنطوق وحده شيء جديد، ربما لا يقدم بدونه (٦١). إلامَ يرجع هذا الفائض لما هو جديد في مقابل الدورة المعتادة للأشياء دون وعد؟ إنه يرجع إلى ما يعد به المرء/ ٢٣٩ يمكن ألا يقع بشكل جيد أيضًا. فقط لأن موقفًا ليس في طاقتنا، فقط لأن شيئًا ما ربما، ربما يمكن ألا يقع أيضًا، فقط لأن ما نريد لا يتفق بشكل آلي مع ما سيكون، كل هذا يجعل لوعدٍ ما معنى أساسًا. وفقط لأن العالم لا يذعن لمقاصدنا عادة بشكل متصل يمكننا أن نعد أساسًا بتغيير وضع في العالم. وبقدر ما يوجد تعادل يمكن أن يوجد أيضًا الحسم للوعد. وتصير إمكانية _ الإخفاق زيادة في إمكانية نجاح وعدٍ ما. ويكون كسر الوعد عنصراً في إعطاء الوعد.

٨- لماذا إذن تعد الكتابة شرطًا لإمكان الكلام وعدم إمكانه؟

ما هو إشكالي (مُعْضِل) يبين أنه يوضع في شروط الوجود والنجاح لكل نظام (مخطط) شيء يتناقض مع النظام، ويتجاوز حدود هذا النظام، ويُحل بذلك النظام نفسه. وفي منظور التأمل اللغوي تكون الكتابة التي تُستخدَم تصوراً استراتيجيًا لتعليم حدود الفكر القائم على أساس نظامي

(٦١) درايشولتكامب ١٩٩٧ ، ص٢٩٦.

وسيميوطيقي للغة، وفتحها وتجاوزها. ويطلق دريدا على هذا التصور أيضًا >الكتابة الأصل< و >الأثر الأصل< ، و>التخالف< . ونرجع مرة أخرى إلى التفريق بين اللغة والكتابة.

في تفسيراتنا للتخالف ، وعلى أساس تأمل دريدا للكتابة يتبين أن >اللغة< (مثل كل مخطط) هي أثر استعمالات ماضية في حدث حالي للكلام، كما ينقل هذا الكلام من جهته بوصفه أثرًا أحداث كلامية مستقبلية، وترجع نكتة هذا العلاقة بالأثر بدلاً من العلامة الاعتباطية إلى أن العلاقة >مخطط- استعمال< تغير وتتجاوز من خلال ذلك، ومع ذلك تقدم قلب تصور العلامة بوصفها تمثيلاً لنمط. كيف يمكن أن يُغير تأمل الأثر العلاقة الاشتقاقية بين نموذج وتحقيقه؟

٢٤٠ إن الآثار مرتبطة بالتكرير. ويتبع التكرير العموم: ومع ذلك / تفضي حركة فكر دريدا إلى نتيجة أخرى: إنه التكرير الذي يولد ويُثبِّت أساسًا العموم والمطابقة، والمثالية: >... ولكن المثالية هي فقط القدرة المؤكدة للتكرير<(٦٢). بيد أنه باعتبار أن كل تكرير يشتمل على تغير لما هو مكرر، فإنه لا يمكن أن تُفهَم إعادة الإنتاج أو التكرير مجرد تحقيق مخطط متقدم، بل يحوي إضافة، تغير، وتحطم المخطط- إن ذلك فقط، حين يتبنى ويؤكد هذا المخطط في الوقت نفسه أيضًا. وتعد استراتيجيات القراءة والكتابة لدى دريدا >للتذييل< و>التطعيم< و>الإشكالية الجدلية< على سبيل المثال

---

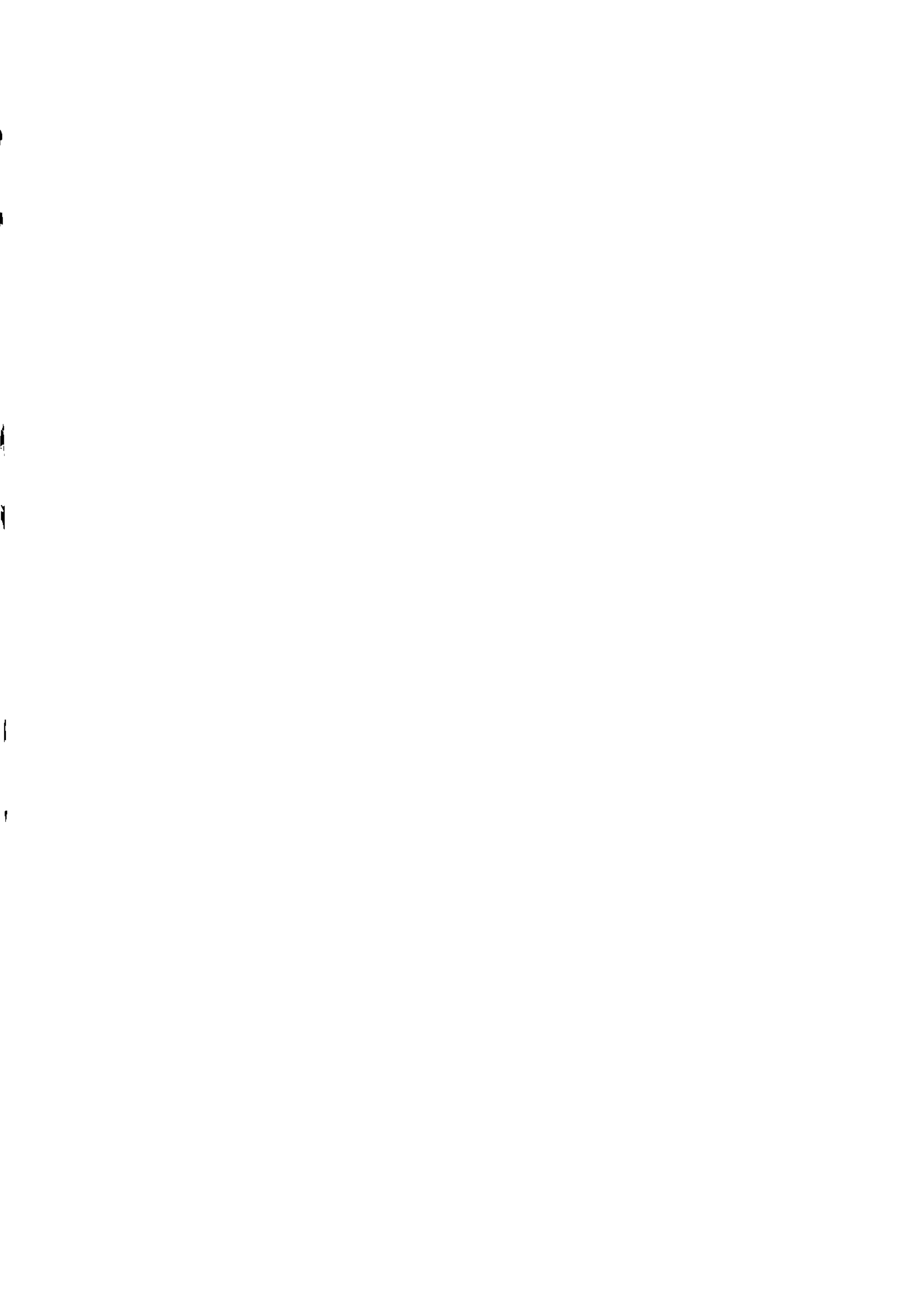
(٦٢) درايشولتكامب ١٩٩٧ ، ص٣٠٣.

(٦٣) دريدا ١٩٧٢ (الكتابة والاختلاف) ص٣٧٣.

أساليب في التعامل مع النص، يُكرِّر فيـها النظام المفهومي لنص ما، ويُؤكد في ذلك ويقُوِّض ويُحلل أيضًا.

وبالنظر إلى اللغة والكلام: يحوي الكلام إضافـةً حول اللغة، تختفي حيث يُفهم على أنه استعمال للغة فقط.

ونلاحظ في البداية _ وبذلك تغلق دائرة عرضنا لدريدا- أن دريدا لا يعد التفريق بـين اللغة والكلام خلافًا لديفيدسُن مثـلاً قديمًا. وما يهم دريدا في هذا التفـريق هو أن الكلام لا يحقق ببسـاطة اللغة، بل _ بمفهوم توافق التكرير والتغـيير _ > يتجاوز< اللغة. ويسـتطيع الكلام هذا لأن فيه يصـير لشيء غير _ سيميـوطقي، وغير _ خطابي، وغير _ لغوي مجـالٌ للعمل . وهذا في الواقع تصـويـر، لا يمكن أن يظهـر إلا لأن الاختـلاف بين اللغـة والكلام لا يعد لا أساس له، بل يُحسَب حسابه.



١٣- جوديث بتلر

تحويل الأدائية أو: حول الكلام بوصفه إعادة اقتباس

جوديث بتلر

تحويل الأدائية أو: حول الكلام بوصفه إعادة اقتباس

>إن القول ليس نفسه الفعل<[١].

١- لماذا جوديث بتلر

/ مع رأي جوديث بتـلر، وهو أن الجنس يُشكَّل ثقافـيًا ـ وذلك ليس ٢٤١ فـقط دور الجنس الاجـتمـاعي (<gender>) ، بل المجـال الحـمـيم للجنس البيـولوجي (>sex<) أيضًـا- عنيت جوديث بتـلر داخل النقاش النسـوي بقلق جم. ومع نتـيـجـة أن من يتناقش يفـعل هذا غـالبًا بمنـظور بناء نظرية نسـوية: تُتَلَقَّى جـوديث بتـلر بوصـفـها مـوقـفًـا مـتـحـديًا داخل النقـاش النسوي[٢]. لماذا تظهر جوديث بتلر في كتاب، يريد أن يعرض نظرية لغوية مؤثرة بشكل معاصر؟ ماذا يسوغ لنا أن نـفسرها بأنها صوت فلسفي لغوي له وزنه [٣].

ويوجد عنصـر رابط بين مناقشـات بتلر لمقولة> الجنس< ، وإنعامـها النظر في اللغة: إنه فكرة الأدائيـة التي يعبر بها عن أن أفـعالاً رمزية ـ على

(١) بتلر ١٩٩٨ ، ص١٤٦ (بالإنجليزية : ١٩٩٧ ، ص١٠١).

(٢) مثلاً دودن ١٩٩٣، وأيضًا: لاندوير ١٩٩٤ .

(٣) النص المتعلق بذلك هو: بتلر ١٩٩٨ (بالإنجليزية : ١٩٩٧) ، وتـتعلق فضلاً عن ذلك الأفكار الآتية أيضًا ببتلر ١٩٩٣ب، وبتلر ١٩٩٥، (بالإنجليزية : ١٩٩٣ ا).

أية حال بشروط محددة- يمكن أن تخلق من خلال إنجازها المجرد وقائع غير رمزية .

إن كلامنا هو في الوقت نفسه فعل أيضًا. ونادرًا ما يدخل اقتناع آخر بشكل عميق في النقاش الفلسفي اللغوي مثل هذا الربط الذي خططه ووسعه إلى مدى أبعد أيضًا أوستن بين الكلام والفعل. ويعد فرض الدور الإنجازي لمنطوقات لغوية مخزنًا أساسيًا/ لنظريات لغوية حديثة. فنحن ٢٤٢ نستطيع في استعمال اللغة أن تنتج شيئًا لم يعد هو نفسه من طبيعة اللغة. ولا يلتزم التفريق المعتد به بين رمز وشيء في هذا البعد الأدائي للكلام. ولكن من أين تحصل كلمات على هذه القوة شبه السحرية لتغيير أحوال العالم وأحوال علاقية؟

وُضِعت إجابات النظرية اللغوية عن هذا السؤال عادة بحيث يريد أن يفسر كيف يجب أن تكون طبيعة الشروط التي يكون معها الكلام بشكل حتمي فعلاً في الوقت نفسه. حتمية ترجع إلى أنه مع الفعل الكلامي الناجح ما يعبر عنه يُنجَز في الوقت نفسه في النطق ومعه.

وتطرح جوديث بتلر أيضًا السؤال عن قوة الفعل للغة. وفي الواقع تكمن أصالة رأيها في أن تفسيرها للأدائية اللغوية لا يستمر في الربط بين الكلام والفعل ببساطة ، بل يُخفَّف (يُوهَن). وتهتم جوديث بتلر بالشروط التي يمكن في إطارها أن يفقد فعل كلامي قوته الإنجازية في تغيير العالم

---

(٤) بمناسبة> كرة الكلام < تورد بتلر : >يجب أن يعني الحفاظ على الهوة بين القول والفعل... أنه يوجد دائمًا شيء ليقال حول كيف ولماذا يلحق كلام الضرر الذي =

على نحـو مـا يعـني، أي بالمواقف التي لا يكون فيـهـا القـول نفسـه هو الفعل(٤). ولا يعني لهذا الاتجاه دورانًا جديدًا، يكمن في >التفكير في أدائية مرتبطة بتحويل< (٥).

ومما يجدر به هنا تتبع حافز تثيره جوديث بتلر حول أفكارها النظرية اللغـوية: هل لا تقـدم نظـرية الفـعل الكلامي أحـد الأمـثلة القليـلة لنظرية فلسفية، بسطت قوة تأثير سياسية؟ إنه حين لا يكون الكلام كلامًا فقط، بل فعـلاً أيضًا، فـإنه يطرح السـؤال هل لا يجب على الدولة أن تمنع وتتعـقب أنواعًا مـعينة للكلام ـ منطوقات عـنصرية أو جنسيـة مثـلاً؟ يمكن أن يقدم تَقـدُّم النظـرية اللغـوية الذي يكمـن في شـرح البـعـد الفـعـلي / للكلام، ٢٤٣ المشـروعـية لأن يوجـد في حـالات كـثيرة العـدل الذي يحـسم هل تعـد الكلمات اتصالاً لرأي فـقط- وبذلك تدعم بحري الرأي- أو تجسيـد فعلاً منفذًا- وبهذه الخاصية يمكن أن تصير عقوبة أيضًا (٦). أكثر من ذلك: يتيح توافق الكلام والفعل تقريبًا الفرصة لتطـبيق رقابة حكومية على نحو لطيف في إطار خرق الرقابة: لا يمكن أن تراقب دائمًـا إلا منطوقات رمزية. ولكن حين يمنع الإعـلان الشـاذ عن الذات (coming out) في الجـيش (٧). وحين

= يصيب ... أقدر قيمة التفسـيـرات تقديراً متشككًا، التي تتشبث بالوضع الإنجازي لكره الكلام، ويمكن بذلك أن يوافق الكلام والسلوك توافـقًا تامًا< . بتلر ١٩٩٨ ، ص١٤٦ (بالإنجليزية : ١٩٩٧ ، ص١٠١).

(٥) بتلر ١٩٩٨ ، ص٢١٤ (بالإنجليزية ص١٥١).

(٦) بتلر ١٩٩٨ ، ص١٨٢ وما بعدها (بالإنجليزية ١٩٩٧ ، ص١٢٧ وما بعدها).

(٧) على هذا النحـو تعد إرشـادات (تعليمـات) يصدرها البـنتاجـون حول صور إيـقاف الجيش >مقـولة أن يكون شاذًا<، يمكن أن يؤدي إلى الفـصل من الخـدمة العـسكرية. اقتباس عن البتلر ١٩٩٨ ، ص٢٤٥ (بالإنجليزية ١٩٩٧ ، ص١٥٧).

تزال في بث إذاعي الكلمة <إجهاض> التي لها نغمة عالية، وحين يطلب أن يثأر لموسيقى ـ الراب بوصفها استياءً عامًا [٨]، وحين يغلق معرض الصور الفوتوغرافية لما بلتروب، وحين يقدم الأساس الحجاجي لكل هذه الأشكال من الاعتداء السياسي- القانوني، وعدم إمكان التفريق بين العرض والتنفيذ، وتحويل فعل رمزي إلى فعل واقعي: على هذا النحو لا يعني هذا خلاف أن طرائق الرقابة يمكن أن تظهر في لباس كلام قانوني حول أفعال رمزية صارت عقوبات. ومن يُعني بحالات <كرة الكلام> تبعًا لنموذج لغوي إنجازي يجب أقُبِل أو رُفِض أن يدافع أيضًا عن التقييد الحكومي لهذا الكلام[٩].

وعلى العكس من ذلك: من يعد الأفعال الكلامية دومًا للكلام فقط، وليس لتنفيذه ، وبذلك يجعل الحتمية نسبية، تلك التي لا تعرض بها أفعال كلامية معينة أفعالاً بشكل رمزي فقط، بل تنجزها حقيقةً أيضًا، فإنه سيهتم بالأحرى بتقييد تدخلات حكومية، ويأبى إلا أن يتبين أشكال منأوة سياسية ويبقيها مفتوحة ، تلك التي (لا يجب) أن ترفع الأمر إلى المحكمة. وفي هذا المنظور الذي يدور الأمر فيه حول الحفاظ على مساحات تصرف سياسية لفعل غير- حكومي، يتميز موقف حرج بالنسبة لفكر/ ما هو ٢٤٤ أدائي: ويمكن أن تقدم نظرية قوة فعل الكلام في الوقت نفسه مشروعيةً

(٨) نيويورك تايمز، يونيه ١٩٩٥ اقتباس عن بتلر ١٩٩٨، ص٣٩ (بالإنجليزية ١٩٩٧ ، ص٢٢٢).

(٩) بتلر ١٩٩٨ ، ص ٤٠ (بالإنجليزية ١٩٩٧ ، ص٢٣).

لتقوية قوة تدخل الدولة والعدل، التي يمكن أن تكون نتيجتها أيضًا تجريد قوة المتكلمين أنفسهم باسم سلامة الدولة ومصلحتها العليا.

هذا هو الحافز السياسي، الإطار الخاص بنظرية السياسة، الذي تحركه جوديث بتلر لطرح السؤال عن القوة الإنجازية للأفعال الكلامية مرة أخرى. >وكون الكلام شكلاً للفعل لا يعني ضرورة أنه يفعل ما يقول<[١٠] . ولكن كيف تستطيع جوديث بتلر أن توفق تخفيفها المقصود للعلاقة بين الكلام والفعل مع دعواها أن تقدم بذلك إسهامًا في نظرية ما هو أدائي ، الذي تحدده أيضًا بأنه توافق التعيين والتنفيذ[١١]؟

لقد أشرنا إلى الاتجاه الذي يجب أن نبحث فيه عن الإجابة:

في منظور الكلام الثري النتائج سياسيًا لا تفسر جوديث بتلر الفعل الكلامي بأنه فعل التكوين فقط، بل فعل التحويل، وينبغي أن يُفسر الدور الإنجازي للكلام على نحو أن الأداء اللغوي لا يعني تأكيدًا وحفاظًا على علاقات غير لغوية للقوة والسيطرة، وعلى أعراف اجتماعية فقط، بل يتشكل متوافقًا مع تغير القوة والأعراف. فالكلمات ليست لها قوة أدائية فقط، بل يمكن أن تغير توجيه قوتها أيضًا، يمكن أن تخل بأن تُستعمل الكلمات مرة أخرى[١٢] وكون هذا ممكنًا ليس بظاهرة سياسية، بل ظاهرة لغوية: يتعلق بالبنية الأدائية للكلام ذاتها أنه خلافًا لما توحي به نظرية الفعل

(١٠) بتلر ١٩٩٨ ، ص ١٤٧ (بالإنجليزية ١٩٩٧ ، ص١٠٢).

(١١) بتلر ١٩٩٨ ، ص ٦٨ (بالإنجليزية ١٩٩٧ ، ص٤٤).

(١٢) بتلر ١٩٩٨ ، ص ١٣٤ (بالإنجليزية ١٩٩٧ ، ص٩٢).

الكلامي- لا توفي المصفوفة الفاصلة بين فعل كلامي موفق أو فاشل بهذه الحال الصعبة. ويوجد بوجه خاص مفهومان يمكن أن ترشد جوديث بتلر بهما في إعادة تصورها للأدائية : >الاستحضار< (>invocation<) (المناشدة) و >interpellation< (استجواب)<، وتشكيل الاقتباس (>citationality<).

٢- الاستحضار، التكوين الخطابي للذوات

٢٤٥ / لماذا تصاب كلمات، وكيف تجرح لغة؟ هل يمكن أن ترجع هذه الإصابة الفيزيائية لقدرة التأثير الحاصلة للغة إلى أننا لسنا كائنات جسدية فقط، بل >كائنات لغوية لمعنى محدد< ، وبذلك نحتاج إلى اللغة لكي نكون؟ هل ترتكز إمكانية إصابتنا من خلال اللغة. إلى أنه توجد شروطها ، التي تشكلنا؟< (١٣) إن اللغة لا تعد بالنسبة لجوديث بتلر أداة للاتصال والتعبير، بل تصير شرطَ الوجود الإنساني (١٤). ولكن ماذا يعني أن كائنات إنسانية متشكلة من خلال اللغة وأننا إذن كائنات خطابية؟

بالإجابة عن ذلك نكون عند الخطوة الأولى لإعادة بنائنا للفهم اللغوي لبتلر: إن الأمر يتعلق بنهج تُطلق عليه بتلر >الاستحضار<، ويعني بذلك بدايةَ التسمية (١٥)، وبنية الخطاب- المتجذرة فيها. فمن خلال

---

(١٣) بتلر ١٩٩٨ ، ص ٩ (بالإنجليزية ١٩٩٧ ، ص١).

(١٤) >حين تشكل الذات المتكلمة من خلال اللغة التي يتكلمها أو تتكلمها ، فإن اللغة تمثل شرط إمكانه أو إمكانها، وليس مجرد أداة تعبير له أو لها< (بتلر ١٩٩٨ ، ص٤٦ (بالإنجليزية ١٩٩٧ ، ص٢٧).

(١٥) بتلر ١٩٩٨ ، ص ٢٨ وما بعدها ، وبتلر ١٩٩٨ ، ص٤٧ وما بعدها.

الأعلام ننتقل في الحياة الاجتماعية في >مكان اجتماعي، وفي زمان اجتماعي< [١٦].

إن الاسم يمنحنا هوية لا تتبدل، ويعطينا >تفرداً في المكان والزمان<[١٧] ،وهذا من البداية وكذلك أمام كل تشكل فردي، ومن خلال التسمية يتبدل الطفل الصغيرمن >شيء < إلى> هي<أو> هو< ...ويتوصل من خلال استحضار (استدعاء) الجنس الاجتماعي إلى مجال اللغة والقرابة [١٩].

ويتيح ربط الاسم بحامله، وتشكيل الشخص من خلال العلم >وجودنا اللغوي< [٢٠]، / بحيث إننا ، ونحن نسمى، يمكننا أن نسمى مع الوقت آخرين أيضًا. ٢٤٦

وهكذا ليس أننا أنفسنا نتكلم، بل بشكل أساسي للغاية أننا نحصل على اسم، ويمكننا أن نُخاطَب بهذا الاسم، يجعلنا نصير أحد أعضاء الجماعة اللغوية، ذاتًا متكلمة. وتقصد جوديث بتلر بمفهوم > الاستحضار<[*] هذه البنية للخطاب: فقدرتنا على الكلام تُستنبَط من

---

(١٦) بتلر ١٩٩٨ ، ص ٤٧ (بالإنجليزية ١٩٩٧ ، ص٢٨).

(١٧) بتلر ١٩٩٨ ، ص ٩ (بالإنجليزية ١٩٩٧ ، ص١).

(١٨) بتلر ١٩٩٨ ، ص ٢٩ (بالإنجليزية ١٩٩٣ب ، ص٧).

(١٩) بتلر ١٩٩٥ ، ص ٢٩ (بالإنجليزية ١٩٩٣ب ، ص٢٩).

(٢٠) بتلر ١٩٩٥ ، ص ٢٩ (بالإنجليزية ١٩٩٧ب ، ص٢٩).

(*) تستخدم جوديث تبلر مصطلح Anrufung= invocation الذي له عدة معان، منها الاستدعاء والاستحضار، والمناشدة، والتوسل، والتضرع ، والإنفاذ....

خلال الميل الذي تخوله التسمية لأن يصير مخاطبًا به[٢١].

هذا التشكيل من خلال الاسم هو أيضًا ما يجعلنا نجرح في الوقت نفسه بالشتمة التي ننادي بها. وتعني إرادة تنظيم التأثيرات الجارحة للكلام والقضاء عليها دائمًا أيضًا تقييد أو حتى تقويض ما ينتجنا أساسًا بوصفنا ذواتًا لغوية [٢٢].

وتظن بتلر أن كل أشكال فعل ما تقريبًا تتغذى من خلال اللغة بهذه القوة التشكيلية للاستحضار، التي تتذبذب بين قطبي تمكين بالكلام وإضعاف التمكين من خلال الكلام. ولكن كيف يمكن أن تفسر هذه القوة التشكيلية؟

لا توجد تسمية دون عرف. حتى حين يعزو العلم للفرد تفردًا فإنه يستطيع هذا بمقتضى الاشتراك في >تعميم وتاريخية< [٢٣]، الذي يُلحَق بطرائق التسمية بوصفها تقاليد خطابية لجماعة لغوية ما. ولكن ليس زمن الخطاب زمنَ الذات المفردة. وهكذا حين يكون الاسم الذي نصير من خلاله متكلمين فإن قدرتنا الكلامية تكون تابعة دائمًا لشيء لا يقع في سلطتنا.

وبالنسبة لما لا يخضع لسلطتنا دائمًا أيضًا لدى جوديث بتلر الاسم >لغة<: >يكون الاستقلال في الكلام ما دام يوجد،و تحتمه تبعية جذرية

(٢١) بتلر ١٩٩٨ ، ص٥٠ (بالإنجليزية : ١٩٩٧ ، ص٣٠).

(٢٢) بتلر ١٩٩٨ ، ص٤٥ (بالإنجليزية : ١٩٩٧ ، ص٢٧).

(٢٣) بتلر ١٩٩٨ ، ص٤٨ (بالإنجليزية : ١٩٩٧ ، ص٢٨).

وأصليـــة للغـة، يتـــجـاوز تاريخـــهـا تاريخـيـــة الذات المتكلمـــة في كل الاتجاهات<[٢٤].

ولكن حين يكون هذا هو تشـخيص هذه الأسـبقـية للغـة في مقـابل الكلام المكرر/ ، فالإمَ تؤدي نظرية الاستحضار: هل لا تيصير جوديث بتلر ٢٤٧ بذلك بطلة افتراض أولية اللغة في مقابل الكلام، ولكن ينبغي أن تتُنَاول في هذا الجزء بوصـفهـا معـارضة له؟ وهل لا يُشكل تكوينهـا الخطابي للذات بديلاً خاصًـا بنظرية الثقافـية لتقـدم النحو في مقابل الاسـتعمـال- يعد هنا الآن نحو الخطاب- في مقابل الأفعال المفردة للذات؟

وحـتى نجيب عن ذلك يجب أن نعـاين تفـسيـر بتلر للأدائية اللغـوية بشكل أدق، لأنه بالنسبة لها يرتقى >ما هو أدائي< إلى مفهوم مفتاح، يمكن أن يُفسَّـر به أن كل تحقـيق، ذلك الذي لا ينشط في ذلك، لا يؤكـد ويحقق فقط، بل يوضع موضع شك أيضًا ، يتغير تفسيره، وبذلك يمكن أن يتغير.

٣- الكلام فعل جسدي

يعد الفعـل الكلامي فعلاً مستـقلاً لمتكلم. وهو بدقة اكـتشاف للدور الأدائي لمنطوقات أدائية ، تُقوِّي وتُبـرِز هذه الصورة لقدرة الفعل لدى ذات متكلـمة: فيمَ يمكن أن تُثـبَت هذه القوة للفـعل بشكل أفضل مما فـي الفعل الكلامي الناجح الذي ينفذ حقيقةً أيضًا ما يعني؟ حين يمكن أن تكون اللغة مؤثرة بشكل أساسي ، وأية قوة صلاحية تزداد للذين يُرخَص لهم استعمال

(٢٤) بتلر ١٩٩٨ ، ص٤٧ (بالإنجليزية : ١٩٩٧ ، ص٢٨).

اللغـة أداةً لمقـاصـدهم ؟ في الواقع يوجـد >المنطوق الأدائي الإلهي، الذي يمكن أن ينشئ ويكون بشـكل كاف مـا يعين< [٢٥] ، الذي يقـدم- على أية حـال بالنسـبـة لجـوديث بتلر- النمـوذج الكامن لنـظرية الفـعل الكلامي. ويسري هذا بوجه خاص على تلك الصياغات لنظرية الفعل الكلامي، التي يمكن أن تُظـهـر القــوة الأدائيـة لـلمنطوقــات من المتكلمـين، وترجع إلى مقاصدهم.

وفي الواقع : الإنســان ليس الخالق، ويعني هذا ابتـداءً الإقرار بأنه لا يوجد تطابـق يكفله بشكل آلي وقوع شـروط محددة بين مـقاصـد و بين ما نقول، وكذلك/ ما يحدث ، ونحن نقول شيئًا . وما يفرقنا _ ضمن غيره- ٢٤٨ عن الخـالق هو أننا لدينا جسـد، وهذا الجـسد يُسـتعـمل في كلامنا أيضًـا. >...الكلام نفسه (هو) فعل جسدي< [٢٦]. وبمقتضى هذه الجسدية لكلامنا يكون ما نقول، أكثر دائـمًا مما نقصد أن نقول: >الفعل الكلامي يقول دائمًا أكثر أو يقوله على نحو آخر غـير ما يريد أن يقول... وتعني فكرة أن الفعل الكلامي فعل جـسدي أنه يتضـاعف في لحظة الكلام: فإلى جانب مـا يقال توجد طريقة للقول، تنفذها >الأداة< الجسدية للمنطوق [٢٧].

ويثـبت في أفق هذه الجسـدية للكلام الفـعل الكلامي الذي يمكن أن يسود قصديًا بشكل تام بأنه خيال (تصور Phantasma).

---

(٢٥) بتلر ١٩٩٨ ، ص٢٨ (بالإنجليزية : ١٩٩٣ ، ص٧).

(٢٦) بتلر ١٩٩٨ ، ص٢١ (بالإنجليزية : ١٩٩٧ ، ص٩).

(٢٧) بتلر ١٩٩٨ ، ص٢٢ (بالإنجليزية : ١٩٩٧ ، ص١٠).

وتقدم جسـدية المتكلمين في الوقت نفسه تفسيـرًا لمسألة لماذا يمكن أن يخاطب، ويجرح أيضًا: >لا يتحدث المتكلم فقط، بل يوجه جسمه الخاص إلى الآخـرين، ويكشف بـذلك عن أن جـسـد الآخـر يمكن أن يُجـرحَ بالخطاب< [٢٨].

ولكن حيث يُـفسَّر عـدم إمكان المتكلم ضبط الفـعل الكلامي بشكل تام، يبقـى باستمـرار شخص المتكلم ذاته الذي تتـخذ منه لعـبة التـبادل بين >ماذا< و >كيف< للكلام منطلقها... بيد أن فـكرة الفعل الكلامي المستقل هو خـيـال لا يعلل فقـط بأن الفعل الـكلامي فعـل جسـدي، بل بأنه فـعل خطابي. ويوجد ابتـداءً في بنية الخطابية ذاتها أن الموقف المحـوري للمتكلم أن يكون فاعلاً، يُجعل نسبيًا. كيف إذن يجب علينا أن نفهم هذا؟

٤- تغير تفسير ما هو أدائي: تشكيل الاقتباس

حين يصـير إشكاليًـا في نظرية الفـعل الكلامي رجـوع ما هي أدائيـة بمقـتـضى منطوق ما إلى مـقاصد المتكـلمين، يبقى سبـيل تفسـير آخر أكـثر تجريبـيًا. وهذا هو الاستناد إلى أعـراف . هذا السبـيل قد سلكه أوستن: إذا أردنا أن نعرف/ مـا الشروط التي يكون للكلمـات في إطارها القدرة على استـدعـاء ما تـثيـر إليه، فـإننا يجب أن نفـتش في الأعـراف والمؤسسـات والعادات التي تنظم السلوك الاجتماعي للمتكلمين: هل المنطوق> أنفصل عنك (أطلقك)< ينطقه الرجل في مقـابل زوجه هو منطوق أدائي، لا يمكن

٢٤٩

(٢٨) بتلر ١٩٩٨ ، ص٢٥ (بالإنجليزية : ١٩٩٧ ، ص١٢).

حسمه بنظرة في الأعراف اللغوية، بل في المعطيات المؤسساتية لثقافة ما. هل تصير الكلمة فعلاً يقرره إذن السياق غير اللغوي. وقد منح بورديو هذا السياق غير اللغوي المظهَر الخارجي لسيطرة اجتماعية، أساسها استقلال المتكلم. وبذلك تُرجع قدرة تأثيرها في اللغة إلى قوة غير لغوية سابقة. وبتعبير بورديو، الذي تقتبسه بتلر، بمقصد نقدي في الواقع : >.... (تتلقى) اللغة استقلالها من خارجها.... <[٢٩].

وتتبع جوديث بتلر أوستن وبورديو باستعدادها ربط الدور الإنجازي (لا تفرق اصطلاحيًا بين >أدائي< ، و> إنجازي<) للكلام بأعراف. حين تكون الكلمات... ذاتها نوعًا من الفعل، فإن ذلك ليس لأنها تعكس قوة القصد أو قوة الإرادة لفرد ما، بل لأنها تُستمَد من أعراف[٣٠].

ومع ذلك حين يقع في >منطق العرفية< أن علاقات القوة غير اللغوية هنا تعمل، فإن قوة التأثير الأدائية للغة تُجرَّد إلى شيء معار اجتماعي. ومع ذلك هل لا ترجع المهمة لتأمل الأدائية إلى تعليل لماذا لا تمثل اللغة مجرد قوة غير لغوية، بل تكون ـ في إطار شروط معينة- هي ذاتها متعسفة؟ هل بدلاً من أن تُفسَّر- كما يفعل بورديو- القوة الأدائية للغة من خلال خصوصيتها، يصير التمثيل أو التجسيد لقوة فعلٍ غير لغوية؟ في أفق نظرية الاستحضار لجوديث بتلر، الذي نكون وفقًا له كائنات ، لا تستعمل

---

(٢٩) بورديو ١٩٩٠ ، ص٧٥، وبتلر ١٩٩٨ ، ص٢٠٧ (بالإنجليزية : ١٩٩٧، ص١٤٦).

(٣٠) تبلر ١٩٩٣ أ ، ص١٢٤ .

ببساطة اللغة، بل تتشكل من خلال اللغة، يجب أن يحصل السؤال عن قوة ما هي أدائية على إجابة تستند إلى اللغة والكلام، وليس إلى آليات غير لغوية.

٢٥٠ ماذا في الوضع الأدائي لخاصيتنا اللغوية/ ، يمهد الطريق > لتفسير لغوي داخلي< للقوة الأدائية؟ في هذا الموضع يعمل تشكيل الاقتباس للكلام. وهذا بالنسبة لجوديث بتلر مفهوم مفتاح، تُدخل معه بُعدًا جديدًا في تفسير ما هو أدائي . وتصير الأدائية >صيغة لتشكيل الاقتباس<. أما ماذا يعني هذا فنريد الآن أن نوضحه في أربع خطوات: ١- إمكانية التكرير بوصفها إمكان تَشكُّل سياقي، و٢- إمكانية الاعادة المترسبة بوصفها بنية للزمانية، و٣- إعادة الدلالة بوصفها تحويلاً، و٤- الذات، هل هي شرط أو أثر للفعل؟

٤-١ إمكانية التكرير بوصفها إمكان تشكل سياقي

ترجع إلى دريدا فكرة أن معنى العلامة لا يمكن أن يرجع ببساطة إلى سياق استعمالها المعين، حيث إن ما يعد علاقة يحدد بدقة من خلال >إمكان الإعادة< ،> إمكان التكرير< [٣١]. فليس الدمج في السياق ، بل تحرر الربط بكل سياق معين بجعل علامةً ما ابتداءً العلامة. ولا يعني هذا أن دلالات العلامات منفكة السياق، بل يعني فقط: أن العلامات لا تُربَط بسياقٍ معين على نحو لا انفكاك منه، بل تُوجَّه دائمًا أيضًا في سياقات

(٣١) دريدا ١٩٧٦ (دليل حدث سياق) ، تبلر ١٩٩٨ ، ص٢٠٩ (بالإنجليزية: ١٩٩٧، ص١٤٧).

جديدة غير مألوفة. وتوجد ظاهرة: لها هذه الطبيعة للعلامة ليس مثل أخرى، يمكن أن تتكرر ـ ومن ثم يمكن أن تتشكل سياقيًا، وتتجسد، وهذه هي الاقتباس. لماذا يتحدث كل المتكلمين المستقلين تقريبًا لفعل أدائي بصور كلام، نمطية متكررة ، شكلية، هل ينطق القاضي بالحكم[٣٢] باسم الشعب أو هل يختم القسيس الزواج باسم اللَّه؟ ما يمكن أن يوصف في منظور نظرية علامات بأنه تشكل للاقتباس يتجلى في منظور نظرية ثقافية بأنها طقس، وشعيرة (مراسم). وفي هذا البعد الطقسي لمنطوقات أدائية لا يهتم بأحوال الوعي للمتكلمين ، بل بأنهم يستطيعون أن ينفذوا شيئًا بشكل نمطي متكرر./ ويمكن أن تنشأ أحوال وعي مناسبة بوصفها أثرًا للتطبيق ٢٥١ الطقسي. وعلى كل حال لفت هذا نظر بليز باسكال حين افترض أنه الطقس الديني الذي يولد الاعتقاد، بدلاً من أن هذا الاعتقاد قد وجد >خلف< و> أمام< الطقس، ويمكن أن يعلل الطقسَ أيضًا [٣٣]. وهكذا يعني كون قوة أفعال أدائية يمكن أن تُفسَّر بالاستناد إلى أعراف، وبالنسبة لجوديث بتلر إن هذه الأفعال الأدائية يمكن أن تُوصف من خلال تشكل الاقتباس الخاص بها وطقسيتها . ويصير إنجاز بدقة طقسًا من خلال أنه

---

(٣٢) >من خلال اقتباس القانون تُولد صورة الإرادة القانونية، وتُنشأ> الأسبقية< للاستقلال النصي. وفي الواقع يحصل الفعل الكلام للقاضي على قوته الملزمة من خلال إيراد أعراف< . بتلر ١٩٩٥، ص, ٣١٠

(٣٣) يستند التوسير إلى باسكال بمعنى أن الأفكار لا تتقدم الأفعال، بل تقيد ممارسات طقسية، بتلر ١٩٩٨ ، ص٤٢ تستند عبر التوسير إلى باسكال (بالإنجليزية: ١٩٩٧ ، ص٢٤).

وللعـــثـــور على إجــابة عــن ذلك يجب أن يمُارَس مظـهـر تـشكل الاقتباس. وهنا النقطة التي يصير فيها بالنسبة لجوديث بتلر يمكن أن يحسم السؤلان هل ومتى حقًا: كيف/ لا تتيح الأدائية لأفعال رمزية التأكيد فقط، بل تغيـير أبنيـة أيضًا: (٤٢) ويعد هذا المظهـر خاصيـة للمنطوق الأدائي لأن يكون >تنفيذاً< ،> ظهوراً<. وتطلق بتلر على هذا >إعادة الدلالة<.

٤-٣ إعادة الدلالة بوصفها تحويلاً

إن غـرض إمكان التكرير لدى دريدا هو ضـم تغيـر مـا هو مـتكرر، وتتبنى جـوديث بتلر هذه الفكرة، وتعطيها اسـتعمالاً ليس معـمولاً به لدى دريدا. ويظهـر نهج التكرير قدرة على التـحويل، حين يـفهم إعادة الإنـتاج على تمـثيل لما أعيـد إنتـاجه فى الوقت نفـسـه . أى حين يكون التكرير هو تمثيل لما هو مكرر. ويدور الأمر هنا حول بعد تمثيلى ضمنى فى فعلنا. ويقر فى طبـيعـة التمـثيل هذه لفعلنا أن إعـادة الإنتـاج يكون نوعًا من الإنتـاج، وتوجد فيـه فرصة أن يحول ما هو مكرر حين لا ينُجَز جـديد وآخر مطلقًا، وقد عرضت جـوديث بتلر أساسًا بشكل مـرتبط ببناء هوية الجنس أن فعلنا يكون مشابهًا للعبـة الأدوار التمثيلية (٤٣): فالجنس بالنسبة لهـا ليس حقيقة فيزيائية بل حقـيقة ثقافية، تنشأ في نطاق عدد كبـير من الأفعال التي لا تجد

(٤٢) «في كتابي >انزعاج الأجناس < أشرت إلى أن التغير والتبـديل هما جزء من عملية الأدائية ». بتلر ١٩٩٣ أ، ص, ١٢٣

(٤٣) >إن هوية الجنس هي نتـيـجة لتكرير طـقسي، يمكن أن يجلب مـخـاطرة الإخفـاق، ويمكن أيضًـا أن يتـرسـب ويثـبت ببطء< بتلر ١٩٩٨، ص٧٤ (بالإنجليـزية ١٩٩٧ ، ص٤٨).

فيها أدوارنا الجنسية ببساطة معطىً، بل نتلقاها ، ونمتلكها ، ونعملها كما يمكن أن يُتلقى دور في المسرح ، ويتعلم ، ويلعب.

وقد أشار أوستن إلى موقف التمثيل الضمني مع الأدائيات الأصلية. وعلى نحو مختلف عن ذلك استثمرت بتلر فكرة التمثيل هذه لصياغتها لنظرية الفعل الكلامي: يتجذر إعادة تأكيدها على الأدائية تقريبًا في الإفادة من هذا البعد التمثيلي. ولكن هنا تكتمل الدائرة: لأنه يوجد مرة أخرى الاقتباس الذي يقدم لبتلر / النمط الأصل للتكرير التمثيلي، الذي يغير ٢٥٤ دائمًا أيضًا ما هو مكرر. وبشكل محدد لأنها تدرك الأدائية اللغوية على أنها تَشكُّل للاقتباس ، ولكن من الجوهري للاقتباس تمثيل ما هو مقتبس، يمكن أن تؤسس ربطًا بين ما تعني الأدائية داخل النظرية اللغوية من جهة، وداخل النظرية الثقافية من جهة أخرى.

ويصير الاقتباس بالنسبة لها إعادة اقتباس ، والدلالة إعادة دلالة، والتشكل السياقي إعادة تشكل سياقي، وحين يكون كل فعل بوصفه فعلاً إنسانيًا، فعلاً علاماتيًا في الوقت نفسه، فإن قدرة (قوة) الفعل هذه (agency) ليست ببساطة القدرة على إنتاج العلامات وتفسيرها، بل على التحويل وإعادة تفسير علامات موروثة ومتلقاة. بشكل أصلي ليس توليد علامات، بل تغيير العلامات في الوقت نفسه أيضًا، ونحن نكررها: هذا بالنسبة لجوديث بتلر الشكل الحاسم لإبداعنا. وتتخذ أيضًا هذا المنظور في مقابل الظاهرة اللغوية للدورالإنجازي للمنطوقات . وبشكل محدد لأن الدلالة يجب أن تُفهم على أنها إعادة دلالة ، يمكن أن توقف ويحال دون

الحتمية، التي معها تصير الكلمات- في إطار شروط محدودة - أفعالاً أيضاً . وكون الكلمات تجرحنا، باعتبار أنها لا تمثل القوة فقط، بل هي ذاتها القوة ،وهي تمارسها: يمكن أن تُعطل هذه الآلية لما هو أدائي. وتعد إمكانية التعطيل هذه ما يقر في طريقة وظيفة ما هو خطابي دائمًا. ويتجلى هذا في طاقة التحويل لما هو مجازى التي نفصل بها علامات عن سياقها المعتاد، فهو لا تتوافق، تتناقض، تمثّل، باختصار: تستخدم على نحو آخر، ويمكن أن يُضاف إليها من خلال ذلك دور إنجازي جديد أيضًا. وتعني جوديث بتلر بأفعال كلامية، باعتبار أنها يمكن أن تصير دائمًا أيضًا أفعال مقاومة (*) ضد تلك الأعراف بدقة، التي ترسبت في هذه الأفعال الكلامية أيضًا، وتُؤكّد ويُحافظَ عليها أيضًا من خلال نجاحها.

وفي هذا المنظورالسياسي يتعلق الأمر بأن> المنطوق الأدائي يمكن أن تُبطل رسميته ، وتُنزع خصوصية من أجل أغراض جديدة< (٤٤). وهكذا / ٢٥٥

(*) اخترت هذه الترجمة للتركيب (insurrectionary Akten des Widerstandes acts)ـ من عدة إمكانات مثل مناوأة، وصمود، ومقاومة، وإن كان المقابل الإنجليزي يعني أفعال العصيان!

(٤٤) >هذه بالنسبة لي نقطة جوهرية، لأنها تمس من جديد إمكانية الفعل الكلامي بوصفه فعل مقاومة. فبالرغم أن فعلاً كلاميًا ما له استقلال بقدر ما يستقل، يستلزم أن السياقات المستقلة توجد لتلك الأفعال، وأن أفعالاً كلامية ما لا تعمل بحيث إنها تغير السياقات التي تستقل من خلالها أولا تستقل. وحين يكون كره الكلام نوعًا من الفعل ينبغي أن يبعث على صمت ذلك الذي تتوجه إليه .ولكنه في كلمات من يُبعَث على الصمت، يمكن أن يُجددً بوصفه ردًا غير متوقع، ثم تؤدي الإجابة عن كره الكلام إلى أن المنطوق الأدائي تُبطَل رسميته، وتُنزَع خصوصيُته من أجل أغراض جديدة<. بتلر ١٩٩٨ ، ص٢٢٦ (بالإنجليزية: ١٩٩٧، ص١٥٩).

تشكل إعادة الدلالة المتجذرة في طبيعة التمثيل لمنطوقات أدائية، الأدائيَة على نحو، يمكن أن يجعل من الممكن تفسير ليس فقط الحفاظ على أبنية اجتماعية بل على إمكان تغييرها. وما يبدو في منظور الحفاظ بأنه كسر لقاعدة موجودة يتجلى في منظور إمكان التغيير بوصفه شكلاً مستقبليًا له[٤٥]. وتوضح بتلر ماذا يعني هذا، مثلاً بالوصف> غريب/ غير سوى/ لوطي <: إذا فكر فيه بوصفه خطابًا جارحًا (استجوابًا) لشاذ، فإن هذا يغير وظيفة المفهوم بقصد مضاد >ضد اتجاه< [٤٦] إنكاره إلى سمة تماثل معينة. وذلك بقدر ما يتوصل في هذا إلى اقتباس الكلمة بشكل تمثيلي ، حيث قد حُوكي عرفُ موسوم، وبولُغ فيه، وأمكن من خلال ذلك أيضًا أن تُدفع وتُترَك طبيعته الموسومة[٤٧] وهذا يعني إذن التفكير في الأدائية مرتبطة بالتحويل < [٤٨].

٤-٤ نموذج الفعل: هل يوجد فاعل خلف الفعل أو لا يوجد؟

يجب أداء خطوة أخيرة في إيضاحنا لأبعاد تشكل الاقتباس. إنها

---

(٤٥) >في الواقع يمكن أن يكون الطقس، الذي يكسر قواعد الطقوس الدينية، باستمرار الطقس الدينية في شكله المستقبلي <. بتلر ١٩٩٨، ص٢٠٨ (بالإنجليزية: ١٩٩٧، ص١٤٦).

(٤٦) بتلر ١٩٩٥ ، ص, ٣١٣

(٤٧) تدرك الذات المقدمة من خلال استداعاءات معادية للشذوذ لها طبيعة شديدة التباين في الخطاب العلني> queer غريب/ غير سوي/ لوطي < على نحو متناقض، ولكن بشكل متوقع أيضًا هذا المفهوم نفسه بأنه أساس خطابي لمعارضة أو تقتبسه هكذا< . بتلر ١٩٩٧ ، ص٣١٩ .

(٤٨) بتلر ١٩٩٨ ، ص٢١٤ (بالإنجليزية ١٩٩٧ ، ص١٥١).

تختص بالنموذج أو بالأحرى: صورة الفعل الإنساني التي تنُشَأ فيه. ماذا يعني هذا حين يكتسب ما يعني> الفعل< و>فاعل الفعل< في نموذج الاقتباس؟

٢٥٦ / لقد كانت نظرية الفعل الكلامي التي طرحت بالربط بين الكلام والفعل تصوراً مميزاً من خلال خصوصيته أن يكونوا فاعلين واعين بأفعالهم. وباعتبار أن الفعل الكلامي عملية تامة زمنيًا، فإن المتكلم يعد أصلها: يضبط الخطيب- حتى يصير السامع ذاته متكلمًا- نصيبه في حدث الكلام. وتكون مقاصده التي يظهرها في إطار الإفادة من أعراف اجتماعية ولغوية. وفي فعل كلامي ناجح يمكن من خلال قصد المتكلم، ما دام قد وُفَّى بشروط عرفية، أن يُصيِّر الكلمات أفعالاً. هذه الأفعال _ وليست الكلمات فقط- هي ما يجب أن يتحملها المتكلم.

إن تصور الفعل لدى جوديث بتلر تساؤل جذري عن هذا النموذج لاستقلال المتكلم والفعل الكلامي أيضًا- وآخر الأمر يتعلق الأمر بالنسبة لها بالسؤال أي أهمية يمكن أن تكون لمقولة> الذات <_ ما تزال- في إطار الشروط الحالية . وفي الواقع لا تقودها شكوكها في استقلال الذات (الفاعل) إلى فصلها أو فصلها مطلقاً، بل تُحفَّز إلى تحويل لموقف الذات في سياق فعلها. كيف تُفهم إذن هذه الإعادة لتشكل الموقف؟

هذا هو الموضع الذي يصير ذا صلة بالتغلب المنهجي لبتلر على صورة فكرية تعادل إلى حد ما >منطق نموذج- العالمين< : منطق نحلل تبعًا

له حدث الفعل من خلال أننا نستند في ذلك إلى كيان- يكون نظامًا قاعديًا أو الكفاءة اللغوية أو ذات المتكلم- يمكن أن يقع خلف هذا الفعل ومستقلاً عنه، ويكون لا غنى عن لتفسيره في الوقت نفسه. كيف يبدو هذا التغلب؟

ثم إجابة عن ذلك في المتناول بشكل سريع: بالنسبة لجوديث بتلر لم تعد الذات الأصل، بل تأثير فعلها. هذه الصياغة يسيرة، ومع ذلك ليست كافية للتحقق من تغيير الموقع للفاعلين في نظرية بتلر (٤٩). لأنه حين يكون الذات تأثير حدث، يُستبعَد السؤال عن التبعية لهذا الحدث- لهذه الذات على أية حال. ومع ذلك تريد جوديث بتلر على نحو معكوس أن تتصور بنموذجها عن الأدائية/ وعن قدرة الفعل الذاتية المشتمل عليها صورةً ـ ٢٥٧ أخرى- للمسؤولية في الوقت نفسه أيضًا.

وتنطلق بتلر من اقتباس نيتشه ، وهو أنه لا يوجد >وجود< خلف الفعل، والتأثير ، والصيرورة، ويجب أن يكثف الفاعل في الفعل بشكل مجرد (٥٠).

وبالنسبة لنيتشه ينشأ ابتداءً من خلال السؤال الأخلاقي عن المسؤولية والتبعة السؤال عن ذات (فاعل) الفعل. حيث أُسقِطت بداية في وقت لاحق ذات بوصفها أصل فعل، والفعل بوصفه أثر ذات. ويحرك منظور

---

(٤٩) >... لا تمثل الذات فاعل فعل مستقل... بل تأثيراً مجرداً<. بتلر ١٩٩٨، ص٤٣ (بالإنجليزية ١٩٩٧ ، ص٢٥).

(٥٠) تستند بتلر إلى عمل نيشته ، >النسب< الوارد في : ١٩٩٣ أ، ص١٢٥، ١٩٩٨، ص٦٧ وما بعدها (بالإنجليزية : ١٩٩٧ ، ص٤٣ وما بعدها).

بتلر لتشكل الاقتباس الخاص بالفعل الكلامي هذا الربط بين مسألة التَّبِعَة والتركيب اللاحق للفاعل إلى ضوء آخر. ولم يعد يتعلق >التأخر<- كما هي الحال لدى نيتشه- بعزو (ذات) فاعل لفعل، بل يكون فعل الذات المتكلمة نفسها في وقت لاحق بمعنى أن القوة الأدائية لمنطوقاتها تدين بالفضل للتكرير المترسب من خلال تشكل الاقتباس. ولا يمكن أن تصير الذات الأصلَ المستقل والمسؤولَ الذاتي لمنطوق إلا بقدر ما يبقى هذا البعد التاريخي كامنًا: >هل تبدو إلى حد ما الذات مؤلفةً تأثيرات خطابية من خلال أن تطبيق الاقتباس يحدد ويحرك من خلالها، ويبقى غير معلم؟<[٥١]. وتتبع بتلر السؤال من خلال مثال >كره الكلام<. متى يوجد إخفاء تشكل الاقتباس لمنطوقات أدائية، الذي يجعل ذاتاً صاحبةَ أفعالها الكلامية القادرة على الحساب والملتزمة به، وأية مشروعية يمكن أن يزعم التتبع القانوني مثلاً لمنطوقات عنصرية وجنسية على حِدة؟ >هل يمتلك الفرد ذاته القوة لأن يحرج ، حين ينطق زعمًا (قولاً) جارحًا؟<[٥٢]، >أو ألا يستحضر في اللحظة التي ينطق فيها المنطوق، على نحو شبه سحري تاريخ المتكلمين وجماعتهم؟<[٥٣]وبتعبير جوديث بتلر من >أفعال أدائية وتكوين الجنس<: لقد ظهر الفعل،/ قبل أن يصل إلى المشهد (مسرحه)[٥٤]، ٢٥٨

---

(٥١) بتلر ١٩٩٨ ، ص٧٧ (بالإنجليزية ١٩٩٧ ، ص٥١).

(٥٢) بتلر ١٩٩٨ ، ص٧٥ (بالإنجليزية ١٩٩٧ ، ص٤٩).

(٥٣) بتلر ١٩٩٨ ، ص٧٥ أيضًا : >لا تحرك الذات التي تنطق بكلمات جارحة اجتماعيًا، إلا بسلسلة طويلة من استدعاءات جارحة< (بالإنجليزية ١٩٩٧ ، ص٤٩).

(٥٤) بتلر ١٩٩٠ ، ص٢٢٧ .

ولكن التاريخ لا يخضع أساسًا لأي تتبع منصف[٥٥]. وهكذا بينما يكون الخطاب الأخلاقي بالنسبة لنيتشه الذي يوجد ذاتًا في وقت لاحق ، تبين بالنسبة لبتلر معضلات التتبع المنصف للكلمات أن الخطاب الأخلاقي لا يجوز أن يستعمل الذات أصلاً تخييليًا، بل يجب أن يوضع في الاعتبار أن القوة الجارحة للكلمات لا تدين بقوتها للذات المفردة، بل لتاريخ الاستدعاءات الجارحة المترسب الكامن في اقتباسات كلامها.

وبذلك معضلات التتبع المنصف للكلمات أن الخطاب الأخلاقي لا يجوز أن يستعمل الذات أصلاً تخيليًا، بل يجب أن يوضع في الاعتبار أن القوة الجارحة للكلمات لا تدين بقوتها للذات المفردة، بل لتاريخ الاستدعاءات الجارحة المترسب الكامن في اقتباسات كلامها.

وبذلك لا تنجز مسائل المسئولية والتبعة- حتى إن تعلقت بأفعال كلامية- بأية حال من الأحوال، بل يجاب عنها على نحو آخر. >فالمسؤولية مرتبطة بالكلام بوصفه تكريراً، وليس بوصفه إيجاداً<[٥٦]. ويرجع التزام إلى خاصية الاقتباس في كلامنا: فنحن نجدد اللغة والعلامات في جماعة ما، حيث >نشيعها ونعيدها للحياة<[٥٧] وثمة أخلاق لاستعمال شيء لم ننتجه أنفسنا، ونوصله إلى آخرين، تنشأ هنا ، ولكن ليس أخلاق توليد شيء يعد إنتاجًا أنجزناه بأنفسنا، ويشيع. باختصار: >ثمة مسؤولة للمتكلم،

(٥٥) بتلر ١٩٩٨ ، ص٧٦ (بتلر ١٩٩٨ ، ص٧٦ (بالإنجليزية: ١٩٩٧ ، ص٤٩).

(٥٦) بتلر ١٩٩٨ ، ص٦٢ (بالإنجليزية: ١٩٩٧ ، ص٣٨).

(٥٧) بتلر ١٩٩٨ ، ص٦٢ (بالإنجليزية: ١٩٩٧ ، ص٣٩).

لا تكمن في كلامنا بوصفه خلقًا من حيث المبدأ، بل في التعامل مع ميراث استعمالها (اللغة- ز.ك) الذي يقيد ويتيح الكلام المعين< (٥٨).

٥- ما اللغة إذن وما الكلام؟

تعني نظرية الفعل الكلامي من منظور ما الشروطَ التي يكون كلام في إطارها فعلاً في الوقت نفسه. وتخطط جوديث بتلر منظوراً آخر إلى مراعاة الأفعال الكلامية: ما الشروط اللغوية وغير اللغوية التي يمكن في إطارها أن تُدفع وتُوقف الحتمية التي تكون معها كلام فعلاً في الوقت نفسه.

٢٥٩ / ونستطيع الآن أن نفهم لماذا لا يعد هذا > نكسة <خلف> الدور الأدائي<، بل مواصلة جذرية له. إن بتلر تحلل التسلسل الآلي للفعل الكلامي وتغيير العالم، ولكنها لا تحل طبيعة الفعل ذاتها. ما يهمها أن يرد في موضع آلية مجال لما هو أدائي. ودليل هذا التغير في التوجيه أن الأمر لا يتعلق في ذلك بـ إما وإما، بل بأن ما يفسر الآلية الأدائية يفسر في الوقت نفسه أن هذه الآلية يمكن أن تُوقَف وتُكسَر وتُحوَّل.

وهنا توجد ثنائية دلالية، ازدواج في المعنى، يتجذر في أننا نكون كائنات شُكِّلت من خلال اللغة. ونصير متكلمين من خلال استدعاء، أي ليس من خلال الكلام، بل من خلال الخطاب. ومع ذلك أيضًا لأننا نستدعي بأسماء وأوصاف، يمكننا من جهتنا أيضًا أن نسمي ونصف آخرين

---

(٥٨) بتلر ١٩٩٨ ، ص٤٦ (بالإنجليزية: ١٩٩٧ ، ص٢٧).

ونغير التشكل السياقي ودلالة الأسماء. فما يجرحنا من خلال اللغة يكون في الوقت نفسه مخزون قوتنا في اللغة.

إن اللغة هذ ذات (جوهر) ما قد تُحدِّث به في ماضي ثقافة ما: أي وسائل كلامية مترسبة ، متكررة. وفي الحاضر لا توجد اللغة، بل الكلام فقط، الذي تُحَد في الواقع وتفتح مجالات من خلال تصويرات كلام سابق. ويمتلك فعل كلامي بوصفه عنصراً فقط في هذه السلسلة قوةً أدائية. ولا يُعَيِّن أنه فعل كلامي مفرد أدائيته، بل إنه يستدعي أفعالاً كلامية ماضية من خلال تشكل الاقتباس. ومع ذلك حين تُودَع القوة المغيرة للعالم من خلال اللغة في التكرير، فإن التكرير يمكن، حيث يجب أن يفترض مع نهجه إمكانية تغير السياق، أن يهجر سياقات موروثة، وهكذا يمكن أن تنشأ من خلال إعادة التمثيل في الكلام سياقات جديدة ومن ثم معان جديدة.

ولقد تساءلنا في موضع آخر، هل الفكرة المحورية لبتلر حول قوة أساسية للخطاب لا يجب أن تستخدم الأولية النَسَبية والنظامية أيضًا للغة في مقابل الكلام المتكرر. بيد أننا نرى الآن أنه هذا التفسير للأدائية من خلال تشكل الاقتباس بأنها- بنية زمانية، ليست متساوقة مع أسبقية اللغة بوصفها بنية في مقابل الكلام، بوصفه تحقيقًا لها موجهًا إلى النشاط.

٢٦٠ وما هو جدير بالملاحظة/ في إجراءات التكرير هو أن ما تكرر متقدم عليها بوصفه مفردًا، ومن جهته موجهًا في المكان والزمان، وليس إلى حد ما أنها تشترك في نمط مجرد، تعد تمثيله الخاص. وبهذا المعنى يكون ما يمكن

أن يتماسك في بنية، دائمًا نتيجـة لأساليب التكرير فقط، وليس افتراضها . فكل ما له علاقـة بالهوية، والمثالية والعمـوم ليس كليات تقع خلف أو أمام الأساليب، بل ما ينشأ في إجراءات التكرير ومن خلالها.

خامسًا: خاتمة

١٤- خارج الصورة اللغوية العقلية أو: لماذا لا تتبع علاقة اللغة بالكلام التفريقَ بين النموذج والتحقيق؟

/ لقد استعرضنا الرواق بأفكارنا اللغوية ذات النزعة النقدية العقلية. ٢٦٣
فهل يتميز الآن شيء مثل >المخطط< لتصور غير عقلي للغة؟ هل يوجد أصغر قاسم مشترك، >كم متوسط< بين المواقف المتباينة التي جمعت هنا من ناحية منهجية واصطلاحية؟

وربما ليس من الصعب كليةً أن تُسحب قائمة بأبجديتنا للصورة اللغوية الغربية وأن تبين كل سمة أن مؤلفي المعالجة أخيرًا يقيمون تأكيدات على نحو آخر، وكيف ذلك... وفي الواقع المشكلة في هذا النهج أننا سوف نجد دائمًا عدة مؤلفين، ينكرون سمة ويرون الوضع على نحو مغاير تمامًا- كما هي الحال حين لم ينطلق لوهمان وديفيدسن من الكلام، بل من الفهم والتفسير بوصفهما حدثًا أساسيًا اتصاليًا، أو حين جعل لا كان وبتلر جسدية المتكلمين شرطًا ضروريًا، أو حين يعد فيتجنشتاين ودريدا عدم خطابية اللغة مسألة أساسية. ومع ذلك فنادراً ما تكون صفة من هذه القائمة مناسبة لأن نقيد كل المؤلفين ذوي النزعة النقدية العقلية بلا استثناء في رفضهم هذه الصفة بهدف واحد. وعلى هذا نريد أن نسلك نهجًا آخر في بحثنا عن أوجه التشابه : حيث نرجع مرة أخرى إلى الفرض المسبق لنموذج العالمين.

هذا النموذج ملزم بعقيدة (Credo) : وهي الفرض المنهجي القائل إنه يمكن أن يُفرَّق في وصف خاصيتنا بشكل مفيد بين مخطط/ ونموذج/

وقاعدة من جهة، واستعمال / وتحقيق/ وتطبيق من جهة أخرى، ويمكن أن يكون الاقتناعُ بأنه يوجد ما يشبه لغة واتصال بشكل أبدي، أي لغة واتصال مستقلان، لا يثيرهما مرور الزمن، وكليان غير متُحزين لوسائط، ككيان موجود/ بيولوجيًا أو اجتماعيًا أو كفرض حتمي في الكلام، إذن نتيجةً ٢٦٤ لهذا الفرض المنهجي. وعلى هذا النحو يتحتم ظن في أي اتجاه يجب أن نبحث عن ملمح مشترك: سوف يتعلق بتصورات لغوية، يمكن أن تجمع تحت معايير سلبية. وهذا المبدأ هو:

من غير المفيد- لأية أسباب دائمًا أيضًا- أن يفرق بين مخطط واستعمال مقوليًا، أي بمعنى كيفيات الوجود المختلفة الطبقات.

وفي الحقيقة تتبع كل التصورات اللغوية التي عُرِضت هنا أخيراً هذا المبدأ- إنها تفعل هذا افي الواقع على نحو متباين بشكل ملحوظ. ولما كانت نظرة أن الأمر كذلك حقيقةً، تضيع بسهولة من خلال اختلاف المواقف المعالجة نريد أن نقترح مرة أخرى طريقًا خلال الخيوط المتشابكة لهذه التأملات اللغوية المختلفة: نقدم لمفكرينا اللغويين سؤالين، وندعهم ليجيبوا عنهما- باختصار ضروري، وليس من خلال اقتباس ولكن بشكل تخييلي .

السؤالان هما:

(١) لماذا لا يعد التفريق بين نموذج (قاعدة) ، وتحقيق (استعمال) نموذجًا جيدًا، لتفسير العلاقة بين اللغة والكلام؟

(٢) هل توجد ما تشبه لغة >خالصة< أو اتصال >خالص<؟

إجابة ڤيتجنشتاين:

(١) نستطيع أن نفرق بين لغة وكلام، بين قاعدة وتطبيق للقاعدة، بين تفسير القاعدة واتباع القاعدة، كما نفرق بين ألعاب لغوية، تتبع في كُلٍ قصوداً مختلفة، وتوجد لعبة اللغة اللغوية التي تميز جملاً محددة بأنها جمل نماذج صحيحة نحويًا. اللعبة اللغوية للتفاهم اليومي التي نادراً ما تنطق فيه جملة صحيحة مفردة. ولا تقع الألعاب اللغوية بشكل متوالٍ أو بعضها فوق بعض، بل بشكل متجاور، ولا توجد نماذج وأشكال تعد أساسًا لحالات مفردة بوصفها نماذج وأشكال عامة. ما يوجد هو ظواهر موجهة (محددة) مكانيًا وزمانيًا، تُمَيَّز في واقعنا العملي بأنها على سبيل التمثيل أو بشكل نموذجي، وبذلك وتبعًا لذلك يمكن أن تُستخَدم معياراً وشكلاً.

٢٦٥ / لا توجد لغة خالصة لسببين: (أ) لا يمكن على الإطلاق الحفاظ على الفصل المقولي بين اللغة والصورة بالنظر إلى اللغة ذاتها. فاللغة تقوم دائمًا أيضًا بوظيفة الصورة، أي تبلغ بُعدًا غير- خطابي . ومن ثم اللغة ليست ظاهرة خطابية خالصة. (ب) تُقدَّم اللغة بوصفها جزءًا من صيغة حياة. ولذلك ليست القواعد اللغوية- مثل قواعد أخرى- مفسرة ذاتيًا ، بل تحتاج، وبذلك يمكن أن نتبعها، إلى تضمين في أساليب ، نتدرب فيها ونتعلم ، أي معروفة لنا.

إجابة أوستن:

(١) حين يتعلق الأمر بفعل- ويكون الاستعمال اللغوي فعلاً-فإنه لا يتعلق بجانب القصود، الخطط، النماذج، بل بجانب التنفيذ لأنه خلافًا للقصد- المثالي- يمكن أن يخفق التنفيذ- الواقعي-. الفعل هو ما يمكن أن يخفق. وما يكون جوهريًا في الاستعمال اللغوي يجري في جانب الكلام الحقيقي ، وليس في جانب اللغة الممكنة. ويمكن أن تطبق هذه النظرة في احتمالية الإخفاق على الكلام الوصفي عبر اللغة أيضًا: ويمكن أن تصطدم كل الأنظمة المفهومية، التي تُنشيء حدوداً محددة- وتفعل هذا غالبًا أيضًا- بتعقد الواقع، ما دامت تزعم بشكل أدائي أن العالم هو مثلما يعني مفهومه.

(٢) ليست ظاهرةً لغوية داخلية القوُة الأدائية لمنطوق على وصف عالم ما بشكل غير بسيط، بل على تغييره في الوقت نفسه بنطق المنطوق. هل تُقيم أفعال كلامية ما تَصِفُه حقيقةً، ولا تكشفه النظرة إلى اللغة، بل إلى الثقافة . وتتجذر القوة الأدائية في أعراف الواقع الاجتماعي وأبنيته: فالطقس والكلام يسيران في الأدائيات النمطية الرئيسية جنبًا إلى جنب، وهما يمكن أن يكمل كل منهما الآخر، وأن يتبادلا: وما يتجلى في الحال الخاصة للأدائيات النمطية الرئيسية له أهمية بالنسبة لكل كلام: تتجذر قوة اللغة فيما / (لم يعد) لغة ، خالصة : فاللغة ليست مستقلة. ٢٦٦

إجابة لوهمان:

(١) يمكن أن تعاد صياغة التفريق بين النموذج والتحقيق بوصفه العلاقة الملاحَظة نسبيًا بين الوسيط والشكل: فالنموذج يؤدي دور وسيط (غير مرئي)، ولكن التحقيق يصير الشكل (المرئي). واللغة وسيط، ولذلك تظل غير مرئية، في حين أن ما نراه هو الشكل المختلف تاريخيًا والمؤثر دائمًا- للكلام أو الكتابة أو للمهاتفة... فقط حين يُبدل منظور الملاحَظة، بحيث تُعد مثلاً الكتابة الوسيط، الذي توفق فيه اللغة إلى العرض، يمكن أيضًا أن تُعد اللغة ذاتها شكلاً.

(٢) حين تقتصر ملاحظة الشكل اللغوي علي الكتابة مثلاً لا تكون الكتابة لغة، بل نوعاً من وسيط مختلف عن اللغة. إذن يوجد دائمًا فقط: شكل- اللغة- في- وسيط- الكتابة. ويجب أن تظهر اللغة بمظهر اللالغة حتى يمكن أن تصير مرئية كشكل لغوي أساسًا.

إجابة ديفيدسن:

(١) إن السؤال عن علاقة النموذج بالتحقيق صياغة للسؤال عن العلاقة بين مخطط مفهوم، ومضمونه (الإمبيريقي)، ولكن لا يوجد ما يشبه مخطط مفهومي ، يشترك فيه كل من يتحدث اللغة ذاتها، لسبب بسيط لأنه لا يمكن أنْ يجعل مقبولاً أيضًا أنه توجد مخططات مفهومية مختلفة. وهكذا لا معنى للتفريق بين مخطط لغوي وتطبيقه المتكرر.

(٢) لا أهمية من ناحية النظرية اللغـوية للسؤال هل توجد لغة خارج الكلام. وتنبثق الأسباب التي تُعارض لغة مشتركة من الإجابة عن (١). فما زال يقال حـول جانب الكلام: ليس الكلام، بل الـفهم والتفسـير هما طريقة التـأكيد الحاسمـة وشكل إبداع لغوي. وفي ذلك يكون فهم المنطوق حالةً لفهم الأشخاص./ وما ننتجه، حين نفهم ، نظرياتُ صدق، يمكن أن تؤسس تفسيراتنا، التي تسري مع ذلك على منطوق مفرد فقط، وبـشكل أدق على متكلم مفرد. ولا ترتكز كفـاءة السامع في توليد نظرية لا نفـهم بمساعدتهـا منطوقًا ببسـاطة، بل الشـخص المعبر ، عـلى نوع من معـرفة قاعـدية، بل النكتـة الفورية ثراء اكـتـشاف نتـاجات فنـية. ولا ترتكز الكفـاءة اللغوية على معرفة ، بل هي فن: فن الحياة. ٢٦٧

إجابة لا كان:

(١) تُعيد مراجعة العـلاقة بين الدال والمدلول أيضًا تحديد العلاقة بين نموذج وتحقـيقـه. وعلى نحو مشـابه لما لدى ڤـيتـجنشتـاين ليس النموذج شيئًا آخر غير تحقيق محدد، يشغل موضع نموذج، وبذلك يقوم بوظيـفة نموذج ، يُجعل النمـوذج. هذا دليل الرأي القائل إن الدال ليس شيئًـا آخر غير مدلول يُحـرك إلى موضع الدال. وتقدم الاسـتـعـارة والكتـابة دليـلاً على هذا النهـج: هكذا لا يجب أن يسـتعـمل تفـسيـر معنى رمـزي من خـلال إمكان ورود شيء في

موضع شيء آخـر، الثنائية بين مثـالية/ ما هو داخلي ومـادية/ ما هو خـارجي، بل يمكن أن يستـغني فـقط عن مستوى، مـستـوى الخارجـية الذي يمكن أن توضـع فيه كلـمة بدلاً من كلمـة أخرى مدلول بدلاً من مدلول آخر.

(٢) لما كان التـفريق الذي يُهتَم به لـيس التفريق بين لغـة وكلام، بل التـفـريق بين بعـدين في الكلام ذاته، فـإنه لا يمكن أن تُقـدم لغـة خالصـة متجانسة أيـضًا: إن منطوقاتنا اللغوية ذات تطبـيق دائمًا. ففي البعد الأول يبين الـ (أنا) (بحـرف كبير<I >) ، اعتماده على الآخرين ، هذا النوع من الكلام لا يوجهه وعينا، بل مقاصدنا، بل يتضح في ذلـك ما هو لا شعـوري الذي يدرك هو ذاته مثل مـثال لغوي. وفي الـبعد الآخـر يُخفى الـ (أنا) (بحـرف صـغير، >i<) اعتمـاده على الآخر، حيث يظهر ويتـحدث كفاعل مـستقل، واع بذاته، محكم قصديًا.

إجابة دريدا

/ (١) توجد العلاقـة التقليدية- الميتـافزيقية- بين الشكل والتـحقيق ٢٦٨ مرة أخـرى أيضًا فـي العلاقـة بين اللغة والكتـابة. ولكن يمكن أن يُوضح في العـلاقـة بين النظام الأسـاسي اللغـة، والنظام الثـانوي الكتابة أنه- كـما هي الحال دائـمًا، حين يُؤسس تدرج مفـهومي- يتضـمن المفهوم الثـانوي شيئًـا، يعد أساسيًـا للمفهـوم الأساسي، ويتجاوز هـذا أيضًا، ومن ثم يقلل تركيز المخطط الكلي للـتفريق

بين مـا هو أساسي ومـا هو ثانوي . وما يجـسـد الكتـابة هو مـبدأ إمكان التكرير ، والإلحـاق اللذين يعـدان شرطين ضـروريـن لكل استعمال للعلامة. ويمكن مثلاً على أساس إمكان التكرير أن يفسر شكل لغـوي بأنه شيء عـام، لا يتـقـدم على الإنجـاز الخـاص في الكلام، بل لا يُـشكَّل أسـاسًـا إلا من خـلال إنجـازات مــتكررة بوصفـها شكلاً. ويثبت التكـرير دائمًا أيضًا مـرتبطًا بالإلحاق، أي بالفاصل الـزمني الذي يتغذى منـه كل تكرير، أنه تغيـير، ومن ثم أنه تغيير لما هو متكرر.

(٣) لا يوجـد نظام علامـات > خالص<، لأن كل حـدث علامـاتي حـالي هو أثر لحدث عـلاماتي مـاض، يتكرر ويتـغيـر في الوقت نفسه. ومن ثم أثر شـرط إمكان علامة ما، وفي الوقت نفـسه عدم إمكان علامـات خالصة. ويسـري هذا على اللغة أيضًا: فـالكتابة شرط إمكان اللغة >الخالصة< وعدم إمكانها: لا يمكن أن تقدم لغة > خالصة< لأن شكل اللغـة لا يُتولد إلا بوصفـه أثرًا لأبنية كـتابة متكررة.

إجابة بتلر:

(١) يُدرك مـا يعـد في علاقـة القـاعدة/ النـموذج والاسـتـعمـال/ التحـقيق جانب التطـبيق، على أنه > تمثيل< أو >إعادة اقـتبـاس< وترجع نكتة إدراك الاستعمال أو التطبيق على أنه إعادة تدليل إلى أمرين : (أ) في كُـلٍّ إنجاز يترسب إنجـاز سابق، ومـا يعد قـاعدة/

نموذجًا/ عرفًا هو التكرير المترسب لأساليب ماضية في الأسلوب الحالي في كُلٍّ. وترتكز على ذلك القوة الأدائية للمنطوق.

(ب) تقدم إعادة التدليل / إمكانية- استنادًا إلى تضافر التكرير والتغيير لدى دريدا- التباعد عما هو مقتبس في الوقت نفسه، وإعادة تفسيره وإعادة توظيفه. ولذلك يمكن أن تُوقَف القوة الأدائية لكلام ما أيضًا، ويمكن أن يُعطل في نطاق تحقيق مخطط ما المخطط ذاته، ويمكن أن تصير قاعدة ما إلى تطبيق للقاعدة في الوقت نفسه. ٢٦٩

(٢) على الرغم من أننا- وذلك متوافق مع التسمية- كائنات متشكلة لغويًا فإن كلامنا ذاته فعل جسدي دائمًا. وذلك بمعنيين: (أ) نحن يمكن أن نجرح بالكلمات. وتكون القوة الأدائية للمتكلم ليس لوصف العالم فقط، بل للاشتراك فيه، في الكلمة الجارحة مظهرها الأصل. (ب) لأننا نتكلم بوصفنا كائنات جسدية، لا يخضع ما نقوله لمراقبة تامة لمقصديتنا. ونقول دائمًا أكثر ما ننوي ونقصد أن نقوله. ولذلك تسمح اللغة والجسد وما هو خطابي وما هوغير خطابي بالنفاذ، كل منهما إلى الآخر . ولا يُوجد حد ظاهر، واضح بين كليهما، وبذلك لا توجد لغة >خالصة< أيضًا.

إذن نعرف أنه يمكن أن تُعلل وكيف، مسألة لماذا لا توجد لغة خارج الكلام بمعنى أسبقية منطقية- نَسبَية لشكل في مقابل تحقيقه. وبذلك يكون من الواضح أيضًا أن الفروض المسبقة لأونطولوجيا- عالمين لم تعد تؤدي

دوراً: كل المؤلفين المستشهد بهم هنا هم أتباع- بشكل كامن غالبًا- نوع من الأونطولوجيا، التي نريد أن يطلق عليها للبساطة >أونطولوجيا منبسطة< . وعلى أساس أونطولوجيا منبسطة لا يجعل معنى في إطار أساليب رمزية، للتفريق بين إنجازها الموجه مكانيًا- وزمانيًا، ومستوى يمكن أن يقع خلف هذا الإنجاز لبنية لا زمانية، مثالية، وما له أهمية دائمًا بالنظر إلى تفسير خاصيتنا اللغوية: لا يوجد مكان متميز ما ورائي ، يتميز بأن النموذج الصارم لنظام ما يقع بشكل كامن، يُوجَّه وفقًا له في كل الأماكن الباقية- أو على الأقل ينبغي أن يُتوجه له.

٢٧٠ هل نستطيع إذن الآن أن يُحدد ما يشبه، > مخططط</ تصور لغوي غير عقلي ؟ لنحاول أن يجمع بعض الفروض.

لا توجد اللغة كشكل، بل فقط في شكل أساليب الاستعمال اللغوي. ويُفهم تحت >أسلوب< فعل، مرتبط- بأوسع معنى- بالجسد. ولا تُعد ضروريةً لممارسة الأساليب معرفة- أن، بل معرفة- كيف ، مقدرة مكتسبة من خلال التدريب . وتُحسب من الأساليب اللغوية أيضًا تلك التي ترمى إلى بحث اللغة ذاتها، وفي ذلك تصف اللغة بأنها شكل، وتبنى نظريات حول اللغة. ولكن هذا يكون ممكنًا فقط، وليس بسيطًا ، لأن يتحدث عن اللغة. بل يكتب عن اللغة أو يحدد خلاف ذلك على أي نحو، ويمكن من خلال ذلك أيضًا أن يصير موضوعَ البحث. وتكون كل الأقوال حول اللغة إذن هي تلك التي تتعلق دائمًا بالعرض (الكتابي) للغة، ولكن ليس باللغة >لذاتها< . فليس لدينا مدخل إلى ما تشبه اللغة > الخالصة< .

فـاللغة توجـد فقط بوصـفهـا لغة- فـي- وسيط، بوصـفهـا لغة منطوقـة، مكتوبة، إشارية ، مـتخذة وسيطًا من ناحية تقنيـة . وليس لدينا أيضًا مدخل إلى الكفاءة اللغـوية أو الاتصاليـة- باستثناء عـبر الأداء اللغوي: وفـيه مع ذلك تظهر اللغة كلغـة مجسدة.> لغة مجسدة <بمعنى مزودج: اللغة ذاتها تمتلك مظهر خارجي مادي في شكل الأصوات، الكتاب، الإشارة.... إلخ، وهذه المادية للغة ليست حـالاً مستمرة بشكل هامشي ، بل مـستمرة بشكل أساسي. وفـضلاً عن ذلك يرتبط الاسـتعمـال اللغوي- على نحـو متـباين بشكل متـدرج- بجسـدية مستـعملي اللغة، الذيـن لا يظهرون كأشـخاص شكليين عـقليين، مـتمـوضعين بـشكل متناسق، بل دائـمًا أيضًـا ككائنات جسمـية معوزة مـتموضعين بشكل غيـر متناسق ، هذا إذن هو >المخطط<: نريد أن نطلق على هذا- بسبب التناسق مع نموذج العالمين >نموذج الأداء<.

وفي الواقع ليست هذه الخطوط الأساسية الواقعية حقًا كل ما (يمكن) أن يُفهمَنا مؤلفو المجموعة الثانية. فما تزال توجد نظرة تحدد ما يشبه غرض هذا المخطط الواقـع بشكل هزيل أكـثـر مـن كـونه ممتلئًـا . ويـكمن في أنه انطلاقًا منه يقع ضوء جديد على الفرض المسبق لأونطولوجيا- العالمين.

وفي فـصلنا البينـي عن المفكرين اللغـويين الموجهين إلى العـقل/ لا ٢٧١ نفسـر أونطولوجيـا- العالمين ببـساطة بأنه اسـتنتاج خاطئ عـقلي ، بل بأنه مـحاولة الالتـفاف حـول حفـرة هذا الاستنتـاج الخاطئ. لنعـد مرة أخـرى التسليم بالوضع المتـوصل إليه هناك: أولا يبدو مقـبولاً أن يقال مع بورديو وتايلور إن صورة لغويـة إدراكية ترتكز على استنتاج خـاطئ عقلي ، يكمن

في تبـادل المثال والواقع، النـمـوذج والحـقـيـقـة. ومع ذلك فـي منظور أونطولوجيا- العالمين لفـتنا النظر إلى أن هذا النوع من الأونطولوجيا يعني تجنب ذلك النوع من التـبادلات. لأن نموذج- العالمين يكفل حـقًا أن الكلام والتـواصل اليومـيين ليسـا في حاجـة إلى أن يحددا بنيـة- كلام مـثالـية أو مـوقف- كلامي مـثالي. بل يتـيح هذا التـصور الثنائـي لخاصـيتنا اللغـوية صياغة معتدلة للعقلانية، تكمن في جعل الكلام المتكرر الممثل التمثيَل ، أو التـحقيـقَ للغة والاتصـال المفهـومين. وعلى هذا النحو يمكن أن يُفـرق في الكلام بين مـا يتـبع في ذلك نظام اللغـة، وما لا يتـبع هذا النظام، إذن يتـبع شـروطًا غـيـر لغـويـة. وفي ذلك تكمن عـقـلانيـة ومـعـنى اسـتـراتيـجي لأونطولوجيا- العالمين.

ويرجع غرض مخططنا حول اللغة والاتصال خارج العقلانية إلى أن هذه العـقلانية الداخلـية لأونطولوجيـا- العالمين، يمكن أن تُـدرك وأن يعاد تفسيرها- ولكن في الوقت نفسـه أيضًا يمكن أن يحتفظ بها في ذلك. نحن هنا فـي مـفـصل هـذه الدراسـة- وبذلك نصل فـي الوقت نفـسـه إلى خاتمتها.وربما يصير مفهومًا الآن لماذا يتعلق ما يهمنا بالنسبة للمفكرين ذوي النزعـة النقـدية العـقلية، بشكـل أقل بأنهم يفـسرون هذه السـمـة أو تلك لخاصيتنا اللغوية بشكل مختلف. فما تعلق به الأمر بالنسبة لنا بوجه خاص كان المراجعة المؤسـسة في ذلك للعلاقة بين النموذج والتحـقيق. ولنفترض أن الصورة اللغوية العقلية تقدم هـي ذاتها نموذجًا. ثم لا يدور الأمر بالنسبة لنا حول إحـلال نموذج أفضل محل هذا النمـوذج . ونريد بالأحرى بشكل

مختار حسب المعيار الأدائي لدريدا/ بتلر لتشكيل من شيء شيئًا آخر من خلال تكرير يُعاد تفسيره، أن نعد التفريق بين اللغة والكلام تفريقًا مهمًا. بل نمنحه تفسيراً آخر. كيف هذا؟

/ لقد وصفنا المؤلفين الذين عرضوا أخيراً بأنهم هجروا الفرض القائل يوجد شيء مثل لغة واتصال خالصين. ويتعلق هذا >الهجر< باللغة في خصوصيتها، بوصفها نظامًا سابقًا على الكلام يصير مؤثراً. ومن هذه الناحية تكون اللغة والاتصال > الخالصان< حقيقةً أيضًا خيالاً محضًا. ولكن هذا فقط: من هذه الناحية. ٢٧٢

ومع ذلك حين نبدل أونطولوجيا- العالمين لصالح، أونطولوجيا منبسطة تحصل فكرة شكل مصفى للغة على معنى آخر، مقبول دون شك. وتُقدم >اللغة الخالصة< من المستوى الكلي لعالم خلفي للقواعد الأساسَ للاستعمالات اللغوية الخاصة ، تُجرد، وتُوضع هناك حيث > يجري < أيضًا كل استعمال لغوي آخر موجه مكانيًا- وزمانيًا، ويصير بحث وعرض شكل اللغة أسلوبًا لغويًا خاصًا.

ولم يعد كل ما يتعلق بهذا الشكل شرطًا كليًا للكلام، بل كيفية للكلام إلى جانب كيفيات أخرى. أسلوب للتعامل مع مدلولات كتابية غالبًا، يفترق عن أساليب أخرى >على نحو له مغزي. ويمكن بعد ذلك أن نفهم فكرة لغة سابقة على الكلام على أنها نتيجة لأسلوب لغوي يمكن أن يحد تاريخيًا: فافتراضات هابرماس العقلية ليست تخيلية ، بل نقابلها في

المعايير الحجاجية لاتصال ناجح في حلقات دراسية فلسفية أو في أعراف إنتاج نص علمي. وجملة تشومسكي الصحيحة نحويًا هي حقيقةٌ توجد في نتيجة تحويلات حسابية لمخططات الجملة إلى جمل تامة على الورق. ويمكن أن يرجع فونيم سوسير مقبولية بناء مميز إلى الوحدة الخطية، بخصوصية أن يكون عنصر أبجدية نهائية.

بدهية: هذه الأفكار كلها سريعة، وتقع على نحو حفرٍ على الخشب، ومع ذلك فربما يكون البرنامج الذي يتعلق بهذا قد اكتسب في ذلك ملامح: فمحور نموذج- العالمين الذي يكمن في أن العلاقة بين اللغة والكلام تعد علاقة بين نموذج وتحقيقه يمكن أن يُعاد صياغته في أفق >أونطولوجيا منبسطة < بوصفه التفريق بين استعمالات لغوية يمكن تمييزها تاريخيًا ونظاميًا، ولا يتعطل بأية حال من الأحوال تفسير ما هو مميز في هذه الاستعمالات اللغوية-/ على نحو مخالف لما رأى ڤيتجنشتاين- مع ، ٢٧٣ >هكذا الأمر< لشكل الحياة، بل- هنا يجب أن نعطي لوهمان الحق- يجب أن نضع في الاعتبار الوضع الوسائطي لخاصيتنا اللغوية. لأنه لا توجد لغة دائمًا إلا بوصفها لغة متجسدة في الوسائط الصوتية، أو الإشارية أو الكتابية أو التقنية.

قائمة المراجع

Ansén, Reiner (1993): *Defiguration. Versuch über Derrida*, Würzburg: Königshausen & Neumann.

Austin, John Langshaw (1961): *Philosophical Papers*, Oxford: Clarendon Press.

– (1962 a): »Performativ – Constatif«, in: *La Philosophie Analytique*, hg. v. H. Bera, Paris: Cahiers de Royaumont, S. 271-304 (dtsch.: 1968).

– (1962): *Sense and Sensibilia*, Oxford: University Press (dtsch.: 1975).

– (1962 c): *How to do things with Words*, Oxford: Clarendon Press (dtsch.: 1979).

– (1968 a): »Performative und konstatierende Äußerungen«, in: *Sprache und Analysis*, hg. v. R. Bubner, Göttingen: Vandenhoeck & Ruprecht, S. 140-153 (frz.: 1962 a).

– (1968): *Performative Äußerungen*, in: Austin 1986, S. 305-327.

– (1975): *Sinn und Sinneserfahrung (Sense and Sensibilia)*. Nach den Vorlesungsmanuskripten zusammengestellt und hg. v. G. J. Warnock, übers. v. Eva Cassirer, Stuttgart: Reclam (engl. 1962 b).

– (1979): *Zur Theorie der Sprechakte*, Stuttgart: Reclam (engl.: 1962 c).

– (1986): *Gesammelte philosophische Aufsätze*, Stuttgart: Reclam.

Bertram, Georg W. (1999): »Wem gilt die Kritik der Dekonstruktion«, in: *Allgemeine Zeitschrift für Philosophie*, Jg. 24, H. 3, S. 221-242.

Bezzel, Chris (1996): *Wittgenstein zur Einführung*, Hamburg: Junius.

Bierwisch, Manfred (1966): »Strukturalismus. Geschichte, Probleme und Methoden«, in: *Kursbuch*, H. 5, S. 77-153.

– (1987): »Linguistik als kognitive Wissenschaft – Erläuterungen zu einem Forschungsprogramm«, in: *Zeitschrift für Germanistik*, Bd. 8, 1987, S. 654-667.

Billing, Hans (1980): *Wittgensteins Sprachspielkonzeption*, Bonn: Bouvier.

Böhler, Dietrich (1995): »Dialogreflexion als Ergebnis der sprachpragmatischen Wende. Nur das sich wissende Reden und Miteinanderstreiten ermöglicht Vernunft«, in: Jürgen Trabant (Hrsg.) (1995), S. 145-162.

Botha, Rudolf P. (1991): *Challenging Chomsky. The Generative Garden Game*, Oxford: Basil Blackwell.

Bourdieu, Pierre (1990): *Was heißt Sprechen? Die Ökonomie des sprachlichen Tauschs*, Wien: Braunmüller (frz.: Paris: Arthème Fayard 1982).

– (1993): »Über die ›scholastische Ansicht‹«, in: *Praxis und Ästhetik. Neue Perspektiven im Denken Pierre Bourdieus*, hg. v. G. Gebauer u. Chr. Wulf, Frankfurt am Main: Suhrkamp, S. 341-356.

Braun, Edmund (Hrsg.) (1996): *Der Paradigmenwechsel in der Sprachphilosophie. Studien und Texte*, Darmstadt: Wissenschaftliche Buchgesellschaft.

Buchheister, Kai, Daniel Steuer (1992): *Ludwig Wittgenstein*, Stuttgart: Metzler.
Butler, Judith (1990): »Performative Acts and Gender Constitution: An Essay in Phenomenology and Feminist Theory«, in: *Performing Feminism: Feminist Critical Theory and Theatre*, ed. Sue-Ellen Case, London: John-Hopkins Press.
– (1991): *Das Unbehagen der Geschlechter*, Frankfurt am Main: Suhrkamp (engl.: 1990).
– (1993 a): »Für ein sorgfältiges Lesen«, in: *Der Streit um die Differenz. Feminismus und Postmoderne in der Gegenwart*, ed. S. Benhabib et al., Frankfurt am Main: Fischer, S. 122-132.
– (1993 b): *Bodies that Matter*, New York: Routledge (dtsch.: 1995).
– (1995): *Körper von Gewicht. Die diskursiven Grenzen des Geschlechts*, Berlin: Berlin Verlag (engl.: 1993 b).
– (1997): *Excitable Speech. A Politics of Performaticity*, New York, London: Routledge (dtsch.: 1998).
– (1998): *Haß spricht. Zur Politik des Performativen*, Berlin: Berlin Verlag (engl.: 1997).
Cavell, Stanley (1994): »Counter-Philosophy and the Pawn of Voice«, in: ders., *A Pitch of Philosophy: Autobiographical Exercises*, Cambridge/Mass.: Harvard UP, S. 53-128.
– (1995): »What Did Derrida Want of Austin«, in: ders., *Philosophical Passages: The Bucknell Lectures in Literary Theory*, Cambridge/U. K., S. 42-65.
– (1996): »Wittgenstein als Philosoph der Kultur«, in: *Deutsche Zeitschrift für Philosophie* 46, 1, 1998, S. 3-29 (»Declining Decline«, in: ders., *The Cavell Reader*, hg. v. S. Mulhall, Cambridge, Mass. Oxford: Blackwell, S. 321-352).
Chomsky, Noam (1965): *Aspects of the Theory of Syntax*, Cambridge, Mass.: MIT Press (dtsch.: 1973 a).
– (1966): *Topics in the Theory of Generative Grammar*, Den Haag: Mouton.
– (1972): *Language and Mind*, New York: Harcourt Brace Jovanovich.
– (1973 a): *Aspekte der Syntax-Theorie*, Frankfurt am Main: Suhrkamp.
– (1973 b): *Strukturen der Syntax*, The Hague, Paris: Mouton.
– (1980): *Rules and Representations*, New York: Columbia UP (dtsch.: 1981).
– (1981): *Regeln und Repräsentationen*, übers. v. Helen Leuninger, Frankfurt am Main: Suhrkamp (engl.: 1980).
– (1986): *Knowledge of Language: Its Nature, Origin, and Use*, New York: Praeger.
– (1988): *Language and Problems of Knowledge; The Managua Lectures*, Cambridge, Mass.: MIT Press.
– (1995): *The Minimalist Program*, London: MIT Press.

– (1996): *Current Issues in Linguistic Theory*, The Hague: Mouton.
Coseriu, Eugenio (1968): »L'arbitraire du signe. Zur Spätgeschichte eines aristotelischen Begriffes«, in: *Archiv für das Studium der neueren Sprachen und Literaturen* 204, S. 81-112.
– (1988): *Sprachkompetenz: Grundzüge der Theorie des Sprechens*, Tübingen: Francke.
Culler, Jonathan (1976): *Saussure*, Hassocks, Sussex: The Harvester Press.
– (1983): *On deconstruction. Theory and criticism after structuralism*, London (dtsch.: 1988).
– (1988): *Dekonstruktion: Derrida und die poststrukturalistische Literaturtheorie*, Reinbek b. Hamburg (engl.: 1983).
D'Agostino, Fred (1986): *Chomsky's System of Ideas*, Oxford: Clarendon Press.
Dascal, Marcelo, Dietfried Gerhardus, Kuno Lorenz, Georg Meggle (Hrsg.) (1996): *Sprachphilosophie/Philosophy of Language/La philosophie du langage. Ein internationales Handbuch*, 2 Bände, Berlin, New York: de Gruyter.
Davidson, Donald (1984): *Inquiries into Truth and Interpretation*, Oxford: Clarendon Press (dtsch.: 1990a).
– (1986): »A Nice Derangement of Epitaphs«, in: Ernest LePore (Hrsg.) (1986), S. 433-446 (dtsch: 1990b).
– (1990a): *Wahrheit und Interpretation*, übers. v. J. Schulte, Frankfurt am Main: Suhrkamp (engl.: 1984).
– (1990b): »Eine hübsche Unordnung von Epitaphen«, in: *Die Wahrheit der Interpretation. Beiträge zur Philosophie Donald Davidsons*, hg. v. Eva Picardi, Joachim Schulte, Frankfurt am Main: Suhrkamp, S. 203-228 (engl.: 1986).
– (1993): *Der Mythos des Subjektiven*, Stuttgart: Reclam.
Derrida, Jacques (1967a): *L'écriture et la différence*, Paris: Editions du Seuil (dtsch.: 1972).
– (1967b): *De la grammatologie*, Paris: Editions du Seuil (dtsch.: 1974a).
– (1972): *Die Schrift und die Differenz*, Frankfurt am Main: Suhrkamp (frz.: 1967).
– (1974a): *Grammatologie*, Frankfurt am Main: Suhrkamp (frz.: 1967).
– (1974b): *Glas*, Paris: Galilée.
– (1976): *Randgänge der Philosophie*, Frankfurt am Main, Berlin, Wien: Ullstein (unvollständige Übersetzung von: *Marges de la philosophie*, Paris 1972).
– (1979): *Die Stimme und das Phänomen*, Frankfurt am Main: Suhrkamp (frz.: 1967).
– (1983 u. 1987): *Die Postkarte – von Sokrates bis Freud und jenseits*, 2 Lieferungen, Berlin: Brinkmann u. Bose.
– (1986): *Positionen. Gespräche mit Henri Ronse, Julia Kristeva, Jean-*

Louis Houdebine, Guy Scarpetta (Edition Passagen 8), Graz: Böhlau (frz.:1972).
– (1988 a): *Randgänge der Philosophie*, Wien: Passagen-Verlag (erste vollständige deutsche Ausgabe von *Marges de la Philosophie*, Paris 1972).
– (1988 b): »Signatur Ereignis Kontext«, in: ders., (1988 a), S. 291-314.
– (1988 c): »*Die différance*«, in: ders., (1988 a), S. 29-53.
– (1991): *Gesetzeskraft*, Frankfurt am Main: Suhrkamp (engl.: 1990).
– (1990): »Force of Law/Force de loi«, in: *Cardozo Law Review*, Bd. 11, New York, S. 920-1045.
– (1993): »Falschgeld«, in: *Zeit geben I*, München: Fink (frz.: 1991).
– (1995): *Disseminationen*, Wien: Passagen-Verlag (frz.: 1972).
– (1996): *Apories, Mourir – s'attendre aux »limites de la vérité«*, Paris: Galilee.
– (1988): *Aporien. Sterben – Gefaßtsein auf die »Grenzen der Wahrheit«*, München: Fink.
Dews, Peter (1992): »Die Wahrheit des Subjekts. Sprache und Intersubjektivität bei Lacan«, in: Bernhard H.F. Taureck (Hrsg.) (1992), S. 173-199.
Dreisholtkamp, Uwe (1997): *Die Gabe der Gabe und das Versprechen*, in: H.-D. Gondek, B. Waldenfels (Hrsg.) (1997), S. 287-307.
Duden, Barbara (1993): »Die Frau ohne Unterleib. Zu Judith Butlers Entkörperung«, in: *Feministische Studien*, 11, H. 2, S. 24-33.
Dummet Michael (1986): »A Nice Derangement of Epitaphs: Some Comments on Davidson and Hacking«, in: Ernest Lepore (Hrsg.) (1986), S. 459-476.
Ehlich, Konrad (1996): »Sprache als System versus Sprache als Handlung«, in: Dascal u.a. (Hrsg.) (1996), Bd. 2, S. 952-963.
Ellrich, Lutz (1997): »Neues über das ›neue Medium‹ Computer. Ein Literaturbericht«, in: *Technik und Gesellschaft*, Jahrbuch 9, S. 195-225.
Evnine, Simon (1991): *Donald Davidson*, Oxford: Blackwell.
Fann, Kwang T. (1969): *Symposium on J.L. Austin*, London: Routledge & Kegan (darin einschlägig die Aufsätze von Strawson, Black, Forguson, Cohen, Furberg).
Fehr, Johannes (1997): »Saussure: Zwischen Linguistik und Semiologie. Ein einleitender Kommentar«, in: Ferdinand de Saussure, *Linguistik und Semiologie. Notizen aus dem Nachlaß. Texte, Briefe und Dokumente*, gesammelt, übersetzt und eingeleitet v. Johannes Fehr, Frankfurt am Main: Suhrkamp, S. 17-228.
Felman, Shoshana (1983): *The Literary Speech Act. Don Juan with J. L. Austin or Seduction in Two Languages*, Ithaca, N.Y.: Cornell UP.
Féral, Josette (1982): »Performance and Theatralicity: The Subject Demystified«, in: *Modern Drama*, Vol. 25, S. 170-181.
Fischer, Hans Rudi (1987): *Sprache und Lebensform. Wittgenstein über Freud und die Geisteskrankheit*, Frankfurt am Main: Athenäum.

Frank, Dorothea (1982): »Seven Sins of Pragmatics: Theses about Speech Act Theory, Conversational Analysis, Linguistic and Rhetoric«, in: *Possibilities and Limitations of Pragmatics*, hg. v. Herman Parret, Marina Sbisa und Jef Verschueren, Amsterdam: John Benjamins, S. 225-236.
Frank, Manfred (1984): *Was ist Neostrukturalismus*, Frankfurt am Main: Suhrkamp.
Freud, Sigmund (1940-1952): *Gesammelte Werke*, Bände I-XVII, London: Imago Publishing Co (in neuer Auflage bei S. Fischer, Frankfurt am Main plus Register-Band XVIII, zit. als GW).
– (1992): *Traumdeutung*, in: GW, Bd. II/III.
– (1985): *Der Witz u. seine Beziehung zum Unbewußten*, in: GW, Bd. IV.
Furberg, Mats (1963): *Locutionary and Illocutionary Acts: A Main Theme in J. L. Austin's Philosophy*, Stockholm: Alongvist & Wiksell.
Gawoll, Hans Jürgen (1989): *Spur: »Gedächtnis und Andersheit«*, in: *Archiv für Begriffsgeschichte*, Bd. 32, S. 269-296.
Gadamer, Hans Georg, (1960): *Die Gegenwart der Griechen im neuen Denken*, Tübingen: Mohr.
– (1975): *Wahrheit und Methode*, Tübingen: Mohr (4. Aufl.).
Gebauer, Gunter (1995): »Über Aufführungen der Sprache«, in: Jürgen Trabant (Hrsg.) (1995), S. 224-246.
Geier, Manfred (1998): *Orientierung Linguistik. Was sie kann, was sie will*, Reinbek b. Hamburg: Rowohlt.
Glüer, Kathrin (1993): *Donald Davidson zur Einführung*, Hamburg: Junius.
Gondek, Hans-Dieter, Bernhard Waldenfels (Hrsg.) (1997): *Einsätze des Denkens. Zur Philosophie von Jacques Derrida*, Frankfurt am Main: Suhrkamp.
Goody, Jack (1997): »Against ›Ritual‹: Loosely Structured Thoughts on a Loosely Defined Topic«, in: *Secular Ritual*, ed. S. F. Moore, B. G. Myerhoff, Assen: Van Gorkum, S. 25-35.
Gould, Timothy (1995): »The Unhappy Performative«, in: A. Parker, E. Kosofsky Sedgwick (Hrsg.) (1995), S. 19-196.
Graham, Keith (1997): *J. L. Austin. A Critique of Ordinary Language Philosophy*, Assocks, Sussex: Harvester Press.
Grayling, Anthony C. (1999): *Wittgenstein*, Freiburg: Herder (orig.: Oxford: UP 1988).
Habermas, Jürgen (1975): »Sprachspiel, Intention und Bedeutung. Zu Motiven bei Sellars und Wittgenstein«, in: *Sprachanalyse und Soziologie. Die sozialwissenschaftliche Relevanz von Wittgensteins Sprachphilosophie*, hg. v. R. Wiggershaus, Frankfurt am Main: Suhrkamp, S. 319-340.
– (1981): *Theorie des kommunikativen Handelns*, 2 Bde., Frankfurt am Main: Suhrkamp.
– (1985): *Der philosophische Diskurs der Moderne*, Frankfurt am Main: Suhrkamp.

– (1984): »Wahrheitstheorien«, in: ders., *Vorstudien und Ergänzungen zur Theorie des kommunikativen Handelns*, Frankfurt am Main: Suhrkamp (zuerst in: *Wirklichkeit und Reflexion*, hg. v. H. Fahrenbach, Pfullingen: Neske 1973).
– (1984): »Was heißt Universalpragmatik?«, in: ders., *Vorstudien und Ergänzungen zur Theorie des kommunikativen Handelns*, Frankfurt am Main: Suhrkamp, S. 353-440 (zuerst in: *Sprachpragmatik und Philosophie*, hg. v. Karl-Otto Apel, Frankfurt am Main: Suhrkamp 1976, S. 174-272).
– (1985): *Der philosophische Diskurs der Moderne*, Frankfurt am Main: Suhrkamp.
– (1988): *Nachmetaphysisches Denken*, Frankfurt am Main: Suhrkamp.
Hacking, Ian (1975): *Why Does Language Matter to Philosophy?*, Cambridge: University Press.
– (1986): *The Parody of Conversation*, in: E. LePore (Hrsg.) (1986), S. 447-458.
Haegeman, Liliane M. V. (1994): *Introduction to Government and Binding Theory*, 2nd Edition, Oxford: Blackwell.
Hartmut, Günter, Otto Ludwig (1994): »Vorwort«, in: dies. (Hrsg.), *Schrift und Schriftlichkeit. Writing and Its Use. Ein interdisziplinäres Handbuch internationaler Forschung*, Berlin/New York: de Gruyter, S. V-VIII.
Hegel, G. W. F. (1997): *Phänomenologie des Geistes*, Werke 3, Frankfurt am Main: Suhrkamp.
Heise, Jens (1989): *Traumdiskurse – Die Träume der Philosophie und die Psychologie des Traums*, Frankfurt am Main: Fischer.
– (1992): »Die erste und die zweite Sprache. Fragen einer allgemeinen Symboltheorie bei Lacan«, in: Bernhard H. F. Taureck (Hrsg.) (1992), S. 60-81.
Hildenbrandt, Eberhard (1972): *Versuch einer kritischen Analyse des Cours de linguistique générale von Ferdinand de Saussure*, Marburg: Elwert.
Hilmy, Stephen (1987): *The Later Wittgenstein. The Emergence of a New Philosophical Method*, Oxford: Blackwell.
Hobson, Marian (1998): *Jacques Derrida. Opening Lines*, London: Routledge.
Hymes, Dell (1971): »Competence and Performance in Linguistic Theory«, in: *Language Acquisition: Models and Methods*, ed. R. Huxley, E. Ingram, London, New York, S. 3-28.
Jäger, Ludwig (1994): »Die Linguistik des Inneren. Historische Anmerkungen zu den zeichen- und erkenntnistheoretischen Grundlagen der kognitiven Sprachwissenschaft«, in: *Germanistik in der Mediengesellschaft*, hg. v. L. Jäger, B. Switalla, München: Fink, S. 291-326.
– (1976): »Ferdinand de Saussures historisch-hermeneutische Idee der

Sprache. Ein Plädoyer für die Rekonstruktion des Saussureschen Denkens in seiner authentischen Gestalt«, in: *Linguistik und Didaktik*, 27, S. 210-244.
Kambartel, Friedrich, Pirmin Stekeler-Weithofer (1988): »Ist der Gebrauch der Sprache ein durch Regeln bestimmtes Handeln?«, in: *Fortschritte in der Semantik. Ergebnisse aus dem Sonderforschungsbereich 99 »Grammatik und sprachliche Prozesse« der Universität Konstanz*, hg. v. A.v. Stechow, M.-T. Schepping, Weinheim: VCH, S. 201-223.
Kemmerling, Andreas (1992): »Bedeutung und der Zweck der Sprache«, in: Vossenkuhl (Hrsg.) (1992), S. 99-120.
Kimmerle, Heinz (1997): *Jacques Derrida zur Einführung*, Hamburg: Junius (4. erw. Auflage).
Kittler, Friedrich (1993): »Die Welt des Symbolischen – eine Welt der Maschine«, in: ders., *Draculas Vermächtnis. Technische Schriften*, Leipzig: Reclam, S. 58-80.
Krämer, Sybille (1996): »Sprache und Schrift oder: Ist Schrift verschriftete Sprache?«, in: *Zeitschrift für Sprachwissenschaft*, Organ der Deutschen Gesellschaft für Sprachwissenschaft, Bd. 15, H. 1, S. 92-112.
– (1998 a): »Sprache – Stimme – Schrift: Sieben Thesen über Performativität als Medialität«, in: *Kulturen des Performativen, Sonderband der Zeitschrift Paragrana, Internationale Zeitschrift für Historische Anthropologie*, hg. v. Erika Fischer-Lichte, Doris Kolesch.
– (1998 b): »Gibt es eine Sprache hinter dem Sprechen?«, in: *Sprache und Sprachen in den Wissenschaften. Geschichte und Gegenwart*, hg. v. H.E. Wiegand, Berlin, New York.
– (1998 c): »Form als Vollzug oder: Was gewinnen wir mit Niklas Luhmanns Unterscheidung von Medium und Form«, in: *Rechtshistorisches Journal*, 17, S. 558-573.
Künne, Wolfgang (1985): »Wahrheit«, in: *Philosophie. Ein Grundkurs*, hg. v. E. Martens, H. Schnädelbach, Reinbek b. Hamburg.
– (1990): »Prinzipien der wohlwollenden Interpretation«, in: *Intentionalität und Verstehen*, hg. v. Forum für Philosophie Bad Homburg, Frankfurt am Main: Suhrkamp, S. 212-236.
Künzler, Jan (1987): »Grundlagenprobleme der Theorie symbolisch generalisierter Kommunikationsmedien bei Niklas Luhmann«, in: *Zeitschrift für Soziologie*, Jg. 16, H. 5, S. 317-333.
Lacan, Jacques (1966): *Ecrits*, Paris: Edition du Seuil (dtsch.: 1973 ff.).
– (1973 ff.): *Le Séminaire des Jacques Lacan*. Texte établi par Jacques-Alain Miller, Paris: Edition du Seuil (dtsch.: 1978 ff.).
– (1973, 1975, 1978 a): *Schriften 1, 2 und 3*, hg. v. Norbert Haas u. H.J. Metzger, Olten, Freiburg: Walter-Verlag (frz.: 1966).
– *Das Seminar von Jacques Lacan* (1978 b ff.): hg. v. Norbert Haas: Buch I. *Freuds technische Schriften (1953-1954)*, Olten, Freiburg 1978b; Buch II: *Das Ich in der Theorie Freuds und in der Technik der Psychoanalyse*

(1954-1955), Olten, Freiburg 1980; Buch XI: *Die vier Grundbegriffe der Psychoanalyse (1964)*, Olten, Freiburg 1978 b.
Landweer, Hilge (1994): »Jenseits des Geschlechts? Zum Phänomen der theoretischen und politischen Fehleinschätzung von Travestie und Transsexualität«, in: *Geschlechterverhältnisse und Politik*, hg. v. Institut für Sozialforschung, Frankfurt am Main: Suhrkamp, S. 139-167.
Lang, Hermann (1986): *Die Sprache und das Unbewußte*, Frankfurt am Main: Suhrkamp.
Leech, Geoffrey N. (1985): *Principles of Pragmatics*, London, New York: Longman.
LePore, Ernest (Hrsg.) (1986): *Truth and Interpretation. Perspectives on the Philosophy of Donald Davidson*, Oxford: Blackwell.
Lewis, David (1974): »Radical Interpretation«, in: *Synthese* 23, S. 331-344.
Lin, Francis Y. (1999): »Chomsky on the ›Ordinary Language‹ View of Language«, in: *Synthese* 120, S. 151-192.
Lorenz, Kuno (1990): »Sehen – Wittgensteins Umgang mit der Bildmetapher«, in: *Grazer Philosophische Studien*, Vol. 38, S. 35-45.
Lyons, John (1979): *Chomsky*, Fontana: Collins.
– (1983): *Die Sprache*, München: Beck.
Luhmann, Niklas (1971): »Sinn als Grundbegriff der Soziologie«, in: *Theorie der Gesellschaft oder Sozialtechnologie. Was leistet die Systemtheorie?*, hg. v. J. Habermas, N. Luhmann, Frankfurt am Main: Suhrkamp, S. 25-100.
– (1982): *Liebe als Passion. Zur Codierung von Intimität*, Frankfurt am Main: Suhrkamp.
– (1984): *Soziale Systeme. Grundriß einer allgemeinen Theorie*, Frankfurt am Main: Suhrkamp.
– (1987): »Sprache und Kommunikationsmedien. Ein schieflaufender Vergleich«, in: *Zeitschrift für Soziologie*, Jg. 16, H. 7, S. 467-468.
– (1995): *Die Kunst der Gesellschaft*, Frankfurt am Main: Suhrkamp.
– (1997): *Die Gesellschaft der Gesellschaft*, Frankfurt am Main: Suhrkamp.
– (1984-1995), *Soziologische Aufklärung*, Bd. 1-6, Opladen: Westdeutscher Verlag.
Manczak, Witold (1969): »Critique du structuralisme«, in: *Folia linguistica* 3, S. 169-177.
McCarthy, Thomas (1980): *Kritik der Verständigungsverhältnisse. Zur Theorie von Jürgen Habermas*, Frankfurt am Main: Suhrkamp (engl.: 1978).
Norris, Christopher (1988): »Home Thoughts from Abroad: Derrida, Austin and the Oxford Connection«, in: *Studies in Anglo-French-Cultural Relations*, ed. Ceri Crossley, Ian Small, Houndsmills etc.: Macmillan Press.

Ovid (Publius Ovidus Naso) (1986): *Metamorphosen*, übers. v. Reinhart Suchier, Frankfurt am Main: Büchergilde.
Pagel, Gerda (1989): *Lacan zur Einführung*, Hamburg: Junius.
Parker, Andrew, Sedgwick, Eva Kosofsky (Hrsg.) (1995): *Performativity and Performance*, London, New York: Routledge.
Prechtl, Peter (1994): *Saussure zur Einführung*, Hamburg: Junius.
Quine, William V.O. (1976): *Word and Object*, Cambridge, Mass.: MIT Press 10. Aufl. (dtsch.: Stuttgart: Reclam 1980).
Ramberg, Björn T. (1989): *Donald Davidsons Philosophy of Language. An Introduction*, Oxford: Blackwell.
Rorty, Richard (1978): »Philosophy as a Kind of Writing: An Essay on Derrida«, in: *New Literary History* 10, S. 141-160.
de Saussure, Ferdinand (1967): *Grundfragen der Allgemeinen Sprachwissenschaft*, hg. v. Charles Balley, Albert Sechhaye, 2. Aufl., Berlin: de Gruyter (frz.: 1976).
– (1976): *Cours de linguistique générale*, édition critique préparée par Tulio de Mauro, Paris: Payot (dtsch. 1967).
– (1989): *Cours de linguistique générale*, édition critique par Rudolf Engler, Wiesbaden: Harrassowitz.
– (1997): *Linguistik und Semiologie. Notizen aus dem Nachlaß. Texte, Briefe und Dokumente*, ges., übers. und eingel. v. Johannes Fehr, Frankfurt am Main: Suhrkamp.
Savigny, Eike von (1974): *Die Philosophie der normalen Sprache*, völlig neu bearbeitete Ausgabe, Frankfurt am Main: Suhrkamp (1. Aufl. 1969).
– (1975): »J. L. Austin: Hat die Wahrnehmung eine Basis?«, in: *Grundprobleme der großen Philosophen. Philosophie der Gegenwart* III, hg. v. Josef Speck, Göttingen: Vandenhoeck & Ruprecht.
Savigny, Eike von, Oliver Scholz (1996): »Das Normalsprachenprogramm in der Analytischen Philosophie«, in: M. Dascal u. a. (Hrsg.) (1996).
Searle, John R. (1969): *Speech Acts*, Cambridge: UP (dtsch.: 1974 b).
– (1974 a): »Chomskys Revolution in der Linguistik«, in: *Linguistik und Philosophie*, hg. v. G. Grewendorf, G. Meggle, Frankfurt am Main: Athenäum-Verlag, S. 404-438
– (1974 b): *Sprechakte. Ein sprachphilosophischer Essay*, Frankfurt am Main: Suhrkamp (engl.: 1969).
– (1979 b): »Speech Acts and Recent Linguistics«, in: ders., *Expression and Meaning. Studies in the Theory of Speech Acts*, Cambridge, Mass.: CUP, S. 162-179.
– (1985): »What Is a Speech Act?«, in: *The Philosophy of Language*, hg v. A. P. Martinich, New York, Oxford: Oxford University Press.
– (1989): »How performatives work«, in: *Linguistics and Philosophy* 12, S. 535-558.
– (1991): *Intentionality. An Essay in the Philosophy of Mind*, Cambridge/ Mass.: CUP, 8. Aufl.

– (1995): *The Construction of Social Reality*, New York: Free Press 1995 (dtsch.: 1997).
– (1997): *Die Konstruktion der gesellschaftlichen Wirklichkeit. Zur Ontologie sozialer Tatsachen*, Reinbek b. Hamburg: Rowohlt.
Searle, John R., Daniel Vanderveken (1985): *Foundation of Illocutionary Logic*, Cambridge, Mass.: CUP.
Sedmak, Clemens (1994): *Kalkül und Kultur. Studien zu Genesis und Geltung von Wittgensteins Sprachspielmodell*, Amsterdam, Atlanta: Rodolphi.
Seel, Martin (1990): »Am Beispiel der Metapher. Zum Verhältnis von buchstäblicher und figürlicher Rede«, in: *Intentionalität und Verstehen*, hg. v. Forum für Philosophie Bad Homburg, Frankfurt am Main: Suhrkamp, S. 237-272.
– (1996): »Rezension zu ›Die Kunst der Gesellschaft‹ von Niklas Luhmann«, in: *European Journal of Philosophy*, 4, No. 3, S. 390-393.
– (1998): »Medien der Realität und Realität der Medien«, in: *Medien, Computer, Realität. Wirklichkeitsvorstellungen und Neue Medien*, hg. v. Sybille Krämer, Frankfurt am Main: Suhrkamp, S. 244-268.
Specht, E. K. (1963): *Die sprachphilosophischen und ontologischen Grundlagen im Spätwerk Wittgensteins*, Köln: Univ.-Verlag..
Scheerer, Thomas M. (1980): *Ferdinand de Saussure*, Darmstadt: Wiss. Buchgesellschaft.
Schneider, Hans Julius (1992): *Phantasie und Kalkül. Über die Polarität von Sprache und Struktur*, Frankfurt am Main: Suhrkamp (Neuauflage 1999).
– (1993): »Ausprägungen pragmatischen Denkens in der zeitgenössischen Sprachphilosophie«, in: *Pragmatik. Handbuch des pragmatischen Denkens*, hg. v. H. Stachowiak, Bd. IV, Hamburg: Meiner, S. 1-37.
– (1996): »Die sprachphilosophischen Annahmen der Sprechakttheorie«, in: M. Dascal u. a. (Hrsg.) (1996), S. 761-775.
Schneider, Hans Julius, Matthias Kroß (Hrsg.) (1999): *Mit Sprache spielen. Die Ordnungen und das Offene nach Wittgenstein*, Berlin: Akademie-Verlag.
Scholz, Oliver (1999): *Verstehen und Rationalität*, Frankfurt am Main: Klostermann.
Schulte, Joachim (1989): *Wittgenstein. Eine Einführung*, Stuttgart: Reclam.
Schwab, Martin (1980): *Redehandeln. Eine institutionelle Sprechakttheorie*, Königstein i. Ts.: Anton Hain.
Stetter, Christian (1997): *Schrift und Sprache*, Frankfurt am Main: Suhrkamp.
Stüben, Karsten (1993): *Donald Davidsons Theorie sprachlichen Verstehens*, Frankfurt am Main: Athenäum.
Tarski, Alfred (1935): *Der Wahrheitsbegriff in den formalisierten Sprachen*, Lemberg: Leopoli-Verlag.

– (1977): »Die semantische Konzeption der Wahrheit und die Grundlagen der Semantik«, in: *Wahrheitstheorien*, hg. v. G. Skirbekk, Frankfurt am Main: Suhrkamp, S. 140-188.

Taureck, Bernhard H. F. (Hrsg.) (1992): *Psychoanalyse und Philosophie. Lacan in der Diskussion*, Frankfurt am Main: Fischer.

– (1992): *Einleitung. Die Psychoanalyse zwischen Empirie und Philosophie*, in: ders. (Hrsg.) (1992), S. 7-31.

Taylor, Charles (1995): »To Follow a Rule«, in: *Philosophical Arguments*, Cambridge etc.: Harvard University Press, S. 165-180.

Tholen, Georg Christoph (1994): »Platzverweis. Unmögliche Zwischenspiele von Mensch und Maschine«, in: *Computer als Medium*, hg. v. Norbert Bolz, Friedrich Kittler, Christoph Tholen, München: Fink, S. 111-138.

Thompson, John B. (1982): »Universal Pragmatics«, in: *Habermas. Critical Debates*, hg. v. John B. Thompson, D. Held, London: MacMillan Press, S. 116-133.

Trabant, Jürgen (Hrsg.) (1995): *Sprache denken. Positionen aktueller Sprachphilosophie*, Frankfurt am Main: Fischer.

– (1998): *Artikulationen. Historische Anthropologie der Sprache*, Frankfurt am Main: Suhrkamp.

Venieri, Marie (1988): *Wittgenstein über philosophische Erklärung*, Frankfurt am Main: Lang.

Vossenkuhl, Wilhelm (1982): *Anatomie des Sprachgebrauchs. Über Regeln, Intentionen und Konventionen menschlicher Verständigung*, Stuttgart: Klett-Cotta.

– (Hrsg.) (1992): *Von Wittgenstein lernen*, Berlin: Akademie Verlag.

– (1993): »Zur Pragmatik sprachlichen Handelns«, in: *Pragmatik. Handbuch des pragmatischen Denkens*, hg. v. H. Stachowiak, Bd. IV, Hamburg: Meiner, S. 85-103.

Waldenfels, Bernhard (1997): *Das Un-ding der Gabe*, in: H.-D. Gondek, B. Waldenfels (Hrsg.) (1997), S. 385-410.

von Wartburg, Walter (1939): »Betrachtungen über das Verhältnis von historischer und deskriptiver Sprachwissenschaft«, in: *Mélanges de linguistique offerts á Charles Bally*, Genf, S. 3-18.

Weber, Samuel M. (1978): *Rückkehr zu Freud. Jacques Lacans Ent-stellung der Psychoanalyse*, Frankfurt am Main, Berlin, Wien: Ullstein.

Wellmer, Albrecht (1993): *Endspiele. Die unversöhnliche Moderne. Essays und Vorträge*, Frankfurt am Main: Suhrkamp.

Welsch, Wolfgang (1996): *Vernunft. Die zeitgenössische Vernunftkritik und das Konzept der transversalen Vernunft*, Frankfurt am Main: Suhrkamp.

Weydt, Harald (1972): ›Unendlicher Gebrauch von endlichen Mitteln‹. Mißverständnisse um ein linguistisches Theorem«, in: *Poetica* 5, S. 249-267.

– (1976): *Noam Chomskys Werk. Kritik Kommentar Bibliographie*, Tübingen: Gunter Narr.
Wittgenstein, Ludwig (1967): *Zettel*, hg. v. G.E.M. Ansombe, G.H. v. Wright, Oxford: Blackwell.
– (1976): »Ursache und Wirkung. Intuitives Erfassen«, in: *Philosophia* Vol. 6, S. 391-408.
– (1984): *Werkausgabe in 8 Bänden*, Frankfurt am Main: Suhrkamp.
Bd. 1: *Tractatus logico-philosophicus. Tagebücher 1914-1916. Philosophische Untersuchungen*;
Bd. 2: *Philosophische Bemerkungen*;
Bd. 3: *Ludwig Wittgenstein und der Wiener Kreis*;
Bd. 4: *Philosophische Grammatik*;
Bd. 5: *Das Blaue Buch. Eine philosophische Betrachtung (Das Braune Buch)*;
Bd. 6: *Bemerkungen über die Grundlagen der Mathematik*;
Bd. 7: *Bemerkungen über die Philosophie der Psychologie. Letzte Schriften über die Philosophie der Psychologie*;
Bd. 8: *Bemerkungen über die Farben. Über Gewißheit. Zettel. Vermischte Bemerkungen*.
– (1989): *Vortrag über Ethik und andere kleine Schriften*, hg. v. Joachim Schulte, Frankfurt am Main: Suhrkamp.
Wunderlich, Dieter (1982): *Sprechakttheorie und Diskursanalyse*, in: K.-O. Apel (Hrsg.) (1982), *Sprachpragmatik und Philosophie*, Frankfurt am Main: Suhrkamp, S. 463-488.
Zima, Peter (1994): *Die Dekonstruktion*, Tübingen: Francke, UTB Wissenschaft.

فهرس الأعلام

ترجمات

أخرى للمترجم

١- جموع التكسير في اللغات السامية، لـ ا . مورتونن.

مترجم عن الإنجليزية ، نشر المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة ١٩٨٣م.

٢- دراسات في مصادر الفقه المالكي ، لـ ميكلوش موراني.

مترجم عن الألمانية ، بالاشتراك ، نشر دار الغرب الإسلامي ١٩٨٨م.

٣- تاريخ الأدب العربي، القسم الرابع ٧-٨ لـ كارل بروكلمان.

مترجم عن الألمانية ، بالاشتراك ، نشر الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٣م.

٤- علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ، لـ فان دايك

مترجم عن الألمانية، نشر مكتبة زهراء الشرق ٢٠٠١م.

٥- الأساس في فقه اللغة العربية، لمجموعة من المستشرقين بإشراف أ/ د ڤولفديتريش فيشر، مترجم عن الألمانية ، نشر مؤسسة المختار ٢٠٠٢م.

٦- القضايا الأساسية في علم اللغة، لـ كلاوس هيشن

مترجم عن الألمانية ، نشر مؤسسة المختار ٢٠٠٣م.

٧- مدخل إلى علم اللغة لكارل ديتربونتج

مترجم عن الألمانية ، نشر مؤسسة المختار ٢٠٠٣ م.

٨- تاريخ علم اللغة الحديث، لـ جرهارد هلبش

مترجم عن الألمانية ، نشر مكتبة زهراء الشرق ٢٠٠٣ م.

٩- مدخل إلى علم لغة النص ، لـڤولفجانج هاينه مان، وديتر ڤيهفجر

مترجم عن الألمانية، نشر مكتبة زهراء الشرق ٢٠٠٣م.

١٠- مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، لـ زتسيسلاف واورزنياك

مترجم عن الألمانية ، نشر مؤسسة المختار ٢٠٠٣م.

١١- مناهج علم اللغة من هيرمان باول حتى ناعوم تشومسكي ، لـ بريجيته بارتشت

مترجم عن الألمانية، نشر مؤسسة المختار ٢٠٠٤م.

١٢- التحليل اللغوي للنص، لـ كلاوس برينكر

مترجم عن الألمانية ، نشر مؤسسة المختار ٢٠٠٥م.

١٣- دراسات في العربية، لمجموعة من المستشرقين

مترجم عن الألمانية ، نشر مكتبة الآداب ٢٠٠٦م.

١٤- الدراسات العربية في أوربا حتى مطلع القرن العشرين، لـ يوهان فوك

مترجم عن الألمانية، بالاشتراك ، نشر مكتبة زهراء الشرق ٢٠٠٦م.

١٥- تاريخ الأدب العربي، القسم الحادي عشر لـ كارل بروكلمان

مترجم عن الألمانية ، بالاشتراك ، نشر مكتبة الآداب ٢٠٠٧م.

١٦- تطور علم اللغة منذ ١٩٧٠م، لـ جرهارد هلبش

مترجم عن الألمانية ، نشر زهراء الشرق ٢٠٠٧م.

١٧- أسس الشعر الكلاسيكي ، لـ ايڤالد ڤاجنر

مترجم عن الألمانية ، نشر مؤسسة المختار ٢٠٠٧م.

١٨- علم لغة النص، نحو آفاق جديدة مقالات مختارة

مترجم عن الألمانية ، نشر زهراء الشرق ٢٠٠٨م.

١٩- إسهامات أساسية في علم النص، مقالات مختارة

مترجم عن الألمانية ، نشر مؤسسة المختار ٢٠٠٨م.

٢٠- أساسيات علم لغة النص، مداخل إلى فروضه ونماذجه وعلاقاته وطرائقه ومباحثه، لـ كلماير وآخرين

مترجم عن الألمانية، نشر زهراء الشرق ٢٠٠٩م.

٢١- مبادئ ومسارات في الدرس اللغوي المعاصر، مقالات مختارة

مترجم عن الألمانية، نشر زهراء الشرق ٢٠٠٩م.

٢٢- لسانيات النص، مدخل تأسيسي ، لـ آدمتسيك كيرستن

مترجم عن الألمانية، نشر زهراء الشرق ٢٠٠٩م.

٢٣- مدخل إلى علم الدلالة، لـ سبستيان لوبنر

مترجم عن الألمانية، نشر زهراء الشرق ٢٠١١م.

٢٤- دراسات في علم اللغة لـ انجليكه لينكه وآخرين

مترجم عن الألمانية، نشر زهراء الشرق ٢٠١١م.

٢٥- دروس في علم اللغة لـ يوهانس فولمرت

مترجم عن الألمانية، نشر زهراء الشرق ٢٠١١م.

٢٦- اللغة والفعل الكلامي والاتصال لـ زيبيله كريمر

مترجم عن الألمانية، نشر زهراء الشرق ٢٠١١م.

٢٧- مدخل إلى علم اللغة الجرماني، لـ يورج ماياور وآخرين

مترجم عن الألمانية، نشر زهراء الشرق ٢٠١١م.

٢٨- أسس علم لغة النص ، التفاعل - النص- الخطاب لـ م. ف- هاينه مان

نشر مؤسسة المختار ٢٠١١م.

٢٩- تحت الطبع: علم اللغة، مدخل أساسي لـ هايدرون بلتس،

مترجم عن الألمانية

٣٠- دراسات معاصرة في اللغة والنثر والشعر في العصر المملوكي

٣١- المعرفة اللغوية الأساسية

لـ دنيللا كليمون، مترجم عن الألمانية

٣٢- مدخل إلى علم اللغة،

لـ هاينتس فاتر، مترجم عن الألمانية

٣٣- مدخل إلى علم اللغة،

لـ هاينتس فيوكوفسكي، مترجم عن الألمانية

٣٤- مشكلات النحو والدلالة البنيويين،

لـ رودلف روجيتشكا، مترجم عن الألمانية

٣٥- الأسلوبية اللغوية،

لـ نلس اريك انكفيست، مترجم عن الإنجليزية

نبذة عن المؤلفة

ولدت زيبيله كريمر في ٢١ مارس ١٩٥١م في ترير.

ودرست من ١٩٧٠ حتى ١٩٧٦م الفلسفة والتاريخ والعلوم السياسية في هامبورج وماربورج، وأنهت دراستها سنة ١٩٧٦م، بامتحان الدولة. وفي سنة ١٩٨٠م حصلت على الدكتوراه في الفلسفة في ماربورج. وعقب ذلك قبلت أداء مهام تعليمية في جامعتي مونستر وبريمن. ومن ١٩٨٢م حتى ١٩٨٨ كانت «مساعدة بحث» في معهد الفلسفة في ماربورج، وفي الوقت نفسه قبلت العمل محاضرة زائرة منتظمة في الجامعة الدولية في دوبرونيك . وفي سنة ١٩٨٨ حصلت على الأستاذية في كلية الفلسفة بجامعة دوسلدروف وهي منذ ديسمبر ١٩٨٩م أستاذ للفلسفة النظرية في جامعة برلين الحرة.

أما محاور نشاطها العلمي والبحثي فهي الفلسفة في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وكذلك نظرية المعرفة وفلسفة العقل، واللغة والفعل الكلامي ، واللغة والاتصال ، ونظرية الوسائط ، وفلسفة ما بعد البنيوية.